

تاريخ المصريين

إمارة الرها الصليبية

دكتورة علية عبد السميع الجنزوري

الهيئة المصرية العامة للكتاب

دكتورة علية عبد السميع الجنزورى

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

إمارة الرها الصليبية

صفحة لها خطورتها فى تاريخ الجهاد الاسلامى والمحاولات العديدة التى بذلها الصليبيون فى امارة الرها لتمزيق وحدة المسلمين واقامة حاجز بين بلاد العراق من ناحية وبلاد الشام ومصر من ناحية أخرى .



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

الإهداء

" إلى زوجي العزيز الذي كان لتشجيعه
المستمر لي أكبر الأثر في إتمام هذا البحث "

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «إمارة الرها الصليبية» للأستاذة الدكتورة علية عبدالسميع الجنزورى، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، ونفدت طبعته. ونظراً لأهميته أعدنا نشره فى هذه السلسلة.

وقد سبق لنا أن نشرنا للدكتورة علية الجنزورى بعض أعمالها العلمية، مثل: «هجمات الروم البحرية على سواحل مصر الشمالية»، «والحروب الصليبية، المقدمات السياسية».

والكتاب الحالى يتناول تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها

الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨ ، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية، إذ أصبحت عقبة فى طريق قيام أية وحدة إسلامية بين شمال العراق والشام، وفى الوقت نفسه فسبب ما اتصفت به هذه المنطقة من اختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى، فإن دراسة هذه الإمارة كانت من الصعوبة بمكان حتى تصدت لها الدكتورة علية الجنزورى، فأمكن تقديم هذه الدراسة الممتازة التى تسد فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية.

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارئ المثقف.

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د. عبدالعظيم رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

« تقــــديم »

مازالت الحركة الصليبية بدوافعها الحقيقية واحداثها المثيرة ونتائجها المتباينة ، تستأثر بجهود كثير من الباحثين فى ميدان التــاريخ وخاصــة تاريخ العصور الوسطى . واذا كان معظم هذه الجهود قد انصب على نشــاط الصليبيين فى بلاد الشام بوصفها الهدف الأول للحملات الصــليبية ــ فان هناك من بلاد الشرق الأدنى مثل مصر والعراق وآسيا الصغرى واطراف شبه الجزيرة العربية ــ ما تأثر تأثرا مباشرا بتلك الحركة ، بل لقد كان بعضها ميدانا كبيرا لنشــــاط صليبى واسع المدى ، لا يقــل فى بعض مراحله عن النشاط الصليبى بالشام .

من ذلك ما شهده اقليم الجــزيرة فى بلاد العراق من نشاط صليبى واسع النطاق فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . ذلك أن الظروف شــاءت ان تقوم اولى الامارات الصليبية التى أسسها الصــليبيون فى الشرق الأدنى فى الرها وما حولها من أراض وبلاد ، وهى منطقة ذات طبيعة معقدة من ناحية التركيب البشرى فى ذلك العصر . وجاء قيــام امارة الرها الصليبية سنة ١٠٩٨ ايذانا ببداية مرحلة جديدة فى تــاريخ تلك المنطقة ، وهى مرحلة شهدت صراعا عنيفا ــ يظهر حينــا ويستتر احيانا ــ بين مختلف العناصر والأجناس على اختلاف مللها ونحلها ، من ارمن وسريان ، واتراك وتركمان وعرب ، فضلا عن الوافدين الجدد من الصليبيين الغربيين الكاثوليك وهم الذين جعلوا من انفسهم ارستقراطية حاكمة تتمتع بكثير من الحقوق مقابل نهوضها بعبء وحمــاية الكيــان المسيحى وسط المحيط الاسلامى الكبير .

ولا شك فى ان الموقع الجغرافى لامارة الرهــا الصليبية اســهم الى حــد كبير فى اضــفاء قــدر من الأهميــة على الدور الذى قــدر لتلك الامارة ان تلعبه على مسرح الأحــداث حتى ســقوطها ســنة ١١٤٤ . وحسب هذه الامارة انها تقع على الطريق الرئيسى بين الموصــل وحلب

وهما اكبر قوتين اسلاميتين فى شمال العراق والشام فى ذلك الدور - مما جعل منها عقبة فى طريق قيام اية وحدة اسلامية تربط بين شمال العراق والشام . هذا الى ان تطرف موقعها فى الشمال الشرقى بالنسبة لبقية الامارات التى اسسها الصليبيون فى الشرق الادنى جعل منها حاجزا وخطا دفاعيا يحمى البناء الصليبى فى ذلك الاتجاه . فاذا اضفنا الى ذلك قربها من المجتمع المسيحى فى أرمينية وشرق الاناضول من ناحية ومن بغداد مركز الخلافة العباسية من ناحية ثانية ، ادركنا خطورة الدور الذى نهضت به امارة الرها الصليبية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد .

ومن الواضح انه ليس من السهل علاج هذا الدور بسبب ما اتصفت به المنطقة التى قامت فيها امارة الرها من إختلاط عنصرى وتعقيد دينى ومذهبى وتداخل حضارى .على أن حسن الحظ شاء أن تتصدى لعلاج هذا الموضوع الدكتورة عليه الجنزورى ، فوضعت هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للباحثين فى حقل تاريخ العصور الوسطى . ذلك ان الدكتورة عليه الجنزورى — التى تتلمذت علينا فى الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه — اتصفت بكل ما يمكن أن يتصف به باحث ناجح ، من حيث الجرأة فى التصدى لمختلف الآراء ومناقشتها وتفنيدها ، مع التحلى بروح الصبر والمثابرة فى تقصى الحقائق واستخلاصها وتنقيتها ، والمقدرة على حسن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها . ولعلنى لست بحاجة الى التنويه بالجهد الذى بذلته الدكتورة عليه الجنزورى فى تاليف هذا الكتاب تحت اشرافنا ، وهو جهد استغرق سنوات طويلة من الكفاح الصامت ، قضتها الباحثة بين صفحات الوثائق والمصادر والمراجع .

ولا يسعنى اليوم سوى ان ابارك هذا الانتاج العلمى الثمين داعيا للدكتورة عليه الجنزورى بالتوفيق فى مواصلة طريق البحث . وانى لعلى يقين من أنها — بفضل ما توافر لها من عزم وذكاء وخلق متين — ستقدم للمكتبة التاريخية الكثير من الزاد الأصيل ان شاء الله .

دكتور
سعيد عبد الفتاح عاشور
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب — جامعة القاهرة

مقـــدمة

اجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية كانت حدثا هاما فى تاريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الأدنى . فبالنسبة للعالم الاسلامى كانت هذه الحروب بمثـابة زلزال مروع حل ببنـــاء قديم ، فأصابه بشرخ عميق . ذلك ان الحملة الصليبية الأولى وصلت الى الشرق فى وقت اشتدت فيه المنازعات بين حكامه حتى بلغت حد الشقاق بسبب الخلافات المذهبية والسياسية والعنصرية ، مما يسر للصليبيين أن ينشبوا مخالبهم فى الأرض العربية ويقيموا عليها فترة من الوقت .

وقد تمخضت الحملة الصليبية الأولى عن اقـامة اربع امارات صليبية فى كل من الرهـــا وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس . لعبت كل منـــها دورا كبيرا فى الصراع الذى دار بين المســـلمين والصليبيين على مسرح الشرق الأدنى فى عصر الحركة الصليبية ، حتى انتهى الأمر فى نهاية القرن الثـــالث عشر للميلاد بطرد الغزاة الدخلاء وتطهير الأرض العربية منهم .

واذا كانت الامارات الثلاث الأخيرة الســـالفة الذكر تقـــع فى ارض الشـــام ، فان امارة الرها تميزت بوقوعها فى ارض الجزيرة بين النهرين ، مما جعلها تشكل خطا دفاعيـا بالغ الأهمية بالنسبة للجبهة الشرقية للكيان الصليبى فى الشرق الادنى . ومعنى هذا ان امارة الرها صارت بالنسبة لبـــاقى الامـــارات الصليبية بالشـــام بمثابة درعها الواقى من ناحيتى الشرق والشمال الشرقى ، ويشبهها من بعض النواحى فى هـــذه الصفة امارة انطاكية فى شمال بلاد الشام مع ملاحظة ان الخطر البيزنطى الذى تصدت له امارة انطاكية كان لا يقـــارن بخطر السلاجقة والتركمان الذى كان على امـــارة الرها أن تتصدى له .

ولا يخفى علينا ان جزء كبيرا من تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق الادنى انما يدور حول نشـــاط تلك الامارات . ولكن علينا فى الوقت نفسه أن نذكر ان هذا النشاط لا يقف عند حد الحروب ضد المسلمين فحسب ، وانما امتد ليشمل آفاق مجتمع صليبى قـــدر له أن يعيش عدة أجيـــال وسط أرض غريبة لها اوضاعها التاريخية والحضارية البعيدة كل البعد عن اوضاع المجتمع الصليبى . مما يتطلب منا دراسة كل من هذه الامارات

دراسة مستفيضة . واذا كانت مملكة بيت المقدس الصليبية قد حظيت — بحكم مكانتها — بالقسط الاكبر من جهود الباحثين ، فان امارتى انطاكية وطرابلس مازالتا تحت أضواء البحث ، وظهرت فعلا بعض الدراسات العلمية عنهما .

اما « امارة الرها الصليبية » موضوع هذا البحث فالملاحظ ان نصيبها كان ضئيلا من عناية الباحثين ، وان ظهرت بعض الدراسات المحدودة التى تعرضت لجوانب من تاريخ هذه الامارة انصب اغلبها على النواحى السياسية والحربية دون الاهتمام كثيرا بالنواحى الحضارية ، ولعل هذا هو الذى اثار احساسنا بحاجة امارة الرها الى مزيد من الضوء على تاريخها ، مما دفعنا الى دراستها دراسة متكاملة متخصصة فى هذا البحث .

وربما كان من الاسباب التى لم تشجع الباحثين على الخوض كثيرا فى تاريخ امارة الرها الصليبية هو ان هذه الامارة كانت بمثابة جزيرة ارمينية وسط بحر اسلامى بيزنطى واسع ، مما جعل مصادر الدراسة الأصلية لها لا تقتصر فقط على مصادر صليبية لاتينية ، بل ايضا تتطلب الرجوع الى مصادر عربية اسلامية ويونانية بيزنطية ، هذا فضلا عن المصادر الأرمينية والسريانية .

وقد حاولت فى هذه الدراسة ان استقى المعلومات التاريخية الخاصة بامارة الرها من كافة المصادر الأصلية المتنوعة السابقة الذكر ، فضلا عن الاستفادة من آراء المؤرخين المحدثين الذين كتبوا فى تاريخ الحروب الصليبية بالفرنسية والانجليزية ، وبذلت فى ذلك جهدا كبيرا لرسم صورة تاريخية واضحة لامارة الرها من كل جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الاشارة الى الدور الحيوى الذى قامت به هذه الامارة القصيرة الاجل (١٠٩٨ — ١١٤٤ — ١١٤٦م/٤٩٢ — ٥٣٩ — ٥٤١هـ) فى الصراع الاسلامى الصليبى طوال مدة تقرب من نصف قرن .

والحقيقة ان موضوع « امارة الرها الصليبية » كان موضوع رسالتى فى الدكتوراه . ولما وفقت بعون الله فى الحصول عليها ، رأيت ان من اولى واجباتى تجاه حقل تاريخ العصور الوسطى ، ان افكر جديا فى نشر هذا الموضوع حتى يتسنى للمهتمين بهذا الفرع التاريخى الوقوف

على حلقة هامة من حلقات تاريخ العصور الوسطى فى فترة الحروب الصليبية . وبذلك أكون قد أسهمت بقدر - هو أقصى ما سمحت به طاقتى وجهدى - فى سد احدى الثغرات التى كانت بحاجة الى دراسة علمية متكاملة .

ولا يسعنى الآن قبل البدء فى طبع هذا البحث العلمى المتواضع ، الا ان ابدأ برفع اسمى آيات الشكر للعالم الجليل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها ، الذى أشرف على هذا البحث وساعدنى فى اختيار موضوعه . ولا يخفى أن الأستاذ الدكتور سعيد عاشور من رواد الدراسات التاريخية فى العصور الوسطى فى مصر والعالم العربى . وكان لى الشرف أن احظى باشرافه وأن انهل من علمه وأدبه وتوجيهاته فى المنهج العلمى وفى الرجوع الى المصادر الأصلية ، وان قلمى ليعجز عن اظهار مدى تقديرى لسيادته . والحقيقة أنه كان باستمرار مخلصا فى نصيحته ، عالما فى نقده ، والدا فى حلمه ، قويا فى صبره ، مؤمنا صالحا فى علاقاته ، قاسيا أمام الخطأ ، رحيما عند المقدرة .

كذلك لا انسى أيضا فى هذا المجال ان اتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجميل الى استاذتى الفاضلة وأمى الروحية الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف استاذة كرسى التاريخ الاسلامى والوسيط ورئيسة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس - والتى اشتركت فى الاشراف على بحثى هذا - لما قدمته لى ايضا من توجيهات كثيرة وارشادات جمة ولما ذللته لى من صعاب واجهتنى خلال اعداد هذا البحث بالاضافة الى رعايتها الكاملة لى مما شجعنى كثيرا فى اتمام هذا البحث .

وفى النهاية لا يفوتنى أيضا ان اتقدم بشكرى الوافر الى بعض من كان لهم الفضل فى تذليل الكثير من الصعوبات التى واجهتنى اثناء جمع مادة هذا البحث واخص منهم بالذكر الزميل الدكتور حلمى عبد الواحد خضره مدرس اللغة اللاتينية بالكلية الذى تفضل مشكورا بمساعدتى فى ترجمة النصوص اللاتينية الجديدة القيمة المعاصرة لهذا البحث والتى افادتنى فائدة جمة فى سد الكثير من الثغرات اثناء كتابة هذا الموضوع . كذلك اقدم شكرى الجزيل لسيادة الأب منصور مستريح - عضو معهد الدراسات الشرقية المسيحية بالقاهرة والمتخصص فى الدراسات الأرمينية - الذى تفضل مشكورا بترجمة قصيدة رثاء الرها عن الاصل الأرمنى الى اللغة العربية

وهذه القصيدة تعتبر من النقاط الجديدة المعاصرة لموضوع البحث والتى تنشر لأول مرة ، حيث اننى قد اوردتها بالكامل كملحق فى نهاية هذا الكتاب ، فلقد كنت شرعت فعلا عند عثورى على هذه القصيدة — ضمن مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

— (Documents Arméniens, T.I.)

فى ترجمتها بنفسى عن الترجمة الفرنسية الموجودة الى جانب الأصل الأرمينى . ولكن الأب ديصان — أحد آباء معهد الدراسات الشرقية للدومنيكان — أشار على بانه من المستحسن الاتصال بالأب منصور مستريح ليقوم بترجمة القصيدة عن الأصل الأرمينى حتى لا تغير الترجمة الفرنسية بعض معانى والفاظ النص الأصلى ، وبالفعل تولى سيادته مشكورا مهمة تقديمى للأب منصور فرحب بتلك المهمة . لذلك نقلت لسيادته نسخة من القصيدة كميكروفيلم حتى تسهل مهمة الترجمة . وهكذا استطعنا فى النهاية الحصول على ترجمة سليمة لهذه القصيدة الجديدة الهامة فى هذا البحث .

ولا اننى ايضا ان أتقدم بشكرى الجزيل الى السادة العاملين بمكتبة الاباء الدومنيكان الذين افادتنى مكتبتهم افادة كبرى واخص بالذكر الابجورج شحاته قنواتى مدير الدراسات الشرقية للدومينيكان والأب ديصان والأب كورتيباريه . كما أتقدم شكرى الى العاملين بمعهد المخطوطات وعلى راسهم الأستاذ رشاد عبد المطلب ، هذا الى جانب العاملين بدار الكتب المصرية . كما اشكر ايضا العاملين بمكتبات جامعة القاهرة وعين شمس والاسكندرية .

والله ولى التوفيق "

القاهرة يوليه ١٩٧٤

دكتورة عليه عبد السميع الجنزورى
مدرسة تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

دراسة تحليلية لمصادر البحث

اعتمدنا فى بحثنا هذا على عدة مصادر ثقه أصلية ، لاتينية وبيزنطية ، وارمينية وسريانية ، وعربية مطبوعة ومخطوطة . هذا الى جانب عـدة مراجع حديثة عربية وافرنجية استفدنا منـها فى نقل بعض الآراء بل وفى الوصـول الى بعـض الحقـائق التى أخذتها عن مصـادر لم نسـتطع الوصول اليها .

وقد افادتنا بعض هذه المصـادر فى غالبية اجزاء الرسالة أما البعض الآخر فقد افادتنـا فى اجزاء محدودة دون غيرها .

يأتى فى مقدمة هذه المصادر مجموعة **المصادر اللاتينيـة** التى كتبها المؤرخون الغربيون المعاصرون لامارة الرها الصليبية او من نقلوا عنهم مباشرة . وعثرنـا على غالبيتها فى مجموعة مؤرخى الحروب الصـليبية Recueil des Historiens des Croisades وسنكتفى هنا بالاشارة الى أهمها :

اولا : Gesta Francorum او (Historia Iherosolymitana, Iherusalem Expugnantium)

للمؤرخ الفرنسى فولشردى شارتر Foulcher de Chartres

وكان فولشر هو القسيس الذى حضر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥م . وصحب روبرت الثانى دوق نورماندیا فى الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م .(١) ثم انضم الى بلدوين البولونى ــ مؤسس امارة الرها الصليبية وقد اشارفولشر الى ذلك فى كتابه(٢) ـــ واصبح قسيسا لحملته(٣) . ويعتبر كتابه من اهم التواريخ المعاصرة للحمـلة الصليبية الأولى ــ فهو يغطى الفترة ما بين

---

(١) Encyclopaedia Britannica, V. 9, p. 908. (1960).

(٢) Fulcheri Carnotensis ; Historia ... (R.H.C.), Hist. Occid. T. 3, p. 337.

(٣) Runciman : A History of the Crusades, V. 1, p. 201.

مؤتمر كليرمونت حتى وفاة فولشر ١١٢٧م وبالتالى فقد عاصر قيام امارة الرها وشهد أزهى أيام تاريخها ثم روى فى تاريخه الأحداث التى شاهدها بنفسه(٤) . والكتاب ينقسم الى ثلاثة أقسام الأول من ١٠٩٥م الى ١١٠٠م والثانى ينتهى ١١١٨م ، والثالث ١١٢٧م(٥) .

أما المصدر اللاتينى الثانى فهو : (Historia Hierosolymitanae Expeditionis, Chronicon Hierosolymitanum de bello Sacro). الذى الفه البرت د/ اكس او الاكسى Albert d'Aix وهذا المؤلف يقع فى اثنا عشر كتابا . كتبه البرت فى الفترة الممتدة من ١١٢٥ الى ١١٣٠م ، وهو يعتبر من أهم مصادر الحملة الصليبية الأولى ومملكة بيت المقدس اللاتينية حتى ١١٢١م(٦)

حقيقة ان البرت لم يحضر الى الشرق ؛ لكنه استعان فى تدوين كتابه بالمصادر المعروفة فى ذلك الوقت كما نقل عن أصول أخرى اندثرت ولم تصل الينا واستمع الى عدد ممن اشتركوا فى الحملة واطلع على بعض المراسلات المتعلقة بها .

وبعد ذلك يأتى المصدر الثالث الذى أفادنا بدرجة كبيرة فى كل اجزاء الرسالة تقريبا وهو كتاب وليم الصورى (William of Tyre ١١٣٠ – ١١٨٦م) واسمه (A History of Deeds Done Beyond the Sea) وهى الترجمة الانجليزية التى رجعنا اليها .

يعتبر كتاب وليم الصورى هذا موسوعة فى تاريخ الحروب الصليبية عامة(٧) . بدأ تدوينه من ١١٦٩م ويعتبر مصدرا أصليا عن الفترة الممتدة من ١١٤٤ حتى ١١٨٤م(٨) .

أما الجزء الأول من الكتاب فقد اعتمد فيه وليم على كتابات الكثيرين

---

(٤) Encyclopaedia Britannica ; V. 9, p. 908.
(٥) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ؛ ص ٧ .
(٦) Encyclopaedia Britannica ; V. 1, p. 524.
(٧) William of Tyre ; A Hist. of Deeds ...... p. 4.
(٨) William ; Ibid., V. 1, p. 37.

من المعاصرين للاحـــداث التى رواها مثل : كتابات المؤلف المجهول صــاحب كتـــاب Raymond d'Agullers. (Gesta Francorum.)
Fulcher of Chartres. Albert d'Aix. (٩)

هذا الى جانب اعتماده فى بعض اجزاء الكتاب على الرواية الشـــفوية وكذلك على الكتابات الاثرية على المبانى (١٠) ونقل كتاب وليم الى الغرب من طريق (Matthew Paris) ففى احدى حواشى مخطوطة الأخير المسماه (Historia Minor) ذكر انه نقـــل مؤلف وليم عن بطرس أســـقف ونشستر Winchester الذى احضرهـــا من الأرض المقدسة ١٢٢١ م(١١) .

كان وليم رئيس أســاقفة صور من ١١٧٥ — ١١٨٤ — ١١٨٥م . وكان أصلا مواطنا من مملكة بيت المقدس ؛ ولد حوالى ١١٣٠م ربما فى بيت المقدس نفســـها . والراجح أن والديه كانا من الغرب ، وبـــالرغم من انه قـــد اسهب فى الكتابة عن انساب الآخرين الا انه قد صمت صمتـــا تـــاما عن نسبه هو . وبذلك ظل نسبه دون أى سبيل الى فهمه حتى الوقت الحاضر .
اتقن وليم العـــديد من اللغـــات أهمهـــا الفرنســـية التى كانت لغة البلاط فى مملكة بيت المقدس الى جانب العربية التى شاركت الفرنسية فى حقل التجارة ، ثم اليونانية التى كانت أيضا تستخدم استخداما واســـعا فى الشرق . كذلك اتقن اللغة اللاتينية — لغة الكنيسة والمدارس — وذلك بحكم تربيته الدينية فى الكنيســة . هذا بالاضافة الى المامه السطحى ببعض اللغات الشرقية مثل العبرية والفارسية (١٢) .

أما المصادر البيزنطية فيأتى على راسها كتاب (الالكسياد Alexiad) للأميرة (انا كومنينا Anna Comnena) وقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب ؛ والواقع أن هذا الكتاب ظل أمدا طويلا مصـــدرا لمـــؤرخى الامبراطورية البيزنطية ولمن كتبوا عن الحملة الصليبية الأولى (١٣) . وقد ذكرت الأميرة (انا) انها ألفته كى تذكر فيه الأعمال التى قام بها والدهـــا « كى لا تضيع فى سكون(١٤) » .

---

(٩) William of Tyre : Ibid., V. 1, p. 29
(١٠) William : Ibid., V. 1, p. 30.
(١١) William : Ibid., V. 1 p. 42.
(١٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 4 - 9.
(١٣) Anna Comnena : The Alexiad. p. vii.
(١٤) Anna : Ibid., p. 1.

ثم ذكرت سبب تصميمها على كتابة الألكسياد فقالت « كان زوجى هو القيصر نيقفور برنيوس ، وكان جديرا بالاعجاب فى كل شىء ، صحب أخى هنا — الامبراطور — فى عديد من الحملات الحربية . . . ولما كان نقفور غير قادر على ترك عمله الأدبى ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية الممتازة ، وقد أعجبت الملكة كثيرا بكتاباته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الامبراطور الكسيوس — أبى — يوضح فيه الأعمال التى تمت فى عهده . فكانت فرصة طيبة عاد بها نقفور الى الدراسات التاريخية والأدبية التى كان يهواها وبدأ نقفور فعلا فى تدوين هذا التاريخ بداية مبكرة منذ عهد الامبراطور رومانوس الرابع ، ولكن عندما وصل الى عهد والدى واصبحت مسودة لتلك الفترة وعاد بها الينا من الخارج نصف منتهية ، كان للأسف قد عاد أيضا محملا بورم خبيث داخلى كان يعانى منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لمغامراته (١٥) لذلك قررت (أنا) تكملة عمل زوجها ، وبذلك ابرزت اعمال والدها الامبراطور الخالدة بالاضافة الى انتصارات زوجها العظيمة .

والمعروف ان الاميرة (آنا) ولدت ١٠٨٣م وتوفيت ١١٤٨م وكانت ذات معرفة واسعة بالأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، وضعت كتاب الالكسياد باللغة اليونانية وهو يغطى الفترة الممتدة من ١٠٦٩م الى ١١١٨ م بدأت فى تدوينه بعد ١١٣٧م وانتهت حوالى ١١٤٨م (١٦)

وقد افادنا كتاب الالكسياد كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات البيزنطية الرهوية .

اما المصادر الأرمينية الهامة التى اعتمدنا عليها ، فكان مركزه فى :

Recueil des Historian des Croisades : Documents Arméniens, T.1

وهى حسب ترتيبها الزمنى : مقتطفات من حولية متى الرهاوى Extraits de la Chronique de Mattieu d'Edesse. وحولية الكاهن جريجوار Chronique de Grégoire Le Prêtre وقصيدة رثاء الرها للقديس نيرسيس شنورهالى Elégie sur la prise d'Edesse par Saint Nersès Schnorhali

---

(١٥) Anna : Ibid, p.p. 2 - 3.

(١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩.
Encyclopaedia Britannica, V. 1, p. 992.

وتعتبر حولية متى الرهاى من أهم المصادر التى خدمتنا فى غالبية أجزاء بحثنا اذ تنقسم تلك الحولية الى ثلاثة اقسام الأول من ٩٥٢م الى ١٠٥١م والثانى ينتهى بعام ١١٠١م والثالث بعام ١١٣٦م(١٧) .

ويتميز تاريخ متى هذا بالدقة فى تقصى الأخبار والأعتماد على المصادر الرئيسية فى استقاء معلوماته (١٨) ولد متى الرهاوى بمدينة الرها(١٩) . كما يظهر ذلك من اسمه ، ولكن يبدو أن حياته لم يعرف عنها الشىء الكثير (٢٠) وقد توفى ١١٤٤م اثناء استيلاء عماد الدين زنكى على الرها(٢١) . وبمعنى هذا انه عاصر امارة الرها منذ مولدها حتى سقوطها على يد زنكى .

اما حولية الكاهن جريجوار فقد أكمل بها تاريخ متى الرهاوى وبدات احداثها بسنة ١١٣٧م . ويبدو انه كان تلميذا لمتى بدليل انه حاكاه فى عدائه الشديد للبيزنطيين ، كما سار على نهجه فى تقييم الاشخاص والاحداث . وهو كاهن أرمنى علمانى كان متزوجا . افادتنا كتاباته كثيرا فى النقاط الخاصة بحملات حنا كومنين ومانويل كومنين على قيليقية وسوريا ، وكذلك فيما يتعلق بالاستيلاء على الرها ونهايتها . والواقع أن قلمه لم يكن اقل نشاطا من استاذه(٢٢) . وقد انتهى جريجوار فى كتابته الى احداث ١١٦٣م(٢٣) .

ومن ناحية قصيدة رثاء الرها فهى من اهم المصادر الأرمينية المعاصرة لموضوع بحثنا والتى لم تنشر بعد وقد افادتنا فى غالبية نقاط البحث تقريبا . لذا أوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق

---

(١٧) Mattieu d'Edesse ; (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 63.

(١٨) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦٣ .

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

(٢٠) Chronique de Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm. T.1, p. 151.

(٢١) Michaud : Histoire des Croisades, V. 2, p. 107.

(٢٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

(٢٣) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

كتب نيرسيس قصيدته هـذه على شـكل ملحمـة ، على طريقـة هوميروس ــ كما ذكر هو بنفسه في مقدمتها ــ وسرد فيها أثناء رثائه للمدينة تاريخهـا القديم وامجادها وغناها الاقتصـادى ، ثم أشـار فيها الى كل من روما وبيزنطة والاسكندرية وانطاكية وآنى وعلاقة كل منه بالرهـا . ثم استطرد في ذكر حصـار زنكى للرهـا بالتفصيل وموقف اهلها منـه حتى سقطت في يده . مـع ابراز دور رجال الدين في ذلك الحصـار وموقف زنكى من كنائس المدينة .

وقـد نشرت القصيدة التى كتبت أصلا بالأرمينية بواسطة دولوريه Dulaurier بالفرنسية ضمن (R.H.C. Doc. Arm. T I) طبعة ١٨٢٨م .

ولمـا كانت تلك القصيدة من الأجزاء الجـديدة في بحثنا فان هـذا يدفعنا الى التعريف بصورة مفصلة الى حـد ما على مؤلفها .

كان سانت نيرسيس رابع البطارقة الأرمن الذين حملوا هـذا الاسم . وشنور هالى Schnorhali معناها (العـذب) وقـد لقب نيرسيس بالعذب لدماثة أخـلاقه وسلاسة شـعره ، كما لقب أيضـا جلايتسى (Glaietsi) نسبة الى قلعة الروم ، حيث اقـام ردحا من الزمن .

ونيرسيس هو الابن الأصغر للأمير (ابيراد (Abirad صـاحب حصن (دزوفك (Dzovk في اقليم خرتبرت . ولد ١١٠٢م ونشـأ هو وأخوه الاكبر جريجوار ــ الذى اصبح بعد ذلك Catholicos باسم جريجوار الثـالث ــ في كنف أخى جـده البطريرك جريجوار فجـاياسير Vgaiacer . وعندما تولى أخوه الكرسى البطريكى ١١١٣ م اشترك معه في ادارة الشئون البطريكية ، حتى توفي الأخ ١١٦٦ م وعندئذ خلفـه نيرسـيس على الكرسى البطريركى حتى وفاته ١١٧٢م . ويعتبره الأرمن من اعظم قـديسيهم فضـلا عن انـه في نفـس الـوقت من اعظـم شعرائهم(٢٤) .

ويكمل تلك المصادر الأرمينيـة مجموعـة من المراجع الهامة الخاصة بتاريخ الأرمن والتى احدثها كتاب Histoire de l'Arménie الذى

(٢٤) Dulaurier : (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 223 - 224.

كتبـــه Hrand Pasdermadjian الذى ولد فى تفليس عـــام ١٩٠٤ وتوفى فى جنيف ١٩٥٤ عن خمسين سنة . كان أبوه من اسرة عريقـــة من ارضروم وكان وطنيا كبيرا ظل اسمه يدرج ضمن الأبطال الأرمن (٢٥)

اصبح (هراند بازدرمادجيان) استاذا بجامعـــة جنيف عام ١٩٥٢ وساهم فى كثير من المؤتمرات فيها وفى لندن وباريس وبرلين وكوبنهاجن وواشنطن وبوســـطن . بين المؤلف سبب تاليفه اكتابة هذا بقوله « انه باعتباره ماصر جيلين لذا كتب هذا التاريخ ليقـــدمه للجيل الجـــديد .. ثم يقول « بهـــذا التاريخ اكون قد اكملت عمل والدى وانهيت بقلمى ما بداه هو بسيفه » (٢٦) .

وقـــد اعتمدنا على نسخة من كتابه الطبعة الثانية باريس ١٩٦٤ .

اما المصـــادر السريانيـــة فاهمهـــا حوليـــة ميخـــائيل السريـــانى Chronique de Michel Le Syrien. وقـــد ترجمهـــا الى الفرنسية J.B. Chabot

كـــان ميخـــائيل هو البطريرك اليعقـــوبى لانطاكية من ١١٦٦م الى ١١٩٩م(٢٧) . ويعتبر تاريخه مصدرا هاما لتاريخ سوريا بصفة عامـــة فى ذلك الوقت فضلا عن تاريخ الكنيســـة السريانية . وقـــد اســـتخدم ميخائيل فى كتابته المصادر الدينية الأصلية للفترة المتقدمة عن عصره(٢٨) . كذلك هناك تاريخ ابن العبرى The Chronography of Bar Hebraeus. كتبه بالسريانية واطلعنا على ترجمته الانجليزية التى قام بها Ernest Wallis Budge . الى جـــانب اطلاعنا على كتابه العربى (تاريخ مختصر الدول) الذى يعتبر اختصارا لتاريخه المطول السريانى(٢٩) .

ويعتبر تاريخـــه المطول من اهم المصـــادر السريانيـــة التى خدمت العديد من النقاط فى بحثنا ايضا . والواقـــع أن تاريخ ابن العبرى يعتبر موسوعة تاريخية مليئة بالتفاصيل التاريخية والدينيـــه واللغوية وعادات الشعوب وتراجم الكثير من المحاربين والأطباء (٣٠) .

(٢٥) H. Pasdermadjian : Hist. de l'Arménie, p. 5.
(٢٦) H. Pasdermadjian : Ibid., p. 6.
(٢٧) Groussot : L'Empire du Levant, p. 312.
(٢٨) Burkitt : Early Eastern Christianity. p. 20 - 30
(٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص و .
(٣٠) The Chronography of Bar Hebraeus. V. 1. p V

واستخدم ابن العبرى فى كتاباته حولية ميخائيل السريانى . وبدأ كتابه بنشــاة الخليقة وانتهى بوفاته ١٢٨٦م (٣١) .

وابن العبرى هو جريجوريوس أبو الفرج بن هرون . ولد فى ملطية ١٢٢٦م . كان يجيد اليونانية والسريانية والعربيــة واشتغل بالفلسفة واللاهوت والطب عن ابيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه . عمر ابو الفرج ستين سنة وتوفى فى مدينة مراغــة من اعمال اذربيجان ١٢٨٦م(٣٢) .

اما عن المصــادر العربية المطبــوعة فاهمها كتاب « ذيل تــاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) وهو تاريخ لمدينة دمشق من ســنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريــخ هلال الصــابى . ويذكر ابن القلانسى انه اعتمد فى أجزاء منــه على الثقات وفى اجزاء اخرى على البحث والتنقيب بنفســه(٣٣) . والحقيقــة ان الكتــاب يعــتبر مصـــدرا هــاما لتاريخ الشـــام وليس لدمشق فقط فى عصر امارة الرها الصليبيــة .

ثم يليــه كتــابى ابن الاثير الجزرى (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ ١٢٢٣م) وهما :

١ — الكامل فى التــاريخ .

٢ — التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) .

امــا الكتــاب الأول فهو من اهم الكتب التى خدمتنا فى بحثنا هــذا فى غالبيــة النقاط ايضــا . والواقــع ان ابن الأثير نال شهرتــه عن طريق هــذا الكتاب ، كمؤرخ من مؤرخى القرن الســادس باعتبار مولده وباعتبار نصف القرن الذى عاشــه فيه ، ومن رجال القرن الســابع باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذى عاشه فيه(٣٤) . وفى كتابه هــذا جمع اخبار العالم الاســلامى شرقه وغربه وما بينهما ، وهــذا مالم يسبقه اليه احد . وقــد بدأ تاريخه منــذ نشــأة الخليقة حتى ســنة ٦٢٨ هـ (٣٥) .

---

(٣١) The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, p. vii.

(٣٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص حـ ، هـ .

(٣٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٣ .

(٣٤) مقدمة محقق التاريخ الباهر لابن الأثير : ص ١٤ — ١٥ مقدمة .

(٣٥) نفس المصــدر ص ١٥ .

ولما الكتاب الثانى فهو الذي عاصر المؤلف احداثه . وفى نفس الوقت عاصرت احداث الكتاب احداث بحثنا وكان من اهم المصادر الثقة لنا عند تناولنا للعلاقات بين امارة الرها الصليبية وبين الموصل وعلى وجه الخصوص عند الكلام عن لتابكة الموصل وعلى رأسهم عماد الدين زنكى مؤسس « الدولة الاتابكية » ، موضوع كتاب الباهر نفسه(٣٦) — كذلك عند كلامنا عن سقوط امارة الرها سواء فى المرة الأولى ١١٤٤م ٥٣٩هـ او الثانية ١١٤٦م — ٥٤١هـ على يد عماد الدين زنكى ثم على يد ابنه نور الدين .

كذلك كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم (بت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) الذى عنى بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامى الدهان . اعتمد ابن العديم على الآثار الباقية والسجلات والمخلفات المكتوبة واتخذ النقود سبيلا الى تحديد اسماء الولاه والحكام والقضاة واتخذ الأحجار والنقوش والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات والألبسه والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل انى الغاية التى ارادها وهو فى هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخى العالم الغربى اليوم ، ومن الغريب أن يتبع المنهج الحديث رغم وفاته سنة ٦٦٠هـ (٣٧) .

والواقع أن من اهم النقاط التى افادنا فيها تاريخ ابن العديم ما يتعلق بالعلاقات الرهوية الاسلامية خاصة علاقة الرها بحلب .

هذا الى جانب الاستفادة من بعض اشارات وردت فى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨ — ٥٨٤هـ / ١٠٩٥م — ١١٨٨ م) (٣٨)

أما اهم المخطوطات العربية التى افادتنا بصورة واسعة ، مخطوطة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات . الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ . والتى جاء فى مقدمتها انه يرتب الحوادث فى تاريخه على السنين وذكر الوفيات فى آخر كل سنة . بدأ ابن الفرات من أول

---

(٣٦) المصدر السابق ص ١٥ .
(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، مقدمة الناشر ص ١٠ — ١١ .
(٣٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، مقدمة المحرر فيليب حتى ، طبعة برنستون ١٩٣٠ .

القرن السادس الهجرى اى بسنة ٥٠١هـ وقيل انه وصل فيه الى سنة ٨٠٣هـ لكن الذى بهذه النسخة ينتهى الى ٧٩٩هـ ، فيبدو أن المجلد الأخير مفقود .

ولد ابن الفرات عام ٧٣٥هـ وتوفى ليلة عيد الفطر ٨٠٧هـ واعتمد فى تاريخه على مجموعة هامة من مؤرخى التاريخ الاسلامى سواء المعروفين للباحثين فى التاريخ أو هؤلاء الذين فقدت مؤلفاتهم ولم تصلنا .

هذا الى جانب مجموعة كبيرة اخرى من المخطوطات اهمها مخطوطة (نهاية الارب وفنون الادب للنويرى (ت ٧٣٢هـ) ، التاريخ المظفرى لابى الدم الحموى (٦٤٢هـ) وهو ميكرو فيلم بالجامعة العربية وتاريخ ابو الهيجاء (ت ٥٨٩هـ) وهو ميكرو فيلم ايضا .

وبالاضافة الى هذه المصادر فاننا رجعنا الى عدد كبير من المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والعربية وكلها مذكورة فى ثبت المصادر والمراجع ، فى نهاية البحث ، واستفدنا فائدة كبرى مما فيها من آراء ووجهات نظر .

تمهيد

لعل المدخل الطبيعي لهذا الموضوع هو تفسير اسم الرها واعطاء فكرة موجزة عن تاريخ هذه المدينة القديم واهمية موقعها ودورها في المسيحية وعلاقتها بالأرمن وبالدولة البيزنطية .. الى غير ذلك من النقاط التي تلقى ضوءا على احوال الرها عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ١٠٩٨م/٤٩٢هـ .

اما عن اصل مدينة الرها ، فان ميخائيل السرياني يذكر في تاريخه نقلا عن باسيليوس (Basilius) مطران تلك المدينة انه « بعد الطوفان الذي حدث في عهد نوح ، بنى الملك (نمرود بن كنعان) هذه المدينة » (١) يشاركه في هذا الرأي ابن العبري (٢) وان كان يبدو في نظرنا ان هذه الرواية لا تعدو اسطورة من الاساطير العبرية القديمة(٣) . كذلك يذكر باسيليوس ان نمرود لما بنى هذه المدينة اسماها (اورهاى Ourhai) وهو اسم سامي للرها فاطلق عليها اولا اسم (Our) اى مدينة ، ولما كان يسكنها الكلدانيون اضاف الى الاسم (hai) لتصبح مدينة الكلدانيين مثل (Our-Salem) اى بيت

---

(١) Chronique de Michel Le Syrien : T 111. F. 11, p. 278.

(٢) Bar Hebraeus : The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, p. 8.

فهو يذكر هنا « ان نمرود بنى ثلاثة مدن هي : الرها ونصيبين وسلوقية » .

(٣) Duval : Hist., Politique, Relig. et Litter. d'Edesse, p. 20, E.R. Hayes ، L'Ecole d'Edesse, p. 16.

وهما يذكران ان تلك الاسطورة تتطابق مع سفر التكوين (L'Erek de la Genese) بل ان الاخير يذكر ان ابراهيم قد زارها وهو ما ذكرته ايضا .

Encyclopaedia Britannica. V. 7. p. 969 (1768)

وان العرب قد اعطوا لبئر لايزال موجودا حتى الآن اسم (بئر ابراهيم) .

المقدس (٤) :

اما ابن العبرى فقد ذكر فى مكان آخر من تاريخه : « ان اليونان القدماء قالوا ان (انوش Enoch) أو (هرمس Hermes) م Harmis Tris Maghistos (٥) هو الذى علم الرجال ان يبنوا المدن ، وفى أيامه بنيت مائة وثمانون مدينة ، منها واصغرها (Urhai - Edessa) » ويؤيد هذا الرأى آخرون (٦) .

ومهما يكن من أمر ، فان اقدم شكل لاسم الرها هو (Urhái) الآرامى الذى يظهر فى اللاتينى (Orrhei) (٧) وفى اليونانى (Orrhoeme) (٨) والمدينة فى اقليم يسمى (أوسروين Osrhoëné) فى السريانى (Bet' Urháyé) الذى نطقه العرب الرها (er - Ruha) (٩) بل قيل ان العرب سموها كذلك تحريفا من الاسم البيزنطى . (Callirrohöe) (١٠) . وهنا يشير دولوربية

---

(٤) Michel Le Syrien : Op. Cit. p. 278.

وهنا يشير احد القواميس الاثرية الى نفس الاسم بقوله (Orrhai) Dictionnaire D'archeologie ... T. 4, Part 2, p. 2064.

وفى القاموس الجغرافى التاريخى الدينى يذكر ان اسم الرها فى السريانية الشرقية (Orhây) وفى السريانية الغربية (Orhoy)

R. Aubert : Dictionnaire d'Hist. et de Geog. Ecclésiastiques T. 14, p. 1424.

(٥) هرمس هو رسول الآلهة عند الأغريق واله الطرق والتجارة والمكر (المنهل ، قاموس فرنسى عربى ص ٥١٥) ويذكر فى نفس القاموس ص ١٠٢٧ أن Trismégiste تعنى عظيم ثلاثا وهو لقب كان اليونان يطلقونه على الههم هرمس .

(٦) القرمانى : اخبار الدول Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 5, وآثار الاول ص ١٥ ؟ Duval : Op. Cit., p. 20.

(٧) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

(٨) وهو Burkitt : Early Eastern Christianity, p. 6. يذكر أن الاسم ليس له معنى معين .

(٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7., p. 953.

(١٠) Le Strange : The Lands of The Eastern Caliphate, p. 103. ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ .

Dulaurier (١١) الى اسم الرهـا بقوله « ان البطريرك السريانى ديونيسوس Dionysius if Tell Mahré قال فى تاريخه ان الرها تشتق اسمها من (اورهوى) وهو اسم ابن الامير خبيوا Hewyâ اول ملوك الرها والذى بـدأ ملكه عـام ١٢٦ ق.م »(١٢) .

ما ياقوت الحموى الجغراق الأديب الذى عاش فى القرن السـابع الهجرى — الثالث عشر الميلادى (ت ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) فيذكر ان المدينـة سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء بن البلندى ابن مالك ابن دعر . وقال ايضا عن ابن الكلبى فى الانساب ، الرهاء ابن سـيند بن مالك بن دعر ، كما قال : انهـا سميت بالرهـا بن الروم ابن لنطى بن سـام بن نوح(١٣)، وفى موضع آخر ذكر انها سميت ايضا اذاسا(١٤) .

تعرضت مدينة الرها للخراب بعد بنـائها الأول ، كما ذكر ميخائيل السريانى ، وظلت مهجورة حتى عهد الاسكندر الأكبر(١٥)، وذكر ابن شداد انه « فى السنة الأولى من تاريخ الاسكندر ملك سولوقوس على سوريا

---

(١١) هو المترجم الفرنسى لقصـيدة رثاء الرهـا للشـاعر الأرمنى نرسيس شنور هالى

Nersès Schnorhali : Elegie sur la Prise d'Edesse ; (R.H.C.)

والتى ستاتى مقتد منها ضمن الملاحق

Doc. Arm., T. 1, p. 227 - 268.

(١٢) حاشية لدولورييه على البيت رقم (٤٠)

Nersès : Ibid., p. 239.

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953. هنا تعلق

...به لا، هذا الاشتقاق ولا اى اشتقاق آخر يعتبر مرضيا حتى اليوم .

(١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٩ ص ١٠٦ . وقد سماها (الرهـاء) ابو المحاسن . النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ص ١٢٧ .

(١٥) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

وبابل وهذا الرجل بنى سلوقية وانطاكيه والرهـا وحلب واللاذقية »(١٦)
ويؤكد هذا (دوسو Dussaud) فيقول « تبرز الرهـا بين المدن التى
اسست فى سوريا على يد Seleucus Nicator والتى اعطى كلا منها
اسما اغريقيا مثل سلوقية Seleucie ، اللاذقية Laodicée
الرهـا Edesse » (١٧) . والواقع ان سلوقس عندما اعـاد
تشييد مدينة الرهـا سنة ٣٠٤ ق . م اسماها « ادسـا الجديدة » تقديرا
لعـاصمة المقدونيين القديمة (١٨). ويعقب ميخائيل السريانى على ذلك
ويـؤكده بقـوله ان لفظ « ادسـا » الـذى اطلق على المدينـة فى ذلك
الوقت كان معنـاه [عزيزتى — Cherie] (١٩) بما يحمل فى طياته
روح الاجلال لعاصمة المقـدونيين القديمة .

وقيل ان الرها عرفت باسم انطاكية الكلرونيه فى عهد انطيوخس الرابع
— Epiphanes Antiochus IV (١٧٥ — ١٦٤ ق . م) والدليل
على ذلك ما كتب على السكة التى ضربت فى الرهـا فى عهده (٢٠)
وقد ذكر ذلك الاسم ايضـا (Pliny) ولو ان دوفال يذكر ان الذى دفعه
الى ذلك الاعـتقاد التباس اسم عاصمة (Osrhoëne) مع عاصمة
سـوريا (٢١)

---

(١٦) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ،
حـ ١ ق ١ ص ١٤ ذكر ذلك ايضا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١
ص ١٢٧ من يحيى بن جرير .

(١٧) Dussaud : Topographie de la Syrie, p. 103, Cam. Ancient. Hist. V. XII, p. 493 (1939).

(١٨) E.R. Hayes : L'Ecole d'edesse p. 16, Duval, Op. Cit., p. 23.
ابن الشحنه : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن اليـاس
سركيس الدمشقى) . وهنا تذكر
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 993
ان ادسـا اليونانية استمدت اسمها من عاصمة مقدونيا (ايجيه Aigai
القديمة والتى اصبحت بعد ذلك فودينا — Vodena . ثم يؤكد هذا
ايضـا ما ذكر فى Cam. Med, Hist.
Vol. IV, Part 1, p. 178, 185, 317, 318, 319.
ان ادسـا فيما بين النهرين غير ادسـا المسماة فودينـا وهى احـدى
بلدان البلقـان .

(١٩) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278.

(٢٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشيه ليوسف بن الياس
سركيس الدمشقى) .

(٢١) Duval : Op. Cit., p. 23.

وقد سميت المدينة أيضـا ((Justinopolis)) اى مدينـة جستين نسبة الى الأمبراطور البيزنطى جستين الأول Justin I (٥١٨ — ٥٢٧ م) الذى أعـاد ترميمها بعد فيضان اصابها (٢٢) .
اما المؤرخون اللاتين فيعددون أسماءها فمنهم من يذكر ادسا Edessa (٢٣) وهو شـائع لدى الكثير منهم . وهو ما ذكره الشـاعر الأرمنى نيرسيس فى مرثيته عن الرها بعد سقوطها(٢٤) ، بل هو اسم لا يزال الفرنج يطلقونه عليها الى أيامنا هذه(٢٥) . كذلك بعض المؤرخين اللاتين يسميها Edissa (٢٦) او — Edyessa (٢٧) . والبعض الآخر يسميها (Rages) (٢٨) . ومنهم من يسميها — Callirhoe (٢٩) . او (Rohas) (٣٠) او (Roas) (٣١)

---

(٢٢) Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14 p. 1422
كان ذلك الفيضان سنة ٥٢٥م (Evagre ; Hist. Eccl.) عن

(٢٣) Cafari Genuensis : Liberatio Orientis : Hist. Occid. T. 5, part I, p. 71, Documenta Lipsanographica IX Tractatus de reliq. S. Slephani, Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 317, 318, Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 80. (حاشية).

(٢٤) البيت ١٠٤ (ايه ادسا ، مدينـة الرها)
Nersès : Op. Cit., p. 239.

(٢٥) على سبيل المثـال لا الحصر
William of Tyre : A Hist. of Deeds, Vol. 2, p. 116, Setton : A Hist. of the Crusades, V. 1, p. 389, Archer ; The Crusades, p. 147.

(٢٦) Theodori Palidensis : Narratio Profectionis Godefridi Ducis : Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 194, Historia Gotfridi X - Anonymi Rhen. Hist. Et Gesta Ducis Gotfridi Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 504.

(٢٧) Ad Historiam Gestorum : Viae Nostri Lemporis Hieroso lymitanae, Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 752.
وهو يضيف أيضا أنها كانت تسمى عند تدوينه للكتاب باسم — Rahasia

(٢٨) Baldrici, Episcopi Dolensis : Op. Cit., p. 80 William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 189.

(٢٩) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos: (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 165.

(٣٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 436, Liber III, p. 352.

(٣١) Theodori Polidensis : Op. Cit. T. 5, Part I, p. 194.

أما الاسم الحالى للمدينة فهو أورفا Orfa او Urfa (٣٢) الذى قيل انه مستمد من اسمها الآرامى المبكر Urhai (٣٣) والواقع انه مهما تعددت الأسماء فالشائع من اسمائها هو الرها العربية وادسا الافرنجية واورفا الحالية .

فاذا انتقلنا الى تاريخ المدينة القديم ، بعد ان اعيد بناؤها بواسطة سلوقس فى القرن الرابع (ق . م) فاننا نجد الرها ظلت بعد ذلك هلينستيه الطابع وعاصمة لملكة اوسروين (٣٤) التى كانت المعقل الرئيسى بين معاقل الثقافة السريانية فى زمن الامبراطورية الرومانية (٣٥). ثم كان أن انقسمت الدولة التى كانت تخص سلوقس بين الروم والفرس ، ووقعت أوسروين على الحدود بين الامبراطورية الرومانية والفارسية(٣٦) وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى كانت الرها خارج الامبراطورية الرومانية وبالتالى داخل النفوذ الفارسى . وفى الحرب التى شنها الامبراطور تراجان Trajain على الفرس قاست الرها كثيرا اذ دمرت ونهبت على يد القائد الرومانى لوكيوس كيوتوس Lucius Quietus — سنة ١١٤م(٣٧) وقيل سنة ١١٦م(٣٨) وفى ذلك يقول جيبون : « صار حكام أوسروين الضعفاء بين شقى الرحى بين

---

(٣٢) Grousset : وحاشيه لدولوريه (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 239 Hist. des Croisades, V. 1, p. 52, Cam. Anc. Hist. V. XII, p. 493, Le Strange : Op. Cit., p. 104.

(٣٣) Encyclopaedia Britannica, V. 7 p. 968, (1768), Le Strange : Ibid. p. 104 (AR. Ruhâ)
ويذكر الأخير أنه تحريف للرها العربية

(٣٤) L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888. p. 519
وكانت هذه المملكة تقع فى شمال غرب الجزيرة يحدها نهر الفرات والخابور وانها استقلت عن مملكة السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وصارت مملكة مستقلة عاصمتها الرها .
(Cam. Anc. Hist., V. XII p. 493).

(٣٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969. (1768).

(٣٦) Cam. Anc. Hist., v. XII, p. 493.
Cam. Anc. Hist., V. XI, p. 249.

(٣٧) يذكر ان ذلك القائد الرومانى خرب الرها ونصيبين واحرقتهما فى هذه السنة .

(٣٨) Burkitt : Op. Cit., p. 8, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994 عن (E. Honigmann).

الامبراطوريتين المتنافستين ، وكانوا يميلون الى جانب الفرس ولكن كفة روما كانت أرجح فاكرهتهم على الخضوع لتبعيتها .. وبعد انتهاء الحرب الفارسية على يد ماركوس Marcus تشككت روما فى اخلاصهم وولائهم لها ، فاقامت الحصون فى أجزاء عديدة من البلاد وثبتت حامية رومانية فى بلدة نصيبين القوية ، كما ارسل ابجر التاسع Abgar IX آخر ملوك الرها مقيدا فى الأغلال الى روما ، بعد ان حددت مناطق نفوذه وصارت بلاده ولاية رومانية . وبهذا حصل الرومان على مركز ثابت ودائم فيما وراء الفرات » (٣٩) . وهكذا دخلت الرها تحت الحكم الرومانى سنة ٢١٦ (٤٠) وقد دخلت المدينة لفترة من الزمن ضمن مملكة تدمر (٢٥٧ — ٢٧٣ م) (٤١) تحت حكم اذينه Odainath وزنوبيا — Zenobia — وذلك منذ ٢٦٠ الى ٢٧٣م (٤٢) .

اما عن مكانة الرها فى ظل المسيحية فقد ذكر ابو الهيجاء ان الرها كانت من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا وهى احدى الكراسى المطرانية (٤٣) . فاشرفها بيت المقدس ثم انطاكية ثم رومية ثم القسطنطينية والرها (٤٤) .

---

(٣٩) Burkitt : Ibid., p. 8, 9.

(٤٠) Burkitt : Ibid., p. 9, Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14, p. 1422.

(٤١) وهى التى سماها اليونان بالميرا Lammens : La Syrie p. 12. — Palmyra وهى تقع اقصى شمال دمشق فى الصحراء الكبرى فى واحة
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 1020.
Dictionnaire D'Archeologie, T. 4, Part 2, p. 2087.

(٤٢) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994, 995.

(٤٣) ابو الهيجاء : تاريخه ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٣٩ هـ .

(٤٤) ابو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابن الأثير : الباهر ، تحقيق طليمات ، ص ٦٦ — ٦٧ ، ابن قاضى شهبه : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ . (١) الباب السابع ٥٣٩ هـ .

ويقال انه من اسباب ارتفاع مكانة مدينة الرهـا الدينية ، انها تضم رفات بعض الحواريين مثل تومـا وتداوس (٤٥) ، هذا فضلا عما اشار اليه ابو زيب اسقف قيصرية فى كتابه عن تاريخ الكنيسة من خطاب ملكها ابجر الى السيد المسيح (٤٦) .

وقد اشتهرت كنيسة الرهـا الاولى بانها كانت مقر مطران ما بين النهرين (٤٧) وعندما قامت فى الرهـا جالية مسيحية صـارت احـد المراكز الاولى لهذه الديانة الجديدة ، واتخـذت المسيحية فيـها طابعا قوميـا حيث انها ظلت تتكلم السريانيـة واحتفظت بحكامها وثقـافتها الوطنيـة (٤٨) .

اما عن الرسائل المتبادلة بين المسيح عليـه السـلام وابجـر ، وما يرتبط بهـا من صورة المسيح او منديله ، ثم اشتراك الرهـا فى ترجمة الانجيل فكلها نقـاط جديرة بالاشـارة . ذلك ان ابو زيب اكد ان الملك ابجر — الذى كان مصابا بمرض مزمن لا امل فى الشفاء منه (٤٩) — ارسـل الى المسيح خطابا مع حنـان — Hanānyā او Hannan قال فيـه : « من ابجر حاكم الرهـا الى يسوع المخلص الصالح الذى ظهر فى نواحى اورشليم ، السلام . انتهى الى امرك ومـا تصنعه من

---

(٤٥) انجيل متى الفصل العاشر (٣) ، العهد الجديد طبعة المرسلين اليسوعيين بيروت ١٩٣٧ .
Gesta Francorum : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3 p. 543

(٤٦) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 144, Archer : Op. Cit., p. 60.

(٤٧) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 241.

(٤٨) Burkitt : Op. Cit., p. 10, 11.

(٤٩) E.R. Hayes : Op. Cit. p. 27, Burkitt : Ibid., p. 11
وابجر هذا هو الذى كانت كنيته الاسود
(Duval : Op. Cit., p. 83)
وهنـا يذكر الدبس : تاريخ سوريا » ط ٢ م ٣ ص ٥٣ — ٥٤ » ان الاسود من باب الاضداد لان مرضه كان البرص وجسمه كله ابيض » ويشـير نيرسيس فى مرثيتـه للرهـا الى ابجر على انه مؤسس مدينـة الرهـا (البيتين ١٧٣ — ١٧٤) فهو يقول : اذ ان الملك ابجر قد فـادنى هنـاك لكن دولوريه يعلق على ذلك بانه Nersès : Op. Cit., p. 232
ليس المؤسس لكنه من اشهر من اعتنى بتعميرها واصلاحها . والراجح ان ذلك التعليق صحيح لاننـا لم نعثر على ما يؤيد رأى نيرسيس ضمن مصـادرنا .

الشفاء دون عقاقير وادوية فقد ذاع انك تبرىء العميان وتشفى البرص وتطرد الشياطين والأرواح الردية وتشفى المرضى امراضا عضالة وتقيم الموتى ، فلما بلغتني هذه الأمور عنك رايت في نفسي انك اما اله حقيقة هبط من السماء وصنع هذه الآيات واما انك ابن الله حقا ، ولذلك كتبت اليك سائلا ان لا تأنف من ان تزورنا وتبرىء أمراضنا ، قد سمعت ان اليهود يشنأونك ويحاولون قتلك ولى مدينة جميلة وان صغيرة فتكفينى وتكفيك » (٥٠) .

وكان ان رد المسيح قائلا : « طوباك يا ابجر لانك آمنت بى دون ان ترانى فقد كتب عنى ان من يروننى لا يؤمنون بى ومن آمنوا ولم يرونى فلهم الحياة . قد كتبت الى ان آتى اليك ولكن يلزمنى ان اكمل كل ما ارسلت من اجله واذا تمت تلك صعدت الى من ارسلنى وبعثت اليك حالا واحدا من تلاميذى يبرىء مرضك ويوليك وجميع ذويك الحياة» (٥١) .

بل ان بوركيت يضيف فى آخر رد المسيح — الذى نقله عن أبو زيب — تلك الكلمات « سيحفظ بلدك ولن يسود عليه اى عدو ابدا » (٥٢) . أما المصدر الأرمنى المتمم لتاريخ متى الرهاوى فيشير الى ان خطاب المسيح لابجر انتهى بتلك الكلمات « ان المجاعة والفناء لن يحلا ابدا تلك المدينة »(٥٣) . وهكذا تضمن خطاب عيسى المسيح الى ابجر بركة منحت خصيصا لمدينة الرها مع الوعد بان لا يتمكن احد الاعداء ابدا من التغلب عليها . ويبدو ان هذا الوعد اصبح مادة مألوفة عند الرهويين ، مما ضاعف من شهرة تلك المدينة(٥٤) .

لذلك سميت « الرها المقدسة » او « الرها المباركة » وقد سمى كثير من ملوكها باسم ابجر وعدد ديونيسيوس تسعة وعشرين منهم بهذا الاسم (٥٥) .

اما صورة المسيح التى تعتبر الأثر الثانى المقدس الذى زاد من مكانة

---

(٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٤ .

(٥١) نفس المصدر والصفحة .

(٥٢) Burkitt : O.p Cit., p. 14.

(٥٣) Chronique de Grégoire Le Prêtre (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 159.

(٥٤) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 29 - 30, Burkitt : Op. Cit., p. 15

(٥٥) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٢ م ٣ ص ٥٤٥ .

المدينة فنقرا عنها الكثير من التسميات ،فالبعض يسميها منديل المسيح(٥٦) او منديل عيسى بن مريم(٥٧) والبعض يسميها الفيرونيكا (٥٨) أو الورنيقة (٥٩) وهنا تختلف الآراء ، هل تلك الصورة كانت بيد بشر ؟ ام أنها رسمت بطريقة الهية ؟

وفقا لرأى بن العبرى ، يقول : « ان ابجر ملك الرها أرسل الى المسيح يطلب منه أن يراه فمسح المسيح وجهه فى منديل انطبعت فيه تقاطيعه وارسله اليه (٦٠) »ويتفق مع هذا الرأى ما ذكره دولورييه (٦١) و — Ostrogorsky الذى يذكر « انه المنديل المقدس الذى لم يصنع بأيدى انسان (٦٢) ». والواقع أن هناك تفسيرا آخر يقترب من ذلك الرأى وهو « أنه صورة المسيح طبعت على القماش الذى قدمه له القديس فيرونيكا ليمسح حاجبه حينما حمل صليبه وهو فى طريقه الى مكان الصلب (٦٣) فى حين انفرد Bar, Bebraeus, Burkitt برأى آخر هو « ان الملك ابجر ارسل رساما يسمى حنا لابلاريوس John Labellarius فرسم صورة لوجه السيد المسيح على

---

(٥٦) القرمانى : اخبار الدول وآثار الاول ص ٤٥١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢٠١ ويذكر لوسترانج ان المسعودى : Le Strange Op. Cit. p. 103. يسميه (منديل المسيح الناصرى) اما Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 543 فيذكر انها « صورة المسيح ارسلت مع الرسول تاديوس فى منشفه » .

(٥٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٠٤

(٥٨) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) Doc. Arm. T. 2, p. 270 وهنا يعود (لوسترانج) فيذكر أنها أحد الفيرونيكات العديدة : لكن هل فيرونيكة الرها هى الموجودة الآن فى روما او جنوا ؟ لم يستقر الرأى بعد(Le Strange Op. Cit., p. 104)

(٥٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969 (1768).

(٦٠) ابن الأثير : الكامل Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 162, جـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : اخبار الخلفاء ، مخطوط تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦١) فى تعليق دولورييه على البيت رقم (٤٠) ص ٢٢٧ فى قصيدة نيرسيس يذكر » ان ابجر ملك الرها سمع عن المسيح فارسل اليه رسالة يعبر له فيها عن اعجابه واشتياقه اليه طالبا فى الوقت نفسه رسمه . ويقال ان المسيح اتخذ منديلا وضغط به على محياه فانطبعت فيه ثم ارسله لابجر » .

(٦٢) Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 246

(٦٣) The American College Dictionary, p. 1351.

لوحـــة أحضرها لأبجر » (٦٤) ولو أن ابن العبرى يشترك فى الرأى الأول، فربمـــا نقل الرأيين فى موضـعين مختلفين .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت تلك الصورة المعجزة ، موجودة فى الرها حيث اعتبرت الحامية للمدينة Palladium (٦٥) . ويقـــال ان ذلك الأثر المقـــدس ظل موجـودا فى الرهـــا الى سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٢ م فى عهد الخليفة المتقى لله العبـاسى حين ارسل ملك الروم يطلب منـــه المنديل الذى كان موجودا فى كنيسة الرهـــا . وقد اغراه ان فعـل ذلك باطلاق سراح عـــدد كبير من أسرى المســلمين . فأحضر المتقى لله القضـــاه والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فقـــال بعضهم أن تسـلم وراى الآخـــر الا تسلم قائلين : « ان هـــذ المنـــديل لم يزل من قـــديم الدهر فى بلاد الاسلام لم يطلبـــه ملك من ملوك الروم ، وفى دفعه اليهم غضاضة »(٦٦) وكان فى الجماعة على بن عيسى الوزير فقـــال : « ان خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذى هم فيه أولى من حفظ ذلك وارســـل الى الملك من يتسلم الأسرى من بلاد الروم فأطلقوا » (٦٧) .

أما دور الرهـــا فى ترجمة الانجيل ، فقد كانت المدينـــة مركزا لجالية

---

(٦٤) Burkitt : Op. Cit., p. 13, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1 ; p. 48

(٦٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).
وهنـــا يذكر المورد القاموس الانجليزى عربى ص ٦٥٢ تفســيرا لتلك الكلمة بأنها تمثال (بالاس اثينـــا) آلهة الحكمة عند الاغريق ، وكانوا يعتقدون أن سلامة مدينة طروادة مرهونة به .

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : أخبـــار الخلفـــاء ، مخطوط ، تاريخ تيمور ، رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦٧) المصدرين السابقين لنفس الصفحات . وهنا يعقب ابن العبرى فى تاريخـــه :
« ان المتقى جمع الكتاب الموثوق فيهم وسالهم ، هل القـــانون يخول لهم مثل تلك الذريعـــة كما هو للمسيحيين أم لا ؟ فأجابوا ؟ « بالرغم من انه افراط فى حق لنـــا للتبرك بهذه الصورة المطبوعة على القماش ، ولكن يجب اعطاؤهـــا لهم لأن المسلمين يقاسون من الجوع والعرى »
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 163)

يهودية كبيرة قبل ان تتأثر بالمسيحية (٦٨) . ولما ذهب اليها (آديا(٦٩)) أوتداوس نزل عند احد يهود فلسطين ونجحت مواعظه الدينية بين اليهود (٧٠) . ويروى ان (آديا) ارسل بعض المؤمنين الى بيت المقدس ليترجموا العهد القديم من العبرية الى السريانية (٧١) . وتشير شواهد مختلفة أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا يهودا متمسكين بعقيدتهم ولا وثنيين وانما كانوا يهودا تحولوا الى المسيحية Judeo — Chretiens (٧٢) والواقع أن ترجمة العهد القديم الى السريانية عن العبرية وبوجه خاص الاسفار الخمسة الأولى منه توحي بان هذه الترجمة عمل فردى قام به شخص على معرفة طيبة بالعبرية (٧٣) وربما تمت ترجمة العهد القديم إلى السريانية في الرها نفسها وليس عن طريق بعض أهلها اليهود في فلسطين أو القدس . ويؤيد Duval هذا الرأى فيقول : « ان ترجمة العهد القديم تمت حوالى منتصف القرن الثانى فى الرها نفسها » (٧٤) .

وفى حوالى سنة ٢٠٠ م اعيد تأسيس كنيسة الرها من جديد على أسس من الاتحاد الوطيد مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية داخل الامبراطورية الرومانية . وتم ذلك تحت رآسة الأسقف بالوت ، ويعنى هذا إن كنيسة الرها اتخذت اتجاها غربيا (٧٥) . بعد أن كانت محافظة على طابعها وكان ان حمل ذلك الأسقف اليها ترجمة من العهد الجديد — أو بمعنى آخر الاناجيل الاربعة الأولى من العهد الجديد

---

(٦٨) Duval : Op. Cit., p. 85 - 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Cam., Anc. Hist. V. XII, p. 494, L.J. Tixeront : Jour. Asiatique, T. XII, Paris, 1888, p. 518.

(٦٩) Duval : Ibid., p. 86, E.R. Hayes : Ibid., p. 28
أما كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، جـ ١ ص ٦٣ فيسميه (يهوذا أوثاديوس اوليبادس) .

(٧٠) Burkitt : Op. Cit., p. 72.

(٧١) أما E.R. Hayes : Op. Cit., p. 36. Cam. Anc. Hist. V. XII, p.494 فيذكر أن الجالية اليهودية فى الرها وفى نصيبين هم الذين ترجموا العهد القديم الى السريانية .

(٧٢) E.R. Hayes : Ibid., p.p. 36 — 37.

(٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 71.

(٧٤) Duval : Op. Cit., p. 110.

(٧٥) Dictionnaire d'archeologie .. T. 4, Part. 2, p. 2082, 2088, L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888, p. 518, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953.

=

مع سفر أعمـال الرسل ورسالات بولس الانجيلية الأربعة عشر ونسخة من العهد القديم نقحت تنقيحا بسيطا عن اليونانية ، ووسمت بترجمات عن اليونانية (٧٦) ويبدو أن هذا الاتجـاه نحو التقـارب من الكنيسـة الشرقية قد أثـار كثيرا من الاضطرابات في الرها وهي الاضطرابات التي راح ضحيتها بعض الشـهداء ، أشهرهم الأسقف برسوما — Barsamya في منتصف القرن الثالث لكن الأسقف رابولا — Rabbûla (٤١١ — ٤٣٥م) أنهى تلك الاضطرابات في الرهـا (٧٧) ■

وهكذا يبدو لنـا من هـذا العرض الموجز أهميـة الرهـا في تاريخ المسيحية المبـكر .

أما عن دخول الرهـا في حوزة المسلمين ، فقد تم ذلك سنة ١٨هـ (٧٨) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم وتم ذلك صلحا ، فعندمـا نزل عياض بباب الرهـا واشتبك الجانبـان أرسـل بطرق المدينة يطلب الأمان « فصـالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم » (٧٩) وفي عهد معـاوية الأول أعيد بنـاء جزء من كنيسة الرهـا القديمة كان قد دمره أحد الزلازل (٨٠) .
أما في عهد عبد الملك ابن مروان فقد بنى هذا الخليفـة الأموي كنيسـة للتعميد بالرهـا (٨١) .

■ هنـا يضيف أغناطيوس افرام الثاني : مقـاله في سـورية ص ٢٣ (عني السريان منذ القدم فنقلوا الى لغتهم الرهاوية جملة من التآليف اليونانيـة الدينيـة والعلميـة والتـاريخية والأدبيـة وانتشرت على يدهم تصانيف الأقدمين الى العربيـة . واتصـلت الينـا كتابات شتى بالسريانيـة الرهـاوية منقوشـة بالقـلم الاسطرنجيلي (نشر بعضها العـالم المستشرق بونيون في جـامع الكتابات السـامية — Inscriptions — Sémitiques في المـائة الأولى قبل الميلاد على حجر في جوار الرها . والخط الاسطرنجيلي هو خط المسيحيين الشرقيين Nastorians.
I.J. Gelb : A Study of Writing, Chicago, 1952, p. 187.

(٧٦) Burkitt : Op. Cit., p. 77.

(٧٧) Burkitt : Ibid., p. 49, Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768).

(٧٨) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٧ (مطبعة السـعادة بمصر ١٩٥٩) ، الطبري : تاريخـه حـ ٣ ص ١٩٣ ، ١٩٤ (١٩٣٩م — ١٣٥٧هـ ولو أن الطبري في موضع آخر يذكر أن ذلك كان سنة ١٩ هـ (حـ٣ ص١٥٥) ولكن الراجح أن ذلك كان سنة ١٨ هـ .

(٧٩) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٨٠) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

(٨١) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 105.

وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور هدمت جدران الرها المتينة التى كانت قد بنيت فى عهد سلوقس ومارافريم — Mar Ephrem (٨٢) لكن اهالى الرها اعادوا بناءها على نفقتهم فى عهد الخليفة المأمون سنة ٨١٤ م (٨٣) .

ظلت الرها تابعة للحكم الاسلامى حتى دخلت تحت نفوذ البيزنطيين فى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عندما اعتلت الأسرة المقدونية عرش بيزنطة (٨٦٧م — ١٠٥٦م) فكانت المرحلة الأولى من حكمها وهى التى امتدت حوالى قرن ونصف من ٨٦٧ حتى ١٠٢٥م المع فترة فى تاريخ الامبراطورية السياسى والحضارى حتى لقد اطلق عليها المؤرخون اسم (العصر الذهبى) للامبراطورية البيزنطية (٨٤) .

والواقع أن البيزنطيين تحولوا فى القرن العاشر من ناحية حدودهم مع المسلمين من الدفاع الى الهجوم واعتبر هذا القرن عصر صحوة بالنسبة لبيزنطة (٨٥) ، وكان من أهم العوامل التى أدت الى اتخاذ البيزنطيين سياسة الهجوم فى ذلك القرن هو رغبتهم فى استعادة مستعمراتهم القديمة فى الشرق الأدنى ؛ تلك المستعمرات التى فقدوها فى القرن السابع الميلادى عندما قام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ، وازدادت شدة تلك الرغبة نتيجة لما شعر به البيزنطيون من نمو قوتهم فى القرن العاشر الميلادى (٨٦) .

ففى عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ — ٩٥٩م) وبالتحديد سنة ٩٤٣ م استولى القائد حنا كوركواس — John Curcuas

(٨٢) فهو يذكر انه عندما Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 279. اراد الخليفة أبو جعفر المنصور — الدوانيقى — أن يبنى قصر فى الرقه ، ارسل الى الرهويين يطلب بعض اعمدة صغيرة من الرخام من تلك التى كانت مكدسة فى الكنيسة الكبيرة . فلم يعطوه شيئا وجعلوه يثور فذهب واقام الحصار على تلك المدينة ودمر هيكل مارسرجيوس Mar Sergius وفى اثناء الحصار سقط ذلك الجدار العجيب ولم يبق منه سوى دور واحد .

(٨٣) Michel Le Syrien : Ibid., p. 279, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 125.

(٨٤) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ٦ . وهنا يشير Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine, p. 187, (1957) ان العصر الذهبى للامبراطورية البيزنطية يمتد من ٨٤٣ — ١٠٢٥م .

(٨٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية . جـ ١ ص ٥٨ .

(٨٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ .

على ميافارقين وآمد ودارا ونصيبين ثم توجه الى الرها تحاصرها ثم عاد الى القسطنطينية سنة ٩٤٤ م بعد ان اخذ من الرهــا منديل المسيح الذى كان موجود بها منذ عهد الملك ابجر (٨٧) .

وفى سنة ٩٤٩م استولى البيزنطيون على مرعش وفى ســنة ٩٥٨م اســتولوا على سميساط(٨٨) وفى ســنة ٩٦١ استولوا على عين زربه ومرعش ورعبــان ودلوك (٨٩) .

اما فى عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م). فقد حاول هــذا الامبراطور بنفســه الاستيلاء على انطاكيا ســنة ٩٦٦م لكنــه لم يستطع وعــاد الى القسطنطينية لكن المدينــة سقطت بيد قــائدين بيزنطيين فى ٢٨ اكتوبر ٩٦٩ م وهذان القــائدان همــا Peter Phocas وميخائيل البرجى — Michael Burtzes (٩٠) .

ثم استنجد قرغويه حاكم حلب بالروم ضد سيده ابى المعالى بن سيف الدولة وذلك فى اواخــر سنة ٣٥٨هـ(٩١)/٩٦٩م وبالفعل قــدم الروم فى بداية سنة ٣٥٩ هـ لنجدته وانسحب ابو المعــالى عن حلب (٩٢) وعقدت هدنة بين قرغويه وبين الروم (صفر ٣٥٩ هـ — يناير ٩٧٠م) (٩٣) كان من اهم شروطها تبعية حلب للبيزنطيين (٩٤) . وهكذا خضع شمال بلاد الشام

---

(٨٧) Ostrogorsky : Ibid., p. 245, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p. 718 — 719.

(٨٨) Ostrogorsky : Ibid., p. 250.

(٨٩) Ostrogorsky : Ibid., p. 252.

(٩٠) Ostrogorsky : Ibid., p. 257. كان الاستيلاء على انطاكية فى ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ (يحيى بن سعيد الانطاكى : تاريخ الذيل ص١٢٥ (باريس ١٩٢٤)

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ١ ص ١٦١ « كان الحاجب قرغوية قد تولى شئون حلب مع ابن استاذه ابو المعالى ســعد الدولة بن سيف الدولة الحمدانى . وذلك فى ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ بعد وفاة سيف الدولة (ابن العــديم : حـ ١ ص ١٥٥ ، الغــزى : نــهر الذهب ، حـ ٣ ص ٦٤) ثم استولى قرغويه على حلب وطرد منها سعد الدولة وذلك فى المحــرم سنة ٣٥٨ هـ (الغزى : المصــدر الســابق ص ٦٥) .

(٩٢) ابن العديم: المصدر السابق ص ١٦٣ ، يحى بن سعيد الانطاكى : تاريخــه ص ١٢٥ .

(٩٣) سعيد عاشــور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ٦٣ ، عمر كمال : مقــدمات العدوان الصليبى ص ١٠٦ .

(٩٤) تناول ابن العديم شروط المعــاهدة بالتفصيل فى زبدة حلب ، حـ ١ =

فى اواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى — خاصة انطاكية وحلب — للنفوذ البيزنطى (٩٥)

وفى عهد الامبراطور حنا تزيمسكس (٩٦٩ — ٩٧٦ م) فى خلال الفترة الممتدة من ٩٧٢ — ٩٧٥ م قام هذا الامبراطور باربع حملات هامة فى الشرق الادنى ، الثلاثة الأولى منها كانت فى شمال العراق فى اقليم الجزيرة فى الفترة الممتدة من ٩٧٢ الى ٩٧٤ (٩٦) .

أما حملته الرابعة على بلاد الشام سنة ٩٧٥ م فقد تميزت بروح صليبية ظاهرة ، برزت من خلال الرسالة التى لرسلها الامبراطور لحليفه آشوت الثالث (٩٧) .

اما الامبراطور باسيل الثانى (٩٨٧ — ١٠٢٥ م) فقد توجه مرتين الى شمال الشام الأولى سنة ٩٩٥ م والثانية سنة ٩٩٩ م دون أن يحقق اى نجاح يذكر (٩٨) وفى بداية القرن الحادى عشر الميلادى عقدت معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين (١٠٠١ م) ولم يحدث بين الجانبين اى احتكاكات تذكر حتى نهاية عهد باسيل الثانى (٩٩) .

وفى عهد الامبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ م) يبدو انه لم يكن هناك اى احتكاكات أيضا اما فى عهد الامبراطور رومانوس الثالث (١٠٢٨ — ١٠٣٤ م) فقد استولى جورج مانياكس George Maniaces — على الرها سنة ١٠٣١م (١٠٠) أو ١٠٣٢م (١٠١) / ٤٢٣ — ٤٢٤ هـ . فظلت ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين فى أواخر القرن الحادى عشر الميلاد (١٠٢) .

= من ص ١٦٣ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١٣٦ ،.
Vasiliev : Hist. of the Byzantine, V. 1, p. 309, (1952).

(٩٥) Vasiliev : Ibid., p. 309.

(٩٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١١ وقد تناول تلك الحملات بالتفصيل .

(٩٧) Otrogorsky : Op. Cit., p.p. 263 — 264. (1957).

(٩٨) Ostrogorsky : Ibid., p, 273. (1957).

(٩٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 1, p. 311.

(١٠٠) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠١) Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 285, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 193, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p.p. 725 726.

(١٠٢) Cam. Med. Hist. : Ibid., p.p. 725 - 726.

ويفهم مما كتبه ميخائيل السريانى مدى الحب الذى كان يكنه أهل الرها للعرب ومدى كرههم للبيزنطيين . وربما يرجع الى اختلاف المذهب الدينى لمسيحيى الرهـا عن مذهب البيزنطيين ، فبينما كان المسيحيون فى الرها يؤمنون بأن للمسيح طبيعة واحدة،أخذ البيزنطيون بمذهب الطبيعتين (١٠٣). وقـد ذكر ميخائيل « أنه عندما دخـل البيزنطيون الرهـا ، هجرها العرب الذين كانوا بداخلها ومعهم أطفالهم ، كذلك هجرهـا أهلها من المسيحيين ومعهم أطفالهم مثلما فعل العرب . ذلك أن أهل المدينـة المسيحيين كانوا قد ألفوا العرب وعرفوا لغتهم وكتابتهم فى حين كانوا فى رعب من البيزنطيين بسبب هرطقتهم وميلهم للشر . وهكذا أخلى المسيحيون والعرب المدينة بعد أن أشعل أحد العرب النار فيها فأحرقت المنـازل والكنائس وظلت المدينـة خاوية فى أيدى البيزنطيين » (١٠٤) .

ويبدو أن الرهـا استعادت حيويتها بعـد أن دخلت فى نطاق دولة فيلاريتوس الأرمنى سنة ١٠٧٧م/٤٧٠هـ (١٠٥) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع لتـاريخ الرهـا حتى عصر الحروب الصليبية أن تلك المدينة لم تكن بمنأى عن التيـارات السياسية والحضـارية فى العصور القديمة والوسطى . ويرجع السر فى ذلك الى موقعها الهـام فى اقليم الجزيرة ، فقد كانت تكون مركزا هـاما فى الهلال الخصيب بحضاراته فى العصور القديمة ، فضلا عن وقوعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق الطرق بين الامبراطوريات الكبرى التى عرفها العالم القديم مثل الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانيـة . فاذا أضفنا الى ذلك كله خصوبة الأرض التى تقع الرهـا وسـطها بين عـدة أنهار شهيرة كالفرات ودجلة والبليخ ، أدركنا السر فى نشـاط تاريخ الرها وحيويته على مر العصور .

وظهرت أهمية هذه العوامل كلها من موقع وثروة طبيعية ، فى عصر

---

(١٠٣) كانت بداية ذلك الخلاف فى مجمع خلقدونيه (٤٥١ م) .
Charles Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T. II, Part 2, p.p. 844 - 846, Hubert Jedn : Brève Hist. des Conciles, p.p. 42 - 43, R.P. Janin : Les Eglises Séparées, p.p. 4-5.

(١٠٤) Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠٥) أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٣٨ عن (Brehier ; Vie Et Mort) Cam. Med. Hist : V. IV, Part 1, p. 628.

الحرب الصليبية عندما قامت فى الرها أولى الامارات الصليبية فى الشرق ، وهى الامـــارة التى شكلت خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الاسلامية بين الموصـــل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (١٠٦) ذلك ان امارة الرهـــا الصليبية لم تكن تسيطر على اهم الطرق التى تصل بين الجزيرة والساحل فحسب ، بل كانت أيضـــا اقرب من اية امـــارة صليبية اخرى الى عاصمة الخلافة العباسية فى بغداد (١٠٧) هذا الى انها قامت بدور الحاجز بين الجزيرة والأتراك السلاجقة فى العراق وفى فارس من ناحية وبين الصليبيين فى بلاد الشـــام من ناحية اخرى(١٠٨) ، وبذلك تحملت الرهـــا شرقى الفرات وتل باشر غربيه مشقة عبء الدفـــاع عن الجبهة الشرقيـــة للوجود الصليبى فى الشرق الأدنى (١٠٩) هذا كله فضلا عن الصدمات التى تعرضت لها من جانب التركمان والأتراك من جهة الشمال وخاصة بنى أرتق الذين حكموا ماردين وحصن كيفا ونصيبين ودياربكر (١١٠)

وارتبط بتوسع السلاجقة فى آسيا الصغرى فى القرن الحادى عشر ، دخول أعـــداد كبيرة من الأرمن الى الرهـــا . ذلك أن حركة انتشـــار السلاجقة فى آسيا الصغرى اتخـــذت اتجـــاها افقيـــا من الشرق الى الغرب ، عبر ارمينيا وكبادوكيا وفريجيـــا وايونيـــا ، حتى شملت جميع الجهات الشمالية والوسطى من شـــبه الجزيرة . أما الأقاليم الجنوبيـــة والشرقيـــة من آسيا الصـــغرى ــ حول طوروس وملطيـــة ثم الرهـــا وانطاكية ــ فلم يتجه اليها السلاجقة فى اول الأمر مما ادى الى عزل تلك

---

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٤ (عن — Stevenson)
، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٢ (عن — Daussaud) .

(١٠٧) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478,
وهنا يذكر بريية انها كانت الحد المتطرف للفتوحات اللاتينية
Brehier : L'Eglise et l'Orient, p. 90.

(١٠٨) J. Prawer : Op. Cit. T. 1, p. 209.
(Duval : Op. Cit., p. 279).
هنا يشير دوفال أنها حمت مجرى الفرات ومدخل سوريا من القوات التركية

(١٠٩) Vasiliev : Hist. of the Byzantine. V. 2, p.p. 56, 69,
Michaud : Histoire des Croisades, V. 1, p. 248,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 211.

(١١٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

المنطقـــة عن بقيـــة بلاد الامبراطورية البيزنطيـــة ثم وقوعها بين شقى الرحى فى الصراع القـــائم بين البيزنطيين والسلاجقة فى آسيا الصغرى .
وكانت الامبراطورية قد منحت ملوك أرمينيا وامرائها ضياعا واسعة فى اقليم كابادوكيا ، مما ترتب عليه هجرة أعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك الاقليم فى شرق آسيا الصغرى (١١١) . ولكن توسع الأتراك السلاجقة فى كابادوكيا واستقرارهم فى ذلك الاقليم ، جعـــل أولئك الأرمن يبحثون عن ماوى جـــديد ، فاتجهوا نحو اقليم قيليقيـــة الجبلى فى جنوب شرقى آسيا الصغرى ، وتركزوا فى الجهات المحيطة بملطية والرها وانطاكية (١١٢) .

ولـــا كانت الرها قد غدت مدينة ارمينيـــة بحكم الأرمن الذين نزحوا اليها واستقروا فيها ، فان هذا يدفعنا الى التعرف على وضع الأرمن فى منطقة الشرق الأدنى فى القرن السابق لوصول الصليبيين الى تلك المنطقة اعنى القرن العـــاشر للميلاد .

اما عن موقع ارمينيا الجغرافى فيقـــول ياقوت : « ارمينيـــا الكبرى خلاط ونواحيها ، وارمينيه الصغرى تفليس ونواحيها » . ويضيف أنهـــا « سميت ارمينية بأرمينا بن لنطا بن اومر بن يافث بن نوح عليه السلام وكان أول من نزلها وسكنها (١١٣) » . وهى فى العصر الحاضر احـــدى جمهوريات الاتحـــاد السوفيتى (١١٤) .

---

(١١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٧ عن (Setton)

(١١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٩٨ عن (Iorga)

(١١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ١٦٠ .
وخلاط هى البلدة العـــامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار اليانعة.وهى من فتوح عياض بن غنم وهى قصبة ارمينية الوسطى.وبحيرة خلاط من عجائب الدنيا (ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٣٨٠ — ٣٨١) .

وتفليس بلد بأرمينيـــا الأولى (الأصلية) وبعض يقول باران ، وهى مدينة قديمة ازلية افتتحها المسلمون فى ايام عثمان بن عفان ، على يد حبيب بن مسلمة وظلت بايدى المسلمين حتى سنة ٥١٥ هـ ثم اغار عليها جيل من النصارى من جبل ابخاز هم الكرج متهزين الخلافات بين حكامها السلاجقة فملكوها عنـــوة . وظلت بأيديهم حتى أخذها منهم الخوارزميون سنة٦٢٣هـ ولكن الكرج عـــادوا مرة أخرى لحكمها عن طريق الأهـــالى ولكنهم خافوا من عـــودة الخوارزميين اليها فحرقوها سنة ٦٢٤ هـ (ياقـــوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٣٥ — ٣٦) .

(١١٤) احمد عطية الله : القـــاموس الاسلامى ، مجـــلد ١ (١٣٨٣ — ١٩٦٣) ص ٧٣ يذكر انها تحيط ببحيرة فان ومن معالمها الجغرافية جبـــل =

وللتعرف على أحوال أرمينيا الكبرى فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد ، نذكر أنه كانت هناك حوالى ست ممالك مستقلة فى أرمينيا، لكن يبدو ان امرائها كانوا متنافسين باستمرار مما اضعف قوتهم واطمع فيهم كلا من العرب والبيزنطيين(١١٥) وكان ان أصبحت أرمينيا عند نهاية القرن العاشر فى حال شديد من الضعف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ، لذلك لم تعد قادرة على القيام بأية مقاومة فعالة ضد البيزنطيين او الاتراك السلاجقة وهم العدو الجديد الذى ظهر على حدودها الشرقية (١١٦) .

وقد شجع ذلك الوضع باسل الثانى امبراطور الدولة البيزنطية فى عام ١٠٠٠م/٣٩١هـ على احتلال بعض الاقاليم الأرمينية الواقعة على حدود دولته حتى اضطر الملك سنكريم Senck'erim الأرمنى الى التنازل عن مملكته عام ١٠٢١ — ١٠٢٢م/٤١٢ — ٤١٣هـ ، للامبراطور وتلقى بدلا عنها مدينة سيواس فى آسيا الصغرى واقاليمها على امتداد الفرات وفى عام ١٠٤٥ م — ٤٣٧هـ اضطر الملك جاجك Gag I الارمنى حاكم آنى الى التنازل عن ملكه للامبرطور البيزنطى ايضا وعوض عنه أرضا فى داخل كابادوكيا . هذا بالاضافة الى جاجك صاحب قرس Kars الذى تنازل هو الآخر عن أملاكه للامبراطور البيزنطى عام ١٠٦٤ م/٤٥٧هـ ومنح فى مقابلها منطقة فى كابادوكيا . وبذلك اختفت الممالك الأرمنية الصغيرة

= ارارات الذى قيل ان سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ويطلق عليها اسم جمهورية اريفان وعاصمتها أريفان اقرأ
Armenia - Armenie - Ecrivain.

(١١٥) Sirarpie Der Nersessian : Armenia and the Byzantine Empire, p. 9.

(١١٦) Sirarpie Der Nersessian : Ibid., p. 10 هنا تذكر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول ص ٦٤٧ تحت مادة (أرمينية) : فى عهد آشوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧ م) بنيت قلعة آنى الصغيرة فأصبحت مقر ملكه ، وأصبحت درة الشرق . وحكم سمباط الثانى (٩٧٧ — ٩٨٨) واخوة جاجيق الأول (٩٩٠ — ١٠٢٠م) حكما سعيدا موفقا وان كانت سياستهما الداخلية الخرقاء قد دفعتهما الى الاشتباك الدائم مع الامارات النصرانية المجاورة ، كما كان بينهم وبين امراء المسلمين الذين يحكمون الجزء الجنوبي من أرمينيا نزاع مستمر . وفى ٩٨٨م هزم داود المقدام امير تيخ صاحب الجزء الاكبر من بلاد الكرج — مملون احد أمراء المسلمين بالقرب من زمبو . ولما توفى جاجيق الأول تنازع العرش وارثه الشرعى يوحنا وخصمه القوى آشوط الرابع وزاد فى تحرج الحالة تدخل أهل الكرج وغارات السلاجقة التى بدأت هجماتها الأولى فى ذلك العهد .

الواحدة تلو الأخرى وامتد النفوذ البيزنطى فى أرمينيا غالبا حتى (دوين) فى الشرق (١١٧) .

ولم يلبث السلاجقة أن انزلوا هزيمة كبرى بالجيوش البيزنطية فى موقعة مانزكرت قرب بحيرة فان سنة ١٠٧١م/٤٦٤هـ وهى الموقعة التى أسر فيها الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع (١٠٦٧ — ١٠٧١م) .

وقد نقل (جروسيه) عن (متى الرهاوى) (١١٨) نصا يبرز لنا مدى كره الأرمن لبيزنطه وشماتتهم لما حل بها على يد الأتراك السلاجقة فى ما نزكرت ، فيقول بعد أن صمد الأرمن أمام المسلمين وعرفوا كيف يدافعون عن استقلالهم أمام الضغط الاسلامى ، اذا بالإمبراطورية البيزنطية اليوم تتصدر لحملة الدفاع ضد الأتراك ولكنها انهارت أمام الضربة الأولى من جانب الأتراك المسلمين ان هؤلاء البيزنطيين لم يعرفوا كيف يدافعون عن الأرمن ، بل لقد اضطروهم الى الهجرة من بلادهم فى أعداد هائلة ... ان الكوارث التى حلت بالأمة الأرمينية افدح من ان يستطيع أحد روايتها .. آلامها ودموعها ، كل ما قاسته على يد الأتراك فى وقت ما فقدت فيه مملكتنا سيادتها الشرعية التى انتزعها أولئك البيزنطيون الذين تصدوا للدفاع عنا وهم عاجزون ، مخطئون متخنثون ... أنها الدولة البيزنطية الخسيسة ، تلك التى دمرت مرشنا القومى ، واسقطت ذلك الجدار الواقى الذى كونه جيشنا الشعبى الباسل ومحاربينا الشجعان » (١١٩) .

ولقد رأينا كيف أجبر البيزنطيون اعدادا كبيرة من الأرمن على الهجرة الى كبادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك حاول البيزنطيون أن ينسوا أولئك الأرمن مسألتهم القومية الخاصة بضياع ملكهم الأول ، وأن يسدلوا ستارا على عجزهم عن حمايتهم أمام الأتراك المسلمين ، ولجأوا من أجل ذلك كله الى ادخال الأرمن فى دوامة الخلافات الدينية .

---

(١١٧) عن Sirarpie : Ibid., p. 11, Grousset : L'Empire, p. 173 (Mattieu)

أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ١١٥ .

(١١٨) لم يرد هذا النص ضمن (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1 فى الجزء الذى كتبه متى الرهاوى واستفدت منه لذا أخذته عن جروسيه .

(١١٩) Grousset : L'Empire ... p. 174.

وهنا يظهر مدى حنق متى الرهاوى من البيزنطيين من الأوصاف التى وصفهم بها والتى أوردنا ترجمتها كما هى .

وهكذا « اقتصرت جهود البيزنطيين على افساد العقيدة الحقيقيه للأرمن وهى العقيدة التى قامت على اســاس المذهب المونوفيزيتى او الطبيعة الواحدة على قول متى الرهاوى . واخذت الحكومة البيزنطية تبعد من يوجد فى الشرق من الرجال الارمن الشجعان .. وتجبرهم على البقاء فى الأرض البيزنطية وعلى ذلك فان الهجرة الارمينية الى كابادوكيا هجرة اصطنعها وفرضها البيزنطيون » (١٢٠) .

هذا الى ان جماعات اخرى من الارمن اضطرت الى الهجرة الى مناطق اخرى مثل اقليم طوروس وقيليقيـــة ، امـــام ضغط الأتراك السلاجقـــة المتدفقين بشـــدة من الشرق « فقد ترتب على توسع السلاجقة الأتراك ، فى الاقاليم الواقعة شرقى آسيا الصغرى ، هجرة كثير من بلادهم الأصلية فى ارمينيـــا الكبرى الى الاقاليم الواقعـــة غربى الفرات وشماليه ليستقروا فى جهات كان بعض اخوانهم الأرمن قـــد سبقوا اليها واسسو فيها جاليات فى عصـــور ســـابقة » (١٢١) .

وازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعـــة مانزكرت الســـابقة الذكر ، اذ تحرك كثير من الارمن من موطنهم الأصلى القـــديم حول بحيرة فـــان Van فى اواخر القرن الحـــادى عشر امـــام ضغط الأتراك السلاجقة الى شمالى انطاكية فى جبـــال طوروس وسفوح تلالها الجنـــوبية حيث كونوا العديد من الامارات الأرمينية (١٢٢).وهناك انقسم المهاجرون الأرمن الى قسمين : قسم خضع لنفوذ بيزنطه وقسم اعلن استقلاله منها .

---

(١٢٠) Grousset : L'Empire, p.p. 174 - 175. وهنا يشير جروسيه فى نفس الصفحة الأخيرة فى سطور قليلة الى مدى ما وصل اليه الخلاف الدينى احيـــانا . فمثلا جاجك فى منـــاطق نفوذه الجـــديدة فى كابادوكيا كان على ســـوء تفاهم مع المطران البيزنطى لقيصريه المسمى — Marcos الذى انزعج من اطلاق الهجرة الارمينية وركز عدوانه ضدهم الى درجة اعطاء كلبـــه اسم Armen مما ادى الى غضب جاجك وقام بكثير من عمليـــات النهب والضرب التى وصلت الى الحيوان نفسه ، وراح الأسقف نفسه ضحية تلك الشدة .

(١٢١) سعيد عاشور : ســـلطنة المـــاليك ومملكة ارمينـــية الصغرى ص ١٣٦ من (Iorga) فقـــد تحركت الهجرة الأرمنيـــة الى الاقليم الوحيـــد الذى ترك دون ان يحتله الغزاة وهو جنوب شرق آســـيا الصـــغرى وشمال ســـوريا . حقيقة ان ارمينيا الجـــديدة فى المنفى كانت تكوينا غير طبيعيـــا لكنها فى الواقع عاشت مدة اطول من اى دولة فرنجية فى الشرق (Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 628).

(١٢٢) Setton.: Op. Cit., V. 1, p. 371.

اما عن القسم الاول فيذكر — Pasdermadjian « انه منذ أواسط القرن الحادى عشر قدمت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم ، فى اقليم طوروس . ولم تلبث هـذه الجموع ان دخلت دائرة السياسة البيزنطية الخاصة بشحن المضايق الموصلة الى قيليقية — بوصفها احدى الاقاليم التى كانت اكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين — بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن المضايق (١٢٣) . فقد فكر الأباطرة فى تقوية اقاليم دولتهم الواقعة على حدود قيليقية بأن وضعوا الأراضى والممتلكات المهمة فى أيدى نبلاء عرف عنهم الشجاعة العسكرية (١٢٤) ».

اما القسم الثانى من الأرمن الذين استقروا فى قيليقية فهم العناصر التى اتجهت نياتها لا للخضوع لبيزنطه ، وانما للبقاء مستقلين (١٢٥) .

ومن امثلة النوع الأول — والذى لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن ضمن القسم الثانى — شخصية فيلاريتوس الذى خدم لفترة طويلة فى الجيش البيزنطى « بل وتخلى عن المذهب المونوفيزيتى — وهو مذهب الطبيعة الواحدة — الى الارثوذكسية البيزنطية مما جر عليه اللعنة ليس فقط من جانب المؤرخين السريان أمثال ميخائيل السريانى وانما أيضا من جانب مواطنيه من المؤرخين الأرمن » (١٢٦) وقد عمل فيلاريتوس هذا فى خدمة الامبراطورية البيزنطية فى عهد رمانوس الرابع حتى انهزم ذلك الامبراطور وأسر فى موقعة مانزكرت ١٠٧١م ٤٦٤هـ . وعندئذ رفض الأعتراف بالامبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس Michel VII Doukas — (١٢٧) (١٠٧١ — ١٠٧٨) ثم كان أن اخذ فيلاريتوس يدعم مركزه حول مرعش ورعبان والابلستين حيث أقام امارة قوية مستقلة عن الحكومة البيزنطية ، زادت منعة بعد أن استولى على ملطيـة (١٢٨) .

---

(١٢٣) Paśdermadjian : Histoire de L'Arménie, p. 198.
من (J. De Morgan : Hist. du Peuple Armenien).

(١٢٤) فانه عندما تبين للأباطرة أن Sirarpie : Op. Cit., p. 12. الأرمن يكونون عنصرا قويا على الأطراف الشرقية لدولتهم ، فكروا مختارين او مجبرين فى اتخاذ أولئك الأرمن درعا حاميا ووسيلة للدفاع عن الحدود الدولة من ناحية الشرق (سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٣٧ عن (Ostrogersky)

(١٢٥) Pasdermadjiant : Op. Cit., p. 198.

(١٢٦) (Mattieu) عن Grousset : L'Empire, p. 177

(١٢٧) Serarpie : Op. Cit., p. 12, Grousset ; L'Empire, p. 177.

(١٢٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٣٧ ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٨ .

ولم يلبث فيلاريتوس هذا ان استطاع ان يكون لنفسه جيشا كبيرا من المرتزقة كانت عناصره من الأرمن والبيزنطيين فضلا عن ثمانية آلاف فرنجى (١٢٩) . بل قيل أنه كان ضمن جيشه «فرس واتراك» (١٣٠).

وقد تمكن فيلاريتوس بفضل هذه القوة ان يبسط سيطرته على كثير من المعاقل فى اقليم قيليقية . فلما سمع الامبراطور البيزنطى بذلك ارسل اليه الهبات وذهب فيلاريتوس بنفسه الى القسطنطينية حيث ابتهج به الروم واعطوه الذهب والأسلحة (١٣١) بل واعطوه السلطة على قيليقية لكى يقاوم الأتراك (١٣٢) .

والواقع ان فيلاريتوس هذا كان قد مد نفوذه على الرها نفسها عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ حين ارسل احد ضباطه وهو باسل بن أبى خباب الى الرها ليحكمها ويدير شئونها ، فصده حاكمها من قبل بيزنطة ، لكن الأهالى ثاروا وقتلوا حاكمهم وسلموا المدينة لممثل فيلاريتوس (١٣٣).

وقد ظل فيلاريتوس هذا مواليا لبيزنطة وحاكما للرها حتى سنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ عندما توجه ملكشاه الى الشام لمحاربة الاراتقة الذين قتلوا سليمان بن قتلمش . فلما وصل ملكشاه الى الرها سلمها له الأهالى بسبب بغضهم لفيلاريتوس . فما كان من فيلاريتوس الا ان لجأ الى السلطان السلجوقى « ووعده بجزية يدفعها وأن يدعو للخليفة والسلطان (١٣٤) » .

---

(١٢٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٣٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 229.

(١٣١) Bar Hebraeus : Ibid., p. 229.

(١٣٢) Michel : Op. Cit., p.p. 187 - 188.

(١٣٣) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ومملكة ارمينيا الصغرى ، ص ١٣٨ (عن Bréhier : Vie et Mort) الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٩ .

Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 628.

وقد كان باسيل هذا موظفا من جورجيا الأرمينية ، وهو الذى كان فى عهد الامبراطور رومانوس الرابع قائدا فى الرها ونائبا عن الامبراطور ، وعندما وصل باسيل آنذاك كان الموجود بالرها تافادانوس — حاكمها باسم الامبراطوريون — ولكن الأهالى ثاروا وقتلوه ووضعوا المدينة فى أيدى باسل. (عن Grousset : L'Empire, p. 179. Mattieu).

(١٣٤) Bar Hebraeus : Op. Cit. ; V. 1 p.p. 232 - 233, Duval : Op. Cit. p. 277

كان الخليفة آنذاك هو المقتدى العباسى (١٠٧٥ — ١٠٩٤) .

بل قيل انه اسلم بالفعل « وتحمل الختان » (١٣٥) ولو أن البعض يشير الى انه كان مستعدا فقط — اذا استلزم الأمر — لاظهار الاسلام خدمة لمصالحه (١٣٦) . لكن يبدو انه اعتنق الاسلام بالفعل ثم ارتد للمسيحية قبل وفاته (١٣٧) .

وعندما لا حظ السلطان كره الرهويين له لم يعده الى الرها بل منحه مرعش بدلا منها ، حيث انهى فيها حياته (١٣٨) .

والحق يقال أن فيلاريتوس هذا كان لا يعدو أن يكون مغامرا جسورا ، فلم يدخر اية وسيلة للوصول الى السلطان وفى ذلك يقول جروسيه : « اذا صرفنا النظر عن روح البغض والكراهية التى كنها له مواطنوه بسبب تحوله الى مذهب الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية ، فان فيلاريتوس يبدو بوضوح مغامرا دون شك ، لم يحجم عن ارتكاب اية خيانة ليدعم قوته وسط مظاهر الانحلال البيزنطى والغزو التركى . وهكذا اندس فيلاريتوس بين الامبراطوريتين ، فظهر امام البيزنطيين فى صورة رجلهم ، المعبر عن قوتهم ، وفى نفس الوقت ، ظهر امام الاتراك فى صورة المتسامح ، البعيد عن التعصب ، القادر على تنفيذ مشيئتهم مثلما كان يفعل مع المسيحيين »(١٣٩) .

وقد اقدم فيلاريتوس على التعاون مع الاتراك مرتين ، الأولى ضد احد الرؤساء الأرمن ، الذى رفض الخضوع لنفوذه ، فتعاون فيلاريتوس مع أمير ميافارقين ضد احد ابناء جلدته حتى قتل الأخير ، فاقتسم فيلاريتوس الغنيمة مع حليفه وذلك عام ١٠٧٣ — ١٠٧٤م/٤٦٦ — ٤٦٧هـ (١٤٠) ، والثانية وهى التى سبق ذكرها عندما توجه ملكشاه الى الرها وعندئذ اظهر فيلاريتوس خضوعه لارادة السلطان السلجوقى . وبهذا استطاع بفضل مهارته السياسية العالية أن يرضى كلا الجانبين فى الوقت

---

(١٣٥) Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ص ١٣٩ (عن (Michel Le Syrien :

١٣٧ Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 231, Duval : Op. Cit., p.277

(١٣٨) Bar Hebraeus : Ibid., p. 231, Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٩) Grousset : L'Empire, p. 178.

(١٤٠) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦

Grousset : Ibid., p. 177.

واسم الرئيس الأرمنى الآخر هو Thornik Mouchel وكان يحكم فى ساسون.

المناسب،مما جعله يحكم فى وقت من الأوقات المنطقة الشاسعة الممتدة من خرتبرت (١٤١) فيما وراء الفرات حتى المصيصه (١٤٢) وعين زربة وطرسوس فى تبليقية ، ماريين بملطية وكركر ورعبان وكيسون ومرعش » (١٤٣) .

وعلى ذلك كان قيام ارمينيا الجديدة التى وضع اسسها فيلاريتوس فى سنواته الأخيرة هو الحدث الذى جاء بين كارثة مانزكرت ومجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشرق (١٤٤) . واذا كانت نهاية فيلاريتوس قد جاءت فى الوقت الذى اهتزت فيه قوته شيئا ما — كما راينا — فان هذا لا يعنى انتهاء سلطانه كلية من الأماكن التى كانت تحت نفوذه ، اذ استطاع نوابه وبخاصة فى الرها وملطية ومرعش — ان يواصلوا سياسته .

ونكتفى هنا بالاشارة الى كل من ملطية ومرعش حيث اننا سنتعرض للرها فى موضع آخر .

اما ملطية فان آخر نواب فيلاريتوس فيها كان جبريل (١٤٥) وهو احد المغامرين الارمن ، أدى اعتناقه لمذهب كنيسة القسطنطينية الى ايجاد نوع من الصلة بينه وبين الدولة البيزنطية (١٤٦) . ومع ذلك فان،اخلاقه كانت ثمة تقارب مع اخلاق فيلاريتوس ، فنجد انه،عندما دعت الحاجة الى استرضاء الاتراك السلاجقة خوفا على ملكه من خطرهم ، فانه لم يحجم عن ارسال زوجته الى بغداد « للحصول على تأييد الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى لحكمه فى ملطية » (١٤٧) .وقد ذكر ميخائيل السريانى

---

(١٤١) — Khartabirt — الارمينية الآن معروفة اكثر باسم خربوت — Kharpūt وهى قلعة حصن زياد التى يشير اليها ابن خردانبة بأنها تقع على مسافة ليست بعيدة عن سميساط
(Le Strnage : Op Cit., p. 117

(١٤٢) وهى من ضمن مدن الثغور بين المسلمين والروم قيل انه كان بها خمسة من قبور الأنبياء (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق١ ، ص٥٨).

(١٤٣) Grousset : L'Empire, p. 179 عن (Laurent : Byzance et les Seljaucides)

(١٤٤) Grousset : Ibid., p. 150

(١٤٥) Michel : Op. Cit., p. 179.

(١٤٦) Grousset : L'Empire, p. 184, Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٤٧) Michel : Op. Cit.. p. 179, Grousset : L'Empire, p. 184 عن وليم الصورى
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٧٨ (عن ميخائيل السريانى) .

ان جبريل هذا — هو الذى عاصر تقدم الصليبيين الى الشرق — وعدهم ثلاث مرات بأن يسلمهم ملطيـة (١٤٨) .

اما مرعش التى ذكرنا انها شهدت خاتمة حيـاة فيلاريتوس فقد نجح الأتراك فى الاستيلاء عليها حتى اذا ما قـدمت الحملة الصليبية الأولى استعادتها منهم وردتها للامبراطور البيزنطى ، وقيل ان ذلك حـدث فى ١٣ اكتوبر ١٠٩٧م وكان أن عهد الامبراطور الكسيوس كومنين الى احد الأرمن واسمه ثاتول Thatoul بحكمها فظل فيها حتى ١١٠٤م حـين اخذهـا منه الصليبيون (١٤٩) .

والواقع أن ثوروس — حاكم الرهـا والذى سنعود للكلام عنـه — وجبريل وثاتول ايضـا — نواب فيلاريتوس والذين بداوا مثله حيـاتهم العـامة فى الخدمات الادارية البيزنطية « كانوا منفصلين بعقائدهم الدينية عن مواطنيهم ومكروهين من المسيحيين السوريين الذين ظلوا كثيرى العدد فى اقليمهم » (١٥٠) .

وبالكلام عن فيلاريتوس ودولته نكون قد أعطينا صورة عن ذلك النوع من تبعية بعض حكام الأرمن للدولة البيزنطية من قريب أو بعيد .

أما النوع الثانى من حكام الأرمن الذين ظلوا بعيـدين تمامـا عن الخضوع لبيزنطة فيمثله الاميران روبان وأوشين .

أما روبان (١٠٨٠ — ١٠٩٥م/٤٧٣ — ٤٨٩هـ) فقـد استطاع بمن انضم اليه أن يؤسس مملكة مستقلة فى قيليقية (١٥١) . وهو اقليم يقع فى

---

(١٤٨) Michel : Ibid., p. 188

(١٤٩) Grousset : L'Empire, p. 184,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٧٨ — ١٧٩ عن
Runciman : A Hist. of (Chalandon : Les Comnenes)
The Crusades, V. 1, p. 195.

(١٥٠) Runciman : Ibid., p. 195

(١٥١) Fridtjof Nansen : l'Arménie et le proche Orient, p 295
وهنـا يشير Haytonus Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.)
« لقبت ولاية قيليقية باسم ارمينيـا Doc. Arm. T.2, p. 373
لانه بعد أن خلص المسيحيون الأرمن تلك البلاد من يد البيزنطيين احتفظوا بها فترة طويلة وقد واصل أهل ارمينيا المحافظة على ذلك الاستقلال الى حد كبير ».

جنوب شرق آسيا الصغرى واشتهر بثروته وغناه (١٥٢) . وأتخذ روبان مقرا له قلعة صغيرة على مقربة من سيس (١٥٣). وبذلك وضع نواة مملكة ارمينيا الجديدة (١٥٤) ، التى اطلق عليها اسم ارمينيا الصغرى تمييزا لها عن ارمينيا العظمى (١٥٥) او الأم .

ولم يلتمس روبان هذا الحماية من الامبراطورية البيزنطية وانما ظهر دائما فى صورة تفوق بقية البارونات الأرمن حتى مات وترك خلفه ابنه قنسطنطين (١٠٩٥م — ١٠٩٩م/٤٨٩ — ٤٩٣هـ) الذى « كان أول الروبانيين الذين حملوا لقب أمير اوبارون » (١٥٦) .

ويؤكد بعض المؤرخين أن وصول الصليبيين الى الشرق فى أواخر القرن الحادى عشر كان من العوامل المساعدة التى هيأتها العناية الالهية ، لتمكن تلك الامارة من النمو والازدهار (١٥٧) . ذلك أن الصليبيين دخلوا معها فى علاقات ود وتحالف مما شجع ارمينيا الصغرى على اتخاذ موقف عدائى تجاه الأمبراطورية البيزنطية (١٥٨) .

اما اوشين (١٠٧٢ — ١١١٠م / ٤٦٥ — ٥٠٤هـ) فكان يحكم احدى القلاع القديمة فى ارمينيا حتى اضطر الى الفرار منها تحت ضغط

---

(١٥٢) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 198. وهو يضيف فى نفس الصفحة أن الجنرال Bremond يعتبر محددا جدا فى تسميها مصر صغيرة ، لكن مصر التى امتلكت مراعى جبلية شاهقة Une Petite Egypte mais Une Egypte qui aurait des Alpes.

(١٥٣) Pasdermadjian : Ibid., p. 198, Grousset : L'Empire, p. 337 وسيس هى أيضا سيسه وهى مدينة قريبة من عين زربة ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٨٩) .

(١٥٤) Jacque de Morgan : Op. Cit., p.p. 166, 303. وهو يذكر ان روبان اعتمد فى الوصول الى هدفه على احد الأرمن ، كان يسمى باسيل وكان ذو شجاعة كبيرة وفكر ثاقب وكان يعرف كل استراتيجيات وكل خدع الحرب . ولما كان ينقض دائما فجأة على عدوه . سمى باسيل اللص Basile Voleur

(١٥٥) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٦) Jacque de Morgan : Op. Cit., p. 166.

(١٥٧) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199.

(١٥٨) Fridtjof Nansen : Op. Cit., p. 295, Vasiliev : History of the Byzantine Empire, V. 2, p. 65.

الاتراك السلاجقة عام ١٠٧٥م/٤٦٨هـ فجاء الى قيليقيا حيث اعطاه صديقه ابو الغريب الارزرونى قلعة نمرون ((Lampron)) وهى منطقة ذات اهمية كبرى لحماية كبادوكيا وأمنها (١٥٩) .

هكذا استطاع روبين الاول أن يؤسس الدولة الروبينية Roubenienne كما استطاع اوشين ان يؤسس الدولة الهيثومية — Héthomienne وهما الاسرتان اللتان كونتا عظمة ارمينيا الجديدة (١٦٠) .

ويمكن ان نضيف الى هؤلاء الزعماء الارمن كوغ باسيل اى اللص باسيل (١٦١)،وهو مغامر ارمنى بسط سيادته على كيسون ورعبان (١٦٢)، وظل فيهما منذ حوالى ١٠٨٢م — ٤٧٥ هـ حتى وفاته ١١١٢م — ٥٠٦هـ ولعب دورا ايجابيا فى حروب الفرنج فى الرها وانطاكية ضد الاتراك (١٦٣).

وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن :

وبوصول الحملة الصليبية الاولى الى قيليقية فى سبتمبر ١٠٩٧م ، وجد الصليبيون فى الارمن حلفاء طبيعيين لهم ضد السلاجقة من ناحية وضد الدولة البيزنطية من ناحية اخرى ولم يلبث ان قدم الارمن الكثير من الخدمات للجيوش الصليبية المتهالكة بعد رحلتها الطويلة عبر هضبة

---

(١٥٩) Morgan : Op. Cit., p. 163, Tournebize : Hist. Politique et Relig.... p. 168. القلعة اليوم هى نمرون — كاليسى Nimroun-Kalessi شمال خليج طرسوس .

(١٦٠) Grousset : L'Empire, p. 388 عن (Mattieu) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٣ (وهو يذكر ان اوشين سيطر على مدينة اذنه) عن (Iorga) اما (ستون (فيذكر أن اوشين كان يسيطر على نصف اذنه عند قدوم الصليبيين (Setton : Op. Cit. V. 1, p. 301) ولكن احد البرجنديين ضمن الحملة الصليبية الاولى استولى عليها (William : Op. Cit. V. 1, p. 181)

(١٦١) Iorga : L'Arménie Cilicienne ; p. 17, ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ وقد اطلق عليه اللص لانه سرق عدة قلاع من الثغور فتملكها الارمن بعده .

(١٦٢) Michel : Op. Cit., p. 198, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299, سعيد عاشور : الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٧٩ عن (Stevenson) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 52,

(١٦٣) Grousset : L'Empire, p. 184.

الاناضول وخلال الممرات المرتفعة فى طوروس كما قاموا لهم بدور المرشدين ، ثم ساعدوهم خلال حصار انطاكية . وعدد البابا جريجورى الثالث عشر تلك المساعدات التى قدمها الارمن ، بعد فترة طويلة حيث كتب يقول : « لم يقدم اى شعب او اية امة مساعدات تلقائية للصليبيين اكثر من الارمن، الذين امدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام» (١٦٤).

والواقع اننا نؤيد ذلك الراى الذى يذكر أن « الصداقة التى قامت بين الارمن والصليبيين فى أول الامر انما كانت تستهدف مواجهة العدو المشترك ممثلا فى الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الاسلامية من ناحية اخرى » (١٦٥) .

ففى مدن قيليقية ، وجد الصليبيون فى كل مكان مشايعين من السكان الارمن الذين ساعدوهم فى كثير من العمليات العسكرية (١٦٦). وفى مرعش قدم لهم حاكمها ثاتول الارمنى « كل ما استطاع من مساعدة » (١٦٧) .

انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبى واتجاهه الى الرها :

منذ وصول الجيش الصليبى الى قيليقيا كان بلدوين البولونى يرغب فى اقامة مملكة خاصة له فى الشرق وكان يشاركه فى تلك الرغبة ايضا تنكريد ابن أخت بوهيموند ، لذا انفصل الاثنان عن بقية الجيش الصليبى ليعملا لحسابهما(١٦٨). لكن حدث بينهما صدامان امام كل من طرسوس(١٦٩) والمصيصة (١٧٠) — سنتناولهما فيما بعد — وفى النهاية توجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها (١٧١) . أما بلدوين فقد لحق بالجيش الصليبى

(١٦٤) Sirarpie : Op. Cit., p. 12.

(١٦٥) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا الصغرى، ص ١٤٣

(١٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 207.

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p.298.

(١٦٨) F. Chalandon : Hist. de la Première Crois. p. 234, Zoé Oldenbourg : Les Croisades p. 111, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 180 - 181, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 300, Zoé : Ibid., p.p. 137 - 138.

(١٧٠) William : Ibid., p. 185, Setton : Ibid., V. 1, p. 301 Zoé : p. 138.

(١٧١) Setton : Ibid., Vol. 1, p. 301.

الأصلى فى مرعش وهناك علم بوفاة زوجته (١٧٢). وبعد مضى حوالى يومين فى ١٥ اكتوبر ١٠٩٧ م ترك بلدوين رفاقه من جديد ليبحث عن مستقر على ارض أرمينية (١٧٣) . ذلك بعد أن أخذ بنصيحة باكراد الأرمنى — اخو كوغ باسيل والذى سنتكلم عنه بعد قليل — بان قدره الحقيقى يرقد بعيدا فى الشرق على الفرات (١٧٤) . لانه هناك لن يلتقى بتنكريد مرة اخرى (١٧٥) .

وببداية بلدوين البولونى رحلته هذه تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخه كمؤسس لامارة الرها الصليبية وهنا يؤكد احد الأرمن ان بلدوين البولونى « اتجه تحت تأثير نصيحة الأرمن تجاه الشرق بدلا من الاتجاه الى السهل القيليقى واصبح بذلك على اتصال مباشر بالقوات الارمينية (١٧٦) » وانه بفضل باكراد الأرمنى نظم سيره فى قيليقية (١٧٧) . وعندما توجه الى الجنوب الشرقى من مرعش دبر باكراد اتصاله بجيرانه الأرمن وامرائهم « وفى كل مكان رحب به الأرمن كمنقذ ، اما اليعاقبة السوريون الذين كونوا بقية السكان ، فكانوا أكثر شكا ولكنهم لم يعارضوه (١٧٨) » .

اما عن اتصال بلدوين ببكراد فقد بدأ فى نيقية (١٧٩) . وهنا يذكر وليم الصورى ان معرفة بلدوين ببكراد كانت بعد هرب الأخير من السجن الامبراطورى (١٨٠) . ولو ان هناك اشارة لأحد اللاتين تذكر ان « بلدوين اطلق سراحه (١٨١) » ولكن من المرجح أن بلدوين ربما حماه بعد اطلاقه من سجنه . ولكن ماذا كان هدف باكراد من وراء تشجيعه الكبير لبلدوين ؟

---

(١٧٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 301, Zoé : Ibid., p. 138.

(١٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 49.

(١٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(١٧٥) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(١٧٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Albert)

(١٧٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

(١٧٩) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175.

(١٨٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 188
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، ج ٦ ص ١١

(١٨١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 353.
هنا يوضح Ioga ان باجراد كان قد حبس كرهينة فى القسطنطينية (Iorga : LéArménie Colicienne, p. 92).

هل كان صادقا فى معونته له لخدمة مصلحة بلدوين نفسه أم مصلحته هو ؟

هنا نرى وليم الصورى يصف باكراد بأنه « كان محاربا شجاعا ولكنه كان مخادعا الى درجة كبيرة ومشكوكا فى اخلاصه .. كان يحث بلدوين باستمرار على جمع القوات ليشاركه فى حملة على الاقاليم المجاورة وهي الاقاليم التى قال عنها انه يمكن السيطرة عليها بسهولة وبقوة صغيرة ، مما جعل بلدوين يقبل رأيه فى النهاية (١٨٢) » . فى حين يذكر رنسيمان « أن بلجراد كان يود ان يضمن مساعدة بلدوين من اجل تثبيت اركان الامارات الأرمينية القريبة من الفرات حيث يستقر اقاربه « (١٨٣) أما جروسيه فيقول ان باكراد كان يرى « أنه بفضل الاعتماد على الفرنج يمكنه أن يفوز باقطاع كبير يحكمه حكما متحررا ، وعند اللزوم يستطيع ان ينقلب ضدهم ليتخلص من قبضتهم القوية ، وكانت هذه هى سياسة فيلاريتوس تجاه منافسيه اذ ناور بين البيزنطيين والأتراك (١٨٤) » . ولكن مهما تكن نوايا باكراد فانه قدم خدمة جليلة لبلدوين بارشاده عبر الطرق الجبلية الوعرة .

وكان ان اصطحب بلدوين معه حوالى مائة فارس وعددا قليلا من المشاه وبدأ رحلته من مرعش تحت ارشاد باكراد (١٨٥) . كذلك استفاد بلدوين من المساعدات التى قدمها له بعض امراء الأرمن المحليين ، وبفضل هذه المعونة استولى على مدينتين هامتين هما تل باشر

---

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 188.

(١٨٣) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 54 عن (Albert)

(١٨٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 54 عن (Albert)

(١٨٥) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 188, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٧٦ عن (Albert) أن بلدوين انشق عن بقية الجيش الصليبى تحت ستار حماية ميسرة الصليبيين الزاحفين على انطاكية ليبحث لنفسه عن امارة جديدة صالحة فى البلاد الأرمينية .

وراوندان (١٨٦) . . وذلك فى عام ١٠٩٧م — ٤٩١هـ (١٨٧) .

وقد سهل فتح المدينتين مساعدة الأهالى الأرمن فيهما لبلدوين وثورتهم ضد الحاميات التركية وطردها الأمر الذى ساعد عليه ضعف تلك الحاميات (١٨٨) . وبعد أن تم الاستيلاء على المدينة منح بلدوين راوندان لبكراد وتل باشر لأمير ارمنى آخر اسمه فير (١٨٩) .

ويهمنا أنه حدث فى تلك المرحلة — أى اثناء وجود بلدوين فى تل باشر — أن استدعاه ثرروس الأرمنى حاكم الرها لمساعدته (١٩٠) . وقبل أن يلبى

---

(١٨٦) Setton : Ibid., V. 1, p. 302, Duval : Op. Cit., p. 278
وهنا ذكر دوفال أنهما ·
شمال غربى حلب . أما المصادر اللاتينية فتذكر أن بلدوين استولى على كثير من المعسكرات بالقوة تارة وبالحيلة تارة أخرى ومن بين تلك المعسكرات استولى على افضلهم ويسمى تل باشر .
Fulcherii Carnotensis : Historia Iherosolymitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 337 Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5 Part 1, p. 149.
اما عن راوندان فقد ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ ٩ ص ١٩ انها قلعة حصينة وكورة معشبة من نواحى حلب . واضاف ابن العديم انها قلعة صغيرة على راس جبل لا يحكم عليها منجنيق ولا تصل اليها نبل (ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٦٩).

(١٨٧) Grousset : L'Empire, p. 204,
اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨
عن (Albert) وهو يسمى القلعتين (راندل وتربسل وهى ترجمة حرفية لأسمائهما اللاتينية Turbessel, Ravendel - هنا نجد (شالندون) يخطىء فى ذكر تاريخ الاستيلاء على القلعتين حيث يذكر أن ذلك تم فى فبراير ١٠٩٩م — ٤٩٣هـ (
Chalandon : Hist. de la première Crois. p. 175)
ومما لا يرجح صحة هذا التاريخ ان المدينتين سقطتا فى ايدى الصليبيين قبل الرها التى تم دخولهم لها ١٠٩٨ م — ٤٩٢هـ .

(١٨٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (William)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ١ ص ١٨٠ عن (Michaud)

(١٨٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 302-303, Grousset. Ibid., V. 1, p. 54.

(١٩٠) Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 35.

بلدوين ذلك الطلب ويترك تل باشر ، كتب اليه (فير) تقريرا بأن باكراد يتآمر ضده فى راوندان (١٩١) ويبدو كما يقول (رنسيمان) « انه ليس هناك شك فى ان (فير) كان غيورا من باجراد الذى لم يرتكب ذنبا اكثر من الاتصال سرا بأخيه كوغ باسيل . لكن بلدوين لم يحسب حسابا لسوء العاقبة فدفع رجاله الى رواندان وقبض على باجراد الذى عذب ليعترف فلم يصرح سوى بالقليل النادر ثم هرب فورا ليحتمى بأخيه . وهكذا بدا واضحا لعقلاء الأرمن ان بلدوين جاء لا لكى يحررهم ولكن ليبنى لنفسه سلطانا (١٩٢) .

وبعد ذلك اعد بلدوين نفسه لعبور الفرات ، ليلبى طلب ثوروس الذى استنجد به (١٩٣) ولم تكن رحلته الى الرها آمنة ، اذ كمن له فى الطريق اتراك سميساط ، ولكنه نجا بفضل المساعدات التى قدمها له الأرمن فى تلك المنطقة (١٩٤) ، وربما نستطيع أن نتصور اهمية المساعدات الأرمينية لبلدوين البولونى من خلال تلك السطور التى كتبها (ميشو) : « لم يكن بلدوين فى حاجة الى مرشد ولا لنجدات فى منطقة هرع سكانها من كل الجهات للالتفاف حوله ، وكلما تابع سيره ، ذاعت شهرته حتى فى الأماكن البعيدة جدا حتى ان اخبار فتوحاته سبقته الى ما وراء الفرات حتى مدينة الرها (١٩٥) » .

وهنا نجد انفسنا مضطرين الى الالتفات لشئون الرها لمعرفة اخبارها وحكامها منذ ان بارحها فيلاريتوس بأمر السلطان السلجوقى ملكشاه

---

(١٩١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(١٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 303 هنا يضيف (Runciman) من الدبس : تاريخ سوريا جـ ٦ ص ١٢ ان باكراذ استحوذ على بعض الاماكن ولكن التاريخ لم ينبئنا ما آل اليه آمره .

(١٩٣) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 352, Balduni III : Hist. Nicaena, Op. Cit., T. 5, Part 1, p. 149.

(١٩٤) Fulcherii Carnotensis : Historia (R.H.C.) Hist. Occid.,) T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

(١٩٥) Michaud : Hist. des Crois., V. 1, p. 240.

١٠٨٧ : ١٠٩٤م (٤٨٠ ــ ٤٨٧ هـ) لتصبح اقطاعا للأمير السلجوقى بوزان (١٩٦) .

يقول ابو شامه انه حدث بعد مقتل سليمان بن قطلمش على يد تتش ان ملك تتش مدينة حلب دون القلعة وعندئذ ارسل اهل القلعة الى ملكشاه ليسلموها اليه وهو يومئذ بالرها . وكان سبب مسيره اليها ان ابن عطية النميرى كان قد باعها من الروم بعشرين الف دينار وسلمها اليهم ، فدخلوها وخربوا المساجد واجلوا المسلمين عنها . وكان أن سار ملكشاه اليها فحاصرها وفتحها واقطعها للأمير بوزان (١٩٧) الذى وعد الاهالى الأرمن فى الرها باحترام مصالحهم فسلموا له المدينة جميعا(١٩٨).

وكان ان ظل بوزان هذا حاكما للمدينة الى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عندما قتل فى الحرب بين تتش وعمه بركياروق (١٩٩) وعندئذ استولى احد رؤساء الأرمن وهو ثوروس بن هيثوم على الرها بوصفه تابعا لفيلاريتوس (٢٠٠) . وسار على نفس سياسته فى التأرجح بين أرضاء

---

١٩٦) Grousset : L'Empire, p. 183, Hist. des Crois., V. 1, p. 52, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 3, p. 997.
وهنا يعدد لنا دفريمبرى اختلافات نطق اسم بوزان عن المراجع المختلفة مثل « بوزان ، توزان ، بوزار » .
(M. Defremery : Hist. des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848, p. 455).

(١٩٧) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٠

(١٩٨) Grousset : L'Empire, p. 183.

١٩٩) الأثير : الباهر ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ص ١٥ ، ابو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٥ ــ ٦٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٥ : ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ٩ ص ٧٦/٧٧ . وهنا يرجع الحسينى : أخبار الدولة السلوجوقية ، ص ٧٢ : ٧٦ مقتل بوزان الى عدم اسراع بريكاروق لنجدة قسيم الدولة آقسنقر وبوزان بسبب انشغاله مع اتابكة الأمير الاسفسهلار كمشتكين الجاندار بالشرب ويعقب على ذلك ببيت للصدر عماد الدين يوضح ذلك فيقول :

قد غرقنا فى الشرب والسكر حتى لم نفكر فى سنقر وبزان

(٢٠٠) The Cambridge Medieval History : V. IV, Part 1, p. 628.

كل من الأتراك السلاجقة من ناحية والبيزنطيين من ناحيـة أخرى » فقد تحـاشى الدخول فى صراع مع الأتراك ، ووفقا لملاحظة جيوبرت النوجنتى ، حفظ الرهـا من هجمـات الأتراك بالمفاوضات ودفـع الجزية فى الوقت المناسب ، لابالسلاح (٢٠١) » . وفى نفس الوقت فعل مثلما كان يفعـل فيلاريتوس من قبل ، فجعل سلطته شرعية باعترافه بالتبعية للامبراطور البيزنطى (٢٠٢) .

أما ثوروس هـذا فكان هو حاكم الرهـا عند وصول الحملة الصليبية الأولى الى الأطراف الشرقية لآسيا الصغرى ، وكان ذلك فى وقت أحس ثوروس بأن امارته الأرمينية انتابها الضعف . وانها لم تظل على قيـد الحياة حتى ذلك الوقت الا بفضل سياسـة المهادنة التى اتبعها تجـاه السلاجقة . والحق أن الرها كانت عندئذ مجاطة من كل الجهات بممتلكات السلاجقة ، بحيث بدا من المتعـذر أن تفلت من القدر الذى ينتظرها على أيديهم . وهكذا كان وصول الفرنج الى الشام مما أوجد للأمير الأرمينى فرصـة كان يتمناها (٢٠٣) .

---

(٢٠١) سعيد عاشور
الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٧٩ عن (Guibert de Nogent)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 52-53.
(فقد اثره تتش اخر السـلطان ملكشاه فى حكم الرهـا سنة ١٠٩٤م)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٠١ ،

(٢٠٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (Mattieu, Michel) Cruasades, p. 60.

الباب الأول

قيام امارة الرها الصليبية واحوالها الداخلية

رأينا كيف كانت الرها بمثابة جزيرة مسيحية وسط محيط من الاتراك المسلمين ، كما رأينا كيف نجح ثوروس الارمنى بمعجزة فى المحافظة على ذلك الحصن المسيحى البارز على أرض اسلامية ، لكنه أخذ يفقد الأمل كلما تقدم به السن واشتد الخطر التركى على امارته (١) . وجاء ذلك فى الوقت الذى كانت شهرة بلدوين البولونى قد بلغت آفاقا رحبة بعيدة (٢) وذاعت شجاعته فى حروبه ضد كل أعدائه (٣) .

لذلك فكر ثوروس فى طلب المساعدة من بلدوين البولونى ولكنه فى نفس الوقت صمم على أن يستفيد من قوة الصليبيين دون أن يسمح لهم باستعباده (٤) . ومعنى ذلك أنه أراد أن يستغل بلدوين لخدمة مصالحه أى بوصفه « جنديا مرتزقا على أن يكافئه بسخاء » (٥) . ولكن من المرجح أن ثوروس لم يفصح عن نيته هذه لأحد حتى أشد المقربين اليه بدليل ما سيتعرض له بعد ذلك من معارضة حين تتكشف سياسته لبلدوين ولأهالى الرها انفسهم .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل ثوروس الى بلدوين فى تل باشر يتوسل اليه أن يحضر لنجدته ضد أعدائه الأمراء المجاورين «الذين اقلقوه كثيرا(٦)»

---

(١) Grousset : L'Epopée des Croisades, p. 56.

(٢) Fulcharii : Carnotensis : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid, T. 3, p. 337.

(٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 352.

(٤) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 54.

(٥) C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 210, Grousset : L'Epopée p. 56, L'Empire, p. 204.

(٦) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p. 35, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.

بينما انفرد احد المصادر اللاتينية بقوله أن ثوروس استدعى بلدوين « ليسكت معارضيه فى الدولة (٧) » . ولهذا الغرض أرسل ثوروس سفارة من الرها تكونت من أسقف المدينة يرافقه اثنى عشر كبيرا من كبار الامارة ، فطلبوا من بلدوين الحضور الى مدينتهم لحمايتهم من الأتراك (٨). ويقال انه من أسباب تلك الاستغاثة او ربما كان السبب المباشر لها هو ما ذكر من ان كربوغا اتابك الموصل كان يعد فى ذلك الوقت جيشا عظيما ليتجه لنجدة انطاكية ، مما اثار المخاوف من أن يستولى فى طريقه على الرها وغيرها من الولايات الأرمينية (٩) .

ومن هذا يفهم ان استغاثة ثوروس كانت غير مشروطة بشروط معينة وأنه كان يطلب النجدة فقط . وبعبارة أخرى فانه لم يفهم من ظاهر هذه الاستغاثة رغبة ثوروس فى استخدام بلدوين كأجير مرتزق ، يعمل لحسابه ضد الاتراك ، وان كان بعض المؤرخين ذكروا أن استغاثة ثوروس كانت تتضمن مؤازرة بلدوين لثوروس ضد الاتراك مقابل اجر مجز (١٠). والراجح ان بلدوين لم يكتشف هذه الحقيقة وهو فى راوندان، وانما اكتشفها بعد أن وصل الى الرها ذاتها (١١) .

ولا عبرة هنا بما جاء فى بعض النصوص المعاصرة من أن بلدوين لم يكن يعلم شيئا عن الرها حتى وصوله اليها صحبة رجاله ، وأنه تعرض لأطرافها بالنهب والسلب (١٢) . اذ لا يعقل ان بلدوين قام بعمليات أسر ونهب فى منطقة ارمينية .. مع ان مرشديه كانوا من الأرمن ، هذا فضلا عما فى هذا الرأى من تعارض مع ما ذكره وليم الصورى من تقرب الأرمن

---

(٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 352.

(٨) Alberti : Ibid., p. 352.

(٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Runciman: Op. Cit., V. 1, p. 203. (Albert of Aix) عن

سعيد عاشور و الحركة الصليبية حـ ١ ص ١٨١

(١٠) C. Cahen : Op. Cit., p. 210.

(١١) C. Cahen : Ibid., p. 210.

(١٢) Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p.p. 80 - 81 حاشية

لبلدوين وتمجيدهم له (١٣) . والأصوب هو ما ذكر فولشر ونصه « ما أن عبرنا أمام الأرمن واتضح أننا نتقدم ونحمل الصلبان والأعلام معلنين حبنا المتواضع للسيد المسيح ، حتى قبلوا اقدامنا وثيابنا الممزقة ، لأنهم سمعوا أننا فى سبيلنا لحمايتهم من الأتراك (١٤) » .

ومهما يكن من أمر فان بلدوين لم يكد يتلقى سفارة ثوروس حتى استجاب لها فى الحال لما رأى فيها من اتفاق مع طموحه ، فجد فى المسير فورا ليعبر الفرات فى نحو ثمانين فارسا فقط ، فى حين ترك بقية اتباعه لحراسة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات (١٥) .

وعند وصول بلدوين الى الرها فى فبراير ١٠٩٨م (١٦) (٤٩٢هـ) استقبل استقبالا رائعا صوره لنا المؤرخون (١٧) ، مما اثار شعور الغيرة والحسد فى نفس ثوروس الذى اخذ يحس أن زمام الأمور سوف يفلت من يديه أمام

---

(١٣) William : Op. Cit., V. 1, p.. 188 - 189.

(١٤) Fulcherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 337.

(١٥) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 190. أما متى الرهاوى فيذكر أن عدد فرسانه كان ستونا . (Mattieu : Op. Cit., p. 36) فى حين يشير مصدر لاتينى آخر أنهم كانوا ثمانون . Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 149.

(١٦) Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 55, Runciman Op. Cit., V. 1, p. 24 من (Albert) ذكر المرجعان أن ذلك كان فى بداية فبراير أما اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨ فيذكر « انه دخل مدينة اذاسا فى العشرين من فبراير ١٠٩٨م » . من (Hagenmeyer : Chronologie)

(١٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae Liber III T. 4, p. 352, William : Op. Cit. V. 1, p. 191, Miehaud ; Op. Cit. V. 1, p. 242.

قوة شخصية هذا القائد وامام حب الأهالى الجارف له (١٨).ويروى بعض المؤرخين المعاصرين ان ثورس « حسد بلدوين سرا وبعمق من كل قلبه » (١٩) . فى حين ينكر وليم الصورى أن ثوروس « بدأ يفكر فى التخلى عن الترتيبات التى أقحم نفسه فيها . فعندما استنجد ببلدوين كان قد عزم على أن يقتسم معه ايرادات المدينة ، على أن ينفرد بلدوين بكل شىء بعد وفاة ثوروس . ولكن الأخير عاد بعد وصول بلدوين الى التفكير فى أن يمد بلدوين المساعدة للمدينة وأهلها ضد ضغط الأتراك،ويحميها من عدوانهم مقابل أجر معين . وهنا اخذ بلدوين يتساءل كيف يقبل ان يعمل أجيراً مقابل مكافأة سنوية »(٢٠) .

ومن هذا النص نستنتج أن ثوروس كان لديه تفكير سابق بأن يجعل بلدوين شريكا له فى الحكم ثم خليفة له ، ولكنه عاد فعرض على بلدوين أن يحميه هو وشعبه مقابل مكافأة سنوية محترمة .

ويبدو هذا بوضوح فى النص اللاتينى الذى يشير الى أن ثوروس عرض « أن يقدم الى بلدوين كثيرا من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والآلاف من الخيل وكميات كبيرة من الأسلحة على شرط ان يثبت له وللأهالى والجهات المواجهة لكمائن الأتراك انه سيدفع عنهم خطرهم(٢١) » . ويقول وليم الصورى « أن بلدوين رفض باحتقار هذا الاقتراح الذى يعنى اعطاء بلدوين أجرا مقابل خدماته كأى جندى عادى ، وبدأ يعد العدة للعودة »(٢٢) . ويشير جروسيه أن بلدوين هدد « بالتخلى عن مهمته(٢٣) » بل اشترط « اما أن يقتسم السلطة مع ثوروس أو يترك

---

(١٨) Cahen : Op. Cit., p. 210.
(١٩) Albert Aquensis : Historiae... Liber III, T. 4, p.p. 352-353.
(٢٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 353.
(٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢٣) Grousset : L'Empire, p. 204.

الرها ويتنازل عن المدينة لهجمات الأتراك »(٢٤) . .

وثمة رأى فى التاريخ خلاصته ان ثوروس تبنى بلدوين . ولا ندرى هل ثوروس هو الذى ابتدع هذا الرأى ؟ أم أن بلدوين هو الذى أجبره على ذلك ؟ أم ان هذه الفكرة كانت رغبة أهل الرها أنفسهم ؟ أم رغبة أعيان البلد الممثلين فى مجلس الشيوخ المساعد لثوروس فى الحكم ؟

هناك اشارات فى المصادر المعاصرة الى أن هذا الاتجاه نبع من تفكير ثوروس نفسه حيث ورد فى بعض تلك المصادر ان « هذا الأرمنى كان شيخا لم ينجب أولادا ، ولذا تبنى بلدوين ليتخذه ابنا له ، اذ رآه رجلا ذا شخصية جذابة وممتازا فى احساسه ويحمل شيم بنى جنسه»(٢٥). هذا فى حين جاء فى مصادر اخرى ان بلدوين « أجبر ثيودور على تبنيه وجعله وريثه » (٢٦) . أما وليم الصورى فقد ذكر ان هذا الاتجاه جاء وليد الرأى العام واجماع أهالى الرها أنفسهم ، وعندما أحس ثوروس بالحاحهم وافق وأذعن على مضض(٢٧) .

أما عن موقف اعيان الرها ومجلس شيوخها من بلدوين فيقال انه بمجرد أن هدد بلدوين بترك البلد والعودة من حيث أتى « وانه ليس فى الامكان الحفاظ على بلدوين بالذهب أو الفضة أو بأية خدمات ذات قيمة عظيمة ، توجه الأعيان الى ثوروس وتوسلوا اليه بكافة الوسائل والرجاء الا يسمح لمثل هذا الرجل النبيل والمدافع القوى بالعودة وأن يتخذه شريكا لنفسه من أجل المحافظة على مصير الامارة »(٢٨) .

عندما لمس ثوروس اصرار الاثنى عشر شيخا وكل المواطنين وتعاطفهم

---

(٢٤) Grousset : L'Epopée, p.p. 56 - 57.

(٢٥) Baldrici Epicopi Dolensis : Historia, (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 81.

(٢٦) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 289, Duval : Op. Cit., p. 278.

(٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 353.

مع بلدوين استجاب لرغبتهم « عن رضى أو عن غير رضى » واتخذ بلدوين ابنا له بالتبنى (٢٩) .

وهكذا تم تبنى ثوروس لبلدوين وفقا لمراسيم التبنى فى الكنيسة الأرمينية فى القرن الحادى عشر(٣٠) . وتم ذلك فى حضور سكان المدينة وفى احتفال مهيب (٣١) . وهنا تذكر المصادر اللاتينية أن الثقة سرعان ما سادت بين بلدوين وثوروس وتقويت صلة الأبوة والبنوة بين الاثنين(٣٢) . ولكن يبدو أن تلك الثقة لم تدم طويلا .

والواقع أن تبنى ثوروس لبلدوين صار يرمز الى حكم مشترك « ارمنى — فرنجى » على الرها (٣٣) . وبعد ذلك التبنى مباشرة خرج بلدوين الى سميساط لمحاربة أميرها وكان بصحبة قسطنطين حاكم

---

(٢٩) Alberti : Ibid., p. 353. William : Op. Cit. V. 1, p. 191.
Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 337,
ويحكم هذا التبنى أصبح بلدوين الوارث الوحيد لثوروس
Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena
— Cap XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 149.

(٣٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 56,
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ١٨٢ . عن
(Guibert de Nogent)
Grousset : L'Epopée, p. 57.
وهنا يشير جروسية « انه بارتباك وطبقا الشعائر العصر مرر العجوز الأرمنى (ابنه) عاريين لحمه وقميصه . . . الى آخر الشعائر ويؤيده فى ذلك
(Zoé Oldenbourg : Les Crois. p. 140).

(٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.

(٣٢) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 353.

(٣٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 58.

كركر لكنهما لم يوفقا وعادا سريعا(٣٤) . وما كاد بلدوين يعود من تلك الحملة حتى اخذ اهالى الرها يدبرون مؤامرة للتخلص من ثوروس ، وكأنهم لم يكفهم ما حدث له ولسلطانه الذى اصبح مناصفة بينه وبين بلدوين البولونى . والحقيقة ان عوامل الكره لثوروس ترجع الى اسباب عديدة اولها واهمها فى نظر الأهالى عقيدة ثوروس البيزنطية (٣٥) . ويفسر (اولدنبرج) ذلك بقوله « ان امراء الرها الأرمن اجبروا ، كى ينجحوا فى العمل فى الجيش البيزنطى ، على تقبل مذهب القسطنطينية الذى اخذ بالطبيعتين ، وبذلك غدوا منفصلين معنويا عن شعبهم الأصلى ، فضلا عن انفصالهم عن السكان الوطنيين المتمسكين بالمذهب اليعقوبى . ولم يشذ ثوروس عن هذه القاعدة .. فأصبح فى نظر المسيحيين الشرقيين أرمنى الجنس بيزنطى العقيدة(٣٦) .

فاذا أضيف الى ذلك ان ثوروس كان بخيلا (٣٧)) . ومكروها بسبب استبداده (٣٨) وانه أرهق رعاياه بالضرائب ليرضى جشع الأتراك ويدفع لهم الأموال (٣٩) . فضلا عما يقال من ان سخط الأهالى عليه يرجع الى « دوافع خلقية » (٤٠) . أدركنا فى النهاية أسباب التآمر ضده فى ذلك الوقت . هذا وان كان متى الرهاوى يعتبر ان كل تلك الأسباب الصادرة عن الرهويين : « والتى تمسك بها المؤرخون اللاتين ، لم تكن سوى ، عللا وضعوها لكى يبرروا خيانتهم لثوروس وتآمرهم ضده ،

---

(٣٤) Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p.p. 36 - 37, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304, Archer : Op. Cit., p. 61. عن Albert)

(٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 210, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208

(٣٦) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 139.

(٣٧) Cahen : Op. Cit., p. 210.

(٣٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. Grousset : Hist. des Crois. ; V. 2, p. 867 عن (Albert)

(٣٩) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

حتى تتلوه وسط هيـاج شعبى مفتعل (٤١) . وقد تناسى هؤلاء الثوار ان ثوروس هذا كان لا يستحق تلك النهاية بعد ما قدمه من خدمات عـديدة للمدينـة ، لانه « بسبب مهارته الحـذرة وبعبقريته وشجاعته استطاع ان يجنبها فعلا خطر السقوط فى قبضة المسلمين »(٤٢) . ويقال أن اهـالى الرها دبروا مؤامرتهم بمؤازرة قنسطنطين حاكم كركر(٤٣) . ولكن الذى يعنينـا ويتطلب منـا وقفة قصيرة هو دراسة الدور الذى اسهم به بلدوين فى تلك المؤامرة . او على الأقل دراسـة موقفه منها .

هنا نجد بعض المؤرخين المعاصرين مثل فولشر يصمت عن الادلاء باى اشارة عن هذا الوضـوع ، فى حين نجد متى الرهاوى ينهم بلدوين صراحة بالمشاركة فى المؤامرة (٤٤) . هـذا فضلا عن فريق ثالث يشير الى ان بلدوين « احيط بخفايا المؤامرة ولكنه رفض أن يشارك فيها (٤٥) . ومن المرجح ان بلدوين كان على علم بالمؤامرة ولكنه ابتعـد عن الظهور على

---

(٤١) Mattieu : Op. Cit., p. 30.

(٤٢) Mattieu : Ibid., p. 37, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 56.

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (Mattieu من

(٤٣) Mattieu : Ibid., p. 37, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 304, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 من Alberti), Cahen : Op. Cit., p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 57.

(٤٤) Mattieu : Ibid., p.p. 37 - 38, Chalandon : Hist. de la premiàre Croisade, p. 176. Augustine Fliche : Hist. du Moyen Age, T. 11, p. 570.

(٤٥) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 354, Zoé : Oldenbourg : Op. Cit., p. 140 عن (Albert) وهنا يذكر البرت انه عندما طلب أهالى الرهـا من بلدوين مشـاركتهم فى التخلص من ثوروس قال لهم : يجب الا ارتكب خطأ باستخدام القوة ضد هذا الرجل دون سبب ، الذى لخـذته والدا ووضعت ثقتى فيه . وانى اتوسل اليكم أن تسمحوا الى ان لا الوث بموته وبدمـه . وان تجعلوا اسمى خسيسا بين قـادة الجيش المسيحى .

مسرح الجريمة مع المتآمرين ، حيث ذكر انهم « اجتمعوا معه وذكروا له انهم سيجعلوه سيدا اوحدا على الرها اذا تركهم يتخلصون من ثوروس (٤٦) » . اى انه « اخبر بها لكنه ابعد عنها (٤٧) » . .

كان بلدوين موجودا فى القلعة التى هاجمها الثوار ومعه قواته المسلحة ، وكان من الممكن بسهولة ان يمنع الهياج المدبر ، اذا اراد ذلك ، لكنه لم يقدم على شىء وترك ثوروس يلقى مصيره(٤٨) .

وفى ٧ مارس ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) قام الثوار بنهب منازل كثير من المتصلين من طريق الخدمة بثوروس واحتلوا الجزء العلوى من القلعة . وفى اليوم التالى تجمعوا ليحاصروا الجزء الداخلى حيث كان ثوروس محبوسا ، وشددوا الحصار بدقة (٤٩) . وعندئذ حاول بلدوين أن يقوم بدور الوسيط بين الثوار وثوروس . فذهب اليه وطلب منه أن يسلم خزائنه للثوار فى مقابل التعهد بحمايته هو وزوجته . وقد نقل لنا البرت كلام بلدوين الى ثوروس فقال : « تآمر كل المواطنين وحكام هذه الامارة ضدك وهم يسرعون نحو هذه القلعة بكل انواع الاسلحة وفى هياج شديد وفى تهور واندفاع ، وهذا كله يسبب لى الالم والضيق الشديد . لكن اذا كان فى استطاعتك أن تطلق سراح نفسك باية وسيلة ، او بالتنازل عن كل سلطاتك ، فلن اتوان فى الاسراع اليك » . وكان ان استمع ثوروس بسعوبة الى كلام بلدوين (٥٠) . ثم قدم له صليبين من اكبر الآثار المقدسة تبجيلا فى ارمينيا القديمة ، فحلف بلدوين على تلك المقدسات المبجله بالايصاب ثوروس بأذى اذا نفذ ما طلب منه . وعندئذ سلم ثوروس القلعة

---

(٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 37, Alberti Aquensis : Ibid., p. 354, Grousset : L'Epopée, p. 57.

(٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 210, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 - 206.

(٤٨) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140.

(٤٩) Grousset : Hist. des Crois , V. ,1, p. 57, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 245, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206.

(٥٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 354.

لبلدوين فدخلها مع كل اعيان المدينة(٥١) .

وثمة رواية أخرى تقول ان ثوروس استدعى بلدوين « وسكب امامه خزائنه بغزارة ملتمسا منه التشفع لمصلحته لدى الاهالى (٥٢) » . ويصور لنـــا احد الصليبيين تلك الخزائن بقوله : « كشف عن خزائنه (ثوروس) الهائلة والتى لا مثيل لها فى السماء بما فيها من آنية ذهبية وفضية وعملات بيزنطية »(٥٣) . ويبدو ان المتآمرين وافقوا بعد ذلك على ان يخرج ثوروس من القلعة ويرحل حرا غير مســـلح (٥٤) . فينزح الى ملطيـــة التى كان اميرها جبريل والد زوجته (٥٥) . ثم عاد الأهالى وندموا من جديد على تركهم ثوروس حيا « وصاحوا بالاجماع الا يتركوا ذلك الرجل يخرج حيا او معافى حتى لا يحدث اى تغيير للظروف او استرداد للأشياء »(٥٦) . ويعبر (ميشو) عن ذلك بانهم اتهموه « بانـــه لم يوقـــع على الصـــلح الا مخادعا (٥٧) » . لذلك اندفعوا نحو القلعة ونادوا بموت ثوروس اخترقوا القلعة فى ضوضاء « وامسكوا بثوروس والقوا به من اعلى الاسوار (٥٨) »

أما وليم الصورى والبرت فيذكران انه فى حالة شعور ثوروس باليأس . حـــاول أن يهرب من احـــدى النوافذ عن طريق حبل ولكن عندما بدا ينزل

---

(٥١) Matthieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 57, L'Epopée, p. 57.

(٥٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

(٥٣) Albert Aquensis : Historiae Liber III, T: 4, p. 355.

(٥٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 355.

(٥٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert)
هنا يذكر ميشو (انـــه بمجرد ان استسلم ثوروس ووعـــد بالتنـــازل عن حكومة الرها وطلب الانســحاب مع عائلته الى ملطية حتى قوبل ذلك الاقتراح بفرح وحلف الأهالى على الصليب وعلى الأنجيل باحترام الشروط)
Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 355.

(٥٧) Michaud . Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٨) Michaud : Ibid., p. 246.

على الحبل رشق جســـده بالاف السهام فسقط ميتا . (٥٩) . بل أنهم سحلوا جثمانه فى الشوارع وقطعوا رأســه وحملوا جثمانه للتشهير به فوق الحراب خلال كثير من قرى الامــارة (٦٠) . والواقـــع أننا نطل من وراء هــذا النص على البدايـــة المبكرة لعمليـــة الســـحل والتمثيل بالجثث .

هنا يكتفى فولشر بقوله ان بلدوين « تملكه الحزن هو ورجاله فلم يكن فى استطاعتهم عمل شىء من اجله » (٦١) دون أن يشير الى المؤامرة باى شىء، وربما يرجـــع ذلك الى شـــدة قربة ببلدوين حيث كان قسيســه الخـــاص . وهناك رأى وحيد يشير الى « ان بلدوين اشترك بالفعل فى المؤمراة وان له يدا فى مصرع ثوروس وأنه اشترك مـــع زوجـــة ثوروس فى تدبير المؤامرة ليخلو له الجو ، ثم يتزوج منها بعـــد ذلك لكى يضفى على حكمه للبلاد صبغة شرعية (٦٢) » . وهو رأى قـــد يكون بعيدا عن الحقيقة فى نظرنا ، خاصة واننا لم نجد ما يؤيده فى المصادر المعاصرة

وفى ٨ مارس ١٠٩٨م « على الرغـــم من اعتراض بلدوين ، نـــادى الأهالى به حاكما لهم وحلفوا يمين الولاء لـــه وقـــادوه فى موكب عظيم واجلال الى داخل قلعة المدينـــة حيث اغدقوا عليه كل الأموال والثراء الواســـع الذى احتزنه حاكمهم الســـابق خلال سنوات عديدة ..وبهذا عاد للمدينة الأمن والطمانينة (٦٣) » .

والواقـــع اننا حين نعلق على موقف بلدوين نستطيع أن نقول انـــه كان على جانب كبير من الدهاء والمكر والذكاء . فهو فى بدايـــة امره كان يتطلع — شـــأنه شأن باقى امراء الحملـــة الصليبيـــة الأولى — الى ان

---

(٥٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 355. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 193 - 194.

(٦٠) Alberti : Ibid, p. 355, William : Ibid., p. 194. Mattieu Op Cit, p 38

(٦١) Fulcherii Carnotensis : Historia ..Hist Occid. T. 3, p. 338.

(٦٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٢٠٥ .

(٦٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist Occid T. 4 p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

تكون له امارة يحكمها فى الشرق . وعندما أراد ثوروس ان يجعل منه جنديا مرتزقا هدد بالانسحاب وهو واثق كل الثقة انه ـ وشعبه ـ لن يتخلوا عنه . ثم عندما دبرت المؤامرة ضد ثوروس رفض بلدوين المشاركة فيها جهرا ليظهر امام ثوروس فى صورة الرجل المحافظ على عهوده ، ومن ناحية اخرى حتى لا يكون مثارا لشك الأهالى بعد نجاح المؤامرة واخيرا وبعد ان تمت المؤامرة وقتل ثوروس ؛ وعرض عليه حكم الامارة اذا به يتمنع وهو راغب كل الرغبة فيها .

لكن هل جاءت فكرة تاسيس بلدوين « لامارة الرها الصليبية » وليدة الظروف نفسها ؟ بعد استدعاء ثوروس له ومقتل الأول واختيار الأهالى لبلدوين مكانه ، أم ان تلك الفكرة كانت موجودة أصلا لدى بلدوين ، وتم تنفيذها ، عندما اتيحت لها الفرصة ؟ .

هنا نجد « أولدنبرج » يشير الى أن بلدوين ، « لم يفكر ابدا فى فتح كنيسة القيامة ـ يقصد بيت المقدس ـ بل كان لديه نشاط جامح لاقامة مملكة خاصة به فى الشرق (٦٤) » . لذلك نجد أن بلدوين انفصل عن بقية الجيش الصليبى منذ وقت مبكر ـ وشاركه فى ذلك تنكريد ابن اخت بوهيموند ـ ليعملا لحسابهما (٦٥) . بل ان البعض يؤكد ان رغبة كل من بلدوين وتنكريد كانت اقتطاع امارات لانفسهما فى آسيا الصغرى (٦٦) . هذا الى جانب راى وحيد انفرد بالقول بأن هذه الفكرة نبعت من منافسة بلدوين لتنكريد كرد فعل على « محاولته تاسيس امارة بالشرق لعمه بوهيموند (٦٧) » . لكن من المرجح ان عنصر المنافسة وحده لايكفى أن لم تدعمه الامكانيات المختلفة . والواقع ان الفكرة كانت كامنة لدى بلدوين حتى كشف عنها فى الوقت المناسب عندما وجد المكان الصالح لتحقيقها وكان أن وجد فى اقليم الرها السكان الأرمن المتلهفين على قدوم الصليبيين « وعندئذ ظهرت له أرض افضل للعمل بما يتفق مع خططه . ولكى ينجد مسيحيى

---

(٦٤) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 141.

(٦٥) F. Chalandon : Hist. de la première Crois. ; p. 234, Zoé Oldenbourg : Ibid.. p. 111.

عادل زعيتر : حضارة العرب د الطبعة الثانية ص ٣٩٩ .

(٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(٦٧) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، ص ٣١ . وهنا المفروض خاله وليس عمه .

الشرق ، من الأفضل أن يتحالف مع أولئك المسيحيين ضد الأتراك وعندئذ تصبح لديه بعض القوة ، التى رتب لها ، فهو لم يفكر فى قهر أرض على جانب من الأهمية بدون الاعتماد على السكان الوطنيين . وفى اقليم الرها يمثل الأرمن القوة الحقيقية . والواقع انها لم تكن مدينة محتلة بواسطة الأتراك ، لكنها كانت مدينة مسيحية رغب بلدوين أن يصبح سيداً لها » (٦٨) .

وهكذا باءت بالفشل محاولة ثوروس فى اقامة حكومة ارمينية فرنجية (٦٩) . فقد كانت امارة الرها التى حكمها ثوروس بمفرده بيزنطية ارمينية ، ثم اصبحت لاتينية ارمينية بعد تبنيه لبلدوين (٧٠) . ثم تحولت شيئا فشيئا حتى أصبحت امارة لاتينية صرفه (٧١) .

حكم بلدوين البولونى منفردا للرها : ١٠٩٨ — ١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) .

تجمع غالبية المصادر التاريخية على ان امارة الرها هى أولى الامارات التى أسسها الصليبيون فى الشرق ، وان تأسيسها يرجع الى بداية مارس ١٠٩٨م (٧٢) (٤٩٣هـ) (٧٣) وهى السنة التى انفرد فيها بلدوين بحكم الرها بعد مقتل ثوروس .

(٦٨) Zoé : Op. Cit., p. 139.

(٦٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 629.

(٧٠) Grousset : L'Empire, p. 297,

(٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٤ ؛ Grousset : Ibid., p. 184.

(٧٢) William : Op. Cit., 1, p. 194, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 304. هنا اخطأ البعض فى ذكر تاريخ تاسيس الامارة (الميلادى) فقد أشار مرجعان أنها قهرت بواسطة الصليبيين سنة ١٠٩٩م وهما : Dictionnaire d'Histoire et de Geographie T. 14, p. 1422, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 1. فى حين يشير مرجع آخر الى أن ذلك كان سنة ١٠٩٧م Cam. Med. Hist. V. V., p. 301 (1936).

(٧٣) هنا أيضا اخطأت بعض المصادر فى ذكر التاريخ الهجرى فمثلا ابن أيبك الدوادارى كنز الدرر ، جـ ٦ ص ٤٥٠ يذكر ان ذلك كان سنة ٤٩٠هـ . أما التاريخ المظفرى : ميكروفيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث سنة ٤٩١هـ ، أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٩ فيذكران ان ذلك كان ٤٩١هـ .

وهكــذا دخلت الرهــا فى حوزة الفرنــج بعــد أن « كانت مركزا بيزنطيا فى مواجهة مركز اسلامى فى حران » (٧٤) . والواقــع أنه اذا كنا قــد بينا من قبل اهمية تأسيس امارة الرهــا بالنسبة للبناء الصليبى فى الشرق ، فان بعض البــاحثين يرون أن تأسيس امــارة الرهــا يعتبر ســابقة خطيرة ، لأنه شجع بقية أمراء الحملة الصليبية الأولى على أن يحذوا حذو بلدوين فى تكوين امارات لأنفسهم مما يهدد وحدة الكيان الصليبى فى الشرق (٧٥) .

وكان أن تكونت فعلا فى الشــام أربع امارات صليبية اختلفت أهدافها باختلاف أصول مؤسسيها . وفى ذلك يقول (بروييــه — Prawer) أن امارة الرها كانت امارة أرمينية لورينية،(٧٦)ثم امارة انطاكية التى اسسها بوهيموند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية وامارة طرابلس التى شيدت على الأسس التى وضعها ريموند الصنجيل كانت امارة بروفنسالية Provençale ومملكــة بيت المقدس ، امــارة لورينيــة وفرنسية شمالية (٧٧) .

وقــد اختلفت امارة الرهــا عن بقية الامارات الصليبية بأنها اخــذت ولم تقهر (٧٨) أو بمعنى آخر تحولت السلطــة فيهــا من رئيس أرمنى الى رئيس فرنجى (٧٩) .

امــا عن شخصية مؤسس امــارة الرهــا الصليبية ، وهو بلدوين البولونى او بلدوين دى بوايون (٨٠) الــذى حكم الرهــا من ١٠٩٨ —

---

(٧٤) Cahen : Op. Cit., p. 111.

(٧٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 56, Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 77 عن (Gesta Franc)

(٧٦) ســار على رأس أحــد الجيوش الصليبية ، الذى جند من فالونيا وفــلاند واللورين ، قــادة فرنســيين هــم : جــود فرى دى بوايون Godefroy de Bouillon واخويــه بلــدوين وايوســتاش وابن خــاله بلــدوين دى بــورج . (F. Charles — Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 15).

(٧٧) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 249.

(٧٨) J. Prawer : Ibid., p. 249.

(٧٩) Cahen : Op. Cit., p. 225.

(٨٠) وبوايون Bouillon هى مدينــة فى بلجيكا بمقاطعة لوكسمبرج =

١١٠٠م (٤٩٢ — ٤٩٤هـ) (٨١) فالمعروف أنه كــان أخــا لجود فرى دى بوايون وكان يصغر أخــاه بسنة أو اثنتين . (٨٢) جمعته هو واخوه بعض صفات مشتركة فقد كانا « جنديين ذوى مقدرة عالية » (٨٣) .م كذلك تشابها فى الفطرســة والتكبر (٨٤) .

وتلقى بلدوين فى طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحى المدنية والدينية « فلم يختلف بلدوين عن بقية صغار العائلة العظيمة ، اذ تربى تربية اميرية حسب معايير العصر » (٨٥) هذا فضلا عن انه « كرس فى طفولته للدولة الاكليروسية » (٨٦) ومن ناحيــة أخرى كان ذكيا طماعا ، صريحا ، مرنا ، سريعا ، وهب طموحا شــديدا كما كان رجل سياســة ورجل دولــة (٨٧) .

والواقع أن بلدوين عرف منــذ البدايــة أنه لايستطيع ابدا الاعتماد الا على خاصته ولكن بالرغم من انــه لم تكن له شعبية مثل أخيه جود فرى أو مثل بوهيموند ، الا انه عرف كيف يجعل نفسه محترما، مهاب الجانب ، لشجاعته وحزمه وحسمه للأمور فرضت احترامه على كل من أصدقائه

= شمال فرنســا . وكــانت بوايون فى القرن الحادى عشر الميلادى تحت حكم أمراء الأردن Ardennes والذين تولى خمســة منهم فيما بين ١٠١٢ — ١٠٦٩م منصب دوق اللورين الجنوبى بواسطة ملوك الجرمان . ولمــا كانت بوايون هى قلعتهــم الرئيسية فقــد اصبح من المــألوف أن يلقب هؤلاء الأمراء : بأمراء بوايون ، رغم أن بوايون نفسها لم تكن دوقية . والى بوايون هــذه ينسب أميرنا الصليبى بلدوين .

Encyclopadia Britannica, V. 4, p. 12 (1768)

(٨١) Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٨٢) Zoé : Op. Cit., p. 116.

(٨٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 179, Zoé : Ibid., p. 116.

ويضيف المرجــع الأخير بأن بلدوين كان المحــارب الأكثر ضراوة ، الأكثر شجاعة ، الذى لا يبالى بالتعب اطلاقــا (ص ١١٧) ذو الســلاح جيد وشهامة جامحة (ص ١٣٥) .

(٨٤) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C.). Hist. Occid, T. 4, p. 147, William : Op. Cit., V. 1. p. 180. Zoé : Ibid., p. 86 عن (Anne)

(٨٥) Zoé : Ibid., p. 135.

(٨٦) Zoé : Ibid., p. 117.

(٨٧) Zoé : Ibid., p. 117.

واعدائه ، ومع ذلك فانه كان قليل الأصدقاء (٨٨) وربما يرجع السبب فى ذلك الى أنه كان محبا لذاته ، محبا للانفراد بالنفوذ والسلطة (٨٩) . ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربه عن طريق المهادنة حينا والتهديد بالقوة أحيانا كثيرة (٩٠) .

والحقيقة انه مهما تضاربت الأقوال فى ذكر صفاته الا انها فى مجموعها لا يمكن أن تقلل من مكانته بين الأمراء الصليبيين الذين تفخر بهم الحروب الصليبية ، والا لما استطاع ان يصل بعد أن كان أميرا لامارة الرها اللاتينية الى منصب ملك بيت المقدس سنة ١١٠٠م .

ومنذ اللحظة الأولى لاعتلاء بلدوين حكم امارة الرها ، وضع نصب عينيه ان يعمل جاهدا على حماية ذلك الحجر الأول فى الصرح اللاتينى فى المشرق ، عن طريق تدعيم الجبهة الداخلية للامارة وعن طريق التوسع الخارجى .

ان ما كان يشغل تفكير بلدوين منذ انفراده بحكم الرها هو خطر الأتراك المحيطين به من كل جانب وتهديدهم لامارته ، هذا الى جانب قلة عدد قواته من فرسان الصليبيين ، (٩١) وعدم ثقته الكاملة فى اهالى الامارة الأرمن بعد ما حدث لثوروس من جانبهم ، بالاضافة الى قلة ما بيده من ثروة يستطيع أن يحقق بها مايدور فى خاطره من مشروعات عظيمة . فكيف تغلب بلدوين على تلك الصعاب ؟ .

والواقع أن المشكلة الأولى التى واجهت سبيل بلدوين كانت قلة عدد فرسانه من الصليبيين الغربيين ، وهنا ساعده الحظ لأن عددا كبيرا من الصليبيين الذين شاركوا فى حصار انطاكية سئموا طول الحصار بعد أن ضاقت بهم الحال فاتجهوا الى الرها ينشدون حياة افضل تحت زعامة بلدوين (٩٢) . ويرجح البعض انه اغراهم على

---

(٨٨) Zoé : Ibid., p. 141.
يقصد هنا بخاصته (فرسان بطانته وذوى قرباه والسادة الصليبيين الذين ارتبطوا به من طريق بعض الهبات)

(٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 179 - 180.

(٩٠) William : Ibid., V. 1, p.p. 180 - 182.

(٩١) ولو ان (آرتشية) يذكر هنا انه « رغم ذلك قبض بلدوين على الأمور بكبرياء كما لو كان وراءه جيش من الفرنج » Archer : Op. Cit., p. 62.

(٩٢) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 465.

القدوم الى امارته لأنه كان فى حاجة الى جند (٩٣) .

وبمعنى آخر فان الصليبيين الذين نزحوا من أمام أنطاكية الى الأمير بلدوين بالرها كانوا على نوعين : نوع كان يأمل فى الحصول على اقطاعات (٩٤) وبالتالى ينشد الاستقرار فى الرها . وفريق آخر اسرع الى الرها للحصول فقط على بعض ضروريات الحياة ثم العودة مرة اخرى لينضم الى الجيش الأصلى . وقد احسن بلدوين استقبال هذا الفريق الاخير واظهر لهم احتراما كبيرا ثم اعادهم الى اخوانهم بالشام فى حيوية عالية بعد ان انعم عليهم بالهبات العديدة (٩٥) . لكن بالرغم من رحيل هذا الفريق عن الرها الا أن الصليبيين تدفقوا فى أعداد هائلة على المدينة بعد ذلك حتى أصبحوا مصدر ازعاج للأهالى الأصليين (٩٦) . وكان أن نجح بلدوين فى اخضاع كل اقليم الرها تحت قبضته القوية ، واعطى الأماكن الرئيسية الحصينة فى الامارة اقطاعات لهؤلاء الفرسان (٩٧) ومن بين الاقطاعات التى وزعها بلدوين على رفاقه واقاربه من الصليبيين تل باشر وراوندان وقد قدمهما لأخيه جود فرى عندما انسحب من انطاكية اثناء حصارها فى اغسطس ١٠٩٨م وذهب الى الرها (٩٨) . لكن ذلك لم يكن ليرضى طموح جود فرى الذى غادر الرها بعد فترة وجيزة (٩٩) .

ولكى يكسب بلدوين ود الأرمن ويقربهم منه ، ويضفى على حكمه صبغة شرعية فى نظر السكان المحلين (١٠٠) . فانه اسرع بعد وفاة

---

(٩٣) Zoé : Op. Cit., p. ...

(٩٤) Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234.

(٩٥) William : Op. Cit., p.p. 301 - 305.

(٩٦) William : Ibid.,. V. 1 ; p. 305, Jean Richard : Le Royaume Latin de Jérusalem, p. 27, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 248.

(٩٧) Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٩٨) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p.p. 440 - 441, William : Op. Cit. V. 1, p. 304.

Chalandon : Hist. de la première Crois. p.p. 228 - 229 - 234, Zoé : Op. Cit. p. 142,. 143.

(١٠٠) Grousset : L'Epopée, p. 58.

زوجته الاولى بالزواج من اميرة ارمينية اسمها اردا Arda (١٠١) . وكانت ابنة احد كبار النبلاء الارمن ، وأنها تنحدر من نسل روبان على قول بعض المؤرخين (١٠٢) .

والواقع ان بلدوين استطاع بهذه الزيجة أن يكسب ود الأرمن داخل الرها ؛ فنظروا اليه فى البداية على انه ليس فقط سيدا بل ابا ، وصاروا مستعدين للحرب حتى الموت من أجل سعادته ومجده (١٠٣) هذا الى انه حصل على صداق كبير من والد زوجته الواسع الثراء ، تمكن به من تسديد جزء من ديونه . ويقال أن هذا الصداق بلغ حوالى ستين الف بيزانت يضاف الى ذلك ما وعده به والد الزوجة بأن يرث أرضه بعد وفاته وان يؤمنه ضد الأتراك وأن يحميه من خشونة الأرمن فى قيليقية (١٠٤) .

لكن العلاقات الطيبة لم تدم طويلا بين بلدوين ورعاياه الرهويين ويرجع ذلك فى الواقع الى تدفق الصليبيين الغربيين الى الرها باعداد هائلة والذين لم يلبثوا أن سببوا مضايقات للأهالى الأصليين رغم ما قابلوهم به من حفاوة وكرم (١٠٥) . فمنذ السنة الأولى لحكم بلدوين فى الرها تكونت ارستقراطية فرنجية اتصفت بالكبرياء والتعالى وعاملت الأرمن والسريان باحتقار وعنف واعتبرتهم اجناسا اقل منهم فى المستوى (١٠٦) .

هنا نلقى مسئولية ما حل باهالى الرها من المسيحيين الغربيين — سكان الرها الجدد — على بلدوين نفسه فانه لم يحسن انتقاء

---

(١٠١) Fulscherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 433, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1, p. 64, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

(١٠٢) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201, Morgan : Op. Cit., p. 169, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93 عن (Dulaurier)

(١٠٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٠٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 301. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, Runciman : Op. Cit., V. 1, p.p. 208 - 209.

(١٠٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٦) Zoé : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

العناصر الصليبية الغريبــة الوافدة الى امارته مما جعل بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين مثل البرت ووليم الصورى يسهبون فى وصف السلوك المعيب للصليبيين الذين استقروا فى المـدن المسيحية حيث استقبلوا فيها كاصـدقاء ، اذ اساؤا معاملة النبلاء الأصليين ونزعوا منهم بالقوة منازلهم ووجهوا اليهم كثيرا من الاهانات (١٠٧) . وفى ذلك المجـال يذكر وليم الصورى ان بلدوين قلل من الاعتماد على مشورة نبلاء الرهـا الاصليين الذين امتلك تلك المدينة العظيمة بفضل مسـاعدتهم ، مما اثار سخطهم عليه وعلى اتباعـه ، وندم اهل الرهـا لأنهم مكنوه من السيادة عليهم وخـافوا أن يسلبهم فى النهايـة من كل ما يملكون (١٠٨) . يؤكد نفس المعنى ما ذكره البرت : « أن الاثنـا عشر زعيما لدولة الرهـا ــ الذين يكونون مجلس شيوخها ــ تأملوا تدفق الفرنسيين من انطاكية ومن كل الأماكن على مدينتهم ، أنهم دفعوا بلدوين معهم فى كل عمل ولكنـه اهمل قراراتهم بصورة مفاجـأة فاستشـاطوا غضبا ضـده وندموا كثيرا لأنهم عينوا بلدوين سيدا وقائدا لدولتهم » (١٠٩) .

وهكـذا لم يلبث ان تـآمر اهل الرهـا مـع بعض امـراء الأتراك المجـاورين ، لقتل بلدوين على غرة ، او على الأقل طرده من مدينتهم ــ (١١٠) . ولكن المؤامرة كشفت وتغلب عليها بلدوين بوسـائله العنيفة المعروفة عنـه (١١١) ، فقبض على المتآمرين وعاقبهم حسب الأسلوب المعروف فى الدولـة البيزنطيـة بسمل اعينهم وقطـع انوفهم وايـديهم واقدامهم (١١٢) . أما الذين اشتبه فى امرهم فقـد طردهم من المدينة، وصـادر ممتلكاتهم ، فى حين عاقب من سمح لهم بالبقـاء فى الرهـا ، بمصـادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على اموالهم (١١٣) .

وهكذا يبدو ان بلدوين استفاد من تلك الحركة باثراء خزانته واشباع

---

(١٠٧) Zoé : Ibid., p. 141.

(١٠٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 305.

(١٠٩) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., Hist. Occid., T. 4, p. 442.

(١١٠) Alberti : Ibid., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305-306.

(١١١) Grousset : L'Empire, p. 297.

(١١٢) Alberti : Op. Cit., p. 443, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(١١٣) Alberti : Ibid., p. 443, William : Op. Cit. V. 1, p. 306.

اتباعه من الصليبيين عن طريق المصادرات التى شملت كميات كبيرة من الذهب تقدر بحوالى عشرين الف قطعة (١١٤) . هذا الى جانب الأموال التى طلبها مقابل اطلاق سراح بعض المسجونين والتى تراوحت بين عشرين او ثلاثين الف بيزانت وستين الف للفرد الواحد (١١٥) .

ويجدر بالذكر أن بلدوين استطاع التغلب على الصعوبات المالية التى واجهته بطرق مختلفة أشرنا الى بعضها ، منها صداق زوجته والمصادرات والفديات ، هذا الى جانب الأموال المكتنزة فى قلعة الرها والتى كان الكثير منها قد سك من أيام البيزنطيين والتى كان ثوروس قد اضاف اليها الكثير (١١٦) .

ومهما يكن من امر ، فان بلدوين بعد تغلبه على المؤامرة السابقة اصبح يشعر بأنه سيد عظيم يمتلك امارة واسعة الأطراف . استطاع ان يقبض على زمام امورها الداخلية ، مما جعله يحس بأنه يقف على أرض صلبه . وهذا كله جعله يوجه نظره الى خارج حدوده ليؤمن امارته الوليدة من خطر الاتراك المحيطين بها .

وكان ان وجه بلدوين أولى ضرباته ضد الاتراك سميساط (١١٧) الذين بداوا بمعاداته وهو فى طريقه الى الرها عند استدعاء ثوروس له ولو انهم لم يصيبوه هو وجماعته بأى اذى . فقد ذكر فولشر انه عندما بدا بلدوين رحلته الأولى الى الرها ، سمع الاتراك المقيمين فى مدينة سميساط النيمة الخبر فاسرعوا الى اقامة كمين له فى الطريق الذى تصوروا انه سيسير عبره . لكن احد الارمن استضافه وجماعته ، فاختفى فى ذلك المكان حوالى يومين ، حتى مرت الأزمة بسلام (١١٨) .

وما أن تم تبنى ثوروس لبلدوين — كما رأينا — وأصبح الأخير شريكا للأول فى حكم الرها ، حتى طلب منه ثوروس ان يحمى المدينة من أتراك

---

(١١٤) Alberti : Ibid., p. 442. William : Ibid., p. 306.

(١١٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١١٦) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208.

(١١٧) مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الارمن (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١١ ص ٢٥٨) .

(١١٨) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.

سميساط وعلى راسهم الامير بلك بن الدانشمند (١١٩) . بوصفه أشد الاعداء قربا وعنادا وخطرا على الرهـا (١٢٠) .

كـان بلك وفقا لما ذكره وليم الصـورى والبرت محاربا شجاعا ، ماكرا شريرا ، سبب لأهالى الرهـا مضايقات عديدة عن طريق فرض الاتاوات على حقولهم وارهاقهم بالخـدمات ، والاحتفاظ بابنائهم ليكونوا بمثابة رهائن لديه (١٢١) لذلك توسل اهل الرهـا باميرهم بلدوين لكى يحميهم من طغيان بلك حـاكم سميساط (١٢٢) . الأمر الـذى جعل بلدوين يخرج سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) على راس حملة ضـد سميساط مصطحبا معـه فرسـانه الفرنج وجموع من اهل الرهـا انفسهم ، فضلا من المسـاعدات التى حصل عليها من قسطنطين حاكم كركر (١٢٣) . وبهـذا الجيش الكبير سـار بلدوين نحو سميساط حتى قارب اسوارها ونهب رجالـه ضواحيها فى الوقت الـذى كان الاتراك واثقين من قوة تحصينات المدينـة ولذا قاوموا بشـدة (١٢٤) . ومـع ان كفة بلدوين واتباعه كانت راجحة فى البداية ، الا ان انصرافهم الى الغنائم لاقتسـامها بينهم (١٢٥) . اتـاحت فرصـة للعدو فهاجمهم ثلثمائـة فارس تركى وعندئذ حلت الهزيمة بالصليبيين فولوا الادبار (١٢٦) . وراح ضحية تلك الغزوة حوالى الفا أو الفين من الرجـال (١٢٧) . من بينهم ستة من

---

(١١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 55, 61.

(١٢٠) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢١) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 303, William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٢) William : Ibid., V. 1, p. 192.

(١٢٣) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Zoé : Op. Cit., p. 142, Setton Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert - Fulcher), Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

(١٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

(١٢٥) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 244, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 55.

(١٢٦) Mattieu : Op. Cit., pp. 36 - 37.

(١٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit. V. 1, p. 244. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٢

فرســـان بلدوين الاشــداء ؛ لذلك ســاد الحزن العميق وانتشر العويل فى كافة انحاء الامارة (١٢٨) .

ولمــا راى بلدوين انه يصعب التغلب على حامية سميساط عــاد الى الرهــا بعد أن ترك حامية فى حصن قريب منها ، لتكون بمثابة خط دفاعى أمامى يحول دون تهــديد اتراك سميســاط للرهــا . ويبدو أن هــذا الاجراء خفف عن الرهــا فعلا ضغط الأتراك مما حقق لبلدوين قسطا من الشعبية والثقة داخل الرهــا ذاتها (١٢٩) .

وقــد سبق ان راينا كيف أنه بعــد حملة سميســاط الســابقة الذكر دبرت مؤامرة قتل ثوروس . وكان ان اخــذ بلدوين بعــد انفرادهه بحكم الرهــا يعد من جــديد للاستيلاء على سميســاط الأمر الذى افزع بلك ، وكان ان ارسل بعثة الى بلدوين يعرض عليه شراء القلعة مقابل عشرة آلاف بيزانت (١٣٠) . وهنا يذكر وليم الصورى أن بلدوين وافق بعــد تفكير وروية على ذلك العرض ، اذ وجــد انه من الصعب اخــذ سميســاط بالقوة بسبب تحصيناتها القوية (١٣١) . أما (البرت) فيقول ان بلدوين لم يســتجب اولا لعرض بلك ، لانــه كان يعتقد ان الأخير اســتولى على سميساط من المسيحيين دون وجــه حق . وما ان احس بلك بنوايا بلدوين وجنوته ، حتى عقــد العزم على احراق القلعة وقتل من فيها من رهائن من اهل الرهــا ، وكان لديه الكثير منهم وعندئذ وافق بلدوين على العرض المقــدم اليه من بلك (١٣٢) .

ولم يعجز بلدوين عن توفير المبلغ المطلوب لشراء سميســاط اذ كان فى الخزائن التى تركها ثوروس كثير من الأموال المكدســة (١٣٣) .

---

(١٢٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4, p. 354.

(١٢٩) Alberti : Ibid., p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 (Albert - Mattieu). عن

(١٣٠) Alberti : Ibid., Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 355, Runciman : Op. Cit., V. 1. 1, p. 208 عن (Albert).

(١٣١) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(١٣٢) Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355.

(١٣٣) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ١٨٥ (عن وليم الصورى) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

تمت الصفقة واستولى بلدوين على سميساط واصبح بلك منذ ذلك اليوم تابعا لبلدوين (١٣٤) .

وكان ان دخل بلدوين سميساط ظافرا ، ووجد فى قلعتهـا رهائن عـديدين كـان بلك قـد اخـذهم من الرهـا ، فردهم بلـدوين الى ذويهم (١٣٥) . مما اكسبه شعبية كبيرة فى الرهـا (١٣٦) .

ومـع ذلك فان بلدوين كان يتشكك فى اخـلاص بلك لـه وهو الأمر الذى اثبتت صحته الأحداث التالية .

اما الخطوة الثانية فى حركة بلدوين التوسعية والدفاعية عن امارته فهى ضم مدينـة سروج (١٣٧) وهى مدينة ذات اهمية تجاريـة كبيرة ، بسبب ضـاحيتها الخصبة (١٣٨) .

كان حاكم سروج عند قـدوم الصليبيين هو الأمير التركى نور الدولة بلك بن بهرام الأرتقى (١٣٩) . وبلك هـذا هو الذى سماه كل من البرت ووليم الصورى باسم (بالاس Balas) (١٤٠) .

وما ان استقر بلدوين فى الرها حتى بدا بلك الأرتقى يشعر بقلق زائد حيث كان تأسيس امارة الرهـا الصليبية يمثل كارثة حقيقية لأقاربه من

---

(١٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4 p. 355, Zoé : Op. Cit. p.p. 140 - 141, Grousset . Hist. des Crois. V. 2, p. 870 عن (Albert, Archer : Op. Cit. p. 62. عن (Albert.)

(١٣٥) Alberti : Ibid. p. 355, William : Op. Cit. V. 1, p. 194.

(١٣٦) William : Ibid : V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit. V. 1, p. 208.

(١٣٧) كانت سروج بلدة من ديار مصر فتحها عياض بن غنم صلحا على مثل صلح الرهـا فى أيام الخليفة عمر (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١ ، ص ٢١٦) وكانت تقـع الى الجنوب الغربى من الرهـا .
(Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209

(١٣٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869.

(١٣٩) Grousset : Ibid., p. 869 ; V. 1, p. 62 عن (Albert - Mattieu) Runciman : Op. Cit.. V. 1, p. 209. عن (Albert)

(١٤٠) Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 356, Liber V. T. 4, p.p. 444, 445, 446, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194, 306.

بنى أرتق ، الذين كانوا منذ نقدوا فلسطين يعملون على جعل الرهـا مركزا لممتلكاتهم فى الشمال . لذلك حـاول بلك فى بادىء الأمر الدخول فى علاقات ودية مـع بلدوين (١٤١) . ويقال ان بلك حاول من وراء ذلك ان يستعين ببلدوين والفرنـج لتحقيق مصـالحه الخاصـة وظن أن ـ بلدوين لا يعـدو احـد المغامرين (١٤٢) .

وفى مكان آخر يذكر وليم ان الأمير (بالاس) كان يضـايق باستمرار مدينـة الرهـا، ويصيبها بأضرار جسيمة فتوسل اليـه الأهالى أن يجمع جيشـا ويتحرك ضـدها . ولكنه عندما توجـه اليها وحاصرهـا وبدا يهاجمها بشجاعة خاف (بالاس) من ضياعها وطلب الأمان فى مقابل تسليم المدينـة (١٤٣) . وما أن سلمت سروج لبلدوين حتى تمسك بها ولم يفكر اطـلاق فى تركهـا تحت حكم بلك (١٤٤) . لذا فرض ضريبة على أهلها وترك بالقلعة حامية صغيرة فرنجية ارمينية تحت قيادة احـد الرجال الـذين تولوا المفاوضـات بينـه وبين بلك (١٤٥) هو فولشـر دى شـارتر (١٤٦) وهو غير سميه قسيس حملة بلدوين الـذى كان يحمل نفس الاسم وجاء من نفس البلد ، والذى يعتبر احـد المؤرخين اللاتين لتلك الفترة . وانمـا كـان فولشر هـذا رجلا لـه تجـارب كثيرة فى الحرب (١٤٧) وكـان « فارسـا ذو شجاعـة عظيمـة وذو سلوك

---

(١٤١) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, William : Ibid., p.306 .

(١٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 62 من (Albert)
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٦ من البرت ايضـا .

(١٤٣) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194-195.

(١٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63.

(١٤٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 195.

(١٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 53, William : Ibid., V. 1, p. 308, Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 357, Liber V, T. 4, p. 446, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 869
عن (L'Anonyme)
المصـدر الأخير يسميه
Foucher de Chartres — اما متى الرهاوى فيسميه Putshir
فى حين يسـميه وليم الصورى Folkert - Fulcher اما البرت فمره يقول Folbertus Carnotensis واخرى Folkerum Carnotensis

(١٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 308.

حميد ؟ (١٤٨) ترك بلدوين فواشر فى قلعة سروج مـع مائه من أمهر الجنود المتمرسـين علـى القتـال (١٤٩) ، ومجهزين تجهيزا جيـدا للتحرك (١٥٠) . وكان لفتح سروج فى ذلك الوقت أهمية كبيرة بالنسبة الرهـا لأنه فتح عن طريقها الاتصال بينها وبين أنطاكية (١٥١) .

ويبدو ان بلك لم يحافظ على علاقاته الودية مـع بلدوين ، مما أدى الى فقـد الأخير ثقتـه فى الأتراك وادى بالتـالى الى تخلصـه من بلك الدانشمندى حـاكم سميساط السـابق — كما سنرى — والذى كان حتى ذلك الوقت ضمن بلاط بلدوين (١٥٢) . ويسهب البرت ورليم الصورى فى بيـان اسباب ذلك فيقولا انه عندما لاحظ (بالاس) ان عاطفة بلدوين تجاهه فترت دفعته مشـاعر الغيظ الى التوجه الى بلدوين وطلب منـه أن يحضر شخصيا لتسلم القلعـة الوحيـدة التى بقيت فى يديـه وانـه سيورثها لبلدوين وسيحضر زوجته وأولاده رهينـة الى الرهـا وتظاهر بأنه فى خوف عظيم من الأهالى لأنه أصبح صديقا حميما للمسيحيين (١٥٣). ويذكر البرت « أن الغرض الحقيقى الـذى كان يرمى اليه بالاس ورجاله كان القبض على بلدوين » (١٥٤) .

وفى اليوم المتفق عليـه لتسليم القلعة توجه بلدوين مـع مائتين من فرسـانه الى المكان حيث كان بلك قـد سبقه وقوى دفاعها بأن وضـع بها مائـة فارس مسلحين تسـليحا رائعـا . اختفت تلك القوة عنـد وصول بلدوين . عندئـذ طلب بلك من بلدوين الا يدخـل الا بقوة صغيرة فوافق (١٥٥) . لكن رفاق بلدوين الذين اشتموا رائحـة الخيانة منعوه بالقوة من الدخول (١٥٦) . وتقرر ان يدخـل المكـان اثنا عشر فارسـا على ان يبقى بلدوين وبقية قوته عن قرب لمشـاهدة ما يحـدث . وما أن

---

(١٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.
(١٤٩) Alberti : Op. Cit., Liber V, ... T. 4, p. 446.
(١٥٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 308.
(١٥١) William : Ibid., p. 195.
(١٥٢) Alberti : Op. Cit,, Liber III, T. 4, p. 355.
(١٥٣) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p.p. 443-444, Williad : Op. Cit., V. 1, p.p. 306-307.
(١٥٤) Alberti : Ibid., p. 444.
(١٥٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 307.
(١٥٦) Alberti : Op. Cit., Liber V, T. 4, p. 444, William : Ibid., p. 307.

دخـل فرســان بلدوين حتى وقعوا فى الكمين التركى المدبر لهم . عندئذ اقترب بلدوين من المكـان وحاول ان يذكر بلك بلليمين الذى تعهـد به وطلب منه اعادة فرســانه لكنه « رفض ان يجيب على طلبه الا اذا ردت له سروج » (١٥٧) . فرفض بلدوين الاجابـة على طلبه هو الآخر واقسم الا يعيد سروج « حتى ولو قتل فرســانه على مشهد منه » (١٥٨) . وعندما تحقق بلدوين من حصـانة القلعة وانه من الصعب الاستيلاء عليها عـاد الى الرهـا وهو فى شـدة الغضب (١٥٩) .

عندئذ تضـايق فولشر حاكم قلعة سروج ــ ايضـا مما حـدث وصمم على الانتقـام من بلك ورجاله عن طريق الخديعـة . فوضـع كمينا بالقرب من القلعة ثم تقـدم مع بعض حرســه وتظاهر بالاستيلاء عليها وعلى ما بها من قطعان ماشية هنا تتبعته حامية بلك ، فتظاهر بالفرار حتى مكان الكمين هنا انقض رجاله على الاتراك فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر واسر ستة اشخاص (١٦٠) .

وبعـد فترة تبادل فولشر هؤلاء الستة بستة من رجالهم المأسورين لدى (بالاس) ثم استطاع اربعـة آخرون الهرب من قبضـة الاتراك بسبب الاهمال ونتيجة لارهاق الحراس ، لكن (بالاس) امر بقتل الاثنين الباقين (١٦١) . ومنذ ذلك الوقت فصـاعدا كره بلدوين الاتراك بشدة واسقط تحالفاته معهم (١٦٢) .

ولمـا كان اهالى سروج واثقين من ان بلدوين سيعود اليهم من جـديد للانتقـام من (بالاس) (١٦٣) . لذا ارسـلوا الى بلك الـدانشمندى الموجود فى الرهـا والى بعض القوى التركيـة القريبـة يطلبون منهم

---

(١٥٧) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445, William : Ibid., V. 1, p. 307.

(١٥٨) Alberti : Ibid., p. 445.

(١٥٩) Alberti : Ibid., p. 445, William : Op. Cit., V. 1, p. 307

(١٦٠) Alberti : Ibid., p. 446 ; William : Ibid., p. 308.

(١٦١) Alberti : Ibid., p. 446, William : Ibid., p. 308. هنا يضيف البرت ان الاثنين اللذين قتلاهما Gerardus سكرتير بلدوين الخاص ، Piscello اجمل وانبل جند — Wizan .

(١٦٢) Alberti : Ibid., p. 445, William : Ibid., p. 308.

(١٦٣) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356.

الحضور لاستلام المدينــة . وهنــا يبدو ان بلك طمــع فى الاستيلاء على سروج ، عسى أن يكون فى ذلك تعويضــا عما لحقه من خســارة بضياع سميساط من يده ، ولذلك أخذ يستعد بسرعة لتنفيذ تلك الخطوة (١٦٤).

وعندما علم بلدوين بذلك استعد هو الآخر بقوة كبيرة للتوجــه الى سروج وما ان علم أهالى سروج بذلك حتى انتابهم الـذعر وارســلوا الى بلدوين يطلبون منه الاستيلاء على المدينــة فى ســلام مع تعهدهم بدفــع الأموال له (١٦٥) .

وعندئذ تملك بلك الخوف الشــديد فقصد بلدوين ليعلن له انه انما كان يقصد سروج ليخضــعها له ويسلمها لبلدوين (١٦٦) ،وعندئذ طلب منه الأخير ان يسلمه زوجته واطفاله رهائن . ولــا ماطل بلك فى ذلك قبض عليــه بلدوين وقطــع رأســه (١٦٧) سنة ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) (١٦٨) .

هكذا ضمت سميســاط وسروج الى الرهــا وبذلك « استطاع بلدوين ان يجعل من الرهــا ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) عاصمة لامارة صليبية اشتملت على سميساط وسروج » (١٦٩) .

وفى سنة ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) استولى بلدوين على البيرة ، وهى مركز استراتجى هــام على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق من الرها

---

(١٦٤) Alberti : Ibid., p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 62.

(١٦٥) Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63. عن (Alberti)

(١٦٦) Alberti : Ibid., p. 356, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63,
(رنسيمان وجروسيه عن البرت)
ويفسر جروسيه ذلك بقوله « اسرع بلك الى الرهــا ورمى بنفسه على اقدام بلدوين متوسلا اليه بانه لم يأت الى سروج الا لكى يمنع الأهالى على تسليم المكان » .

(١٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti : Ibid., Liber V, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63 عن (Albert)

(١٦٨) Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445.

(١٦٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

الى عينتاب (١٧٠) . وبعد ان استولى بلدوين على المدينـــة تركهـــا فى يد أحـــد الرؤســــاء الأرمن المحليين واسمه ابو الغريب (١٧١) .

وهكذا نمت امارة الرهـــا نموا واسعا على عهـــد بلدوين البولونى حتى اشتملت على « كل الاقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة » (١٧٢) .

وبعد ان اكمل بلدوين البولونى تحقيق امنيته (الخاصة) واقـــام امارة لاتينية لا يشـــاركه أحـــد فى حكمها . . وبعد أن ضمن لامـــارته قـــدرا من الاستقرار الداخلى والخارجى . بدأ يفكر فى زيارة بيت المقـــدس هو والامير بوهيمند أمير انطاكية (١٧٣) حيث انهما حتى ذلك الوقت « لم يريا تلك المدينـــة التى خرجـــا من الغرب من اجلها(١٧٤) » وهنـــا يحرص فولشر المؤرخ اللاتينى المعـــاصر — وقسيس حملة بلدوين الخـــاص — على الدفـــاع عن بلدوين وتبرير عـــدم مصاحبته للجيش الصليبى الكبير فى زحفـــه على بيت المقدس ، فيقول ان بلدوين كان مشـــغولا فى ذلك الدور بتأمين الجنـــاح الشرقى للصـــليبيين ضـــد الأتراك على جبـــهة الفرات . ويشارك فولشر فى هذا الراى المؤرخ وليم الصورى(١٧٥) . ومهما يكن من أمر فقـــد قـــام بلدوين وبوهيموند امير انطاكية بتلك الرحلة وصادفا فيها كثيرا من المتاعب والأخطار التى يفصـــلها فولشر(١٧٦) . وسنتعرض لتلك الزيـــارة بالتفصيل فى باب العلاقات الخارجية مع مملكة بيت المقـــدس .

---

(١٧٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64, (Ray Colonies Franques), L'Empire, p. 204, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٦ . عن (Grousset)

(١٧١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64.

(١٧٢) Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

(١٧٣) Gesta Tancredi in Expedione ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 704.

(١٧٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261.

(١٧٥) Fulcherii Carnotensis : Historia ... T. 3, p. 364, William: Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٧٦) بـــدأت تلك الرحـــلة — كما ذكر فولشـــر ص ٣٦٥ فى نوفمبر سنة ١٠٩٩م Fulcherii : Ibid., p. 364 - 366
وانتهت فى مارس ١١٠٠م كما حددتها الجستا
Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid., T. 3, p. 704.

ويكفى ان نشير الآن الى ان بلدوين وبوهيموند استقبلا فى بيت المقدس من جودفرى ورجال الدين والاهالى استقبالا طيبا وزاروا الاماكن المقدسة وراوا باعينهم حقيقة ما كانوا قد عرفوه فى الماضى عن طريق الأخبار والتعليم فقط(١٧٧) .

وبعد عودة بلدوين الى الرها خضعت له ملطية . والمعروف ان ملطية كانت احدى المدن الرئيسية للارمن فى ذلك الوقت (١٧٨) . وكانت « تقع على الأطراف الشمالية للامارة ، وكانت تحت حكم الامير جبريل » (١٧٩) والراجح أن ملطية سلمت تحت ضغط الظروف الى بلدوين ، ذلك ان جبريل قصد بوهيموند فى انطاكية فى شهر يولية سنة ١١٠٠م ليعلن خضوعه له . وعندما اتجه بوهيموند للاستيلاء على ملطية مع القليل من رجاله احاطت به كمائن التركمان من بنى دانشمند واسروه(١٨٠) هنا تذكر المصادر اللاتينية أن بوهيموند ارسل الى بلدوين طالبا نجدته ولكى يتأكد بلدوين من أن الأمر حقيقة وليس فيه خدعة ، حرص بوهيموند على ان يرسل خصلة من شعره الذهبى الى بلدوين مع الرسول الأرمنى(١٨١) .

وهنا اظهر بلدوين شهامة كبيرة فتحرك بسرعة لنجدة بوهيموند ولكنه لم يلحق بالتركمان الذين اقتادوا اسيرهم بوهيموند وفروا بسرعة(١٨٢)

---

(١٧٧) . William : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١٧٨) William Ibid. V. 1, p. 421.

(١٧٩) R.H.C. Hist. Occid. T. 1, p. XLII. (Meletenia).
وتسمى ملطية هنا

(١٨٠) Fulcherii : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 368, Gesta Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 519, Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, pp. 551-552, Balduni III ; Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII (Hist. Occid.) T. 5, Part 1, p. 177.

اما جروسيه فينقل لنا راى المؤلف السورى المجهول عن سبب توجه بوهيموند الى ملطية فيقول « أن بوهيموند كان متوجها الى ملطية ليتزوج مورفيا ابنة جبريل التى قدم والدها يدها اليه لكنه أسر »
عن Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme)

(١٨١) Gesta Francorum : Ibid., p. 519, Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII ... Hist. Occid. T. 4, p. 525.

(١٨٢) Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae ... Hist. Occid. T. 3, p. 552, William : Op. Cit. V. 1. p. 411.

الى قلعـــة تكسار(١٨٣) قرب البحر الاســـود(١٨٤) .

وعندما يئس بلدوين من اطلاق سراح بوهيموند ، عاد الى ملطية(١٨٥) ليستولى عليها بالاتفـاق مع صاحبها جبريل وهو ما اكدته المصـــــادر اللاتينيـــة(١٨٦) .

والواقع انه سواء استنجد بوهيموند ببلدوين وهو الراى الارجح او أن بلدوين هو الذى توجه بنفسـه لنجدته ، وسواء اخضع هو ملطية بالقوة ام اخضعت له تلقائيـــا فقـــد ظل جبريل حاكما عليها وتابعا لبلدوين .

بلدوين وحكم بيت المقدس :

وما كاد بلدوين يعود الى الرهـــا بعد ذلك ، حتى وافاه الحظ مرة اخرى ليصبح الرجـــل الأول بين أمراء الصليبيين فى بلاد الشـــام . وذلك انه حـدث فى شهر اغسطس سنة ١١٠٠م (٤٩٤هـ) بعد عودة بلدوين الى الرها ان وصله رسول من بيت المقدس على عجل ، اعلن له موت جودفرى فى الثامن عشر من يوليو سنة ١١٠٠م ويطالبه بالحضور فورا ليحل محل اخيه فى حكم المدينة المقدسة(١٨٧) .

والراجح ان انتخاب بلدوين خلفا لأخيـــه الشقيق أثار خلافا عظيما واشعل نـــار الحرب(١٨٨) . والدليل على ان المسالة لم تكن من السهولة بمكان ما ذكره وليم الصـــورى من أن عرش بيت المقـدس ظل خاليـــا

---

(١٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

(١٨٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٢٨٢

(١٨٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 412, Gesta Francorum : Hist. Occid., T. 3, p. 519.

(١٨٦) Fulcherii Carnotensis : Hist. Occid. T. 3, p. 368. Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 525, Secundi Pars : Historiae... Hist. Occid., T. 3, p. 552. Balduni III Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap.. LXIII, Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(١٨٧) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium (R.H.C.) Hist. Occid. T. 3, p. 520, Secunda Pars : Historiae... Hist. Occid. T. 3, p. 552, Mattieu : Op. Cit., p. 52, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 85 - 86, Zoé : Op. Cit., p. 180, Cahen : Op. Cit., p. 229.

(١٨٨) Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3 p. 706.

حوالى ثلاثة اشـــهر حتى استدعى بلدوين ليـــخلف اخـــاه فى العنـــاية بشئون المملكة(١٨٩) .

والواقع ان دايمبرت ، بطريرك القـــدس كان يطمع حتى فى حيـــاة جودفرى فى اقامة حكومة ثيوقراطية ، وقد وصـــل الضيق بجودفرى فى احـــدى المـــرات الى القـــول بان دايمبرت « كان اكثر ازعـــاجا له من المسلمين » ، بل لقـــد وعـــد بالتخلى عن حكم بيت المقـــدس للبطريرك اذا تمكن من فتح مدينة مماثلة لها فى الأهمية مثل القاهرة أو دمشق(١٩٠). بل وقيـــل ان جودفرى اوصى قبل وفاته بان يخلفـــه البطرق دايمبرت فى حكم بيت المقـــدس ، وذلك فى حـــالة عـــدم وجود ورثه مباشرين لجودفرى نفسه(١٩١) . ومن الواضح ان تنفيذ هـــذه الوصية كان يعنى تحـــويل حكومة بيت المقدس الى حكومة ثيوقراطية فعلا .

على أن قيـــام حكومة ثيوقراطية فى بيت المقدس واستبعاد كل فكرة تستهدف نظاما ملكيـــا وراثيـــا ، كان أمر صعب التحقيق . ذلك أن المدة القصيرة التى تولى فيها جودفرى بوايون حكم بيت المقـــدس كانت كافيـــة لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية فى بيت المقدس . هذا فضلا عن ان ارنولف مالكورن ــ البطريرق السابق لبيت المقدس الذى خلفه دايمبرت ــ كان له انصـــاره من رجـــال الدين وهؤلاء شـــايعوا فكرة قيـــام ملكية علمانية وراثية فى بيت المقدس ، لا لشىء سوى التشفى فى دايمبرت والوقوف فى وجه أطماعـــه وآمـــاله(١٩٢) .

ولم يلبث أن تكون حزب معارض للبطريرك دايمبرت « وامتلكوا برج داود واعلنوا انـــهم لا يعترفون بسيد عليـــهم الا أخ او قريب لســـيدهم الراحـــل »(١٩٣) . وكان من الطبيعى أن يتجه رفاق جودفرى واتبـــاعه تلقائيـــا الى بلدوين فقـــد بدا لهؤلاء الذين خدموا تحت زعـــامة جودفرى انه ليس من الأمانة والشرف أن يعترفوا بسيد آخر(١٩٤) .

(١٨٩) William : Op. Cit. V. 1, p. 415.
(١٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 179.
(١٩١) سعيد عاشـــور : الحركة الصـــليبية ، حـ ١ ص ٢٨٠ عن وليم الصـــورى .
(١٩٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ س ٢٨٠ عن (Albert)
(١٩٣) Zoé : Op. Cit., p. 180.
(١٩٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 526.
William : Op. Cit. V. 1, p. 421, Zoe : Op. Cit., p. 180.
وسوف نذكر فى الملاحق نص الرسالة الشفوية التى حملها اتباع جودفرى لأخيه بلدوين .

وعندما احس دايمبرت بالمعارضـــة الشـــديدة ضده فكر فى ان يجعل الحكم لتنكريد ابن اخت بوهيموند ولكن هـذا الراى صـــادف معـارضة شديدة من ارنولف(١٩٥) وعندئذ لم يجد دايمبرت وسيلة سوى أن يرسل الى بوهيموند فى انطاكية ليحول دون وصول بلدوين الى بيت المقدس(١٩٦). لكن خطاب دايمبرت الى بوهيموند لم يصـــل اليـــه فقد احتجزه أتبـــاع ريموند الصنجيل قرب طرابلس ، وفى نفس الوقت وقع بوهيموند نفسه اسيرا فى قبضة بنى داشنمند الذين حملوه الى قلعة نكسار كما سبق أن اشرنـــا(١٩٧) .

وهكذا تبدد آخر امل امـــام دايمبرت لحرمان بلدوين من حكم بيت المقدس . اما بلدوين فى ذلك الوقت فقد كرس كل جهوده لتوسيع حدود امارته شرقا الى ديار بكر وما بين النهرين(١٩٨) . والواقع أنه حتى ذلك الوقت كان بلدوين يعيش من اجـــل امـــارته فقط حتى أنه هجر القضية الصليبية من اجلها ،لكن عندما لاح له بريق حكم بيت المقـــدس فـــانه لم يتردد أبدا فى ترك الامـــارة والتوجه الى القدس ليصبح ملكا(١٩٩) .

وكان ان رتب بلدوين أمور الرها ، واثقل كاهل اهلها بكافـــة انواع الضرائب كما اغتصب منـــهم امـــوالا كثيرة ليســـتعين بهـــا فى نفقـــات سفره (٢٠٠).ثم اتخذ اهبته واستعد للمسير الى بيت المقدس تاركا الامارة فى رعاية أحد اقاربه هو بلدوين دى بورج (٢٠١) . وهو رجل نشيط على جانب من المقدرة (٢٠٢) .

وقد غادر بلدوين الرها فى ٢ اكتوبر سنة ١١٠٠م(٢٠٣) مصطحبا معه

---

(١٩٥) Charles — Joseph Hefele : Histoire de Conciles. T.V, Part 1, p. 484. من (Albert)

(١٩٦) Zoé : Op. Cit., p. 181.

(١٩٧) Zoé : Ibid., p.p. 182 - 183.

(١٩٨) Grousset : L'Epopée, p. 59.

(١٩٩) Grousset : Ibid., p. 59.

(٢٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 52. Setton : Op. Cit. V. 1, p. 381.

(٢٠١) Mattieu ; Ibid., p. 52, William : Op. Cit. V. 1, p. 422, Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII ... Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

(٢٠٢) Gesta Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 543, William : Ibid.. V. 1, p. 422.

(٢٠٣) William : Ibid. p. 421, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher). Grousset : L'Epopée, p. 60.

مائتين من الفرسان وسبعمائة من المشاه(٢٠٤) . كما اصطحب معه زوجته الأميرة الأرمنية(٢٠٥) . وكان طريقه الى القدس محفوفا بالمخاطر بسبب المراكز الاسلامية المنتشرة على طول الطريق والتى فصلت امارته وامارة انطاكية عن بيت المقدس . « لكنه كان يتصف دائما بالحذر فاستطاع أن يعبر البلاد دون أن يؤسر أو يقتل (٢٠٦) » وقد اتخذ بلدوين طريقه عبر امارة انطاكية ثم اللاذقية وجبله وهرقله وطرطوس الى ان بلغ طرابلس وهناك قدم له حاكمها ، فخر الملك بن عمار (٢٠٧) ، ما يحتاج اليه لاكمال رحلته وابلغه عن كمين وضعه المسلمون فى طريقه ، فشكر حاكم طرابلس واستطاع أن يتحاشى تلك العقبة(٢٠٨).

اخيرا وصل بلدوين الى القدس فى ٩ نوفمبر سنة ١١٠٠م(٢٠٩)، بعد عدة مصاعب فى الطريق واشتباكات مع القوات الاسلامية(٢١٠) ، اى بعد مغادرته الرها بخمسة اسابيع مما يوضح طول الرحلة بين الرها والقدس وبالتالى مدى الصعاب التى تجشمها « وكان أن خرج رجال الدين والناس بالقدس لاستقباله ومعهم الاناجيل وهم ينشدون التراتيل والأناشيد الروحية وقد غمرتهم الفرحة وهم يصحبون بلدوين الى داخل المدينة ليخلف اخاه فى حكمها (٢١١) » .

ولكن ماذا كان موقف دايمبرت عندئذ ؟ والواقع أن (اولدنبرج) يشير الى أن الحماسة الجارفة التى قوبل بها بلدوين جعلت دايمبرت يلوذ

---

(٢٠٤) Gesta Francorum : Op. Cit. T. 3, p. 520, Bréhier : l'Eglise : p. 86, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن (Foulcher)

فى حين يذكر وليم الصورى أن المشاه كانوا ثمانمائة
(William : Op. Cit., V. I, p. 421)
أما البرت فيذكر أن عدد الفرسان كان أربعمائة وعدد المشاه كان الفا .
(Alberti Aquensis : Historiae Liber. VII, T. 4, p. 527).

(٢٠٥) Zoé : Op. Cit., p. 183.
Zoé : Ibid., p. 183.

(٢٠٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٧٩

(٢٠٨) Gesta Francorum : Op. Cit., ... Hist. Occid. T. 3. p. 520,
Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٢٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٢١٠) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ — ١٣٩
William : Op. Cit., V. 1, p. 422. Gibb : Op. Cit., p. 51.

(٢١١) يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٤٠
William : Op. Cit. V. 1. p. 425.

بالصمت ، ثم فضل بعد ذلك حياة العزلة فى جبل صهيون (٢١٢) . ويؤكد وليم الصورى ذلك بقوله « أن دايمبرت الذى توقع شرا من مجىء بلدوين انسحب الى كنيسة جبل صهيون ، حيث انقطع للعبادة بعيدا عن كافة الخلافات ، وبذلك لم يحضر احتفالات استقبال الأمير بلدوين ليشارك فى تقديم الولاء له مثلما فعل سائر الأهالى(٢١٣) » .

وكان بلدوين قد ارسل الى البابا متهما البطريرك دايمبرت بالقتل وبانه حنث فى يمينه ، لأنه حرض الأمير بوهيموند على قتله عندما كان فى طريقه من الرها الى القدس ، لذا ارسل البابا مندوبا عنه هو الكردينال موريس دى بورتو فاوقف البطريرك حتى يبت فى امره(٢١٤) .

على انه تم بعد ذلك صلح قصير بين البطريرك وبلدوين(٢١٥) وكان ذلك عن طريق جهود بعض عقلاء الوسطاء . مما ادى الى تتويج بلدوين ملكا على بيت المقدس فى كنيسة العذراء ببيت لحم فى ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م(٢١٦) وبيد دايمبرت نفسه(٢١٧) .

---

(٢١٢) Zoé : Op. Cit., p.p. 184 - 185.

(٢١٣) William : Op. Cit. V. 1, p.p. 425 - 426.

(٢١٤) Aeblrti Aquensis : Historiae Liber VII (R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p. 539, Charles-Joseph-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 484

(٢١٥) Charles-Joseph-Hefele : Ibid., p. 484.

(٢١٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 427, Bréhier : l'Eglise..., p. 86, عن (Hagenmeyer), Lammens : La Syrie, V. 1, p. 214, Runciman : Op. Cit., V., 1, p. 326 عن (Fuacher) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٢٨٧ عن (Stevenson)

(٢١٧) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena... T. 5, Part 1, p: 177, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 427-428.
ويبدو أن العلاقات الطيبة لم تستمر طويلا بين دايمبرت وبلدوين فقد ذكر البرت انه فى سنة ١١٠٢م أرسل (البابا باسكال الثانى (١٠٩٩ — ١١١٨م) مندوبا عنه مرة أخرى الى بيت المقدس هو الأسقف موريس ، للبت فى امرد أيمبرت ولتصحيح الأمور الخاصة بالكنيسة الشرقية . ويظهر من كلام البرت ان الخلاف بين بلدوين والبطريرك فى هذه المرة كان بسبب ما يخفيه البطريرك من نقود تحت الأرض . وانتهى الأمر بتنحيه دايمبرت من جديد عن منصبه
(Aebarti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4, p.p. 598, 600).

ولا شك فى ان تتويج بلدوين ملكا كان حدثا خطيرا فى تاريخ الصليبيين بالشـــام لان اخـــاه جود فرى لم يتوج ولم يحصـــل لقب ملك (٢١٨) ، وانما كان حـــاكما على بيت المقدس (٢١٩) . ولانه فى ذلك المكان « لبس عيسى المسيح تاجـــا من الاشواك » ولكن قـــدر لبلدوين دى بوايون أن يتوج ملكا ويلبس تاجا من الذهب فى بيت المقدس (٢٢٠) .

امـــارة بلدوين دى بورج على الرهـــا : ١١٠٠ - ١١١٨م (٢٢١) (٤٩٤ - ٥١٢هـ) .

اما عن امارة الرهـــا بعـــد ان وليها بلدوين دى بورج ، فيلاحظ انها سارت على نفس الطريق الذى رسمه مؤسس الامارة بلدوين دى بوايون .

والحقيقة ان بلدوين دى بورج كان عنـــد حسن ظن بلدوين البولونى اذ كان «رجلا جديرا بالتقدير فى كل ملاقاته» فعنى بشئون الامارة التى ولى امرها بنشـــاط عظيم ، جعلت الاعـــداء المحيطين به ينظرون اليـــه نظرة احترام ورهبـــة (٢٢٢) » . فاذا اردنـــا ان نقارن بين الاميرين الاولين للرهـــا نجـــد ان دمـــاثة خلق الثـــانى بالمقارنة بشراســـة الاول مكنت بلدوين دى بورج من ان يستحوذ على مشـــاعر الارمن الوديـــة (٢٢٣) . وبمعنى آخر كان امير الرهـــا الســـابق مكروها من الارمن ومن السريان فلم يمثل بالنسبة لهم الا طاغيـــة فظا جشعا ، أما بلدوين دى بورج فقـــد استحوذ على مشـــاعر الأهالى الصـــادقة (٢٢٤) .

ونستطيع ان نحصـــل على وصف كامل لشخصية بلدوين دى بورج من متى الرهاوى الـــذى يقول : « كان هذا الأمير احـــد الفرنج المشهورين بمكانتهم العاليـــة ، كما كان محـــاربا قديرا ، عفيف النفس ، مثالى الخلق ، يكره الخطيئـــة ، يفيض رقـــة وعذوبة وتواضعا ، ولكن شـــاب هـــذه الصفات الطيبة جشعة ، فهو ماهر فى الاستحواذ على ثروات الآخرين ،

---

(٢١٨) Bréhler : L'Eglise... p. 86 عن (Hagenmeyer).

(٢١٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII... Hist: Occid. T. 4, p. 526.

(٢٢٠) Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Fracos, (R.H.C.) Hist., Occid. T. 4, p. 245, Zoé : Op. Cit., p. 185.

(٢٢١) G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 3.

(٢٢٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٣) Grosset : L'Empire, p. 298.

(٢٢٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

نتيجة شراهته فى المـال فضـلا عن بخله وامساكه . أما اذا قارناه بغيره فانه يبدو مستقيما جـدا محافظا فى سلوكه وطباعه » (٢٢٥) .

وكانت أولى خطوات ذلك الأمير للتقرب من شعبه الذى كانت غالبيته من الأرمن ، هو الزواج من الأميرة الأرمينية مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية (٢٢٦) ، والتى سبق أن ذكرنا أن والدها كان قـد توجـه لطلب النجـدة من بلدوين ضـد الأتراك الذين أسروا بوهيموند وهو فى طريقـه لنجدته وللزواج من ابنته هـذه .

وكانت هـذه فرصـة أمام بلدوين دى بورج للتقرب من رعاياه الأرمن أن يتزوج من ابنة جبريل ، حيث أنه لم يكن له زوجـة ولا أولاد (٢٢٧) . وحملت مورفيا الى بلدوين صـداقا كبيرا (٢٢٨) . والراجح أن جبريل كان يمتلك ثروة خرافيـة لأن ابنتـه حملت هديـة زواج بلغت ٥٠٫٠٠٠ بيزانت ذهبيـا ، بل أنه سـاعد بلدوين فى عـدة مناسبات بعـد ذلك بأموال كثيرة (٢٢٩) .

وقد أفادت تلك الزيجة خزينة بلدوين بطريقـة فعالة . ومن ناحيـة أخرى ، فانـه على الرغم من أنه كان بالنسبة لبلدوين دى بورج زواج منفعـة الا انـه كان الزواج الوحيـد الذى شـارك فى شعائره الأمراء الاقطـاعيون وقوبل بسرور كبير ، فضـلا عن أن بلدوين يعتبر مثاليـا بين الأزواج (٢٣٠) . بل أن بلدوين فى زواجـه هذا « استقبل الرئيس الدينى للبطريركيـة الأرمينية ، باسيل الأول الـذى قـدم سنة ١١٠٣م (٤٩٧هـ). من آنى (٢٣١) الى الرها ، فاستقبله بلدوين استقبالا طيبا

---

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٦) Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cohen : Op. Cit., p. 230.

(٢٢٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

(٢٢٨) William : Ibid., p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٢٩) William : Ibid., p. 450.

(٢٣٠) Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٢٣١) كانت آنى فى نظر الشـاعر الأرمنى نيرسيس شـنورهالى الـذى رثى الرهـا بعد سقوطها هى (عاصمة المشرق)

Nersès Schnorhali : Elégie sur la prise d'Edesse,

أما الناشر دولوبيه فيقول : (البيت رقم ٢٧٦) Op. Cit., p. 236 =

وقــدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا واظهر له ودا كبيرا » (٢٣٢).

والواقــع أن قدوم هــذا الخبر من آنى ذات الاهمية الدينية الكبير لدى الارمن يشهد باهمية تلك الزيجة . هــذا فضلا عن اهمية مركز كل من جبريل وبلدوين دى بورج فى نظر الأرمن عندئذ .

كانت تلك الزيجة هى احــدى الزيجات الفرنجية الأرمينية التى اكدت الروابط بين الطرفين (٢٣٣) . وعن طريقها استطاع بلــدوين ان يثبت اولى دعائم حكمــة فى الرهـــا .

امـــا عن مــدى انتفـــاع جبريل من تلك الزيجـــة فان بلدوين استطاع ان يحميـــه من العـــديد من هجمات بنى دانشمند ، وان لم يستطـــع ان يمنـــع سقوط ملطية فى ايديهم سنة ١١٠٣م (٢٣٤) .

ثم كانت الخطوة التاليـــة لتدعيم حكم بلدوين دى بورج الداخلى فى الرهـــا وهى انه اختـــار مســـاعدا له ابن عمته جوسلين دى كورتناى Joscelin de Courtenay الذى وصل حديثا من فرنسا مع الحملة الصليبية سنة ١١٠١م (٤٩٥هـ) او بعدها بقليل (٢٣٥) . ولـــا كان جوسلين « لا يملك مـــالا ولا اى مصـــدر آخر من مصــــادر الثروة فقـــد اغـــدق عليه بلدوين ١١٠٢م (٤٩٦هـ) ممتلكات واسعة حتى لا يشغل نفسه بلقمة العيش . وشــملت تلك الهبـــة قورس (٢٣٦) . ودلــوك (٢٣٧) .

---

* « كانت آنى من اشـــهر المدن الأرمينية وحاضرة الدولة وهى تقع فى منطقة كماخ على ضفة الفرات الشمالية . كانت مدينة فخمة وقد تعرضت للغزوات ففتحها الروم ١٠٤٥م والأتراك ١٠٦٤م والجيورجيون ١١٢٤م والمغول ١٢٣٩ . وفى ١٣١٩ قضى عليها نهائيا زلزال مــدمر حولهـــا الى خرائب واطلال » (Doc. Arm. T. 1, p. 236)

(٢٣٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 70 - 71, Grousset : L'Empire, p. 298 (Mattieu), Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 392-393.

(٢٣٣) Grousset : L'Empire, p. 185.

(٢٣٤) Grousset : Ibid., p. 298.

(٢٣٥) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٣٦) حاشية عن وليم الصورى Gouris, Kouris (Mattieu : Op. Cit., p. 126.
وقورس كما ذكرهـــا ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤١٢ هى «مدينة ازليةبـها آثار قديمة وكورة من نوحاحى حلب».

(٢٣٧) بليدة من نواحى حلب ، بالعواصم (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٨ ص ٤٦١) وهى قديمـــة لها ذكر ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة قيل ان مقـــام دود عليـــه الســـلام كان بها (ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٠٦ ـــ ٣٠٧).

وعين تـــاب (٢٣٨) . وقلعـــة تل باشر المترامية الأطراف (٢٣٩) . والشديدة للخصوبة ورلوندان ومدنـــا اخرى واحتفظ الأمير لنفسه بالاقليم للواقـــع غربى الفرات لقريـــة من ممتلكات العـــدو واستبقى فقط احدى المـــدن فى الجزيرة وهى سميساط » (٢٤٠) .

منح بلدوين تلك الأجزاء لجوســـلين لكى يستطيع أن يتفرغ كليـــة لممتلكاته شرقى الفرات والى الجنوب من امارة كوغ باسيل . ومن تل باشر استطاع جوسلين منـــذ نهاية ١١٠٣م ان يقطـــع طرق الاتصـــال بين حلب والفرات ، بينمـــا غزا بلدوين دى بورج الامتدادات الشرقيـــة لنفس تلك الطرق حتى حـــدود قلعـــة جعبر والرقة ، وتتابعت غزواتـــه حتى اقليم ماردين (٢٤١) .

هكذا اصبح جوســـلين دى كورتناى الرجل الثانى فى امارة الرهـــا بعـــد بلدوين دى بورج وشـــاركه فى السيطرة على تلك المنطقة ذات الموقع الهام بين سلاجقة حلب وسلاجقة فارس (٢٤٢) .

والواقـــع ان جوسلين هـــذا كان من أقوى الشخصيات الصليبية على الاطلاق لـــذا كان سندا قويا لبلدوين دى بورج ولحكمه فى الرهـــا .

ولم تلبث الأحـــداث ان شدت بلدوين دى بورج الى سروج ، اذ حدث فى يناير ١١٠١م (ربيع ٤٩٤هـ) (٢٤٣) . ان توجـــه سقمان بن أرتق ـــ عم بلك حاكم سروج الســـابق الى سروج لما جنتها وكان بصحبة جمـــع كبير من التركمان (٢٤٤) . وقـــام بالعـــديد من الغارات على كل الاقاليم المجاورة (٢٤٥) . فتوجـــه بلدوين دى بورج لمحاربته مع فوشيه حاكم

(٢٣٨) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٤ ص ١٧٦) .

(٢٣٩) كان اقطـــاع تل باشر يمتد من الفرات الى حـــدود انطاكيـــة (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392.

(٢٤٠) (R.H.C.), Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(حاشية عن وليم الصورى)

(٢٤١) Cahen : Op. Cit., p. 236.

(٢٤٢) سعيد عاشـــور : الحركـــة الصليبيـــة حـ ١ ص ٤٣٩ (عن (Setton

(٢٤٣)
Gibb : Op. Cit., p. 50, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 63.
العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٣ ص ٥٣٩ .

(٢٤٤) ابن القلانسى:الذيل ص ١٣٨، ابن الاثير : الكامل حـ ٨ ص ٢٠٤

(٢٤٥) Mattieu : Op. Cit., p. 52.

سروج (٢٤٦) . وبمؤازرة العديد من السكان الذين ضغط عليهم فوشيه (٢٤٧) . « لكن استهانة الفرنج بخصومهم واهمالهم ادى الى هزيمتهم (٢٤٨) . « فعندما اقترب بلدوين من المدينة وقع فى كمين الا انه افلت منه وهرب مسرعا الى الرها ومنها اسرع الى انطاكية لطلب المعونة (٢٤٩) . ودارت معركة ضارية بين الفرنج والاتراك هزم فيها الفرنج(٢٥٠).واستطاع الأراتقة الاستيلاء على المدينة ماعدا القلعة التى التجأ اليها الفرنج تحت قيادة اسقف الرها اللاتيني - enoit او Babios الذى قاوم فيها مدة طويلة (٢٥١) . أما فوشيه فقد قتل ومعه الكثير من الأهالى فى حين وقع عدد كبير فى الاسر (٢٥٢) . لكن بلدوين أرسل الى حامية القلعة رسالة سرية يشجعهم فيها على الثبات مما جعلهم يقاومون ببسالة (٢٥٣) . وبعد حوالى خمسة وعشرين يوما وصل بلدوين ومعه ستمائة فارس وسبعمائة من المشاه (٢٥٤) ؛ وفجأة فى الفجر اشعلوا بعض المشاعل على اسنة الرماح وباغتوا المعسكر التركى ومن ناحية اخرى ساعدتهم حامية القلعة الذين خرجوا ساخطين فهزم الأتراك وفروا (٢٥٥) . « وقتل الفرنج كثيرا من اهالى سروج وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما (٢٥٦) » . وكان ذلك فى أوائل فبراير ١١٠١م (٢٥٧) . لكن اذا كان المرجع الفرنجي

(٢٤٦) Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869 من (L'Anonyme Syriaque).

(٢٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٤٩) Mattieu : Ibid., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870 من (L'Anonyme)

(٢٥٠) ابن دقماق : نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام مخطوط رقم ٨٥١ تاريخ حوادث ٤٩٤هـ Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٥١) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 270 عن (L'Anonyme)

(٢٥٢) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Ibid, p. 230 ;

(٢٥٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870.

(٢٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٥٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.

(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث ٣٠١ — ٥٠٠هـ ص ٢٧١ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ، ص ١٨٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ٥٤٠ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٣٨٩ .

(٢٥٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٤٠ من (Mattieu)

يرجع هزيمة المسلمين الى قوة وبراعة بلدوين فان المصدر العربى يعزى ذلك الى « هرب جماعة من التركمان فضعفت نفس سكمان وانهزم (٢٥٨) » . وبذلك استولى الفرنج على سروج بالسيف سنة ٤٩٤هـ (٢٥٩) .

وكان ان شجع هذا الانتصار بلدوين على القيام باغارات على المدن والاقاليم الاسلامية المجاورة التابعة للأراتقة ومن ذلك ما قام به فى سبتمبر واكتوبر سنة ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) من هجمات على الأراتقة حول ماردين فاسر منهم كثيرين وحمل قدرا كبيرا من الغنائم (٢٦٠) . ومن النواحى التى استولى عليها « تل موزن (٢٦١) . وتل قراد (٢٦٢) . فى شمال شرق شبختان بالقرب جداً من ماردين (٢٦٣) » .

وهكذا استطاع بلدوين دى بورج ان يقضى على الخطر الأرتقى فى سروج عن طريق الأمدادات التى زودته بها انطاكية . ولا شك أن هذه الخطوة شجعته على ان يخطو خطوة اكبر ضد حران الواقعة الى الجنوب الشرقى من الرها ، والتى كانت المدينة الكبرى الوحيدة القريبة من الرها ، التى لم يسيطر عليها الفرنج حتى تكتمل سيطرتهم على الجزيرة (٢٦٤) . وكان لمساعدة بلدوين دى بورج فى تدبير مدينة

---

(٢٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٨ .

(٢٥٩) الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٦٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ١٣ ، روض المناظر : مخطوط رقم ٥٤م تاريخ حوادث ٤٩٤هـ واذا كانت غالبية المصادر العربية تجمع على أن ضم سروج لامارة الرها كان فى ٤٩٤هـ — يناير ١١٠١م فان ابن ايبك يذكر ان ذلك تم ٤٩٣هـ (ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٤٥٢) اما التاريخ الظفرى ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٤٩٥هـ فيذكر انه كان ٤٩٥هـ . والراجح ان ذلك راجع الى الخطأ فى ضبط التواريخ او الى السهو .

(٢٦٠) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٤٠ عن (متى الرهاوى)
Mattieu : Op. Cit., p. 70

(٢٦١) بلد قديم بين رأس عين وسروج . فتحه عياض بن غنم (ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٤٥) .

(٢٦٢) حصن مشهور فى بلاد الأرمن من نواحى شبختان (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(٢٦٣) Grousset : L'Empire, p. 298, Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

(٢٦٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 871.

بوهيموند امير انطاكية ١١٠٣م (٢٦٥) . اثره فى تعـاون أميرى انطاكية والرهـا فى هـذا العمل .

أوضــاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعة حران (١١٠٤م — ٤٩٧هـ)

قبل ان نتناول موقعة حران بين المسلمين والفرنج بشىء من التفصيل يجـدر بنـا ان نعطى صورة واضحة عن الوضـع فى الحقل الاسـلامى المحيط بها بل والوضـع الداخلى فيها والذى شجع الفرنج على التوجه اليهـا .

كان مسلموا الشرق ممزقين نتيجـة الحرب الأهلية بين السـلطان السلجوقى باركياروق وأخيه محمد . والتى امتـدت منـذ ٤٩٢هـ حتى ٤٩٧هـ (١٠٩٨م — ينـاير ١١٠٤م) . ففى سـنة ٤٩٢هـ ١٠٩٨م خطب للسـلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (٢٦٦) . وفى ٤٩٣هـ ١٠٩٩م دخل السـلطان بركياروق بغداد واعيدت له الخطبة بدلا من اخيه محمد فبعث الى الخليفة العباسى بهدية ثمينة (٢٦٧) . ثم لم يلبث الخلاف أن دب من جـديد فى نفس السنة بين الأخوين فانهزم بركياروق واعيدت الخطبة لأخيه محمد ببغداد (٢٦٨) .

وفى جمادى الأخرى ٤٩٤هـ ١١٠٠م التقى الأخوان من جديد فانهزم السـلطان محمد ولكن عندما دخـل بركياروق بغداد اسـاء السيرة فى اهلهـا ، ثم لم يلبث ان مرض فلحقه أخوه محمد ، فشـكا اليه الخليفـة العباسى من سوء سيرة أخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركياروق الا ان رحـل الى واسـط (٢٦٩) . وفى ٤٩٥هـ ١١٠١م تقاتل السـلطان بركياروق والسـلطان محمد وجرت بينهمـا حروب كثيرة انهزم فيهـا

---

(٢٦٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé: Op. Cit., p. 212.

(٢٦٦) كان ذلك يوم الجمعـة سـابع عشر ذى الحجة (ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩١) .

(٢٦٧) ذلك يوم الجمعة منتصف صفر (ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٥) .

(٢٦٨) يوم الجمعة رابـع عشر رجب (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٩٤) .

(٢٦٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٤ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ .

محمد (٢٧٠) . وتجـددت الحروب من جـديد بين الأخوين ٤٩٦هـ — ١١٠٢م (٢٧١) .

ولم يلبث هؤلاء السـلاطين أن تذكروا انـه يجب عليهم أن يضعوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا كلمتهم بعـد أن طمع العدو فى الأطراف لذلك بداوا التشـاور لعقـد الصـلح فارسل السلطان بركياروق رسولين الى أخيه لتقرير قواعـد الصلح « ورغباه فى الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب ، وطمع عـدو الاسـلام فى أطراف الأرض » . فأجابـه الى الصلح واستقر الأمر بينهما فى ربيع الثانى ٤٩٧هـ — يناير ١١٠٤م (٢٧٢). لـذا لم يكن لـدى الأخوين سوى وقت ضيق للاتفاق على خطط ضـد العـدو المشترك (٢٧٣) .

وفى الجزيرة نفسها اثار موت اتابك الموصل كربوغا حربا أهليـة ، فقـد فشل سقمان الأرتقى أمير ماردين فى الاحتفاظ بالحكم المرشـح له مما اوقعه فى حالة حرب مع الاتابك الجـديد جكرمش الذى اختير بواسطة محمد السلجوقى (٢٧٤) .

اما حران فقـد كانت لمملوك من مماليك ملكشـاه اسمه قراجـه ، فاناب عنه فى حكمها محمد الأصفهانى وهو الذى تخلص من قراجه بواسطة الأهالى الذين ظلمهم قراجـه . ثم تخلص الأصفهانى من اصحاب قراجـة فيما عـدا غلام واحـد يسمى جاولى ، الـذى اتفق مـع احـد خـدم الاصفهانى فقتله وهو سـكران (٢٧٥) .

والواقـع أن حران الى جانب تلك الأضطراب السياسى فى حكمها ، كانت تعانى من اضطراب اقتصـادى ايضـا بسبب سياسـة بلدوان

---

(٢٧٠) ابن كثيـر : البدايـة والنهايـة ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل . ج ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢٧١) ابن كثيـر : ج ١٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ، ابن الأثيـر : ج ٨ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ ، أبو المحاسن : ج ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير و البدايـة والنهايـة ج ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبرى : تاريـخ مختصر الـدول ، ص ١٩٧ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 40 - 41

(٢٧٣) Archer : Op. Cit., p. 144.

(٢٧٤) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 41, Archer : Op Cit., p. 144.

(٢٧٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ، ٣ ص ٥٦٨ (عن تاريخ بيبرس) .

دى بورج نفســـه الذى كان يقوم بهجمات متكررة عليهم ويمنعهم من مزاولة الزراعـــة فى أراضيهم ، لاعتقاده أنـــه يستطيع أن يؤمن جزءا وفيرا من المؤن لمواطنيه من الاقليم الواقـــع خلف الفرات ومن الاقليم الواقـــع ايضا فى المنطقـــة الوسطى بين الرهـــا وذلك النهر ، ولذا وصل اهالى حران ــ الذين حرموا من الخيرات التى اعتادوا الحصول عليهـــا من تلك الأرض المشتركة الى حالـــة شـــديدة من البؤس (٢٧٦) .

انتهز الفرنج ذلك الضيق السياسى والاقتصـــادى الذى كانت تعانيه حران ، وارادوا أن يستفيدوا من موقـــع تلك المدينـــة بوصفها مركزا اماميا فى اتجاه بغـــداد يمكنهم من مواجهـــة اية طعنة اسلامية (٢٧٧) .

وكان أن اجتمع من زعمـاء الصليبيين بلدوين دى بورج وبوهيموند امير انطاكية ومعـــه ابن اخته تنكريد (٢٧٨) ، هـــذا الى جانب جوسـلين دى كورتناى حاكم تل باشر وتضـــافرت معهم جموع كبيرة من الأرمن وكونوا بـــذلك جيشـــا كبير العـــدد (٢٧٩) . كذلك اشترك مـــع تلك الجيوش ثلاثـــة من كبار رجال الدين هم برنارد دى فالنس Bernard de Valence — بطريرك انطاكية اللاتينى ، بندكت رئيس أســـاقفة الـــرها اللاتين هذا بالأضـــافة الى دايمبرت بطريرك القدس الســـابق الـــذكر والذى كـــان وقتذاك يعيش فى انطاكيـــة منفيا لاجئا — والـــذى تبـــع جيش بوهيموند (٢٨٠) . وكانت خطـــة الصليبيين تقضى بعبور الفرات وحصـــار مدينـــة حران (٢٨١) .

---

(٢٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 403.

(٢٧٨) يسميهما سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ﺣ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ بيمند وطنكره) اما ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٣٣ فيسميهما (سمند صـــاحب انطاكية ونيكرى صـــاحب السواحل ، اما العينى : عقد الجمان ، ﺣ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ فيقول (بيمنـــد صـــاحب انطاكية وتنكرى صـــاحب الســـواحل) .

(٢٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Alberti Aquensis : Liber IX, T. 4, p.p. 614 - 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 403 - 404, V. 2, p. 871.

(٢٨٠) William : Ibid., V.1, p. 456, Grousset : Ibid., V. 1, p. 403 Runciman : Op. Cit., V: 2, p. 42. عن (Alberti)

(٢٨١) Alberti : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 614, William : Ibid. V. 1, p. 456

وفى ذلك الموقف تناسى المسلمون ما كان بينهم من خلافات خاصة. فاتفق الأمير معين الدولة سقمان بن أرتق القبطى أمير ماردين وحصن كيفا (٢٨٢) - مع شمس الدولة جكرمش أمير الموصل وصاحب جزيرة ابن عمر (٢٨٣) ، وانهوا خلافاتهما وجمعوا قوة عظيمة وتقدموا الى الرها فى ربيع ١١٠٤م (٢٨٤) . وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من الترك والعرب والأكراد فالتقوا على نهر البليخ حيث كانت الواقعة مع الصليبيين (٢٨٥).

وفى ذلك الوقت كانت حران كما اشرنا تعانى من محنة شديدة بسبب قلة الأقوات (٢٨٦) . وهى التى يورد لها متى الرهاوى مثالا واقعيا فى تاريخه (٢٨٧) ولما عرف الأهالى ان المسيحيين وصلوا الى مدينتهم ارسلوا الى أمراء الشرق يطلبون منهم مساعدة عاجلة ، فلما تأخرت عليهم هذه المساعدة ووجدوا انفسهم أمام الصليبيين وجها لوجه قرروا تسليم مدينتهم بدلا من تعريضها للخراب والتدمير (٢٨٨) . على ان بلدوين دى بورج لم يشأ ان يشغل قوات الصليبيين باقتسام الغنيمة قبل ان يطمئن الى القضاء على خطر الجيوش الاسلامية التى اقتربت

---

(٢٨٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٩ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٨٨ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ تحقيق بدوى عبد اللطيف ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر : جـ ٥ ص ٣٣ بل ان ابن الأثير : الباهر ص ١٦ يذكر انه « كان صاحب حصن كيفا وآمد من ٤٩٥ — ٤٩٨هـ وقد توفى ٤٩٨هـ » . ويذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ص ٦٢٥ ان حصن كيفا ويقال كيبا وهى بلدة وقلعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

(٢٨٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ٩ . ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٣٣ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٢٨٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٢٨٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٣٣ ، أما الذهبى العبر ، حـ ٣ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ فيذكر أن سقمان التقى بالفرنج فى حران ومعه عشرة آلاف وربما جمع بذلك قواته وقوات جكرمش .

(٢٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p: 457.

(٢٨٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71.

(٢٨٨) Michel Le Syrien : Op. : Op. Cit., Cit., p. 195, William V. 1, p.p. 457 - 458, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

منه لانقاذ حران (٢٨٩) . وكان أن دب الخلاف فعلا بين أمراء الصليبيين حول الاستئثار بحران (٢٩٠) . وبدأ النقاش حول أيهما يرفع علمه أولا على المدينة (٢٩١) . وبذلك تأجل دخول الفرنج الى حران الى اليوم التالى . « ولكن قبل بزوغ فجر اليوم التالى وصل جيش كبير من الأتراك حتى أن المسيحيين بدأوا يشكون حتى فى امكانية النجاة بأرواحهم (٢٩٢) » .

وفى المعركة التى دارت بين الفريقين كان جيش الرها على اليسار ليشغل قوات العدو الرئيسية ، بينما اختبأ جيش انطاكية خلف تل منخفض على بعد ميل من جهة اليمين ، مستعدا للتدخل فى آخر وقت (٢٩٣) .

أما المسلمون فقد اتخذوا خطة حكيمة بتقسيم قواتهم الى فريقين أحدهما يشغل المسيحيين دون أى اعتبار للنتيجة سواء جاءت بالنصر أو الهزيمة وفى نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بامدادهم بالطعام (٢٩٤). وفى الحال وبعد طلوع النهار سحب قادة المسلمين قواتهم ونظموا صفوفهم استعدادا للمعركة . وكانت معركة حامية (٢٩٥) . سيطر عليها المسلمون الذين وحدوا صفوفهم فى الشرق لأول مرة لمقاومة الخطر الصليبى .

ويقال ان المسلمين خدعوا خصومهم ، فتظاهروا بالفرار ، وأمعن الصليبيون فى مطاردتهم حتى وقعوا فى كمين (٢٩٦) . وهكذا حلت هزيمة قاسية بالمسيحيين حتى أن متى الرهاوى يقول ان جثث الأرمن

---

(٢٨٩) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1 p. 404, V. 2, p. 871 عن (Michel)

(٢٩٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٢٩١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٢٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4 p. 615, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Grousset : Hist des Crois., V. 1, p. 405.

(٢٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 458.

(٢٩٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١
Gesta Tancredi ... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710. Runciman : Op. Cit., V. 2, p.43.

ودمـــاءهم غطت ســطح الأرض فى حيـن امتـلأت ايـدى التركمـــان بالغنائم (٢٩٧) .

وهناك راى فى المصـــادر العربية يقول أن جيش بوهيموند وتنكريد لم يشتركا فى المعركـــة بدور فعال (٢٩٨) . لكن المصــادر اللاتينية تشير الى غير ذلك وتؤكـد ان الاتراك اسـتداروا نحو بوهيمونـد وتنكريـد واجلوهما (٢٩٩) .

ومهما يكن من امر فان المعســكر الأنطاكى لم يصب باى ضرر واخــذ قائداه بوهيموند وتنكريد « رجالهمَّا الشجعان واسرعوا للبحث عن ملجـأ فى الرهـــا (٣٠٠) » . أما مصير قائـدى المعسكر الرهوى فكما روى المؤرخون المسلمون « كان القمص بردويل (٣٠١) صاحب الرها قد انهزم مـــع جماعة من قمامصتهم وخاضـوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجــاء تركمــانى من اصــحاب سقمان فاخــذهم وحمــل بردويــل الى خيم صاحبه (٣٠٢) » . أما المؤرخون اللاتين فثمة اشــارة فى الجستا الى انه « لم يســمح لأهل الرهــا بالتطلــع الى انفسهم او حاجياتهم واسر بلدوين وقهر واقتيد بعيدا ، كذلك اسر الكاهن البائس بندكت (٣٠٣) » . واشــار (البــرت) الى ذلك بقولــه « هزم بلــدوين واســر واقتيــد

---

(٢٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢٩٩) Gesta Tancredi... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710, Alberti Aquensis. Historiae, Liber, IX. Hist. Occid., T. 4, p. 615.

(٣٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٣٠١) ذكر اسم بلدوين دى بورج فى المصــادر الاسلامية بهــذا الشكل (القمص بردويل) كل من : ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خــلدون : العبــر ، حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العــينى : عقــد الجمــان ، حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٩ ، بل انه احيانا يذكر (بردويل) فقط كما فى : عقــد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٥٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ١٦٣ واحيانا اخرى يذكر (القمص) فقط ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ او (القومص) روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ ص ٤٩٧ ؛ أما ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ فيذكر (القميص) .

(٣٠٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ ، يوسف الدبس : تاريخ سوريــة ، حـ ٦ ص ٤٥ Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 406,

(٣٠٣) Gesta Tancredi : Hist. Occid., T. 3, p. 710.

بعيــدا (٣٠٤) » . لكن لم يقتصر الأمر على اسر بلدوين وحــده ، بل اسـر معه أيضا جوسلين اعظم أتباعه ، واقتيد الاثنان اسيرين (٣٠٥) .

وغنم المسلمون غنائم عظيمة (٣٠٦) فى تلك المعركة التى تعرف باسم موقعــة حران او البليخ (٣٠٧) . ويمكننا ان نستشف مدى عظمتهــا بالنسبة للمسلمين من كلام ابن القلانسى ووليم الصورى فيذكر الأول « كان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله وبه قويت نفوس المسلمين وارهنت وارهفت عزائمهم فى نصرة الدين ومجــاهدة الملحــدين ، وتباشر الناس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم (٣٠٨) » . أما الثــانى فيقول « لم نقرأ خلال حكم اللاتين فى المشرق قبل أو بعــد ذلك الحــدث عن معركــة فادحة الخســارة كهذه التى ترتب عليها مذبحــة مروعــة للشجعان ، وهروب مشين لأبناء جنسنا (٣٠٩) » .

ونشعر بمدى وقــع موقعــة البليخ على الرهــا نفسها من خــلال تلك السطور التى كتبها متى الرهــاوى مصورا : « الحزن العميق والنواح والكآبة والدموع . اى منظر ذلك الذى حل بالرهــا ؟ اننا لا نسمع فى كل مكان سوى التأوهات والصراخ والأنين . أن كل البلاد المسيحية استسلمت لحزن شــديد (٣١٠) » .

والواقــع أن موقعة حران او البليخ سنة ٤٩٧هـ (٣١١) (١١٠٤م)

---

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber IX, T. 4, p. 616.

(٣٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 72, Michel : Op. Cit., p. 195, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Cahen : Op. Cit., p. 238, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٣٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣٠٧) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٣٠٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ .

(٣٠٩) William : Op. Cit.. V. 1, p. 459.

(٣١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٣١١) بينما اجمعت معظم المصــادر على أن تلك الموقعــة حدثت ٤٩٧هـ ــ ١١٠٤م مثل ابن الأثير: الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢١ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٣ ص ٣٤٥ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط رقم ٤٥م تاريخ احــوات ٤٩٧هـ . هــذا الى جــانب
(Mattieu : Op. Cit. p.p. 71 - 73, William : Op. Cit. V. 1, p. 459
فان ابن الأزرق الفارقى : تاريخه ق ١ ص ٢٧٤ ينفرد بالقول بانها كانت سنة ٤٩٩هـ . كذلك اذا كانت كل المصــادر تقريبــا تشير الى أن اسر

لم تترك اثرا واضحا فى حيـاة الرهـا السياسية فحسب ، بل بالنسبة للصليبيين عامة وبالنسبة لانطاكية خاصة . فبالنسـبة للصليبيين فان هذه الموقعة وضعت حـدا جغرافيا او حـدا اقصى للتوسـع اللاتينى جهـة المشرق (٣١٢) . هـذا الى ما ترتبه على هـذه الموقعة من فشـل خطة الصليبيين فى عزل المسلمين فى الأناضول والعراق والشـام بعضهم عن بعض (٣١٣) . اما من ناحيـة انطاكية فقـد شجعت الهزيمة التى حلت بالصـليبيين فى البليـخ كل من البيزنطيين والمسلمين فى حلب على غزوها (٣١٤) .

وما ان انتهت المعركة حتى بدا يتكشف من جديد الخلاف بين قـادة المسلمين وامرائهم . ذلك ان بلدوين كان قـد اسر كما راينا واقتيد الى معسكر سقمان « فلمـا راى اصحاب جكرمش أن اصحاب سقمان قد استولوا على مـال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل قـالوا لجكرمش : اى منزلة تكون لنا عند النـاس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ وحسنوا له اخذ القمص فاخذه من خيم سقمان ، فلمـا عـاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال ، فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا اوثر شفاء غيظى بشماتة الأعـداء بالمسلمين (٣١٥) » . وعندئذ رحـل سقمان واخـذ

= بلدوين دى بورج كان عند حران ، فان (بريبه) ينفرد بالقول ان ذلك كان عند الرقـة على الفرات فى مايو ١١٠٤م . والراجح أن ذلك غير صحيح .
(Bréhier : Vie et Mort ... p. 315,

(٣١٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركـة الصـليبية ، حـ ١ ص ٤٤٥ . عن (Runciman)

(٣١٤) (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 390,
فقد استولى البيزنطيون على اللاذقية
فى حين استولى رضوان حاكم حلب على اللوعة وسرمين ومعرة مصرين .
Grousset : L'Epopée, p. 80)
(Brehier : Vie et Mort ... p. 315 Setton Op. Cit. V. 1, p. 390,
(الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١

(٣١٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٢ .

سلاح الفرنج ورايتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شبختان وبها الفرنج ، فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدة حصون ، فى حين اتجه جكرمش الى الرها وحاصرها خمس عشرة ليلة (٣١٦) . فماذا كان وضع الرها عندئذ ؟

كانت الرها فى حالة حداد عام بعد اسر اميرها بلدوين دى بورج ووقوع نسبة كبرى من ابنائها بين قتلى واسرى (٣١٧) . اما من نجوا فقد فروا نحو اسوار الرها للدفاع عن المدينة واقامة التحصينات ، قبل ان يصل الاتراك ويستولوا عليها (٣١٨) . وكان أن اسرع بوهيموند وتنكريد الى الرها حيث رفعوا الروح المعنوية للأهالى ووضعوا المدينة بسرعة فى وضع الدفاع (٣١٩) . اما اهالى الرها فقد حاولوا الخروج من ذلك المأزق بسرعة وبحزم . فوضعوا المدينة تحت وصاية تنكريد (٣٢٠) . على ان اختيار اهل الرها لتنكريد حاكما جاء مشروطا بأن يخلى عن حكم المدينة بمجرد اطلاق سراح بلدوين (٣٢١) . اما تنكريد فقد تلقى ذلك العرض بكل غبطة ووافق على طلبهم (٣٢٢). اى أن الرها قبلت مؤقتا سيادة النورمان عليها (٣٢٣) . هذا فى

---

(٣١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر : حـ ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٣ . اما كاهين فيشير الى ان جكرمش هو الذى نهب الأماكن المسيحية فى شبختان اولا ثم توجه بعد ذلك لحصار الرها . Cahen : p. 238

(٣١٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣١٨) Alberti Aquensis : Historiae ...Liber IX..., T. 4, p. 616,

(٣١٩) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407

(٣٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616. Gesta Tancredi ... Hist. Occid. T. 3, p. 712, Bréhier : Vie et Mort ... p. 315, Setton : Op. Cit . V. 1, p. 389, Archer : Op. Cit., p. 145.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407.

(٣٢٢) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٣٢٣) Zoé . Op. Cit , p. 235.

حين عـاد بوهيموند الى انطاكية (٣٢٤) . ويقال انه وضـع ممتلكات جوسلين فى تل باشر تحت حمايته (٣٢٥) .

وبمجرد رحيل برهيموند ظهر جكرمش بجيش الموصل أمام الرهـا . حتى صـار السهل الذى فى مواجهتها مكسوا بآلاف من خيـام الأتراك ولكن تنكريد الذى لم تكن لديه سوى حفنة من الجند الفرنج استطاع أن يصمد ويستثير حماسـة الأرمن ، ممـا جعـلهم يقومون بدور مرموق ، ذلك أن الأرمن فى الرهـا تكتلوا حول زعيمهم الفرنجى ليسـدوا الطريق أمام الغزو التركى (٣٢٦) . وفى الوقت نفسـه أرسل تنكريد سرا الى انطاكيـة ليحـذر بوهيموند من أن الرهـا نفذ صبرها وانه بدون نجـدة سريعةفان العبء سيغدو ثقيلا عليه (٣٢٧) . وبالفعل استعد بوهيموند رغم حرج موقفه فى امارته امام غزوات حلب المتكررة ضـد انطاكيـة ، فاعد جيشـا من ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ من المشـاه وسـار الى الرهـا لكنه لم يستطع أن يصـل اليها الا فى اليوم السـابع من الحصـار بعد ان اشتدت وطأة الهجمات التى شنها الأتراك يوميا على المدينة (٣٢٨) . وعندما فقـد تنكريد الأمل فى وصول معونة اليه ، وضـع خطـة فدائية مع فريق من اهل المدينـة الذين فضلوا الموت عن الاستسلام ، فاندفعوا فى فجر احـد الأيام وباغتوا الجنـد الأتراك الذين كانوا قـد اشتد بهم

---

(٣٢٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616.
Gesta Tancredi... Op. Cit., T. 3, p. 712, Wiliam : Op. Cit., V. 1, p. 459.
ذلك لأن جيرانها كانوا قد بداوا يستعدون لاحراز اى منفعة من وراء هزيمة الفرنج (Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 43)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 459.

(٣٢٦) Alberti Aquensis : Liber IX... T. 4, p. 616,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Albert)
هنـا يذكر البرت أن تنكريد حصن المدينـة بحراسـة قوية وشجع المواطنين ووعدهم بانه سيحارب اعدائه بشجاعة وبدون تأخير . وما أن أدرك المواطنين مواسـاته وانه رجل ذو ثقة كبيرة وشجاعة عظيمة حتى قاوم كل المواطنين والجنود ، الأعداء المهاجمين وطردوهم .

(٣٢٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX ... Hist. Occid., T. 4, p. 617, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 408.
وسنذكر نص رسالة تنكريد الى بوهيموند مع الملاحق . وهنـا يذكر البرت أن سقمان اشترك فى مهاجمة الرهـا مع جكرمش . والراجح أن هذا غير صحيح .

(٣٢٨) Alberti : Ibid., p. 617, Grousset : Ibid., p. 408.

التعب وقيل أن بعضهم كان فى حالة من السكر ، واخذوهم على غرة واعملوا فيهم السيف فى الوقت الذى وصل بوهيموند على رأس فرسان انطاكية ليتموا النصر (٣٢٩) . أما جكرمش فقد عاد الى الموصل عندئذ (٣٣٠) .

الرهـا تحت حكم تنكريد :*

وبانتهاء تلك الفترة العصيبة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت وصاية البيت الأنطاكى ممثلا فى تنكريد . فماذا كان وضعها أثناء حكمه الذىاستمر من سنة ١١٠٤م حتى سنة ١١٠٨م (٤٩٨ — ٥٠٢هـ) ؟

ويبدو أن هذه الفترة كانت مظلمة فى تاريخ الرها بدليل ما يقول البرت عنه أنه « دنس المدينة فترة حكمه (٣٣١) » . والواقع ان الحاكم الحقيقى للرها فى تلك الفترة ، والتى قاسى فيها الأهالى كثيرا كان ريتشارد دى سالرنو ابن عم تنكريد (٣٣٢) .

ذلك أن بوهيموند اضطر الى السفر الى ايطاليا فى اوخر ١١٠٤م — ٤٩٨هـ (٣٣٣) . لطلب امدادات ضد الأمبراطور البيزنطى (٣٣٤) .

---

(٣٢٩) Grousset Ibid., p. 408, L'Epopée, p. 79, Cahen : p. 238.

(٣٣٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٣٣ .

Grousset : Ibid., p. 409

(٣٣١ Albert Aquensis : Historiae, Liber IX ... T .4, p. 616.

(٣٣٢) Zoé : Op. Cit., p. 235, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872.

وريتشارد هذا هو الذى أسره جيش بلدوين البولونى من جيش تنكريد فى معركة المصيصة بين الجانبين سنة ١٠٩٧م

(William : Op. Cit. V. 1, p. 30)

وأسر مرة اخرى مع بوهيموند بواسطة الدانشمنديين سنة ١١٠٠م .

Mattieu : Op. Cit., p. 32, Cahen : Op. Cit., p. 228).

(٣٣٣) Mattieu : Ibid., p. 78, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 416,Zoé : Op. Cit., p. 235.

أما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٩ فيذكران ذلك كان ٤٩٦هـ . وهو ماذكره الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩١ . والراجح ان هذا التاريخ غير صحيح لأنه كان قبل موقعه حران التى شارك فيها بوهيموند .

(٣٣٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 620, Matticu : Op. Cit., p. 73.

وعندما ابحر الى الغرب « لم يظهر ثانية على الأرض المقدسة (٣٣٥) ».
وترك حكم انطاكية والرها فى يد ابن اخته تنكريد (٣٣٦) فأودع تنكريد بدوره
الرها فى يد ريتشارد دى برنسيبات(٣٣٧).لكن ريتشارد هذا أنزل كثير من
الأضرار باهالي الرهـا(٣٣٨) . ولم يتبع اسلوب بلدوين البولونى .
وبلدوين دى بورج اللذين حكما قبله الرهـا (٣٣٩) . وبعبـارة أخرى
فان حكم ريتشارد فى الرهـا اتصف بالجشـع والصـلابة (٣٤٠) .
وكانت تنقصـه المقدرة ، لذا لم يستطع كبـح طغيان وجشـع اتباعه
الفرنج ففقد بسرعة اخلاص اتباعه الأرمن (٣٤١) .

لذلك لا عجب اذا وصفه المؤرخون بانه كان طماعا ، طاغية ، صـادر
مواطنى الرهـا المعروفين بثرائهم ، دون أن يعنى الا باثراء نفسـه قبل
ان يعود الأمير الشرعى للبلاد (٣٤٢) . ولذا تعرضت الرها فى ايامه
للتهديد من جـانب جكرمش (١١٠٥م) (٤٩٩هـ) . وقلج ارسـلان
(١١٠٦ — ١١٠٧م) (٥٠٠ — ٥٠١هـ) . مما جعل فترة حكم ريتشـارد
للرها ١١٠٤ — ١١٠٨م تتصف بالضعف وتعرضها للخطر (٣٤٣) .

والواقع ان ذلك الوضع السيء الذى تعرضت له الرهـا طوال اربع
سنوات لم يضع حدا سوى اطلاق سراح اميرها الشرعى بلدوين دى بورج .

وكان جوسلين هو اول من اطلق سراحـه من الأسرى بسبب اخلاص
رعاياه فى تل باشر « فقـد ذهب بعض رجال من تل باشر وحـددوا فدية
جوسلين وبقواهم انفسهم فى السجن كرهـائن وخرج جوسلين ليحمل

---

(٣٣٥) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٣٣٧) Michel : Op. Cit., p. 195, Cahen : Op. Cit., p. 246. Zoé Op. Cit., 230, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872, V. 1, p. 415.

(٣٣٨) Michel : Ibid., p. 195.

(٣٣٩) Zoé : Op. Cit., p. 293.

(٣٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 246.

(٣٤١) Setton : Op. Cit, V. 1, p. 393.
اما جروسـية فيقول « انـه كـدر العنصر الأرمنى » بسبب جشـعه واخفاقه العسـكرى
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 437.

(٣٤٢) Grousset : Ibid., V. 2, p. 872 عن L'Anonyme Syriaque)

(٣٤٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

الذهب المطلوب لاطلاق سراح الرهائن (٣٤٤) » . وبمجرد أن اطلق سراح جوسلين ثقب الرجال الموجودين كرهائن المكان الذى سجنوا فيه وهربوا « واطلق سراح جوسلين بدون فدية (٣٤٥) » .

اما المصادر العربية فتذكر ان جوسلين افتدى نفسه بالفعل « بعشرة آلاف دينار (٣٤٦) » . وما كاد يتم اطلاق سراح جوسلين حتى عمل نائبا على اطلاق سراح سيده الأعلى بلدوين دى بورج الذى كان قد فقد الأمل فى استعادة حريته . وحاول جوسلين جاهدا ان يغرى حكرمش باطلاق سراحه فى مقابل مبلغ من المال لكن طلبه رفض (٣٤٧) . وبعد موت الأتابك حكرمش غدا الأمير بلدوين فى يد جاولى (٣٤٨) ، أمير الموصل الجديد .

كانت ولاية جاولى سقاووا او سقاوه (٣٤٩) . على الموصل هى اولى بوادر الأمل لاطلاق سراح بلدوين . على ان جاولى لم يلبث ان عزل عن الموصل وحل محله الأمير مودود بن التونتكين سنة ١١٠٨م (٥٠٢) (٣٥٠) . وعندئذ غادر جاولى الموصل ومعه الأمير بلدوين

(٣٤٤) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 433.

(٣٤٥) Michel : Ibid, p. 195, Grousset ; Ibid., p. 433.

(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٢ (أ) ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٤٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 434.

(٣٤٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٠ (أ) ، ابن الأثير الباهر ، ص ١٦ ويذكر الأخير ان حكم جاولى على الموصل امتد من ٥٠٠هـ — ٥٠٢هـ .

(٣٥٠) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٢٠ (أ ، ب) ، ٢١ (أ) Michel : Op. Cit. p. 215 ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦١ ، الفارقى . تاريخه ، ق ١ ص ٣٧٥ . واذا كان كل من ابن الأثير : الباهر ص ١٧ . أبو الفدا المختصر حـ ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ١٩ يذكرون ان ذلك كان فى صفر ٥٠٢هـ فان ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٩ يذكر « ان مودود ابى شتكين استولى على الموصل واعمالها فى المحرم ٥٠٢هـ » ولكن الراجح أن ذلك التاريخ غير صحيح استنادا لرأى ابن الأثير وابن الفرات .

دى بورج ليطلق سراحــه بعــد قليل ، بعــد ان قضى فى الأسر خمس سنوات (٣٥١) . وقــد تعهد بلدوين بان يفدى نفســه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وأن ينصره متى اراد ذلك منــه بنفسه وعســاكره وماله (٣٥٢) . وهنا نلاحظ ان قيمة الفدية لم تحــدد اما ميخائيل ومن اخــذ عنه فيحددها بسبعين الف دينار (٣٥٣) .

وكان أن سيرجاولى بلدوين الى قلعة جعبر (٣٥٤) ، وسلمه الى صــاحبها ســالم بن مالك (٣٥٥) . وتولى المفاوضــات فى امر اطلاق سراح بلدوين دى بورج كل من ســالم بن مالك نفســه وجوسلين دى كورتناى الذى كان قــد اطلق سراحــه من فترة قليلة . وقــد تم الاتفاق بينهمــا على اطــلاق سراح بلــدوين على ان يبقى جوســلين رهينــة مكانه (٣٥٦) . وبالفعل استعد جوسلين لتنفيذ ذلك الشرط مما استثار اعجــاب جاولى بشخصية جوسلين الــذى كان الجميع يتحاكون بــه . ويفصل ميخائيل السريانى قصــة اطلاق سراح بلدوين وجوسلين فيروى لنا ان « جوسلين حضر ومعــه ثلاثون الف دينار من السبعين الف المحددة لفدية بلدوين ووضــع نفســه رهينة واطلق سراح بلدوين . وعندما سمع سلطان الموصل ــ يقصد جاولى ــ بعودة جوسلين اخذته الدهشة وطلب رؤيته لأنه لم يره من قبــل وبالفعل توجــه جوسلين الى الموصل فلمــا رآه الســلطان انقص عشرة آلاف دينــار من فــدية بلدوين . فســجد جوسلين ورفع وجهه من الأرض ليحييه ، وعندئذ انقص السلطان مرة اخرى عشرة آلاف دينار اخرى وفى الصباح عندما خرج الســلطان مــع قواته امر جوسلين ان يركب حصــانا وان يأخذ ســلاحه . وعندما راى

---

(٣٥١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ مخطوط ص ٢١ (ب) ، ٢٢ (أ) ، العينى : عقد الجمــان ، جـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ ، وكــان اطــلاق سراح بلدوين عند بلدة ماكسين .

(٣٥٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريــخ الــدول والملوك ، مخطوط جـ ١ ص ٢٢ (أ) ، العينى : عقــد الجمان ، مخطوط جـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٣٥٣) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434.

(٣٥٤) (Dussaud) عن Grousset : Ibid., p. 434

(٣٥٥) ابن الأثير الكامل : ، جـ ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٥٦) ابن الأثير : المصــدر الســابق نفس الصفحة ، ابن الفرات: مخطوط ، جـ ١ ص ٢٢ (أ) .

السلطان وكل الحشد الموجود ، جمال وقوة جوسلين ، اعجب بـه واسقط كل الفدية المطلوبة من بلدوين ، فعاد جوسلين وهو فى غـاية الفرح (٣٥٧) » .

فى هـذا النص يشير ميخائيل الى ان جوسلين توجـه الى سلطان الموصـل — ويقصـد هنا جـاولى — ولكن المعروف ان اطـلاق سراح بلدوين تم عندما كان جاولى مطرودا من الموصـل فلم يكن اميرا لهـا وقتـذاك . وان اطـلاق سراح بلـدوين كان فى ماكسين والمفاوضـات كانت فى قلعة جعبر وليست فى الموصـل . كما يفهم من النص السـابق ايضـا ان بلدوين دى بورج اطلق سراحه هو الآخر بدون فدية . ولكن الراجح ان جاولى اخـذ مقدم الفدية فقط واسقط الباقى كما سنرى .

ويذكر متى الرهـاوى ان جوسلين اطلق سراح بلدوين امير الرهـا فى مقابل مبلـغ كبير من المـال (٣٥٨) . اما المصـدر اللاتينى فيقول « ان بلدوين بعـد ان امضى خمس سنوات فى الأسر ، وبعـد ان قتلت الرهائن ذاتها حراس السجن بطريقة بارعة هرب من السجن(٣٥٩) » . ويؤيد هـذا الراى ما ذكره وليم الصورى من انه « فى صيف ١١٠٨م أو فى بداية ١١٠٩م ومن طريق الصـدفة قتـل رهـائن بلدوين وجوسـلين الحراس المسئولين عن الاشراف عليهم بينما كـان هؤلاء الحراس فى سبات عميق اثر شرب الخمر ، ثم سـافر فى الليل بواسطة بعض الطرق الجانبية الملتويـة استطاعا ان يتخذا طريقهما الى بلادهما (٣٦٠) » .

اما ابن الاثير فيذكر انه « لمـا وصل جوسلين الى قلعـة جعبر واقام رهينـة عوض القمص واطلق القمص وسـار الى انطاكية واخـذ جاولى

---

(٣٥٧) Michel : Op. Cit. p.p. 195 - 196, Zoé : p. 294.
والأخير يعلق على ذلك بقوله
أن لطف جوسلين ورقته سـاعدته تلقائيا على اقامة علاقات انسـانية مـع اعدائه (وهو يقصـد هنـا جاولى(p. 295)
اما جروسيه فيعلق على ذلك النص بانه لم يكن الا صدى للأخبار المروية عن آدب الفروسية : ونوع من التحالف الشخصى بين جاولى من ناحيـة وبلدوين دى بورج وجوسلين من ناحيـة أخرى .
(Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434).

(٣٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 85.
(٣٥٩) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit. . T. 3, p. 410.
(٣٦٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخــذ عوضـــه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ، وليحثه على اطلاق الأسرى وانفاذ المـــال وما ضمنه (٣٦١) » . اى انه كانت هنـــاك فديه بالفعل . هنــا تذكر المصــــادر العربية أن فداء بلدوين كان « خمســـة وثلاثين دينـــارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين (٣٦٢) » .

ومهما تختلف المصــــادر فى موضوع الفدية — التى يرجح وجودهـــا من ناحية المبدأ بالفعل — فان الجميع اتفقوا على ان بلدوين اطلق سراحه وتم نوع من التحالف بين جاولى من ناحيـــة وبلـــدوين وجوســـلين من ناحيـــة اخرى .

وتقول بعض المصــــادر انه عندما تم اطلاق سراح بلدوين فانه توجه الى امارته الســـابقة فى الرهـــا ولكنه لم يستطع دخولها ، لأن رجـــال تنكريد منعوه من ذلك (٣٦٣) . ولكن الراجح — كمـــورد فى المصـــادر الاســــلامية وغيرهـــا ، انه توجـــه فور اطلاق سراحـــه الى انطاكيـــة للحصول على باقى فديته المستحقة عليه ولكى يسترد امارته من تنكريد ، السيد الأعلى للرها وقتذاك:فاعطاه تنكريد ثلاثين الف دينارا وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك (٣٦٤) ، ولكنه رفض رد امارته اليـــه فخرج بلدوين من عنده غاضبا الى تل باشر (٣٦٥) . وكان ان اصـــدر تنكريد اوامره الى نائبه فى الرهـــا ريتشـــارد دى سالرنو بالا يسلمها لبلدوين (٣٦٦) .

---

(٣٦١) ابن الأثير : الكامل . حـ ٨ ص ٢٥٣ . الصيخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(٣٦٢) ابن الأثير : المصـــدر الســـابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون العبر . حـ ٥ ، ص ٣٣ ، العينى : عقد الجمـــان ، حـ ١٥م ٢ ، ص ٥٦٩ ، الدس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٤٥ . الطباخ : اعلام النبلاء . حـ ١ ص ٣٩٣ .

(٣٦٣) Fulcherii : Op. Cit. . T. 3, p. 410. William : Op. Cit., V. 1, p.p 373; 474.

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ . ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٢ (ب) ، ابن خلدون : العبر . حـ ٥ ص ١٤١ العينى : عقد الجمان . مخطوط حـ ١٥م ٢ ص ٦٢٨ .

Grousset : Hist des Crois.. V 1 p. 435.

(٣٦٥) ابن الأثير : نفس المصـــدر والصفحة ، ابن الفرات : المصدر والصفحة ، ابن خلدون المصـــدر والصفحة . العينى . حـ ١٥م ٢ ص ٦٣٩ ،

Grousset : Hist. des Crois. V. 1. p. 436.

(٣٦٦) Mattieu : Op. Cit p 86

والواقــع ان اصرار تنكريــد على التمســك بحق غير شرعى له ، ادى فى النهاية الى انقســام الصليبيين ــ بل الى انقســـام المسلمين ــ على انفسهم ، فقامت حرب اهلية بين الجانبين سنتناولها فى باب العلاقات الخارجية ، ورد ذكرهــا فى بعض المصــادر والمراجع (٣٦٧) . وعندما وصل الأمر الى ذلك الحد ، تغلب العقل حرصــا على الكيان الصليبى فى الشرق . فتدخل الرؤســاء والنبلاء فى البلاد وذوى المكانــة العاليــة . لقــد عرموا ان قيــام العداوة بين الرجلين فى مثل تلك الدرجة العالية امر بالــغ الخطورة وســوف يكون مصــدرا لضرر فعــال للاهـــالى المسيحيين . وبنــاء على ذلك اخــذوا على عاتقهم مهمــة التوفيق بين الطرفين ونجحوا فى ايجاد صــلح بينهما (٣٦٨) . والراجح ان التوصل الى صلح بينهما كان راجعا فى المقــام الأول الى تــدخل رجــال الدين فقــد « توسط بينهما البطرك الذى لهم ، وهو عنــدهم كالأمام الــذى للمسلمين ، لا يخالف أمره وشهد جماعــة من البطارقة والقسيسين ان بيموند خــال طنكرى قال له لمــا اراد ركوب البحر والعودة الى بلاده ان يعيد الرهــا الى القمص اذا خلص من الأسر (٣٦٩) » .

ويؤكــد وليم الصورى وفولشر ان تنكريد « بعد تفكير عن رؤية فيه غيرفكره (٣٧٠) » . وتذكر ذلك القسم الذى اقسمه بوهيموند « حتى يتجنب اى صراع فى اى مكان أو اى زمان (٣٧١) » . وبذلك استعاد بلــدوين امارتــه فى التاســع من صفر ٥٠٢هـ (٣٧٢) ، ١٨ سبتمبر

---

(٣٦٧) Mattieu : Ibid., p. 85 - 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, Cahen : Op. Cit. p. 249 - 251, Zoé : Op. Cit., p.p. 239 - 240, Grousset : L'Epopée, p. 83, Hist. des Crois., V. 1, p.p. 439 - 442.

(٣٦٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٣٣ (ا) ، عقد الجمان ، حـ ١٥م ٢ ص ١٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ .

ويورد ابن خلدون نفس المعنى فى كتابه العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ مــع الاشــارة الى تنكريد باسم (سكرى) والى بوهيموند باسم اسمند .

(٣٧٠) William : Op. Cit. V. 1. p. 474.

(٣٧١) Fulcheri : Op. Cit., T. 3 p. 410.

(٣٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ١٥٤ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (ا) وينفرد ابن خلدون ضن ذلك كان فى صفر سنة ٥٠٢هـ (ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١) .

١١٠٨م (٣٧٣) .

ولكن اذا كان بلدوين دى بورج قد عـاد من جـديد لامارته الا انه بدأ فترة جـديدة من الصراع العنيف ضـد القوى الاسلامية ممثـلة فى الاتراك الذين تعـددت هجماتهم على الرهـا ، كمـا سيأتى شرح ذلك بالتفصيل فى باب العلاقات مع جيران الرهـا من المسلمين .

العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين : سنة ١١١٣م — (٥٠٧هـ) .

فى ١١١٣ م (٥٠٧هـ) بدأت العلاقات تسـوء بين بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى حتى انتهت بقطع العلاقات بين الطرفين . وقـد انفرد وليم الصورى بتفصيل سبب ذلك ، فقال انه حدث فى تلك السنة ان ارسـل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسـله فى مهمة خاصـة الى روجر بن ريتشـارد حاكم انطاكية . وبعد ان عبر أولئك الرسل الفرات ، مروا عبر اراضى جوسلين الذى استقبلهم بحفاوة وكرم زائدين . ولكن حـدث اثنـاء وجودهم فى ضيافة جوسلين ان اخذ بعض عبيده يذمون الرسـل وينتقدون فقر الأمير بلدوين ، وفى نفس الوقت تفـاخروا بثراء سـيدهم جوسلين ، وبمـا يمتلكه من كميات وافرة من الحبوب والخمور والزيت والمؤن فضلا عن الذهب والفضة ، وبما يتبعه من عديد الفرسان والمشاه وضمنوا نقدهم اللاذع بعبارات فحواها ان الأمير بلدوين غدا غير صـالح لحكم تلك البلاد وانه من دواعى الحكمة ان يبيع امـارته للأمير جوسلين وبذلك يحصل على مبلغ كبير من المـال يعود به الى فرنسـا(٣٧٤) . ويعلق جروسيه بان جوسلين نفسـه اخطأ فى حق الأمير بلدوين ، وذكر وهو ثمل انه يستطيع ان يشترى ارض الرها من سيدها المفلس(٣٧٥) .

وكان ان عاد الرسل الى اميرهم ليقدموا له تقريرا مفصلا عما حدث وعما سمعوه من تجريح من جوسلين ورجاله(٣٧٦) . ويبدو ان الأمير

---

(٣٧٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.
(ما وليم الصورى فيذكر ان ذلك كان فى ١٨ ابريل ١١٠٩م (William : Op. Cit., V. 1, p. 475)
والواقـع ان ٥٠٢هـ يقابلها ميلادى من ١١ أغسطس ١١٠٨ الى ٣١ يولية ١١٠٩م (زامبور : معجم الأنسـاب ، حـ ٢ ص ٥٢٧) .

(٣٧٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٥) Grousset : L'Epopée, p. 111.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

بلدوين تاثر تاثرا عميقا لما سمعه وازداد سخطا على جوسلين لانه السبب فى نعمته ، وعز عليه ان يتنكر له وينسى الجميل والمعروف(٣٧٧) .

وكان ان تظاهر بلدوين بالمرض ، ورقد طريح الفراش وأمر باستدعاء قريبه جوسلين فورا . فحضر فى الحال دون أن يتسرب اى شك الى قلبه. وعند وصوله الى الرها وجد الأمير بلدوين فى قلعة المدينة ، مستلقيا ، فى حجرة داخلية ، فدخل جوسلين وبعد ان ادى التحية المعتادة سال الأمير عن صحته فأجابه « أحسن كثيرا — بفضل الله — مما تتمنى » . ثم أخذ بلدوين يوبخ جوسلين لعدم وفائه وتنكره له . وطالبه بان يسلم له فورا ممتلكاته التى انعم بها عليه(٣٧٨) . وفى الحال أصدر بلدوين أوامره بزج جوسلين فى السجن حيث تعرض لكل أنواع التعذيب حتى يتنازل عن كل البلاد ويتخلى عن كل المناصب والحقوق التى تلقاها على شكل هبات من بلدوين(٣٧٩) .

وهكذا حرم جوسلين من كافة ممتلكاته فترك الرها ، وتوجه الى الملك بلدوين الأول ملك القدس ، حيث قدم له تقريرا مفصلا عما حدث وافصح عن رغبته فى العودة الى وطنه فى الغرب الأوربى وبعد ان استمع اليه الملك ، اقطعه طبرية(٣٨٠) وضواحيها طوال حياته . « لأنه يعلم ان جوسلين سيفيد المملكة بخدماته العظيمة ورغب فى أن يستفيد من مساعدات رجل عظيم مثله » (٣٨١) ويشير ابن الفرات الى تلك القصة

---

(٣٧٧) William : Ibid., p.p. 498 - 499.

(٣٧٨) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, حاشيه
Grousset : L'Epopée, p.p. 111 - 112 :

(٣٧٩) William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 126.
Cahen : Op. Cit., p. 265.

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 294, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 57.
بينما يذكر ميشو انه اخذ اقطاع طبريه يذكر أولدنبرج انه اخذ اقطاع الجليل الذى كان خاليا بسبب موت صاحبه السابق
Hugues de Saint-Omer
ويؤيده فى هذا الراى كاهن (Cahen : Op. Cit., p. 265 ويجمع جروسيه بين الرايين بقوله « اعطاه طبرية وامارة الجليل ، حيث اظهر فى تلك الامارة الجديدة قدراته الفائقة كسلفه هيوجودى سانت أومير
(Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 489.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.126,
Grousset : L'Epopée, p. 112, Setton : Op. Cit., p. 402,
Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 874 عن (L'Anonyme).

بقوله : « كان اللعين جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو واللعين بغدوين الرويس صاحب الرها ففارقه وصار الى اللعين بغدويل صاحب القدس فاقطعه طبرية »(٣٨٢) .

وبعد أن تخلص بلدوين دى بورج من كل العناصر المنسوئة له وقبض بيد قوية على شئون امارته وحماها من الاخطار التركية . اخذ يتطلع نحو الشمال ، اى الى المناطق الارمينية ليتوسع على حسبها . والواقع ان هذا الاتجاه لم يكن جديدا فقد سبق قبل تسع سنوات ان دخلت مدينة مرعش فى حوزة امارة الرها ، تحت سيادة جوسلين دى كورتناى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) (٣٨٣) . وسنشير الى توسع بلدوين دى بورج فى هذا الاتجاه بالتفصيل فى فصل العلاقات مع الارمن خارج الرها .

وهكذا دعم بلدوين دى بورج الأسس التى وضعها بلدوين البولونى فى الرها واضاف اليها الجديد ، كما امن الامارة من الاخطار الخارجية والداخلية . « فلاكثر من ثمانية عشر عاما حكم الامارة بنشاط ونجاح . واخيرا ، اى فى السنة الثامنة عشر من حكمه عندما تاكد من ان امارته غدت فى حال من الاستقرار والسلام تحسد عليها ، عزم على زيارة ملك القدس سيده الأعلى وقريبه وولى نعمته ، فضلا عن رغبته فى نفس الوقت فى زياره الأماكن المقدسة(٣٨٤) .

وبالفعل تمت الترتيبات الضرورية للرحلة ، وعهد بالعناية بامارته الى ابن خالته جاليران دى بويست Galeran du Puiset حاكم البيرة(٣٨٥) ، الذى كانت لديه ثقة كاملة فى اخلاصه ويقظته(٣٨٦) .

ولكن حدث اثناء طريقه أن قابلته سفارة ، اخبرته أن الملك بلدوين قد مات فى مصر ، فقلق كثيرا لتلك الاخبار . ومع ذلك فانه استمر

---

(٣٨٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ص٦٧(أ) ،

(٣٨٣) Michel : Op. Cit., p. 75.

سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٢، ص Runciman،

(٣٨٤) William Op. Cit., V. 1, p. 518.

(٣٨٥) Grousset L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 91 عن (L'Anonyme)

(٣٨٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 518.

فى رحلتـــه مسرعا نحو بيت المقـــدس ؛ حتى وصلها فى يوم عيد ســــعف النخيل(٣٨٧) وهو احد الشعانين(٣٨٨) وكان توافقا مجيبا انه « فى نفس الوقت الذى دخــل فيه الأمير بلدوين دى بورج وحرسه المدينة من باب افرام كان تابوت الملك بلدوين الأول محمولا فى موكب جنائزى فى الجهة المقـــابلة من جهة باب دمشق (٣٨٩) .

كان الملك بلدوين الأول ، قد خرج فى اوائل تلك السنة ١١١٨م (١١٥هـ) وتوجه الى مصر حتى وصل الى الفرما وقيل الى تنيس ولكنه لم يلبث أن مرض فقرر العودة بسرعة الى القـــدس ، ومات فى الطريق قبل وصوله الى العريش(٣٩٠) . وذلك فى ٢ ابريل ١١١٨م (١١٥هـ) (٣٩١) .

ولا شك فى ان وفاة بلدوين الأول المفاجئة ادت الى موقف صعب فى مملكة بيت المقـــدس الصليبية لأنه لم يخلف أولادا (٣٩٢) . ولذا تضاربت الآراء فى كيفية ملء عرش القدس . فنكر متى الرهـــاوى « أنه قبـــل أن يموت الملك بلـــدوين مبـــاشرة أوصى باستدعاء بلـــدوين دى بورج ليكون وصيا على مملكة بيت القدس حتى يصل أخوه ايوستاش **Eustache** من فرنسا وأن يعطوا التـــاج ذلك الأخير (٣٩٣) » . ومعنى ذلك ان وصية الملك كانت لأخيه وليست لبلدوين دى بورج .

أما المصادر العربية فتشير الى ان الملك بلدوين الأول قد « اوصى له بالملك بعده (٣٩٤) » فقبله « واجتمع له القدس والرهـــا (٣٩٥) » اى ان

---

(٣٨٧) William : Ibid., p. 518.

(٣٨٨) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 56.

(٣٨٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 518, Michaud : Ibid V. 2, p. 56.

(٣٩٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن الفرات : تـــاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ١١١ (ب) ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٨٠ .

(٣٩١) Schlumberger : Sigillographie... de L'Orient Latin, p. 1. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 410.

(٣٩٢) Setton : Ibid., V. 1, p. 410.

(٣٩٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 118 - 119.

(٣٩٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبرى : تـــاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن العمـــاد : شذرات الذهب ، حـ ٤ ص ٣٠ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب السابع .

(٣٩٥) ابن الأثير : المصدر الســـابق والصفحة ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ، حـ ١ ص ١١٢ (أ) .

وصية الملك كانت لبلدوين دى بورج،وربما يرجع ذلك الى محض الاستنتاج لأنه الذى تولى بعده بالفعل ، أما المصدر السريانى فيذكر « أن الملك اوصى أن يصبح بلدوين دى بورج ، أمير الرها وابن اخت الملك ملكا من بعده (٣٩٦) » والواقع أن بلدوين دى بورج لم يكن ابن اخت الملك بلدوين الأول لكنه كان ابن عمه (٣٩٧) . كذلك تشير بعض المراجع الافرنجية الى أن الملك اختار أيوستاش اولا ثم بلدوين ثانيا (٣٩٨) . ويشير البعض الآخر الى ان الملك لم يعين له خليفة (٣٩٩) ، ولم يعمل حسابا للموت فيوصى فى حياته بتعيين شخص معين يتولى عرش المملكة من بعده (٤٠٠) .

ومهما يكن من أمر فان وصول بلدوين دى بورج الى بيت المقدس فى نفس الوقت الذى وصل فيه جثمان الملك الراحل ، قوبل من أهل المدينة وأمرائها على أنه نوع من التدبير الالهى ، على قول متى الرهاوى ، فعهدوا اليه بالوصاية ، لكن بلدوين الذى كان طموحا لم يوافق ابدا على ذلك ، ووعد بأن ينهض بمهمة الوصاية لمدة سنة واحدة ، اذا لم يحضر خلالها اخو الملك ، يصبح من حقه اعتلاء عرش المملكة (٤٠١) .

على ان هذا الحل قوبل بمعارضة من جانب المتمسكين بمبدأ الوراثة وفق القانون الاقطاعى والذين راوا ضرورة انتظار وصول اخى الملك بلدوين من الغرب مهما تكن الأحوال (٤٠٢) . وهنا تدخل جوسلين دى كورتناى لحسم الموقف ، وانضم الى جانبه البطريرك ارنولف مالكورن Arnoul Malecorne وجماعته الذين نادوا بضرورة تعيين ملك فى الحال (٤٠٣) . وقد نادى جوسلين « بأن أمير الرها حاضر ، وهو يتمتع

---

(٣٩٦) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٣٩٧) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٣٨
Harold Lamb : Op. Cit., p. 228.

(٣٩٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 80, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٩) Zot : Op. Cit., p. 261.

(٤٠٠) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٩٨ (عن (William)

(٤٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 519, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٤٠٣) Alberti : Op. Cit. Liber XII. T. 4, p. 709, William : Ibid., p. 520, Setton : Ibid., p. 411.

باخلاق الرجال وجدير بالاحترام ، فضلا عن انه من اقارب الملك الراحل ، ويتصف بالشجاعة فى الحرب ، ولا يمكن ان يطمع الصليبيون فى رجل آخر افضل منه . وبناء على ذلك فانه من الحكمة تعيينه انقاذاً لموقف المملكة بدلا من الانتظار وسط اخطار مجهولة (٤٠٤) » .

ولما كان الخير ما شهد به الأعداء ، فقد ادرك جميع النبلاء الحاضرين عندئذ كلمات جوسلين واكبروا صراحته وصدقه ، لمعرفتهم بالعداء الذى كان بين جوسلين دى كورتناى وبين بلدوين دى بورج (٤٠٥)

والذى سبق أن اشرنا اليه بالتفصيل . وهنا اشار بعض المؤرخين الى أن جوسلين راى فى ذلك فرصة لاسترضاء بلدوين دى بورج وازالة ما فى نفسه من رواسب الماضى (٤٠٦) . كما اشار وليم بأن هدف جوسلين الحقيقى من وراء موقفه « أنه كان يهدف أن يخلف بلدوين دى بورج فى امارة الرها فى المستقبل (٤٠٧) » .

وهكذا لعب جوسلين دوره بمهارة حتى تم اختيار بلدوين دى بورج ملكا على بيت المقدس (٤٠٨) . وحدث ذلك باجماع كل الآراء والأطراف (٤٠٩) فتوج بلدوين ملكا فى ١٤ ابريل ١١١٨م وهو يوم عيد الفصح (٤١٠) . وبذلك فازت مملكة بيت المقدس « بامير صليبى له خبرته وتجاربه الشاقة فى محاربة المسلمين ، بل قضى بضع سنوات فى سجونهم (٤١١) » . وحمل الملك الجديد اسم بلدوين الثانى (٤١٢) .

---

(٤٠٤) William : Ibid., p. 520.

(٤٠٥) William : Ibid., p. 526, Archer. Op. Cit., p. 159.

(٤٠٦) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٩٨

(٤٠٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 520.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(٤٠٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber XII (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 709.

(٤١٠) Mattieu : Op. Cit., p. 119, Schlumberger : Op. Cit., p. 3. Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 81, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 411.

اما ميخائيل السريانى فقد ذكر أن ذلك تم فى يوم الثلاثاء ٩ (نيسان) ابريل ١١١٨م (Michel : Op. Cit., p. 196) وبعد حوالى سنة احتفل بحفلة تتويج بلدوين فى كنيسة بيت لحم فى يوم عيد الميلاد .

William : Op. Cit., V. 1, p. 520, Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤١١) Iorga : Op. Cit., p. 81.

(٤١٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 534.

ولكى يكافىء الملك الجديد ، جوسلين دى كورتناى على الخدمة التى قدمها اليه منذ قليل ، ولرغبته فى ان ينسيه القسوة التى عامله بها من قبل ، اعطاه امارة الرها ، وهى الامارة التى كان جوسلين يعرفها حق المعرفة . فبعد ان حلف بلدوين دى بورج اليمين تخلى لجوسلين عن اقطاعه (امارة الرها) الى جانب تل باشر وذلك ١١١٩م — ٥١٣هـ (٤١٣) على ان يكون تابعا للملك بلدوين الثانى فى حكم تلك الامارة (٤١٤)

وكانت الرها فى تلك الفترة الفاصلة التى بدات بخروج بلدوين لزيارة القدس حتى تم تتويجه ملكا للقدس ، فى رعاية حاكم البيرة جاليران دى بويست وهو ابن خالة بلدوين نفسه (٤١٥) . وبتعيين جوسلين حاكما على الرها فى نهاية اغسطس ١١١٩م عاد جاليران الى اقطاعه البيرة (٤١٦) .

امارة جوسلين دى كورتناى على الرها ١١١٩ — ١١٣١م (٤١٧) ٥١٣ — ٥٢٦هـ .

كان جوسلين هذا ابن عمة بلدوين دى بورج مباشرة ، وقد اجمع المؤرخون على امتداح شجاعته واخلاقه فيذكر (اولد نبرج) « أنه بقوته وشجاعته وعلمه لفن الحرب وحسن وقارة يعتبر احد الفرسان البارزين فى بلاد الشام الفرنجية (٤١٨) » . اما وليم الصورى فيجمل صفاته فى سطور فيقول : « كان جوسلين رجلا ذا خبرة واسعة بالحياة والناس ، حذرا فى كل ما يفعله ، يظهر تعقلا شديدا فى معالجة الأمور ، وترتيب وتنظيم شئونه الخاصة (٤١٩) » . اما ميخائيل السريانى فيصفه بأنه

---

(٤١٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 196.
(حاشية عن وليم الصورى)

(٤١٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.

Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٩٩ ، عن Stevenson

(٤١٥) Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2. p. 874
عن (L'Anonyme) وكان جاليران حاكما لالبيره منذ سنة ١١١٧م اى بعد استيلاء بلدوين دى بورج عليها من أبو الغريب الأرمنى .

(٤١٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 874 - 875.

(٤١٧) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٤١٨) Zoé : Op. Cit., p. 294.

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450.

« البطل الشجاع (٤٢٠) » . في حين يشير اليه متى الرهاوى بانه « كان رئيسا مشهورا بين الفرنج ببسالته الفائقة (٤٢١) » . ولو انه يفهم من كلامه انه كان قاسى الطباع قبل ان يتولى امارة الرها ، ثم تخلى عن تلك الصفة بعد ذلك « واظهر العطف والشفقة على سكان الرها وتخلى عن القسوة التى اتصف بها من قبل (٤٢٢) » .

ولم يكد جوسلين يتولى امارة الرها حتى باشر حياة نشطة وخاصة فيما يتعلق بمحاربة المسلمين ، ففى اثناء توجهه من بيت المقدس الى الرها ليتولى امرتها « اسرى الى وادى بطنان والى مايلى الفرات من جهة الشام وقتل وسبى ما يقرب من الف نفس ، واغار على منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية واخذ كل ما وجده من دواب واسر رجالا ونساء واسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمان كانت قطعت الفرات فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة (٤٢٣) » . وعند وصوله الرها وجد امامه موقفا يتطلب العمل فورا لانقاذ المدينة . ذلك انه حدث قبل وصول جوسلين مباشرة ان راى بعض الارمن ان الاتراك قد نهبوا اقليم الرها وتقدموا حتى اسوارها ففضلوا الاستسلام لهم ، وادخلوهم فى احد الابراج ، ولكن شاعت الناروف ان يسل جوسلين فى تلك اللحظة فتصدى للاتراك فى البرج وقتل منهم جماعة فى حين القى الباقون بانفسهم من البرج (٤٢٤) .

على انه يلاحظ ان جوسلين دى كورتناى المعروف بجوسلين الاول اتخذ من تل باشر مقرا لحكمه وفعل ذلك من بعده ابنه جوسلين الثانى (٤٢٥) . وربما يرجع ذلك الى ارتباطه الشديد بها ، فقد كانت مقر نفوذه منذ قدم من فرنسا حتى صار اميرا على الرها باكملها . وبالاضافة الى ذلك كان جوسلين محبوبا جدا من اهلها (٤٢٦) .

---

(٤٢٠) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٤٢١) Matticu : Op. Cit., p. 126.

(٤٢٢) Mattieu : Ibid., p. 126.

(٤٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٤٢٤) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٤٢٥) Cahen : Op. Cit., p. 116.

(٤٢٦) Zoé : Op. Cit., p. 296, Grousset : L'Empire, p. 300 عن (Fulcher), Archer : Op. Cit.; p. 162.

ولم يلبث أن دعم جوسلين حكمه بزواجه من أميرة ارمينية مثلما فعل الأميران اللذان سبقاه فى حكم الرهـا ، اما هـذه الأميرة فكانت اخت الأمير ليون Léon الارمنى وهو رجل معروف بين قومه (٤٢٧) ، او ابن قنسطنطين واتو ثوروس (٤٢٨) ، وهم جميعا من امراء ارمينيا الصغرى (٤٢٩) .

ثم ان جوسلين تزوج بعد وفاة زوجته الأولى الارمينية من ابنة روجر حاكم انطاكية (٤٣٠) . وكانت هدية الزواج التى قدمتها لزوجها مدينة اعزاز او عزاز الواقعة على الحدود بين الامارتين (٤٣١) . وعلى ذلك فاذا كانت الزيجة الأولى قد وطدت علاقاته بالأرمن فان الزيجة الثانية ، الى جانب انها وطدت العلاقات مع انطاكية ، فانها اضافت الى امارة الرها ارضا جديدة .

اما عن حكم جوسلين للرها فقد امتاز عصره بالثروة والرخاء ، رغم انه كان عليه ان يتابع حربا مستمرة ضد الأتراك ، صادف فيها الأنتصار تارة وتعرض للأسر تارة أخرى (٤٣٢) . ذلك ان مهمة جوسلين فى حكم الامارة بعد اتساع اطرافها كانت غاية فى الصعوبة ،

---

(٤٢٧) Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8 من L'Anonyme), Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 87 - 88.

(٤٢٩) Cam., Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

روبان الأول من ١٠٨٠م الى ١٠٩٥م
قنسطنطين الأول (ابن) ١٠٩٥ — ١٠٩٩م
ثيودور الأول (ابن) من ١١٠٠ — ١١٢٩م
ليو الأول (أخ) ١١٢٩ — ١١٣٨م

(٤٣٠) Michel : Op. Cit., p. 210, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875. المرجعان الأخيران عن (L'Anonyme)

(٤٣١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Cahen : Op. Cit., p. 291. Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.
يشير اليها ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٣ ص ١١٨ بانها عزاز ويقول انها ربما قبلت بالالف فى أولها . والعزاز الأرض الصلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب .

(٤٣٢) E.R. Hayes : Op. Cit.. p. 290.

فاقت مهمة من سبقوه فى حكمها ، اذ كان لزاما عليه ان يثبت تلك الدعامات الأساسية فى بنــاء الامــارة ، لذا امتلاء عهده بالصراع مع كل الأطراف الاسلامية المحيطة به فلم تمر فترة قصيرة دون أن يكون فى حالة حرب مع المسلمين ، وهــذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين . ولكننا سنقتصر هنا فقط على بحث موضوع أسر ذلك الأمير النشط بيد المســلمين .

اسر جوســلين :

حدث فى سبتمبر ١١٢٢م (٤٣٣) — رجب ٥١٦هـ (٤٣٤) أن قام بلك بن بهرام ابن أخى ايلغازى (٤٣٥) .ابن أرتق صاحب ميافارقين وماردين وحلب (٤٣٦) وامير سروج القديم (٤٣٧) وحاصر مدينــة الرهــا وبقى على حصرهــا مدة فلم يظفر بها فرحل عنهــا فجاءه أحــد التركمــان واخبره أن جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع رجاله لكبسه . وكان بلك عندئذ قد تفرق عنه أصحابه وبقى فى أربعمائة فارس ، فوقف مستعدا لقتــال الفرنــج . وفى الموقعــة التى دارت بين الطرفين حلت الهزيمــة بالصليبيين ووقع جوسلين نفســه أسيرا ، ووقع معه فى الأسر ابن خالته

---

(٤٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 131, Gibb : Op. Cit., p. 166. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583 عن (Mattieu).

(٤٣٤) سبتمبر ١١٢٢م يقابله رجب ٥١٦هـ . وقــد ذكر هذا التاريخ كل من العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، (Gibb : Ibid., p. 166) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ ، العينى عقــد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨١٧ . ولو ان الأخيران يعودان مرة اخرى فيذكران أن ذلك كان ٥١٥هـ (الطباخ ص ٤٤٢ ، العينى ص ٧٩٢) والسبب يرجــع الى انهما نقلا مرة كلام ابى العديم ومرة اخرى كلام ابن الاثير الذى يذكر أن ذلك كان ٥١٥هـ . وشــارك ابن الاثير فى ذلك مصــادر اخرى (ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٠٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ . اما ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ٥ ص ٢٢٦ ، فيذكر ان ذلك كان سنة ٥١٧هـ .

(٤٣٥) (Mattieu : Op. Cit., p. 131) ينفرد متى الرهاوى بالقول انه ابن أخته اما معظم المصادر العربية فتذكر انه ابن اخيه مثــل ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : تــاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ١٨٨ .

(٤٣٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٤٨(ب) .

(٤٣٧) Grousset : Hist. des Crois. V. 2. p. 875 عن (L'Anonyme)

جاليران (٤٣٨) ، الذى تسميه المصادر العربية قران (٤٣٩) او كاليام (٤٤٠) وتشير اليــه بانه « كان من شياطين الكفار (٤٤١) » وكان ان وضـــع بلك جوسلين « فى جــلد جمل وخيط عليــه وطلب منـــه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفســـه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يقبــلها بلك (٤٤٢) » وهنا يورد لنـــا ابن العديم رد جوســـلين على بلك عندما عرض عليــه فداء نفسه بتسليم الرها قـــال : « نحن والبلاد كالجمـــال والحدج ، متى عقر بعير حول رحله الى آخر ، والذى بايدينا قد صـــار بيد غيرنا (٤٤٣) » .

وعندما لم تجد مفاوضات بلك معه اخذه مع ابن خالته وحبسهما فى قلعـــة خرتبرت (٤٤٤) وذلك فى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٤٤٥) .

---

(٤٣٨) Michel : Op. Cit., p. 210, William : Op. Cit., V. 1, p. 540, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583, V. 2, p. 875.

(٤٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٤ .

(٤٤٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٤٨ (ب) ، ابو الفدا : حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٢٨ . ويسميه ابن خلدون العبر : حـ ٥ ص ١٩٨ (كلمام) .

(٤٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٤٨ (ب) .

(٤٤٢) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢١٦ ، ابو الفـــدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ . والحدج هو الحمل يشد على البعير .

(٤٤٤)
Matthieu : Op. Cit., p. 132, Grousset . Hist. des Crois. V. 1, p. 584
(عن متى الرهـــاوى) ، ابن كثير : البداية والنهايـــة ، حـ ١٢ ص ١٨٨ . ابو الفدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٨ ، كرد علي : خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٥) Grousset . Ibid, V. 1, p. 584, Archer : Op. Cit . p. 162.

وهكذا اصبحت امـــارة الرها مرة اخرى دون امير يرعى شئونها ، وهى الامـــارة الأكثر تعرضا للخطر من غيرها من الامـــارات الصليبيـــة فى الشرق ، مما جعل الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس يسارع بتعيين جيوفرى الــراهب Geoffrey The Monk (٤٤٦) اميــر مرعش ورعبـسان وكيسوم اميرا على الرها (٤٤٧) وقد وصف متى الرهاوى هذا الأمير بانه محارب مقدام لقى ورع (٤٤٨) وزاد من وقـــع اسر جوسلين انه جاء فى وقت ســاءت احوال الصليبيين فى الشرق بعد مقتل روجر امير انطاكية قبـل ذلك بثلاث سنوات (٤٤٩) فى حين تدهورت احـوال حكومة بيت المقدس (٤٥٠) بل ان الملك بلدوين الثانى ملك بيت المقدس لم يلبث ان وقع اسيرا هو الآخر فى قبضة بلك فى العـــام التـــالى ١١٢٣م (٥١٧هـ) وكان ذلك عنـــدما توجـــه الملك بلدوين الى قلعـــة كركر (٤٥١) لانقاذها من حصـار بلك بن بهرام فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بلدوين واسره ومعـــه جماعة من أعيان فرسانه ، وسيق الى قلعـــة خرتبرت مقيدا فى الأغلال (٤٥٢) .

---

(٤٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : L'Empire, p.300
(Fulcher), Hist. des Crois. V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme).

(٤٤٧) Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٤٩) Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena Cap LXXVI,
(R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 184.

(٤٥٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(٤٥١) Grousset : Ibid., V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme)
هنا يذكر أن كركر كان
يحكمها ميخائيل بن قنسطنطين الأرمنى فتخلى عنها تلقائيا لبلدوين الثانى وتلقى بدلا منهـــا دلوك . ويذكر جروسيه رأيا آخر عن ميخائيل السريانى يذكر فيه « أن ميخـــائيل ابن قنسطنطين حاكم كركر تحـــالف مع الفرنج وعرض عليهم التنازل عن مدينتـــه خوفـــا من بلك الذى كانت غزواته لا تنتهى على اقليم ملطية لذا توجه بلك الى كركر بحملة تاديبية فى ينـــاير ١١٢٣م ، حيث كان جوسلين فى ذلك الوقت للمرة الاولى بعيدا عن بلاده .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587 عن (Michel).

(٤٥٢) ابن العـــديم : زبدة الحـــلب ، حـ ٢ ، ص ٢١٠ — ٢١١ ، ابن الفـــرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦ (ب) ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمـــان ، حـ ١٥م٤ ، ص ٨٢٣ — ٨٢٤ .
Mattieu : Op. Cit., p. 133, Michel : Op. Cit., p.p. 210-211.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Michaud : Op. Cit.. V. 2, p. 58,
Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 587, Archer : Op. Cit., p. 162

وهكذا اصبح وضع الصليبيين فى بلاد الشـــام ١١٢٣م شـائكا للغاية . فبعـــد اسر المـــلك بلدوين الثـــانى أصبحت مملكة القـــدس وامـــارتى الرهـــا وانطاكية محرومة جميعا من رؤسائها . اما الامارة الرابعة وهى طرابلس فكان يحكمها بونز Pons مما جعـــل لهـــا زعامة مؤقتة على بقية الامـــارات (٤٥٣) .

ولم تمض فترة قصيرة على اسرى خرتبرت حتى بدأت الجهود تتكتل لتخليصهم من السجن . وفى هذا المجال تتعدد الروايات والأخبـــار عن كيفية تخليصـهم (٤٥٤) .

والواقع ان ارمن الرهـــا كان لهم دورهم فى تخليص سيدهم جوسلين من اسره لأنهم غدوا بعـــد اسره فى حزن عميق (٤٥٥) ذلك أن جوسلين كان محبوبا جدا من رعـــاياه الأرمن (٤٥٦) بسبب حبـــه هو الآخـــر الشديد لهم (٤٥٧) . بل ان حب الأرمن لجوسلين تعـــدى حـــدود الرها نفسها الى خرتبرت بمن فيها من الأرمن (٤٥٨) . لذا قرر رعـــايا جوسلين الأرمن ان يبذلوا كل ما فى وسعهم لانقـــاذ حرية سيدهم (٤٥٩) . فتنكر خمـــسون رجلا من ذوى الشجاعة والحنكة فى زى رهبان وتجار ومتسولين

---

(٤٥٣) Grousset : L'Epopée : p.p. 120 — 121.

(٤٥٤) تذكر المصـــادر العربيـــة ان تخليص الأسرى كان عن طريق مصانعه حراسهم وباستخدام الحيله (ابن العـــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ٢١٨ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٢ ص ٧٦)ب) ، ٧٧ (أ) تـــاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥١٧هـ) . اما ميخائيل السريانى فيقول ان ذلك كان عن طريق بعض عمال قلعة خرتبرت (Michel : Op. Cit., p. 211)
اما متى الرهـــاوى فيقول ان ذلك كان بمساعدة خمســة عشر من اهـــل بهسنى (Mattieu : Op. Cit., p.134)
اما جروسيه عن مصـــدر سريـــانى فيقـــول انه كان عن طريق عشرين شخصا من اهل كيسون
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876 عن (L'Anonyme)

(٤٥٥) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٦) Grousset : L'Empire. p. 300. عن (Fulcher)

(٤٥٧) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٥٨) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٥٩) Archer : Op. Cit., p. 162.

واخفـوا أسلحتهم تحت ثيـابهم وتوجهوا الى خرتبرت (٤٦٠) . وتختلف الآراء بين المراجع الافرنجيـة حـول ما تم فى خرتبرت ، فالبعض يشير الى أنهم تضامنوا مع بعض العمال الذين كانوا يعملون داخل القلعة (٤٦١) وربمـا يقترب هذا الرأى من رأى ميخـائيل السريانى . والبعض يذكر « أنهم هربوا الى داخل المدينة واحـدا اثر الآخر ، بحذر شـديد ، ومنها الى أسوار القلعة . هناك وجدوا حـارس القلعة غـافلا يتلهى يلعب الشطرنج مع خصمه الذى كان صديقا للمتآمرين (٤٦٢) » .

وكان ان امتلك الملك الصليبى ورفاقه القلعة ورفعوا علمـا مسيحيا على أعلى مكان فيها (٤٦٣) . وتم ذلك فى ربيع الأول ٥١٧هـ/مايو ١١٢٣م ، وعلى اثـر سـماع ما حـدث هرب قـادة المسـلمين الموجـودين فى البلد (٤٦٤) . أما الملك ورفاقه فقد استولوا على كل ما لنور الدولة بلك فى القلعـة وكان شيئا كثيرا ، وعندئذ اشـار عليهم جوسلين بأخـذ ما فى المكان وتركه فقال « كنا قد أشرفنـا على الهلاك ، والآن فقـد خلصنا ، والصواب ان نمضى ونحمل ما قدرنا عليه . فما سمحت نفس بغـدوين بترك الحصن والخروج منه (٤٦٥) » . ومعنى هذا أن الملك بلدوين ظل فى القلعـة بعد استيلائه عليها . فى حين تشير بعض المصـادر الاسلامية الى أن بلدوين هرب هو وجوسلين (٤٦٦) بينما يذكر البعض الآخر ان المـلك هرب بمفرده (٤٦٧) . ويبـدو ان الفرنج صمموا على الصمود

---

(٤٦٠) Zoé : Op. Cit., p. 297, Groussel : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher)

(٤٦١) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٦٢) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٦٣) Archer : Ibid., p. 163.

(٤٦٥) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : إعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٤٩ .

(٤٦٦) ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخـطوط ، ص ٧٧ (أ) ، سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ، ص ١١١ .

(٤٦٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥ م ٤ مخطوط ص ٨٢٤ .

بخرتبرت حتى تصل المساعدة من انطاكية او بيت المقدس (٤٦٨) .
واتفق رايهم على خروج جوسلين وحلفوه « على انه لا يغير ثيابه ولا ياكل لحما ولا يشرب الا وقت القربان الى ان يجمع جموع الفرنج ويصل بهم الى خرتبرت ويخلصهم (٤٦٩) .

وبالفعل غادر جوسلين المكان فى فجر ٦ اغسطس (٤٧٠) مصحوبا بحاشية من المشاه مكونة من ثلاثة من الخدم « وغلب عليه حينئذ الخوف اكثر من الشجاعة (٤٧١) » واتجه الى كيسوم ومنها الى انطاكية ايجمع القوات ويحمل النجدة للملك ورفاقه الاسرى (٤٧٢) وارشده فى الوصول انى الرها فلاح ارمنى (٤٧٣) .

أما بلك فكان بحلب عندما سمع بما حدث فى خرتبرت ، فاتى مسرعا عقب رحيل جوسلين (٤٧٤) وحاصر القلعة بقسوة ، ولغم رجاله الاسوار

---

(٤٦٨) Archer : Op. Cit., p. 163

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٤٩ .
Michel : Op. Cit., p. 211.

(٤٧٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧١) Fulcherii Carnotensis : Historie... Hist. Occid. T. 3, p. 455
رهنا يذكر اولدنبرج ان الحاشية كانت عبارة عن ثلاثة من الارمن من البلاد وأن جوسلين خرج متنكرا فى زى متسول يموت من الجوع والعطش (Zoé : Op. Cit., p. 298) .

(٤٧٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٧٣) Fulcherii Carnotensis : Historia: Hist. Occid. T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Zoé : Op. Cit., p. 298, Archer : Op. Cit., p. 163, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٧٤) Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V.1, p. 543
هنا يضيف فولشر ووليم الصورى أن بلك انزعج فى تلك الليلة برؤية مرعبة ، فقد رأى فى منامه أن الأمير جوسلين يفقده بصره بواسطة يديه لذا قام مذعورا وأرسل رسلا عند طلوع النهار الى القلعة لقتل جوسلين حتى لا يقتل هو بيديه ، لكن قبل أن يصل الرسل كان جوسلين قد هرب ، وكانت القلعة قد سقطت بالفعل ، فتراجعوا بسرعة . وأخبروا سيدهم بما حدث . فاستدعى الأمير فى الحال القوات من كل مكان وأسرع الى هناك .
(Fulcherii : Ibid., p. 455, William : Ibid., p. 543.

وقلبوا البرج الاكبر بعد ان فشلت محاولات اخذ القلعة باسلوب التفاوض مع الملك (٤٧٥) . بل قيـل انه نصب عليها اربعـة منجنيقات فانهارت الجدران (٤٧٦) . اما المصـدر العربى فيـذكر « ان بلك فتح خرتبرت بالسيف ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان بها من اصحابه الذين كفروا نعمته ومن كان فيها من الفرنج ولم يستبق سوى بغـدوين الملك وقران وابن اخت بغدوين وسيرهم الى حران وحبسهم بها (٤٧٧) » .

هكذا استطاع بلك ان يسيطر من جديد على خرتبرت (٤٧٨) وبينما كان جوسلين يتقـدم لنجدتهم ومعـه جيوفرى الراهب على راس جيش فرنجى « سمعوا بذلك الحـادث المشئوم فتوقفوا فى حزن بالغ وعادوا بقلوب داميـة كل الى جهتـه (٤٧٩) » ويحكى ابن العـديم الكثير عن اعمـال الانتقام التى قام بها جوسلين ضد مسلمى حلب بالذات (٤٨٠) ، وهـذا ما سنتناوله بالتفصيل فى فصل العلاقات مع المسلمين .

ثم ان جوسلين لم يهدأ مرة اخرى فى صراعه ضـد المسلمين بل ان الفرنج استطاعوا تحت قيادته ان يصلوا فى ١١٢٨ — ١١٢٩م (٥٢٣ —

---

(٤٧٥) Mattieu : op. cit., p. 134 - 135, William : Op. Cit., V. 1, p. 543, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٤٧٦) Michel : Op. Cit., p. 211 ويذكر ميخائيل هنا ان عدد من قتلوا كان حوالى سبعين رجلا ، اما متى الرهاوى فيذكر ان الامير بلك ابـاد كل اسرى الصليبيين الموجودين بالمكان وكانوا حوالى خمسـة وسـتون شخصا Mattieu : p. 135.

(٤٧٧) ابن العـديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٤٥٠ .

(٤٧٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ١ ص ١١٢ ، تاريخ أبو الهيجاء ، ج ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ . هنـا قال ان ذلك كان فى ١٦ سبتمبر (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420).

(٤٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Fulcherii : Op. Cit., Hist Occid T. 3, p. 456.

(٤٨٠) ابن العـديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٥٢٤هـ) الى آمد ونصيبين وراس العين (٤٨١) .

وهكذا استمر جوسلين امير الرهـا يقـاتل المسـلمين فى شجاعة لا تعرف اليأس حتى كانت وفاته فى دلوك سنة ١١٣١م (٤٨٢) (٥٢٦هـ)، كما سنرى فى الفصـل الخاص عن علاقة الرهـا بالمسلمين .

جوسلين الثـانى : ١١٣١ — ١١٤٤ — ١١٤٦م (٥٢٦ — ٥٣٩ — ٥٤١هـ) .

كان جوسلين الثـانى من ام ارمينيـة هى اخت ليون الأرمنى (٤٨٣) السـابقة الذكر . ومعنى ذلك انه كان من أمراء الفرنج الذين ولدوا فى الشرق ؛ وقد اتصف جوسلين الثـانى بالبراعة الحربيـة ، مع حب اللهو والأسراف فى الشراب (٤٨٤) .

تزوج جوسلين الثانى من بياتريس ، ارملة وليم حاكم صهيون بالقرب من اللاذقية (٤٨٥) . وانجب منها ولدا هو جوسلين الثالث وبنتين : الأولى هى آجنى Agnes التى تزوجت فيما بعـد رينـو Renaud حـاكم مرعش ثم من بعده عمورى امير يافـا الذى اصبح ملك القدس .

---

(٤٨١) Grousset : L'Empire, p. 300 عن (Bar Hebraeus)
وآمد بلد قديم حصين على نشز دجلة . فتحت سنة عشرين من الهجرة وسـار اليها عيـاض بن غنم بعـد ما افتتح الجزيرة (يـاقوت : حـ ١ ص ٥٦) و ونصيبين مدينـة بالجزيرة ايضا (ياقوت : حـ ١٩، ص ٢٨٨) أما رأس العين فهى مدينة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودينسر ، وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصيرنهر الخـابور (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٩ ص ١٤) .

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 878.

(٤٨٣) William : Op. Cit., V. 2, p: 52. Iorga · Breve Hist. des Crois., p. 87.

(٤٨٤) William : Ibid., V. 2, p. 53.

(٤٨٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 8.

والثانية — وهى الصغرى — ازابيلا (٤٨٦) .

وكان جوسلين محبوبا من رعاياه ، وهو حب ورثه عن والده فضلا عن ان امـــه كانت ارمينيـــة (٤٨٧) . ولكن جوســـلين كان دون شك اقـــل من والده بكثير فى المقـــدرة الحربيـــة والشجاعة (٤٨٨) .

والواقع ان امارة الرها كانت عندئذ فى حاجة الى محارب فذ من طراز والده جوسلين الأول . ولكن شـــاءت الظروف الا يخلف ذلك الأمير القوى على عرش امـــارته المعرضة للخطر الا ابنه المتهاون فى شئون امـــارته ، وهو امر افـــاد منه المسلمون .

ذلك ان تهـــاون جوسلين الثـــانى ادى الى ضياع الأراضى والممتلكات التى اجهـــد والده نفسه فى الحفاظ عليها والدفاع عنها (٤٨٩) ، فهجـــر مدينـــة الرهـــا وانسحب ليقيم فى تل باشر ، مثلما فعـــل والده ، ولكن على العكس منـــه ، اقـــام اقـــامة مترفة على شـــواطىء الفـــرات ، وهنـــاك استسلم كليـــة لميوله المنحرفة واهمل تقوية الجيوش وتحصينات المـــواقع ، ونسى العنـــاية بالحكومة أمـــام تهديد المســـلمين (٤٩٠) .

وهذا هو ما اشـــار اليـــه نيرسيس فى قصيدته عن رثاء الرهـــا . فهو عندما يشير الى ان زنكى هـــاجم المدينـــة اثنـــاء غيـــاب جوسلين الثانى منها يقول (٤٩١) :

اختبـــأ فى الحقـــول (يعنى زنكى)
ثم اجهز على على حين غرة

---

(٤٨٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 53, Grousset : Ibid, p. 8.
(٤٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 399.
(٤٨٨) Zoé : Ibid., p. 292.
(٤٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 53.
(٤٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102.
(٤٩١) Nersès : Op. Cit. (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 246.
الأبيات من ٦٢٤ — ٦٣٠

في ساعة لا انتظرها
اذ أنه ما أن تحقق وتيقن
من غياب رجالى وحماتى
حتى حاصرنى من كل جانب
وهاجمنى بقسواته

والواقع ان تلك الظروف ، الى جانب ظروف أخرى — سنذكرها فيما بعد عند الكلام بالتفصيل عن عماد الدين زنكى والرها — شجعت عماد الدين زنكى على التوجه الى الرها ١١٤٤م (٥٣٩هـ) وانتزعها من الفرنج . حقيقة انهم استعادوها بعد وفاته ١١٤٦م ، ولكن ذلك كان لفترة قصيرة الى ان استرجعها منهم ابنه نور الدين فى نفس السنة . والواقع ان الكلام عن سقوط امارة الرها يعتبر من ابرز الموضوعات التى يمكن بحثها فى عهد جوسلين الثانى .

وباعطاء فكرة عن جوسلين الثانى وعهده تكن صورة الوضع الداخلى للامارة قد اتضحت ، وسوف تتضح معالمها اكثر بالكلام عن العلاقات الخارجية للامارة سواء مع المسلمين او الصليبيين أو مع الأرمن او البيزنطيين ، وهو ما سنتعرض له بالدراسة فى الباب الثانى من بحثنا هذا . ولكن قبل أن ننتقل من هذا الباب الى ما يليه ، يجدر بنا أن نوضح نقطة هامة ربما تتردد على السنة المتسائلين وهى :

مدى الانجازات المعمارية بوجه خاص والحضارية بوجه عام لامارة الرها الصليبية ؟ الحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر من المصادر التى رجعنا اليها على مجرد اشارة عابرة عن اى نوع من المنشآت التى خلفها الصليبيون فى الرها ، وربما نجد تفسيرا لذلك فى أن الفترة التى عاشتها الامارة كانت أقصر من غيرها من الامارات الاخرى فى الشرق ، فهى لم تعش أكثر من نصف قرن تقريبا ، قضى حكامها — اذا استثنينا جوسلين الثانى — معظمها فى صراع مستمر مع جيرانهم المتعددين . لذا لم تكن هناك اية فرصة للشعور بالاستقرار والطمأنينة بسبب موقع الامارة المعرض للخطر كما رأينا . والمعروف أن النشاط الحضارى لابد له من سياج من الاستقرار والأمن ، وهو ما لم يتوافر لتلك الامارة القصيرة العمر .

الباب الثانى

علاقة امـارة الرهـا الصليبية بجيرانها

أ ـ علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها .
ب ـ علاقتها بالامـارات الصليبية فى بلاد الشـام .
ج ـ علاقتها بالأرمن خارجها .
د ـ علاقتها بالدولة البيزنطية .

اولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها :

من الواضح أن موقع امـارة الرهـا وسط اقليم الجزيرة ، جعـل منها قلعة مسيحية وسط محيط اسلامى كبير ، أحاط بها من جميع النواحى والجـهات . ولا شـك فى أن هـذه الحقيقة تعنى أن امـارة الرهـا الصليبية كانت أكثر تعرضا من غيرها لضغط القوى الاسلامية عليها ، مما جعلها تعيش حتى سقوطها قرابة منتصف القرن الثـانى عشر الميلادى فى صراع مستمر مع جيرانها المسلمين .

أما من تلك القوى الاسلامية التى احاطت بامـارة الرهـا ودخلت معها فى صراع طويل ، فاولها سلاجقة فارس الذين سيطروا على العراق والخلافة العباسية فى بغداد .

والى جانب تلك القوة الاسلامية الكبرى وجـد بالعراق مركز آخـر من مراكز القوى الاسلامية ممثلا فى بنى مزيد أمراء الحله (١) . وهؤلاء لعبوا دورا هـاما ـ وخاصـة أميرهم دبيس بن صدقة ـ فى مناهضة الفرنج كما سنرى فيما بعد . والى الغرب من نهر الفرات وجـد فرع آخر من السلاجقة ، هم سلاجقة الروم او سلاطين قونية(٢) . أمـا فى الشمال الغربى من الرهـا ، فقـد وجـد مركز آخر للاتراك المسلمين ممثلا فى بنى دانشمند الذين استقروا فى شرق آسيا الصغرى(٣) .

---

(١) الحلة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغـداد وكانت تسمى الجامعين (ياقـوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٢ ص ٣٣٢ ـ طهران ١٩٦٥ ، منشورات مكتبة الأسدى رقم ٧) .

(٢) Michel : Op. Cit., p. 232, William : Op. Cit. V. 2, p. 200.

(٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

فاذا اضفنا الى هؤلاء جميعا الارائقة أو بنى أرتق وهم زعماء مجموعة هامـــة من التركمـــان اتحـدوا مـع الســلاجقة فى غزوهم لبــلاد الشــام (٤) ونجحوا فى الاستقرار بالقـدس قبيل قـدوم الصليبيين ، لولا أن الفاطميين نجحوا فى استرداد القــدس منهم مما جعــل زعيمهم ايلغازى يسير الى بغداد فى حين اتجه اخوه سقمان الى الرهـــا ثم ملك حصن كيفا وماردين ونصيبين (٥) . . . ادركنا أن امارة الرها الصليبية كانت محاطة فعلا بمجموعــة قوية من جيراتها المسلمين .

اما عن علاقة الرهـــا بســلاجقة فارس ، فيبـدو أن محور هــذه العلاقة كان اتابكية الموصــل التى كانت تتبع سلطنة الســلاجقة وبالتالى فقــد عهــد اليها سلاطين الســلاجقة بمواصلة سياسة الجهاد باسمهم ضــد الصليبيين فى اقليم الجزيرة فضــلا عن بلاد الشــام . وقد سبق أن اشرنا الى انه ما كاد الصليبيون يحاصرون انطاكية غداة وصولهم الى بلاد الشام ١٠٩٧م — (٤٩١هـ) (٦) حتى خرج كربوغا اتابك الموصل (٧) على راس حملة كبيرة لتخليص انطاكيــة من الحصــار الصليبى . وفى طريقه من الموصــل الى انطاكية مر كربوغا بالرهـــا فى مايو ١٠٩٨م (٨) . (٤٩٢هـ) ، فشرع فى حصــارها بهدف استردادها من الصليبيين وطردهم وزعيمهم بلدوين منها (٩) . ويبدو أن كربوغا ارســل مقدما الى الرهـــا

---

(٤) Setton : Ibid., V. 1, p. 451.

(٥) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٧) كان كربوغا قــد سجن فى حمص بواسطة تاج الدولة تتش اثناء الصراع بينه وبين بركياروق وكان كربوغا من الناصرين لبركياروق ، فلما قتل تاج الدولة ٤٨٩هـ خلص الأمير كربوغا من السجن وتوجــه الى حران فملكها . ثم صــار الى نصيبين فملكها ايضــا وذلك فى ذى القعدة من هــذه السنة وكان بها على بن شرف الدولة العقيلى - الذى استنابه بها تتش بن الب ارسلان . فلما ضاق الأمر على عى هرب من الموصــل الى صــدقة بن مزيد بالحلة . ثم ســار كربوغا نحو ماردين فملكها ايضــا (الباهر : ص ١٥ — ١٦ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٠٨) .

(٨) Setton :Op. Cit., V. 1, p. 316.

(٩) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV ; T. 4, p. 396.

بعض القوات للقيام بتلك المهمة وهو الأمر الذى يفهم مما ذكره البرت (١٠) .

على أنه يبدو أن فريقا من جيش كربوغا لم يكن متفقا معــه تماما فى فكرة حصــاره للرها (١١) . ولكن كربوغا — على قول وليم الصورى — « صمم عندئــذ قبــل عبور الفرات ، أن يهاجم الرهــا وأن يأخذهــا بالقوة (١٢) » . وبمجرد أن تلقى بلدوين البولونى انذارا بتقدم كربوغا جمع رجاله من كافة المناطق المحيطة بالرهــا لمســاعدته ، واختزن فى المدينــة كميات كبيرة من الطعام والســلاح ، استعداد لحصــار طويل ، ولم يبد تاثرا لتهديدات كربوغا (١٣) . ولكن يبدو أن الأمر كان أصعب مما تصور كربوغا ، فقــد ظل أمام الرهــا حوالى ثلاثــة أسابيع دون أن يحقق غرضــه (١٤) . وعندئذ نصحه بعض أعوانه بأن يتخلى عن تلك المحاولة ويستأنف طريقه الى انطاكيــة ، على أن يعودوا الى الرهــا لحصــارها وتاديب صــاحبها بلــدوين بعــد الفراغ من الاستيلاء على انطاكية (١٥) . وفعلا ترك كربوغا الرهــا واسرع الى انطاكية لمســاعدة صــاحبها (١٦) ياغى سيان .

وعندما عبر كربوغا الفرات اتصــل بدقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صــاحب حمص وارســلان تاش صاحب سنجار وغيرهم من زعماء المسلمين واتجــه الجميع قاصــدين انطاكيــة (١٧) . ومن

---

(١٠) Alberti : Ibid., p. 397.

(١١) Alberti : Ibid., p. 397.

(١٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 245.

(١٣) William : Ibid., V. 1, p.p. 245 - 246.

(١٤) Gesta Francorum : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3, p. 500,
Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345,
William : Ibid., V. 1, p. 246.
(يذكر وليم أنها من ٤ الى ٢٥ مايــو)
Zoé : Op. Cit., p. 124, Runciman :
Op. Cit., V. 1, p. 210 عن (Fulcher, Mattew).

(١٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV, T. 4, p. 397,
William : Ibid., V. 1, p. 246.

(١٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345.

(١٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ١٨٧ .

الواضح أن اخفاق كربوغا امامها ادى الى « رفسع مكانة بلدوين ، كما أن الصليبيين أمام انطاكية افادوا من الوقت الذى اضـاعه كربوغا امام الرهـا (١٨) » . ويؤيد وليم الصورى هـذا الراى فيشير الى أن التاخير من جانب جيش المسلمين أمام الرهـا انقذ الصليبيين امام انطاكية لأنه لو كان كربوغا قـد سـار مباشرة الى انطاكية قبل وقوعها فى قبضـة المسيحيين ، لوقـع الصليبيون فى مازق (١٩) .

أما (الجستا) فتشير الى ان بلدوين تعمد تعويق كربوغا وجيشـه أمام الرهـا رغبة منه فى مسـاعدة اخوانه الصليبيين أمام انطاكية (٢٠). ومهما يكن من أمر ، فان كربوغا لم يقدر له أن يصبح مصدر خطر على الرهـا بعد فشله أمام الصليبيين فى الشـام . وقـد خلف كربوغا فى حكم الموصل الأمير جكرمش (٢١) . الذى رأينا انتصـاره على الصليبيين فى موقعه حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) مما أثر على الرهـا تأثيرا شـديدا خاصة بعـد أسر اميرهـا بلدوين دى بورج وجوسـلين دى كورتناى اخطر أعوانه . هـذا الى أن جكرمش لم يكتف بأسر بلدوين بل أسرع الى الرها وحاصرها ولكنه أخفق فى الاستيلاء عليها بسبب بسـالة تذكريد فى الدفاع عنها وصمود سكانها الأرمن (٢٢) ، لذا عـاد جكرمش الى الموصـل بأسيره بلدوين (٢٣) .

ويبـدو أن جكرمش صمم على أن ينتقم من هزيمته هو وقواته أمام أسوار الرهـا ١١٠٤م فعـاد الى الرها ١١٠٥م (٤٩٩هـ) على رأس

---

(١٨) (Fulcher, Mattew) عن Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210

(١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٠) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 500.

(٢١) كان بينهما لفترة قصيرة موسى التركمانى الذى كان نائبا عن كربوغا بحصن كيفا ، فلما مات كربوغا كاتبه أعيان الموصل ليسلموا اليه البلد فسـار اليها وقتل سنقرجة الذى عهد اليه كربوغا بالموصل عند وفاته وتسـلم البلـد وقـد قتل موسى فى نفس السنة (٤٩٤هـ) ابن الأثير : الباهر ص ١٦ .

(٢٢) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 616, (Alberti) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408

(٢٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢٣ .

قواته ، ووصل الى المدينة وقت الحصاد (٢٤) . وكانت أوضاع الرها قد تبدلت فى ذلك الوقت اثناء أسر بلدوين دى بورج بسبب المظالم التى انزلها ريتشارد دى سالرنو بأهالى المدينة ، مما اتاح ظروفا مناسبة لجكرمش وجيوشه .

ذلك ان ريتشارد اندفع على رأس قواته المشاه ، ليشتبك مع جكرمش ، ولكن قوات الاخير كانت على قدر أكبر من التدريب فأوقعت برجال ريتشارد والقت بهم داخل الخنادق المحيطة بالبلد . وخسر المسيحيون فى تلك الموقعة أربعمائة وخمسين رجلا (٢٥) . وبذلك اضافت تلك الحملة التركية الاسلامية بزعامة جكرمش صاحب الموصل ، جرحا جديدا الى جرح العام السابق فى الرها .

وجدير بالذكر أن المؤرخ وليم الصورى انفرد بالاشارة الى حملة قام بها الأتراك السلاجقة اثناء أسر بلدوين وجوسلين . وفى الفترة التى حكم فيها ريتشارد دى سالرنو . وبدراسة هذا النص (٢٦) . الذى ذكره وليم الصورى نجد هناك تشابها بين احداث تلك الحملة وبين حملة مودود على الرها ١١١٠م — ٥٠٤هـ ، على انه لا يمكن ان نتصور أن وليم يقصد هنا حملة مودود لان هذه الحملة كما سنرى فيما بعد كانت قد تمت بعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج وجوسلين ، ولم تكن فى فترة وصاية تنكريد على الرها ، وانما حدثت فى وقت استحكم فيه الخلاف بين كل من بلدوين وتنكريد ، حتى أن تنكريد لم يحضر لمساعدة الرها ضد حملة مودود هذه الا تحت ضغط ملك القدس سيده الأعلى . وحقيقة هذه الحملة التى اشار اليها وليم الصورى أمر يحيطه الغموض .

ومهما يكن من أمر ، فقد امتلك الموصل بعد جكرمش ، جاولى سقاو الذى حكمها من ٥٠٠ — ٥٠٢هـ (١١٠٦ — ١١٠٨م) وهو الذى عصى السلطان محمد كما اشرنا ، كما اطلق سراح بلدوين دى بورج ، وبعد أن تم اتفاق بين الجانبين بان ينجد كل منهما الآخر وبان يطلق بلدوين من لديه من اسرى المسلمين « فسلم القمص الى سنقرادار صاحب جاولى مايه

---

(٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 79, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 437 (Mattieu) عن

(٢٥) Mattieu : Ibid., p. 79, Grousset : Ibid., p.p. 437 - 438.

(٢٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 472 - 473.

وستين اسيرا من المسلمين بعد ان كساهم جميعهم ، وكان هذا من عجيب الأشياء (٢٧) » .

كذلك اتضح هذا التعاون بين الجانبين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م عندما لبى جاولى نداء بلدوين دى بورج وجوسلين وساعدهما فى هجومهما على تنكريد امير انطاكية (٢٨) . وعلل متى هذا العداء بين امراء الصليبيين بأن تنكريد انتهز فرصة اسر بلدوين وجوسلين وانتزع اجزاء من اراضيهما ورفض رد تلك الأراضى بعد اطلاق سراحهما (٢٩) .

ويشير ابن العديم الى هذا الحدث فيقول انه « فى ٥٠١هـ أو ٥٠٢هـ اجتمع جاولى سقاوه وجوسلين الفرنجى على حرب تنكريد صاحب انطاكية واستنجد تنكريد برضوان فأمده بعسكر حلب والتقوا فقتل من الفرنج جماعة (٣٠) » .

لكن ما نحب ان نشير اليه هو انه اذا كان الخلاف بين بلدوين وجوسلين من ناحية وتنكريد من ناحية اخرى من اجل استرجاع اراضى امارة الرها لصاحبها الشرعى بلدوين بعد اطلاق سراحه كان من الأسباب التى دفعت بلدوين الى ان يمد يده لجاولى ، فان جاولى من ناحية اخرى مد يده لبلدوين لأنه بعد طرده من الموصل بواسطة مودود — كما سبق ان اشرنا — كان يطمع فى تكوين امارة لنفسه ، ان لم يكن فى الجزيرة فليكن فى حلب على حساب رضوان من ذلك ما ذكره ابن الفرات من أن جاولى صمم العبور الى الشام والاستيلاء على حلب بعد مهاجمة رضوان للجماعة الرهوية التى كانت تحمل مال الفداء الخاص ببلدوين دى بورج (٣١) .

وكان جاولى قد استولى بالفعل ٥٠٢هـ سبتمبر ١١٠٨م على مدينة بالس وهى من اعمال حلب (٣٢) . وانتزعها من اصحاب رضوان بن

---

(٢٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٢٢ (ب) ، العينى : عقد الجمان حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ .

(٢٨) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٢٩) Mattieu : Ibid., p. 86.

(٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ حـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ص ٢٤ (ب) ، ٢٥ (أ).

(٣٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ .
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,
=

منش وقتل جماعة من اهلها (٣٣) . ولما تحقق الملك رضوان من عزم الأمير جاولى على قصده استنجد بتنكريد امير انطاكية وخوفه عاقبة استيلائه على حلب لانه فى هذه الحالة لن يكتفى بتهديد انطاكية وحدها وانما سيهدد الصليبيين جميعا بالشام « والصواب أن أكون أنا وأنت يدا واحدة عليه حتى نجليه من هذه الديار فاجابه طنكريد الى ذلك (٣٤) » . ولم يلبث أن خرج تنكريد من انطاكية فأرسل اليه الملك رضوان بأحد أعوانه من الاتراك ومعه ستمائة فارس (٣٥) .

ولما علم جاولى بذلك كاتب بلدوين صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته ووهب له ما بقى عليه من مال المفاداة الذى قرره عليه حين اطلقه من أسره فسار فى عسكره ولحق بالأمير جاولى وهو بمنبج (٣٦) ويبدوا أن بلدوين لم ينس أن جاولى اكرمه فى الموصل (٣٧) .

وفى تلك الاثناء وصلت الأخبار الى جاولى بان الموصل اخذت واستولى عليها مودود ، وبذلك ضاعت خزائنه وامواله فتالم لذلك (٣٨) . وبقى جاولى فى الف فارس وانضم اليه خلق من المتطوعة ونزل على تل باشر والتجا الى جوسلين (٣٩) .

ومن الواضح ان احداث تلك الفترة تبدو مضطربة متداخلة فى

وسعيد عاشور . الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٣ . وبالس مدينة بالشام بين حلب والرقة (ابن الأثير الباهر ص ١٨) .

(٣٣) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ .

(٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، حـ ٢٥ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ، ص ٦٤٠ ، الطباخ الحلبى . اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ وهو يسمى تنكريد هنا (شكرى)
Michel : Op. Cit , p. 215,

(٣٥) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (أ) - العينى : حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ .
Grousset : L'Empire, p. 83.

(٣٦) ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ ـ ٤١ الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

(٣٧) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ، ص ٢٥ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٤١ .

(٣٩) ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٥ (ب) ، ابن خلدون ، حـ ٥ ، ص ٤١ ، الطباخ ، حـ ١ ص ٤٠٣ .

المصـــادر ، اذ يصعب التوفيق بين ما سبق أن ذكرنا من أن جاولى قـــد أخرج بالفعل من الموصـــل عندما عبر الى الشـــام واستولى على بالس واستعان ببلدوين مما يتعارض مع ما ذكرتـــه بعض المصـــادر من أن أخبار استيلاء مودود على الموصل بلغت جاولى وهو بالشـــام . ويبدو أن المقصود بذلك هو الاستيلاء الكـــامل على الموصل من قبل مودود بدليل مـــا ذكره ميخائيل السريانى من أن رجـــال جاولى كـــانوا متحصنين فى القلعة (٤٠) . وأن زوجته كانت بالقلعة لتتولى أمر الدفاع عنها (٤١) .

وبذلك تكون حلفان كل منهما فرنجى اسلامى ، الأول ويضم جاولى وبلدوين دى بورج وجوسلين ، فى حين يضم الثـــانى تنكريد ورضوان حاكم حلب (٤٢) . وحـــدث الاشتباك بين الفريقين عند أطراف تل باشر حيث دارت معركة طاحنة بدأت بتفوق الفريق الأول ، ولكنها تحولت بسرعة الى جانب تنكريد الذى نجح فى أن ينزل هزيمة ساحقة بخصومه (٤٣) .

وبعـــد ذلك النصر العظيم عاد تنكريد الى انطاكية (٤٤) ، فى حين فر بلـــدوين هاربـــا واحتمى بقلعـــة الراوندان (٤٥) ، وقيـــل بقلعـــة دلوك (٤٦) . أما جوسلين ففر الى تل باشر حيث اصبح فى مأمن (٤٧) . ولابن الفرات وصف شيق لتلك المعركـــة سنذكره عندما نتناول العلاقـــة

---

(٤٠) Michel : Op. Cit., p. 215.

(٤١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394.

(٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، ح ١ ص ٤٥٣ .
Grousset : L'Epopée, p. 83.

(٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ١٥٣ ،
Mattieu : Op. Cit., p. 87
الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ح ١ ص ٤٠٣
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

(٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 87.

(٤٥) Mattieu : Ibid., p. 87, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٤٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber X... T. 4, p. 649.
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 442 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، ح ١ ص ٤٥٣ عن
Zoé : Op. Cit., p. 240 (Albert)

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 87
أمـــا ابن الأثيـــر : الكـــامل ، ح ٨ ، ص ٢٥٥ فيـــذكر (أن القمص وجوسلين هربا الى تل باشر) يذكر هـــذا أيضـــا ابن خلدون : العبر ، ح ٥ ص ٤١ .

بانطاكية . اما عسكر حلب فعاد الى رضوان وتسلم بالس من اصحاب جاولى (٤٨) .

ولم تلبث حركة الجهاد ضد الصليبيين أن دخلت على يد مودود حاكم الموصل دورا جديدا ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه — ٤٩٩ — ٥١٢هـ/١١٠٥م — ١١١٨م (٤٩) . الذى خلف أخاه بركياروق فى حكم سلاجقة فارس — استاء من تقدم الفرنج فى الشام فعزم على تجهيز جيش قوى ليشرع فى حركة جهاد ضد الصليبيين (٥٠) .

وهكذا جمع السلطان محمد قواته فى ديسمبر ١١٠٩م/٥٠٣هـ وارسل الى الأمير سكمان القبطى أو سكمان بن ارتق (٥١) . صاحب ارمينيا واخلاط وميافارقين ، والأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالسير فى العساكر الى جهاد الفرنج وحماية بلاد الموصل (٥٢) . وقد عهد السلطان بقيادة تلك الحملة الى الأمير مودود أمير الموصل (٥٣) .

وهكذا اجتمع جيش اسلامى كبير زاد عدده عن مائة الف مقاتل (٥٤) . تحت قيادة مودود ونزلت الجيوش الاسلامية على الرها فى شوال ٥٠٣هـ (٥٥) (مايو ١١١٠م) (٥٦) . وحاصروها . وهنا

---

(٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٣ .

(٤٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

(٥٠) Zoé : Op. Cit., p. 241.

(٥١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ . يسميه شالندون ، كقمان Kokman

Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

(٥٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ ، تاريخ أبو الهيجاء، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٠٣هـ .

(٥٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 449.

(٥٤) Michel : Op. Cit., p. 196.

(٥٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٥٤ Gibb : p. 101

(٥٦) ابن القلانسى : نفس المصدر والصفحة . Gibb : Ibid., p. 102.

يصور متى الرهـــاوى ضخامة ذلك الجيش بقوله « وصل مودود بجيش انتشر حول المدينـــة وغطى بجنوده الجبل والتلال . كل الشرق كان مصطفا تحت اعلامه (٥٧) » .

وعندما احاط المســـلمون بالمدينـــة منعوا الداخل والخـــارج بالمسير اليها ، مما اثر تاثيرا سيئا فى المدينـــة فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر (٥٨) . وفى ذلك الوقت كان ملك القـــدس وامير طرابلس يحاصران بيروت فارســـل اليهم الأمير بلدوين دى بورج الأمير جوسلين دى كورتناى يطلب النجدة السريعة (٥٩) .

وسرعان ما اتحد زعماء الصليبيين بالشــــام ، واجتمعت قوات بيت المقـدس وطرابلس وانطاكية لمحاربة المسلمين (٦٠) . وبعبارة أخرى « اتفق الفرنـــج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشحناء فتصـــافى طنكريد وبغدوين وابن صنجيل بعـــد النفار (٦١) » . وعندما سمع طغتكين فى دمشق باجتماع كلمة الفرنج ســـار هو الآخر ليلحق بالجيوش الاســـلامية المحـــاصرة للرهـــا (٦٢) .

وعندما علم المسلمون باقتراب الصليبيين منهم قرروا الرحيل عن الرها

---

(٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 91.

(٥٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط ، حوادث سنة ٥٠٣هـ
Mattieu : Ibid., p. 92, Gibb : Op. Cit., p. 102.

(٥٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣١ ،
Gibb : Ibid., p. 99
Cahen : Op. Cit., p. 257, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٦٠) ابن القلانسى : الذيـــل ، ص ١٦٦ Gibb : Ibid., p. 102.
وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « تم الأتفاق واتحدت القوات والاسلحة » .
Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 674.

(٦١) ابن العديم : زيدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، ابو المحـــاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ١٩٩ تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ٥٠٣هـ .

(٦٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١، حوادث ٥٠٣هـ .
Gibb : Op. Cit., p. 102, Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.

، وملاقات خصومهم شرقى الفرات فرحلوا عن الرها فى آخر ذى الحجـة سنة ٥٠٣هـ ـ الموافق ١٩ يولية سنة ١١١٠م ونزلوا أرض حران على سبيل الخديعة والمكر (٦٣) . وظنوا انه من الممكن تكرار ما حـدث فى موقعـة حران ١١٠٤م بأن يوقعوا الفرنج فى فـخ ولكن الفرنج استفادوا من التجربـة السـابقة (٦٤) . ومعنى ذلك أن تراجـع المسلمين الى حران لم يكن نوعا من الهزيمـة أو من الخوف كمـا يفهم من كلام بعض المصـادر والمراجـع (٦٥) .

وفى ذلك الوقت وصل الجيش الدمشقى (٦٦) . أما الفرنج الذين عبروا الفرات ليتعقبوا المسـلمين فى حران فقـد فطنوا لهـذا التدبير فخـافوا واستشعروا الهلاك وأسرعوا بالانسحاب الى شـاطىء الفرات وعندئذ تعقبهم المسلمون وغنموا كثيرا من متاعهم واتوا على عـدد كبير من اتباعهم قتلا وأسرا وتغريقا فى الفرات ، حتى امتلأت أيدى المسلمين من الغنائم والأسـلاب والسبى والدواب (٦٧) .

وكان أن أسرع الفرنـج الى الرهـا ليجلوا عنها كـافة السـكان الضعفاء ثم تركوا بها حامية من الأرمن للدفاع عنها وزودوهـا بالمؤن

---

(٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ أبو الهيجاء حـ ١ ، حوادث سنة ٥٠٣هـ. Gibb : Ibid., p. 103.

(٦٤) Cahen : Op. Cit., p. 258, Grousset : Hist. des Crois. V, 1 p. 453.

(٦٥) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 421, Michel : Op. Cit., p. 196, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ .

(٦٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٥٥ ، تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٠٣هـ ، الطباخ الحلبى : اعـلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٨ ، وهـذا مـا أشـار اليه البرت بقوله « أن الملك وتنكريد تتبعوا المسلمين الى حران كى يحاربوهم ولكن عندما علموا بخطتهم بداوا فى الهرب وانتشروا خلال المنـاطق المنعزلة لكن أرهق الكثير من بلاط الملـك واحتجزت الكثير من القطعـان والأطعمـة وحملت بعيـدا

Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 674.

الكافيـــة (٦٨) . ويعلل المؤرخون انسحاب الصليبيين عن الرها بحرصهم على حماية ممتلكاتهم فى الشـــام من هجمات المسلمين . فيقول ابن خلدون « أن الملك رضوان صـــاحب حلب لمـــا عبر الفرنج الى الجزيرة ، ارتجع بعض الحصون التى كان الافرنج اخذوها باعمال حلب (٦٩) » . فى حين يشـير (كاهين) الى ان من أهم الاسباب التى جعلت الصليبيين يجلون من الرهـــا وعلى راسهم الملك بلدوين هو « انه سمع ان الفاطميين انتهزوا فرصـــة غيابه وهاجموا بيروت والقـــدس (٧٠) » .

على ان الســـكان الذين أجلوا من الرهـــا لم يسلموا من المسلمين فقـــد باغتهم مودود وقـــامت مذبحـــة كبيرة بينهم على نهر الفرات ، ثم انتشر الترك بعـــد ذلك فى كل ديـــار مضر ينهبوا ما تبقى (٧١) . ولكن عندما طالت اقامة الجيش الاسلامى حول الرهـــا اخـــذ المسلمون يعانون مشـــاكل الامـــداد والتموين ممـــا اضطرهم الى التفرق وانصرف كثيرون منهم (٧٢) . وهكـــذا تبددت الحملة الاسلامية بعـــد أن اشرفت على النجـــاح ، فعاد بلدوين دى بورج الى الرها ناعيا امارته الخربة (٧٣) .

ومهما يكن من فشـــل هـــذه المحاولة ، فى سلســـلة الجهاد ضـــد الصليبيين فى تحقيق اهدافها ، فانها تدل فى الوقت ذاته على افاقة القوى الاسلامية (٧٤) . والواقـــع أن تلك الحملـــة تركت آثارا واضحة على

---

(٦٨) ابن القلانسى : الذيل : ص ١٧٠

Gibb : Op. Cit., p. 104

هنا يذكر فولشر ان الرهـــا زودت بمحصول عـــام ، لان المواطنين كانوا فى حاجـــة اليه كثيرا بعـــد أن دمر الاتراك المنطقـــة المحيطة بالمدينـــة .

Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421.

(٦٩) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ١٩٤ .

(٧٠) Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94. Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٠ .

Gibb : Op. Cit., p. 105

(٧٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٠٥ عن Albert .

Gibb : Ibid., p. 105

(٧٤) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٤ .

الرهـا من الناحيتين الاقتصـادية والسـكانية سنتناولهما بالتفصيل فى مكان آخر من هـذا البحث .

على ان المسلمين ظلوا يستنفرون سلطان السـلاجقة للجهاد من ذلك انه على الرغم من ان تنكريد لجـأ الى شراء مسالمة أمير حلب بالمـال ١١١٠م الا أنه عـاد فى العـام التالى وقام بغزوة على حلب اثارت الرعب فى قلوب الأهالى (٧٥) . الأمر الذى جعل رضوان صـاحب حلب يرسل مستصرخا كلا من السلطان السـلجوقى والخليفة العباسى فى بغداد (٧٦).

ويقال ان جماعـة من أهل حلب سـاروا الى بغـداد « مستنفرين الناس على الفرنج فأجتمع منهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصـدوا جامـع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعـدهم السلطان بتجهيز العسـاكر وارسل من دار الخليفـة منبرا الى جامـع السلطان . فلما كانت الجمعة الثانية قصـدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم أهل بغـداد فمنعهم صـاحب البـاب من الدخول فغلبوا عليـه ودخلوا الجـامع وكسروا الشباك وهجموا على المنبر فكسـروه وبطلت الجمعـة وارسل الخليفـة الى السـلطان فى المعنى يـأمره بالاهتمام بهـذا الفتق (٧٧) » .

وفى ذلك الوقت كان العـداء قـد بلغ اشده بين البيزنطيين والصليبيين مما جعل الأمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين يرسل مبعوثا الى السلطان محمد السلجوقى يحضـه على محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد (٧٨) . « وترك التراخى فى أمرهم واستعمال الجـد والاجتهاد فى الفتك بهم قبل

---

(٧٥) Archer : Op. Cit., p. 148,

(٧٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦١ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ ، سعيد عاشور : الحركة ، ١ ص ٤٦٠ عن ابن الأثير ، وكان ذلك ٥٠٤هـ — ١١١٠م .

(٧٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon : Alexis).

اعضال خطبهم واستفحال شرهم (٧٩) » . وقد كان وصول رسول ملك الروم الى بغداد فى نفس ٥٠٤هـ ١١١٠م التى وصلت فيها استغاثة اهل حلب بل سبقتها لذلك اندفع أهالى حلب الى السلطان قائلين « أما تتقى الله تعالى ان يكون ملك الروم أكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل اليك فى جهادهم (٨٠) » . وغير بعيد ان أن يكون الكسيوس قد رمى من وراء ذلك كله الى ضرب القوات الصليبية بالاسلامية ليفرغ له الجو وليضعف كلا من الجانبين ، ومع ان هذا الراى قد خفى على المسلمين الا أن عزيمة بغداد استقرت على وجوب تسيير الجيوش للجهاد (٨١).

وادى هذا التيار الى استئناف حركة الجهاد ضد الصليبيين ، فقامت سنة ١١١١م (٥٠٥هـ) حركة تعبئة حقيقية داخل الدولة السلجوقية فى فارس (٨٢) ، وجهز السلطان جيشا كبيرا ضم « الأمير مودود صاحب الموصل وسكان القطبى صاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر والاميران ايلنكى وزنكى أبنا برسق حاكم همدان وخوزستان والأمير احمد بك واحمديل او احمد الثانى الكردى (٨٣) صاحب مراغة فى آذربيجان ، وابو الهيجاء صاحب أربل (٨٤) » . وتحركت جميع تلك

---

(٧٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٣ ، المرجع السابق ، ص ٤٦١ عن ابن القلانسى ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ . ويذكر الأخيران الامبراطور بعث الى السلطان بالكثير من التحف والهدايا بل ان الامبراطور عرض على السلطان اتفاق القوات البيزنطية والاسلامية فى طرد الفرنج .

(٨٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٢ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٣ ص ٦٥٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٦١ ؛ عن ابن الاثير
Archer : Op. Cit., p. 148

(٨١) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ .

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

(٨٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٢ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٢٠١ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥م ٣ ص ٦٥٢ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٤هـ والراجح أن ذلك غير صحيح) ، ابن خلدون العبر ، جـ ٥ ص ١٩٤
Cahen : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

القوات تحت قيـــادة مودود من جديد لمحاربة الفرنج (٨٥) .

ولم يشـــأ مودود أن يضيع الوقت ، وانمـــا رأى أن يهـــاجم بعض القلاع الصليبية فى منطقة الرها ، ونجح فى الاستيلاء على بعضها (٨٦) ، حتى اذا ما تكامل تجمع الجيوش الاســـلامية فى سنجار (٨٧) ، تحرك مودود لمهاجمة الرهـــا ذاتها . وحاصرها ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليـــها (٨٨) . ذلك أن مدينة الرها كانت محصنة ومزودة بالمؤن منـــذ العـــام السابق (٨٩) ، فى الوقت الذى كان الجيش الاسلامى يعانى من نقص المؤن ، ممـــا اضطر مودود الى التخلى عن حصـــارها (٩٠) .

وهنـــا نلاحظ أن بعض المصادر والمراجع قد خلطت بين حملة ١١١١م (٥٠٥هـ) هـــذه وبين حملة مودود الأولى ١١١٠م (٥٠٣هـ) . فذكرت

---

(٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Michel : Op. Cit., p. 216.

(٨٦) ابن الاثير : البـــاهر ص ١٧ ،

Mattieu : Ibid., p. 96, Michel : Ibid., p. 216

ابو شـــامه : الروضـــتين ، هـ ١ ق ١ ص ٦٨ (وهو يذكر أن ذلك كان سنة ٥٠٢هـ والصحيح ٥٠٥هـ)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Cahen : Op. Cit., p. 261.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463 عن (Rey: Colonies)

(٨٧) ابن الاثير : الكامل ، هـ ٨ ، ص ٢٦٢ . سـعيد عاشـور : الحركة هـ ١ ص ٤٦١ عن ابن الاثير .

(٨٨) ابن الاثير : البـــاهر ، ص ١٧ ،

Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : V. 1, p. 244,

ابو شـامه : الروضتين ، هـ ١ ق ١ ص ٦٨ ، ابو الفـــدا : المختصر هـ ٢ ص ٢٢٥ ابن لوردى : تتمة المختصر ، هـ ٢ ص ٢١ ، العينى : عقد الجمان ، هـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ .

(٨٩) Fulcherii : Op Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463, L'Epopée, p. 89.

(٩٠) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

ان المسلمين عندما فشلوا فى الاستيلاء على الرها ٥٠٥هـ تراجعوا الى حران يتبعهم الفرنج ولكن الفرنج حصنوا الرها وحملوا اليها المؤن والذخائر ثم أجلوا الضعفاء من المدينة ونقلوهم الى الجانب الشامى (٩١) .

والواقع هو ان الجيوش الاسلامية قضت امام الرها ١١١١م (٥٠٥هـ) بضعة أيام ثم تركتها بعد ذلك واتجهت الى سروج ولكنهم قبل ان يعبروا نهر الفرات توقفوا أمام قلعة تل باشر (٩٢) ، وكان ذلك فى نهاية يوليو ١١١١م (٩٣) (٥٠٥هـ) وكان بها عندئذ صاحبها الأمير جوسلين . وقد ضغط الاتراك باعدادهم الضخمة على القلعة وهاجموها عدة هجمات طوال خمسة واربعين يوما لكنهم اخفقوا فى الاستيلاء عليها (٩٤) ، فاكتفوا بتخريب ما حولها من بلاد (٩٥) .

وفى تل باشر حدثت بعض الظروف التى حالت بين مودود وبين تكملة مهمته فى امارة الرها ، اذ توفى عندئذ سكمان القطبى وحمل جثمانه الى ميافارقين ومنها الى خلاط حيث دفن بها (٩٦) . وهنا يتشفى متى الرهاوى من موت سكمان ويعتبر ذلك « عقابا انزله به السيد المسيح بسبب تخريبه لاقليم الرها والمذابح التى قام بها فيه (٩٧) » .

---

(٩١) ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ١٩٤ ، عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٥٤ (عن تاريخ بيبرس) ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ، ص ٤٠٦ .

(٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 96, Archer : Op. Cit., p. 149, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 261.

(٩٤) أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ، ص ٦٨ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٩ .
Mattieu : Op. Cit., p. 96.

(٩٥) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

(٩٦) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٧ ، الفارقى : تلخيص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم رقم ١٢٤٩ تاريخ ص ١٦٧ .

(٩٧) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

كذلك كان البورسقى صاحب همذان قد وصل وهو مريض (٩٨) .

وهكذا كانت وفاة بعض زعماء المسلمين ومرض البعض الآخر من اهم العقبات التى فككت وحدة الجيوش الاسلامية وقتذاك هذا بالاضافة الى ما دب فى صفوفهم من خلاف « فقد طمع احمد يل فى بلاد سكمان وهى ارمينية وخلاط وديار بكر (٩٩) » .

ولا ادل على تفرق كلمة المسلمين وهم على تل باشر من ذلك الاتحاد الذى تم بين جوسلين وبين أحمد يل . ذلك انه « منذ فترة طويلة سمع احمد يل عن تمجيد شجاعة جوسلين فتم بينهما اتفاق ودى اصبحا عن طريقه أخين »(١٠٠) . ولتفصيل ذلك نجد أن المصادر والمراجع تشير الى انه فى الوقت الذى كانت تل باشر على وشك السقوط فى أيدى المسلمين التمس جوسلين النجدة من احمد يل الكردى وحمل اليه مبلغا من المال فى مقابل قيامه بابعاد الجيش المحاصر فوافق احمد يل على ذلك (١٠١) .

هذا الى أن المسلمين بالشام ارسلوا الى مودود يستنجدونه ضد الصليبيين ، فاستنجد سلطان بن منقذ صاحب شيزر ضد تنكريد الذى هدد شيزر وقطع عنها كل وسائل الحياة (١٠٢) كذلك استنجد رضوان صاحب حلب بمودود واحمد الكردى وارسل يستحثهما على الاسراع اليه قائلا

---

(٩٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٥ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٠١

(٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٧٦ ،
سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Cahen : Op. Cit. p. 261.

(١٠١) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 464,
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢
المرجعين عن (ابن العديم)، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ (عن ابن العديم ، ابن القلانسى) .

(١٠٢) Cahen : Op. Cit., p.p. 261 - 262.

« انني قد تلفت واريد الخروج عن حلب فبادروا الى الرحيل » وعندئذ اقتنع احمد الكردى الاتراك بترك حصار تل باشر والاتجاه الى حلب لنجدة صاحبها رضوان (١٠٣) .

وعندما اطمأن جوسلين الى ابتعاد المسلمين عن قلعته خرج على راس مجموعة من فرسانه ، تقدر بحوالى مائة وخمسين فارسا ومائة من المشاة وباغتت مؤخرة الجيش المنسحب وقتل منه حوالى الف رجل وعاد الى تل باشر بغنيمة ضخمة (١٠٤) . وبينما يذكر متى الرهاوى ان مودود غادر تل باشر الى شيزر (١٠٥) نجد المصادر الاخرى تشير الى توجهه الى حلب (١٠٦) . وهى المفروض ان يمر عليها اولا بحكم موقعها .

وليس هذا موضع علاج تلك الحملة بالتفصيل بعد خروجها من الرها وانما سنكتفى بالاشارة الى موقف رضوان حاكم حلب منها وهو الذى استنجد بالسلطان والخليفة منذ البداية ثم ما فتىء يستنجد بجيوش المسلمين وهم امام تل باشر . ذلك انه حدث عندما اقترب الجيش الاسلامى من حلب ان خاف رضوان على امارته من جيش المسلمين وبدأ يعمل حسابا لاطماع امراء المسلمين اكثر مما عمل لاطماع تنكريد (١٠٧) . لذلك ارسل الى مودود واحمد الكردى يخبرهم « بانه قد انتهى الى حل مع تنكريد(١٠٨) » وبادر عند وصول الجيش الاسلامى

---

(١٠٣) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٦٢ (عن ابن العديم) .

(١٠٤) المرجع السابق نفس الصفحة عن (Albert)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 464.

(١٠٥) Mattieu : Op. Cit., p. 97.

(١٠٦) Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 244.

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، أبو الفدا ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

(١٠٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 262, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 464, L'Epopée, p. 90.

الى حلب ، باغلاق ابواب المدينة فى وجههم (١٠٩) . ورد جنود المسلمين على ذلك بـأن عاثوا فى ضـواحى حلب و « فعـلوا اقبـح من فعـل الفرنج »(١١٠) .

وفى ١١١٢م (٥٠٥ — ٥٠٦هـ) قـام مودود بحملتـه الثـالثة على الرهـا وفى تلك المرة توجه اليـها بمفرده (١١١) . دون أن يشاركه أحد من باقى أمراء المسلمين . وربما يرجع ذلك الى الظروف التى أحاطت ببقية الأمراء فى ذلك الوقت وانشغالهم بخلافاتهم أو بمرض بعضهم أو وفـاة البعض الآخر .

اشارت المصادر العربية الى تلك الحملة بشىء من الايجـاز فوصفت كيف سـار مودود صـاحب الموصل الى الرها فى المحرم ٥٠٦ هـ (١١١٢م) فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ثم رحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل شأن الفرنج ولم يحترز منهم ، فلم يشـعر الا وجوسـلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المراعى فأخذ الفرنج كثيرا من العسـكر فلمـا تأهب المسلمون للقـائه انصرف عنهم (١١٢) .

والواقع أن مودود ظل محاصرا للرهـا حوالى شهرين من ابريل الى

---

(١٠٩) سـبط بن الجـوزى : مرآة الزمـان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ ، ابو الفـدا : المختصر ، حـ ١ ص ٢٢٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر حـ ٢ ص ٢١ ، كرد على خطط الشـام ، حـ ١ ص ٢٩٧ ،

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Michel : Op. Cit., p. 216, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(١١٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١١١) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٥ ، سبط بن الجـوزى : مرآة الزمـان ، حـ ٨ ق ١ ص ٣٩ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٦٧١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

يونيه ١١١٢م (١١٣) (ذو القعدة ٥٠٥هـ ، المحرم ٥٠٦هـ)(١١٤) كما ذكر ابن القلانسي . وفي خلال هذين الشهرين حاول مهاجمة الرها مرتين(١١٥) . ويبدو ان هجومه كان مباغتا لم يتوقعه اهل الرهـــا الذين كانوا مشغولين ببعض أعيـــادهم (١١٦) .

وعندما وجـد مودود أن الرها صـعبة المنـــال تحول الى سروج المركز الفرنجي الثـاني شرقي الفرات(١١٧) . وهنـــاك ترك خيوله ترعى في المناطق المحيطة دون أن يعني باتخاذ اية تدابير وقائية ضد أعدائه(١١٨) . ونسي أن جوسلين أسرع الى سروج ليعاقبه بضربة قاسية(١١٩) . ذلك ان جوسلين اسرع على رأس ثلثمائة فارس ومائة من المشـاة الى سروج حيث انقض على الاتراك البـــالغ عـــددهم الف وخمسمائة ، فاوقع بهم واخذ خمسة من زعمائهم أسرى وغنم أمتعتهم ، وعندئذ أسرع من نجـــا من الاتراك بالفرار الى حيث مودود قرب الرهـــا . وعندما علم مودود بما حـــدث تقدم ضد جوسلين الى سروج لكن جوسلين كان قد رحل سرا الى الرهـــا (١٢٠) .

---

(١١٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٨١

Gibb : Op. Cit., p. 127.

والراجح ان التـــاريخ الذي حـــدده ابن القلانسي هو الصحيح لانه المعاصر اكثر لتلك الأحداث وأن بقية المصـــادر السابقة قد اخرت بداية تلك الحملة شـــهرا عنـــه .

(١١٥) Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 100.

(١١٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١١٨) ابن القلانسي: الذيل ، ص ١٨١ Gibb : Op. Cit., p. 127.

(١١٩) ابن القلانسي : نفس الصفحة Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١٢٠) Mattieu : Op. Cit., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

وبعد أن قضى مودود سبعة أيام أمام سروج عـاد مرة أخرى الى الرهـا (١٢١) ، حيث كان جوسلين قد سبقه اليـها ليسـاعد بلدوين دى بورج (١٢٢) . ولكن حدث أن قـام الأرمن بمؤامرتهم فى الرها ، وهى المؤامرة التى سنتعرض لها بالتفصيل فى فصل طبقات المجتمع . ويهمنـا من أمر هذه المؤامرة الآن أن بعض المراجع أشارت الى أن مودود أوشك أن يستفيد من تلك الأحداث ويستولى على الرها(١٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فان مودود لم يوفق فى حملته هذه ، وانسحب دون أن يحقق غرضه (١٢٤) .

وتشير المصادر العربيـة الى حملة أخرى قـام بهـا مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) بالاشـتراك مع « تميرك صـاحب سـنجار والأمير ايـاز بن ايلغـازى وطغتكين صاحب دمشق . وسـاروا جميعا الى الشـام فالتقوا بالفرنج الذين اجتمع منـهم عندئذ بغـدوين صـاحب القـدس وجوسلين صـاحب الجيش واقتتلوا بالقرب من طبرية فى ثالث عشر المحرم فهزم الفرنج وكثر القتـل فيهم (١٢٥) » . ومعنى ذلك أن جوسلين كان يحـارب عندئـذ بوصفه تابعـا للملك بيت المقـدس . ولم يكن فى ذلك الوقت « صـاحب تل باشر والرهـا » . كما ذكر ابن الأثير (١٢٦) لأن تلك الحملة كانت بعد الخلاف بينـه وبين بلدوين دى بورج وبعد طرده من امارة الرها .

ويهمنا من أمر هذه الحملة انها كانت أول بادرة للاتحاد بين الأمراء

---

(١٢١) Mattieu : Ibid., p. 101.

(١٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١٢٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(١٢٥) ابن الأثير : الكامـل ، حـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الفرات : تـاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٦٦ (ب) ، أبو الفـدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٢٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢١ .

(١٢٦) ابن الأثير : البـاهر ، ص ١٨ .

المسلمين بشمال العراق وبلاد الشام منذ مقدم الصليبيين الى الشرق (١٢٧) .

لكن اذا كانت المصادر الاسلامية لم تشر الى اية علاقة لتلك الحملة بالرها ، فان متى الرهاوى يذكر انه كان لها تاثيرها البالغ عليها . وهو ينفرد برواية مؤداها انه حدث ١١١٣ م (٥٠٧هـ) ان تقدم الأمير مودود قائد جيوش المسلمين على راس جيش كبير ضد الفرنج ووصل الى حران فى الوقت الذى كان بلدوين أمير الرها موجودا بقواته فى مدينة تل باشر . فنقل بعض الفرنج كلاما مؤداه ان حشدا من الاهالى تحالفوا على تسليم الرها للأتراك ، وصدق الأمير تلك الوشايات فارسل فى الحال الى امير سروج بأن يحضر الى الرها وامره باخراج الاهالى المشتبه فى سلوكهم . وهكذا سفكت دماء كثير من الابرياء وهلك اناس لا ذنب لهم مما ترك اثرا سيئا فى نفوس اهل الرها الارمن (١٢٨) .

أما عن مودود ، فلم يلبث ان قتل بيد احد الباطنية وذلك فى ربيع الأول (١٢٩) اكتوبر ١١١٣م (١٣٠) . وبعد مقتل مودود « اقطع السلطان

---

(١٢٧) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ — ١٧

(١٢٨) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 - 105.

(١٢٩) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٦٧ (أ) . ويبين ابن الاثير ذلك بقوله : ان الأمير مودود كان قد اذن للعسكر الاسلامى بالرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه فى الربيع بسبب شدة الحر ونفاذ المؤن ، فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما يصلى الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع ممسكا بيد طغدكين فوثب عليه شخص وضربه بسكين فجرحه اربع جراحات ، وكان صائما فحمل الى دار طغدكين الذى حاول ان يجعله يفطر فرفض وقال : « لا لقيت الله الا صائما فاننى ميت لا محالة » . وتوفى بعد ذلك فقيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغدكين فوضع عليه من قتله .

(١٣٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

محمد الموصل للأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود (١٣١) » . ويبدو ان ولاية الأمير جيوش هذه تمثل فترة انتقال حتى يولى السلطان مكانه من هو أكفأ ، ولم يلبث ان سير السلطان الأمير قسيم الدولة آقسنقر الى الموصل واعمالها واليا عليها (١٣٢) .

وقد أمر السلطان محمد آقسنقر بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها ومنهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر وتميرك صاحب سنجار وغيرها (١٣٣) . وكان ان زحف البرسقى على ماردين فنازلها حتى اذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا يقدر بثلثمائة فارس مع ولده آياز (١٣٤) . ثم وصل الجميع الى الرها فى ذى الحجة ٥٠٨هـ (١٣٥) — ١٥ مايو ١١١٤م (١٣٦). وبلغ عدد جيش البرسقى فى تلك الحملة حوالى خمسة عشر الف فارس (١٣٧) .

على ان الرها صمدت لآقسنقر « واصابوا من بعض المسلمين غرة فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ

---

(١٣١) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ .

(١٣٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٥ ص ٢٠٧ . Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491, Setton : Op. Cit., p. 403.

(١٣٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٧٩ (ب) .

(١٣٤) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(١٣٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٢٦٩ .

(١٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٣٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ، ص ١٩ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم (١٣٨) » . وقد ظل حصار الرها بمدة « شهرين وأيام (١٣٩) » . وقيل شهرا (١٤٠) .

وكان أن دفعت هذه المقاومة مع قلة المؤن آقسنقر الى رفع حصاره عن الرها ولكن قبل عودته خرب مدينتي سميساط وسروج (١٤١) . ويقول متى الرهاوى انه وصل الى الفرات وخرب كل البلاد الواقعة على امتداد ضفتيه ثم قصد مدينة البيرة فاجتمع كل الفرنج فى تلك الضفة الغربية من النهر ضده فعاد البرسقى الى نصيبين عن طريق الرها (١٤٢) . والراجح انه اشتبك وهو فى طريق عودته فى معركة مع ايلغازى بن ارتق امير ماردين لانه لم يلحق به بنفسه .(١٤٣) . فقاتله ايلغازى « والحق به الهزيمة واسر ابن السلطان ولكنه اطلقه بعد فترة (١٤٤) » . وعاد آقسنقر بعد حملته هذه الى بغداد . وترك الموصل ليقيم بها الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة اربع عشرة وخمسمائة (١٤٥) .

---

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(١٣٩) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثانى ص ٤٧٢ .

(١٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 109, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491.

(١٤١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ص ١٩ — ٢٠ ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٦٩ أما ابن الفرات مخطوط حـ ١ ص ٨٠ (ب) فيذكر انه نزل على سروج خمسة ايام واكل العسكر غلاتها وزرعها . أما ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٢٩ فيقول (سروج وسنجار وسميساط) والراجح انه اخطأ ووضع سنجار بينهما .

(١٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل . حـ ٨ ص ٢٦٩ .

(١٤٤) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٤٥) ابن الأثير الباهر ، ص ٢٠ .

اما اثر الهزيمة التى حلت بآقسنقر على يد ايلغازى فيبدو ان ايلغازى خشى انتقـــام السلطان ، مما دفعه الى التحالف مع طغتكين حاكم دمشق من ناحية ومـــع روجر حاكم انطاكية من ناحية اخرى هـــذا بالاضـــافة الى ان السلطان احل برسق بن برسق حاكم همذان ، محل آقسنقر قائدا عاما لحركة الجهاد ضـــد الصليبيين (١٤٦) .

وبناء على ذلك جمع برسق القوات الاسلامية ووصـــل امام الرهـــا ١١١٥م (٥٠٩هـ) وبعـــد أن « اســـتراح بضعة أيـــام (١٤٧) » . عبر الفرات وتوجه الى حلب (١٤٨) . فى حين يشير متى الرهـــاوى الى انه توجه الى شيزر واستولى عليها ثم نهب تل باشر ومنطقة انطاكية (١٤٩) . والراجح انه بعد أن استراح أمام الرهـــا ونهب تل باشر ، توجه الى حلب ثم الى أنطاكية وشيزر . وفى تلك الحملة كانت هناك جبهتان متصارعتين ، الأولى تشمل جيش برسق والثانية ضمت المعسكر الفرنجى وانضم اليها ايلغازى ابن أرتق وطغتكين أمير دمشق ولؤلؤ الخصى امير حلب والوصى على ابن رضوان ، تاج الدولة ألب ارسلان (١٥٠) . وقـــد أوقع الفرنج هزيمة بجيش برسق بفضل مساعدات حلب لهم (١٥١) ، ولو أن البعض ينكر انه لم تقم اية معركة بين الطرفين (١٥٢) .

ثم مرت فترة ست سنوات تقريبـــا لم تخرج فيها حملات من قبـــل الســـلاجقة او الموصل ضـــد الرها ، وان كانت الرها قـــد تعرضت فى

---

(١٤٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.
(١٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(١٤٨) Setton : Op. Cit., p. 404.
(١٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(١٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.
(١٥١) Mattieu : Ibid., p. 115, Cahen : Op. Cit., p. 274.
(١٥٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.

. ربما يكون الفاصـــل هنا هو راى ابن الأثير الذى ذكر عن تلك الحملـــة أنه عندما توجـــه جيش برسق ابن برسق الى حمـــاه للاستيلاء عليهـــا ســـار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصـــاحبها روجيل وسألوه ان يســـاعدهم على حفظ مدينة حمـــاه فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بأنطاكية بغدوين صـــاحب القـــدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رايهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقـــام تفرقوا فعـــاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشـــق والفرنج الى بلادهم (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢) » .

تلك الفترة لهجمات من جانب الأراتقة كما سنرى ، وفى أثناء تلك الفترة توفى الخليفة المستظهر بالله فى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة (١١١٨م) وتولى مكانه ابنه المسترشد بالله (١٥٣) . كذلك توفى السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان ، سلطان بلاد العراق وخراسان ٥١١هـ (١١١٧م) (١٥٤) . وتولى مكانه ابنه السلطان محمود (١٥٥) .

وفى صفر ٥١٥هـ (١١٢١م) اقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها للأمير آقسنقر البرسقى (١٥٦) . وهذه هى ولايته الثانية على الموصل ، وكانت الأولى بعد وفاة مودود كما مر بنا فى عهد السلطان محمد السلجوقى .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) تولى البرسقى الى جانب حكم الموصل ، حكم حلب ، بعد استنجاد اهلها به عندما انشغل عنهم حاكمها الأرتقى تمرتاش بن ايلغازى حاكم ماردين وحلب بأموره الخاصة (١٥٧) . وقد ظلت حلب فى حوزة البرسقى حتى وفاته . والواقع أن فترة حكمه لحلب كانت فترة احتكاكات دائمة بين حلب والرها . وعلى ذلك فسوف نرجىء

---

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨١ ، الباهر ص ٢٢ .

(١٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ ويذكر ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧ انه توفى فى ٢٤ ذى الحجة ٥١١هـ .

(١٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٢ . وكان ذلك فى الخامس والعشرين من ذى الحجة (الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٧) .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٠٢ ، الباهر ص ٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٥ هنا يذكر ابن الأثير فى الكامل سبب توليته فيقول « انه كان فى خدمة السلطان محمود ، ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الأثر الحسن فى الحرب بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى ونقدم الى سائر الأمراء بطاعته وامره بمجاهده الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها فى عساكر كثيرة وملكها واقام يدبر امورها ويصلح احوالها » .

(١٥٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ . العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

تنـــاول العلاقات بينه وبين الصليبيين فى تلك الفترة ــ أى حملاته ضـــد الفرنج عامـــة والرهـــا خاصـــه فى ســـنة ٥١٨هـ (١١٢٤م) ، ٥١٩هـ (١١٢٥م) ، ٥٢٠هـ (١١٢٦م) ــ الى الجزء الخـــاص بالعلاقات بين حلب والرهـــا حتى تولى حكم حلب عماد الـــدين زنكى ٥٢٢هـ (١٥٨) (١١٢٨م) .

وفى سنة ٥٢٠هـ قتل آقسنقر البرسقى بالجامـــع العتيق بمدينـــة الموصل بعد صـــلاة الجمعـــة بيـــد الباطنية (١٥٩) . فلما توفى ولى السلطان مكانه ابنه عز الدين مسعود الذى ســـار فى الحكم سيرة حسنة ولكنه لم يلبث أن توفى ٥٢١هـ (١٦٠) . (١١٢٧م) بعـــد ثلاثة أشهر فقط قضـــاها فى حكم الموصل (١٦١) .

وقـــد استولى مسعود قبل وفاته مباشرة على الرحبـــة (١٦٢ ، وهى التى توفى اثنـــاء حصـــارها . ولم يكن لهـــذه الوفاة المفاجئة من نتيجـــة سوى ان جوسلين أسرع بالاستيلاء على رأس العين وقتل عددا كبيرا من أهلها بخنقهم وأسر الباقين رجالا ونساء (١٦٣) .

وبعـــد وفاة مسعود قام أخوه الأصغر بالحكم بدلا منه وســـاعده فى ذلك جاولى مولى أبيه فارســـل الى الســـلطان محمود يطلب « تقرير البلاد على ولد آق سنقر البرسقى وبذل الأموال الكثيرة فى ذلك (١٦٤) » . لكن السلطان ولى عماد الدين الزنكى على الموصـــل وذلك فى رمضـــان

---

(١٥٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٨ .

(١٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ، ص ٣١ .

(١٦٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٢ .

(١٦١) Michel : Op. Cit., p. 228

(١٦٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٢٣ ، أبو الفدا ، المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .
Michel : Ibid., p. 228.

(١٦٣) Michel : Ibid., p. 228.

(١٦٤) ابن واصـــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣١ ، أبو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ١٠٩ (ب) .

٥٢١هـ (١٦٥) (١١٢٧م) .

وكان السلطان سنجر قد ارسل الى السلطان محمد يسأله ان يولى دبيس بن صدقة على الموصل فقبح الخليفة المسترشد

---

(١٦٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٤ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : مخطوط هـ ٢ ص ١١١ (ب) أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ١٦٤ .

ويقال ان سبب تولية عماد الدين زنكى ان الوفد المرسل الى السلطان كان يضم القاضى بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الباغيسيانى — امير حاجب البرسقى « فحضرا دركاة السلطان ليخاطباه فى ذلك ، وكان يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته ، فاجتمع صلاح الدين محمد الباغيسيانى ونصر الدين جقر وكانت بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وافشى اليه سره فخوفه نصر الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه انه انما ابقاه وأمثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم » .

وتحدث معه صلاح الدين فى أن يخاطب السلطان فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاعات الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين ابن الشهرزورى ، وخاطباه فى ذلك وضمن له كل ما أراده فوافقهما على مطلبا . وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا « أنه قد علمت أنت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقد قويت شوكتهم فاستولوا على اكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حد ماردين الى عريش مصر — ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين — وقد كان البرسقى — مع شجاعته — يكف بعض عاديتهم ، فمنذ قتل زاد طمعهم وولده طفل ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع يذب عنها ويحمى حوزتها . وقد انهينا الحال اليك لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن الاثم من الله واللوم من السلطان . فانهى الوزير ذلك الى السلطان فشكرهما عليه ، واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى ، وبذلا عنه — تقربا الى خزانة السلطان — مالا جليلا ، فأجاب السلطان الى ذلك لما يعلمه من كفايته وولاه البلاد كلها .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ص ٧٥) . ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن خلدون ، العبر حـ ٥ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ذلك (١٦٦) . وكاتب السلطان محمود « ان هذا اعان الفرنج على المسلمين وكثر سواد الكفار » فبطل هذا التدبير (١٦٧) .

تولية عماد الدين زنكي على الموصل :

واصدر السلطان محمود منشوره بتولية عماد الدين زنكي على الموصل ، وضم السلطان اليه ولده الملك الب ارسلان او فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيه وجعل زنكي اتابكه ومن ثم عرف زنكي بالاتابك (١٦٨) . وبالفعل تولى زنكي الموصل وولى الأمير جاولى على الرحبة واعمالها (١٦٩) .

وفي ٥٢٣هـ (١١٢٩م) « سار اتابك ووطىء بساط السلطان وعاد بالتواقيع السلطانية بملك الغرب كله (١٧٠) » .

ومنذ تولى اتابك زنكي حكم الموصل هذا الى جانب « الجزيرة والرحبة وحلب مع التوقيع له بجميع البلاد الشامية (١٧١) » فانه لم يهدأ لحظة عن الجهاد الاسلامي وعن التفكير في الحرب المقدسة ضد الفرنج . والواقع اننا اذا حاولنا الكلام عن شخصية ذلك البطل

---

(١٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٢ ص ١١٠ (ب) ، ١١١ (أ) .

(١٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

(١٦٨) القرماني : اخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٢ ، ص ١١١ أ ، ب ، الذهبي : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ . ويذكر القرماني هنا ان معنى اتابك أي الذي يربي اولاد الملوك .

(١٦٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ١١١ (ب) ، أبو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٣٤ ، ابو الفدا : المختصر حـ ٢ ص ٢٣٦ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ .

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٣ .

(١٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٤ .

الاسلامي فاننا سنجد أنفسنا في حاجة الى أن نفرد لتلك الشخصية بحثا بأكمله ، لذلك سنكتفي هنا فقط بتناول جهود ذلك القائد الاسلامي العظيم ضد الرها قبل سقوطها في يده ، لنستكمل ذلك الفصل عن العلاقات السلجوقية الرهوية ، والتي مثل السلاجقة فيها ولاتهم بالموصل .

كان زنكي منذ اللحظة الأولى لتوليه حكم الموصل يفكر ويخطط للقضاء على النفوذ الصليبي في الشرق . لكنه لم يرغب أن يقتصر الأمر على حملات روتينية فقط ترسل الى الشام ، وانما كان يرمي الى أبعد من ذلك . ولكي يحقق ما صمم عليه رأى أن يتأنى ليستطيع أن يحقق مآربه ، لذا فعندما استنجد به أهل حران سنة ٥٢١هـ (١١٢٧م) بسبب ماكانوا يعانونه من ضغط من جانب الصليبيين في الرها وسروج والبيرة وغيرها (١٧٢) ، من المراكز الصليبية التابعة لامارة الرها الصليبية ، نجده بالفعل يتقدم الى حران مستجيبا لطلبهم ولكنه اتجه الى اسلوب السياسة ، فارسل الى جوسلين وهادنه حتى يتفرغ له وتم الصلح بينهما (١٧٣) . وربما كان هذا هو السبب في أن ابن العديم عند كلامه عن توجه زنكي الى حلب في تلك السنة اقتصر على القول بأنه « رعى عسكره زرع الرها (١٧٤) » .

وهكذا لم يقم زنكي بمحاولة جادة ضد امارة الرها في بداية حكمه للموصل ، وان كان هذا لم يمنعه من ارسال بعض القوات لمهاجمة الصليبيين في الرها وغيرها بين حين وآخر من ذلك انه ارسل ٥٢٤هـ (١١٢٩ - ١١٣٠م) الفي فارس لمهاجمة معرة مصرين - وهي للفرنج - فاغارت تلك القوة على تل باشر واوقعوا بخيل من الفرنج وقتلوا منهم جماعة كبيرة (١٧٥) . كذلك حدث حوالي ١١٣١م - ٥٢٦هـ أن

---

(١٧٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٢٥ ، أبو شامة : الروضتين، جـ ١ ق ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون العبر ، جـ ٥ ص ٢٢٤ يذكر الأخير أن ذلك كان ٥٢٣هـ اما متى الرهاوي فيذكر أنه كان ١١٢٨م - ٥٢٢هـ
Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٧٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٢٥ .

(١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٤٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٧٢ .

(١٧٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك، جـ ٣ مخطوط، ص ٢٠ (ب) .

توجهت قوات زنكى أمير الموصل ضـد الرهـا ولكن الصليبيين تصدوا لهم وهزموهم واضطروهم للفرار (١٧٦) .

سـلاجقة قونية وامارة الرهـا :

المقصود هنا بسلاجقة قونيه ، سلاجقة الروم . وجد هـذه الدولة ومنشئها هو سليمان بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق (١٧٧) . فبعد موقعـة ماتريكـرت افسـطس (١٠٧١م — ٤٦٣هـ) التى منى فيهـا البيزنطيون بهزيمة منكرة(١٧٨) ، جـاء سليمان بن قتلمش الى آسـيا الصغرى ، وتمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة رباعها تقريبا(١٧٩) . وقـد اختـار سليمان مدينـة نيقيـة لتكون مراكزا له وهى المدينـة التى اصبحت أول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم فى الأناضول حتى حلت محلها قونيـه . والواقع انه فى ١٠٩٢م/٤٨٥هـ قامت سلطنة قونيـه على يد قلج ارسلان الأول بن سليمان(١٨٠) .

كـانت أولى احتكاكات سـلاجقة قونيـة بامارة الرهـا ، فى عهد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش (١٨١) . وهو الذى امتد حكمه من ١٠٩٢م الى ١١٠٧م(١٨٢)/٤٨٥ — ٥٠٠هـ (١٨٣) . ذلك انه وصـل فى ٤٩٩هـ (١١٠٦م) فى عسكر كثير وقصد الرهـا ونزل قريبا منها فارسـل أصحاب جكرمش المقيمون بحران يستدعونه لتسليمها اليـه ، فوصـل اليهم وتسلمها منهم واستبشر النـاس بوصوله الى الجهاد واقـام اياما

---

(١٧٦) Michel : Op. Cit., p. 233.
(١٧٧) دائرة المعـارف الاسلامية ، مادة سلاجقة .
(١٧٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 344 (1968),
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ، ص ٨٦ (١٩٣٥م) ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ، ص ٨٨
(١٧٩) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٩٠ .
(١٨٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ — ٩٣ .
(١٨١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .
(١٨٢) Grousset : Hist des Crois. V. 2, p. 6.
(١٨٣) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

ولكنه مرض مرضا اوجب عودته الى ملطيـة فى حين اقـام اصحابه بحران (١٨٤) .

ويشير متى الرهاوى الى هـذه الحملة بانهـا كانت فى ١١٠٦م اى (٤٩٩ هـ) ويضيف الى ما سبق ان قلج ارسلان قـدم بجيش هـائل وحاصر الرهـا لبضعة ايـام مؤملا ان يصبح سيد هـذه المدينـة لكنه اخفق . وعند انسحابه استولى على حران بعد ان اخضع الجهات المجاورة ثم عـاد الى بلاده (١٨٥) .

وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) يذكر متى الرهاوى ان سلطان ملطية السلجوقى كان من جملة اعضاءالتحالفالفرنجى الاسلامى ضد حلب وهو التحالفالذى كان يضم الملك بلدوين الثـانى وجوسـلين الاول ودبيس بن صـدقه وآخرين (١٨٦) والذى سنتكلم عنـه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد ، وهـذا يعنى انه كانت هنـاك علاقات ود وتحالف بين سلاطين الروم فرع ملطيـة وبين الرها . كما يعنى ايضا ان سلطنة سلاجقة الروم او سلاطين قونيـة تفرع عنها سلطنة حكمها فرع من السلاجقة فى ملطية (١٨٧) .

---

(١٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 82

(١٨٦) Mattieu : Ibid., p. 142.

ففى نفس الصفحة توجد حاشية تذكر ان
ابو الفرج قـد عين أربعة ابناء لقلج ارسلان الأول السـابق الذكر وهم : مسـعود وملكشـاه وعرب وطغرل أرسلان . خلف الأول والده واتخذ اقامتـه فى قونيـة وترك أخويه عرب وطغرل ارسلان فى ملطية وسجن ملكشاه بواسطة غازى الدانشمندى وحرم من النظر . وعلى ذلك يكون أما عرب وأما طغرل ارسلان هو الذى يشير اليـه متى الرهاوى هنا .

اما رنسيمان فيشير الى انه حـوالى ١١١٨م (٥١٢هـ) كان الذى يحكم فى ملطيـة هو الأخ الأصغر لطغرل وهو مسعود تحت وصـاية امه وزوجها الثـانى بلك بن أرتق لكن ربما كـان يقصـد هنـاعرب وليس مسعود باعتبار ان الأخير كان فى قونية .
Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 207-8.

(١٨٧) يؤكد هذا ما ذكر عن أنه « عند بداية حكم الامبراطور يوحنا

وفى ١١٣١م (٥٢٦هـ) قام جوسلين بحملة ضد سلطان قونيه ولكن جوسلين توفى اثناءها (١٨٨) . ويذكر ميخائيل السريانى أنه بعد ان علم (ايلغازى) — والصحيح هو مسعود بن قلج ارسلان ١١١٦ — ١١٥٥م (١٨٩) (٥١٠ — ٥٥١هـ(١٩٠)) — بوفاة جوسلين الأول أوقف المعركة وارسل تعازيه وكتب الى الفرنج تلك الكلمات « لن اشتبك معكم فى معركة اليوم ، كى لا يقال أننى أحرزت النصر على جيشكم نتيجة لوفاة ملككم(١٩١) » .

ويفهم من تلك العبارات أن جوسلين توفى قبل احرازه النصر فى تلك المعركة وان كان وليم الصورى يشير الى ان العدو انسحب قبل أن يموت جوسلين (١٩٢) » .

ويبدو أن العلاقات ظلت هادئة بين الجانبين الرهوى وسلاجقة الروم الى ١١٣٨م (٥٣٣هـ) عندما يخبرنا ابن العبرى « أن مسعود حاكم قونيه هاجم اقليم كيسوم واستولى على القرى وحرقها(١٩٣) » . وبعد ذلك بحوالى احدى عشر عاما ١١٤٩م (٥٤٤هـ) اى بعد سقوط الرها بنحو خمس سنوات « اوغل مسعود بن قلج ارسلان جنوبا فى بلاد الشام بجيش هائل فاستولى على عديد من المدن والقلاع وحاصر تل باشر وفيها جوسلين الثانى وزوجته واطفاله . ثم ساد السلام

=

الثانى امبراطور بيزنطة وخليفة الكسيوس من ١١١٨م — ١١٤٣م كان يحيط بملكه فى آسيا امارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود فى قونية وما جاورها وملك غازى فى سيواس وجهاتها وطغرل ارسلان بن قلج ارسلان فى ملطية وتوابعها » (اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ١٤١) .

(١٨٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 52, Michaud : V. 2, p. 101.

(١٨٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(١٩٠) زامبوْر : معجم الانساب ، حـ ٢ ؛ ص ٢١٥ .

(١٩١) Michel : Op. Cit., p. 232.

(١٩٢) William · Op. Cit., V. 2, p. 52.

(١٩٣) Bar Hébraeus : Op. Cit., V. 1, p. 265.

بين الجانبين بعد أن اطلق الامير جوسلين سراح كل رعايا السلطان الذين كانوا فى أسره(١٩٤) » .

علاقــة الرهــا بحلب وضواحيها :

احتلت حلب (١٩٥) مكانا بــارزا الى جــانب الموصـــل فى العــلاقات بين الرهـــا والمسلمين ، فقد مر بنـــا كيف كانت حلب تحت حكم رضوان ابن تتش بن الب ارســـلان السلجوقى عند قدوم الصليبيين . وقد ظلت حلب تحت حكم السلاجقة حتى حوالى ٥١١هـ (١١١٧م) عنـدما استولى عليها الأراتقـــة ــ كما سنرى .

والراجح انه لم يكن هنـــاك اى احتكاك مهم بين حلب والرها فى عهد أميرهـــا الأول بلدوين البولونى . ولكن فى بداية عهد بلدوين دى بورج ، وفى ٤٩٦هـ (١١٠٢م) على وجه التحديد خرج الجيشان الانطاكى والرهوى وتوجها الى حلب « واقاموا بها أيـــاما (١٩٦) » وبعـــد مفاوضات بينهم وبين الملك رضوان اتفقوا على أن يدفع لهم « سبعة آلاف دينـــار وعشرة رؤوس من الخيل ويطلقوا الأسرى » ثم خرج فرنج الرهـــا من تل باشر واغـــاروا على « بـــلاد حــلب الشـــمالى والشرقى واحــرقوه وتكرر ذلك منهم (١٩٧) » .

وقد مر بنـــا ما كان من أسر بلدوين دى بورج وجوسلين سنة ١١٠٤م

---

(١٩٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

(١٩٥) تشير (انـــا كومنين) فى الالكسياذه الى أن حلب كانت تسمى برويا Berroea او خالب Chalep (Anna Comnena : The Alexias, p. 355.)

أما ياقوت الحموى : معجم البلدان ـ حـ ١ ص ١٢٧ فيشير الى اسم مشابه لذلك عندما يسميها (بارو) عن يحيى بن جرير الطبيب التكريتى النصرانى .

(١٩٦) ابن العـــديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٤٧ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٣٦٠ .

(١٩٧) المصدرين الســـابقين نفس الصفحات .

(٤٩٧هـ) الى أن تم اطلاق سراح بلدوين ١١٠٨م (٥٠٢هـ) على يد جاولى بعد اتفاق تم بينهما على أساس دفع فدية عن بلدوين لجاولى . ثم أطلق جاولى سراح جوسلين ايضا وسيره الى بلدوين كى يرسل الأسرى والمال الذى اتفقا عليه « فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها . وكان معه مجموعة من أصحاب الأمير جاولى فانكروا عليه ذلك واعتبروه غدرا (١٩٨) فرد عليهم جوسلين بقوله « ان هذه البلاد ليست لكم (١٩٩) » .

وبالرغم من ان بلدوين دى بورج أطلق بالفعل — كما تعهد لجاولى — حوالى « مائة وستين أسيرا من المسلمين كلهم من سواد حلب بعد أن كساهم (٢٠٠) » ، الا أنه فى نفس ١١٠٨م — ٥٠٢هـ « خرج الملك رضوان من حلب ليتسلم الرقة فظهر فى طريقه بسبعين رجلا من الفرنج معهم المال الذى قرره الأمير جاولى سقاوه على قمص الرها فاخذ الملك رضوان المال وقتل جماعة من الفرنج واسر جماعة وتسلم الرقة من بنى نمير وعوضهم قلعة الجسر(٢٠١) » .

---

(١٩٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٢(أ) ، الطباخ الحلبى : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٣٩٩ .

(١٩٩) ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٠٣هـ — ١١٠٩م ولكن الراجح انه اخطأ فى ذكر السنة) .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 435.

(٢٠٠) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٨ ،
Grousset : Ibid., V. 1, p. 436

(٢٠١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ص ٢٤(ب)، ٢٥ (أ) . أما العينى عقد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٣٩ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٠٠ فيذكر « أنه بينما كان الملك رضوان متوجها من حلب الى الرقة لنجدتها من بنى نمير الذين استولوا على البلدة من على بن سالم بن مالك ، وقتلوه . وعند صفين صادف رضوان تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فاخذه واسر عددا منهم فلما وصل الرقة صالحه بنو نمير على مال فرحل عنها الى حلب » .

وفى سنة ٥٠٨هـ ١١١٤م توفى الملك رضــوان صاحب حلب — وهو الذى سبق ان اشرنا الى تحالفه مع تنكريد ٥٠٢هـ (١١٠٨م) — وخلفه فى حلب ابنه تاج الدولة الب ارسلان الأخرس تحت وصاية لؤلؤ الخصى . وعندما علم لؤلؤ بأن الســلطان ارسل برسق بن برسق على راس حملة ضد الفرنج ٥٠٩هـ — ١١١٥م ، خشى أن يستولى برسق على حلب ولذا انضم الى الجانب الفرنجى الذى سبق ان اشرنا ان طغتكين حــاكم دمشق وايلغــازى كانا قــد انضما اليــه (٢٠٢) .

وهكذا يبدو ان حلب فى علاقتها مع الفرنج فى ذلك الدور كانت تنضم فى غالبيــة الأحيــان الى الجــانب الفرنجى وخاصـــة امــارة انطاكية القريبة منها . هذا وان كانت قد وقفت على الحيــاد فى حركة الجهاد التى قام بها مودود ١١١١م (٥٠٥هـ) والتى جاءت أصلا نتيجة لاستنجاد حلب بالخليفة . وأخيرا أدى تخــوف رضــوان من السلاجقة اكثر الى ان «يعلن لمودود انه لا يمكنه الاتحــاد معهم لأنه اصطلح مع تنكريد وانه يحتــفظ بالحيــاد (٢٠٣) » .

وفى سنة ٥١١هـ (١١١٧م) دخلت حلب فى حوزة الارتقة . وانتهت حــالة الهدنة التى كانت قائمة بين حلب والفرنج . ففى هــذه الســنة « اشتد الغلاء بانطاكية وحلب لأن الزرع عرق ولحقــه هواء عند ادراكه اتلفه (٢٠٤) » . وعندئذ انتهز الفرنج الفرصة واغاروا على حلب واخذوا « ما لا يحصيه الا الله » . فاستنجد الأهالى بدمشق ولكن جوســلين ومعه عساكر الفرنــج أوقفوا تلك النجــدة . وفى نفس الوقت استنجد اهــل حلب بالموصــل ولكن بدون جدوى بسبب عدم استقرار احوالها (٢٠٥) . ثم نزل الفرنج على اعزاز « وضــايقوها واشرفت على الأخــذ وانقطعت قلوب اهل حلب اذ لم يكن بقى حلب معونة الا من عزاز وبلدهــا وبقيــة

---

(٢٠٢) Mattieu : Op. Cit., p. 115.

(٢٠٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٢٠٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨١

(٢٠٥) المصدر السابق ص ١٨١ — ١٨٢ .

بلد حلب فى أيدى الفرنج والشرقى خراب مجدب (٢٠٦) » لذا استنجد أهل حلب بايلغازى بن أرتق ، فحضر الى حلب وملكها من سلطان شاه بن رضوان بن تتش ٥١١هـ(٢٠٧) .

وهكذا أصبح ايلغازى حاكما على ماردين وحلب ، وحاول عن طريق التفاوض مع الفرنج ٥١٣هـ (١١١٩م) أن يجعلهم يرحلون عن اعزاز مقابل اعطائهم مبلغا من المال « فلم يلتفتوا لقوة طمعهم فى أمر الاسلام ، وكان ايلغازى يعجز بحلب عن قوت الدواب وحلب على حد التلف(٢٠٨) » . فلما يئس أهل عزاز سلموها الى الفرنج فتم الصلح بينهم وبين حلب على أساس أن يساموا للفرنج تل هراق (٢٠٩) والف دينار وتكون لهم من حلب شمالا وغربا . وزرعوا أمثال عزاز وصار يدخل الى حلب ما يبتلعون به من القوت (٢١٠) .

وفى نفس سنة ١١١٩م (٥١٢هـ) واستنادا الى ما ذكره متى الرهاوى يبدو انه حدث خلاف بين ايلغازى وبين روجر حاكم انطاكية مما جعل الاول يجمع جيشا كبيرا يبلغ حوالى ثمانين الف رجلا ويتوجه ضد انطاكية ووصل بقواته هذه أمام أسوار الرها حيث توقف أربعة أيام ثم اتجه الى

---

(٢٠٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص ١٨٦ ، الذهبى : العبر حـ ٤ ص ٣٦ أما أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٢ فيذكر أن دخول ايلغازى حلب وفتح الفرنج لاعزاز كان ٥١٢هـ . فى حين يشير ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣١٠ ، « ان الفرنج استولوا على عزاز فى شهر رمضان ٥٠١هـ (١١٠٧م) ولقى أهل حلب منهم شدة عظيمة الى أن فتحها نور الدين محمود بن زنكى فى ٥٤٥هـ » والراجح أن التاريخ خطأ بدليل أن ابن العديم نفسه هو الذى ذكر أنها أخذت سنة ٥١١هـ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

(٢٠٩) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٥ (أنها من حصون حلب الغربية) .

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٦ .

الفرات وعبره (٢١١) . أما ميخائيل السريانى فيشير الى أن ايلغازى جمع بعض القوات فى تلك السنة وغزا بلاد الرها واحرق المحاصيل . وعندما لم يجد أحدا يخرج لمنازلته رجع ودخل اقليم انطاكية واخذ معه بعض الأسرى ثم عاد الى بلاده (٢١٢) .

اما ابن العديم فيشير الى أن ايلغازى توجه فى ٥١٣هـ « فى عسكر يزيد على اربعين الفا وقطع الفرات وامتدت عساكره فى ارض تل باشر وتل خالد (١١٣) وما يقاربها يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ما قدروا عليه (١١٤) » .

ومهما يكن بين الروايات السابقة من تباين فانها تشير الى الدور الايجابى الذى قام به ايلغازى الأرتقى فى تلك السنة ضد الرها .

وقد رد جوسلين فى بداية حكمه للرها على تلك المحاولات العداونية من جانب ايلغازى بالاغارة على « منبج والنقرة واعمال حلب الشرقية ، واخذ كل ما وجده من دواب وأسر رجالا ونساء (١١٥) » .

وفى ١١٢٠م (٥١٤هـ) قاد ايلغازى من جديد حملة ضد الفرنج وهى الحملة التى تركت اثرا واضحا على الرها والتى ذكرها متى الرهاوى بالتفصيل . ذلك انه خرج على رأس قوات كبيرة بلغت مائة

---

(٢١١) Mattien : Op. Cit., p. 122.
ويقال أن تلك الحملة كانت فى بداية شهر يونيه ١١١٩م .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 412-13)

(٢١٢) Michel : Op. Cit.. p. 205.
ربما تكون هذه هى الحملة التى اشار اليها
(Iorga : Bréve Hist., p. 82).
عندما ذكر أن ايلغازى قاد حملة غير ناجحة ضد الرها فى ١١١٩م .

(١١٣) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠١ انها تلعة من نواحى حلب .

(١١٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٨٧ الطباخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٣٠ .

(١١٥) ابن العديم : المصدر السابق حـ ٢ ص ١٩٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 415.

وثلاثين الف محارب . وتوجـه مسرعا الى أسوار الرهـا حيث عسكر امامها اربعة ايام حرب خلالها كل الحقول ثم عبر الى سروج واجتاز الفرات بجزء كبير من قواته وانتقل من تل باشر الى كيسوم . وهكذا ظل يقتـل ويأسر وينهب ويخرب حتى جمع الأمير جوسلين قواته وخـرج لمطاردة الاتراك ، وانقض عليهم وقتل الفـا وعندئـذ انسحب ايلغازى ليعسـكر قرب عزاز (١١٦) . وهناك اجتمع الفرنج فى جانب واجتمع ايلغازى وطغتكين فى جانب آخر . لكن لم يحدث بينهما اشتباك ما بل عقدت هدنة بين الطرفين تنازل فيها ايلغازى للفرنج فى انطاكية عن « المعرة وكفر طاب والجبل والباردة وضياعا من جبل السماق برسم هاب وضياعا من ليلون برسم تل اغدى ، وضياعا من عزاز برسم عزاز (١١٧) » .

ويبدو ان ايلغازي عقد تلك الهدنة حتى يستطيع اعادة تنظيم قواته من جـديد وحتى يتمكن من اضـافة فرق جديدة الى جيشـه ثم يعود ثانية الى مهاجمة الفرنج . وبالفعل نجـده يتوجه بعد تلك الهدنة « الى ماردين ليجمع العساكر (١١٨) » . بعد ان ترك بحلب ابنه شمس الدولة سليمان بن نجم الدين ايلغازى مع نائبه مكى ابن قرناص الحموى (١١٩) .

ورغم الهدنة القائمة بين ايلغازى والفرنج فان جوسلين امير الرهـا

---

(١١٦) Mattieu : Op. Cit., p. 127, Cahen : Op. Cit., p. 291.
ويذكر ابن العديم : ان ذلك كان فى ٢٥ صفر ٥١٤هـ (ابن العديم : الزبدة ، حـ٢ ، ص ١٩٥) .

(١١٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦ وهو يسمى تلك الموقعـة (موقعة دانيث) وكفر طاب بلدة بين المعرة ومدينـة حلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٤٧٠) . وجبـل السماق هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية (ياقوت : حـ ٥ ص ١٠٢) اما ليلون ويقال ليلول فهو جبل مطل على حلب بينها وبين انطاكية (ياقوت حـ ١٧ ص ٢٩) .

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ١٩٦ .

(١١٩) المصـدر السـابق ص ١٩٨ — ١٩٩ .

غــــدر بالصلح واغار على النقرة والأخص (١٢٠) واحتج بانه اسر له والى منبج اسيرا وانـــه كاتب فى ذلك فلم ينصف وذلك فى شوال ٥١٤هـ / يناير ١١٢١م (١٢١) . وقتل وسبى واحرق كل ما فى النقرة والأخص ؛ ثم أخــذ المشـــايخ والعجائز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم فى البرد عراة فهلكوا جميعهم (١٢٢) . ثم عاد الى تل باشر وخرج من جـــديد فكرر ما فعله فى المرة الســـابقة . لذلك أرسل والى حلب الى ملك بيت المقـــدس يقول « أن نجم الدين لم يترك هـــذه البلاد خاليـــة من العساكر الا ثقة بالصلح » فكان رد الملك « مالى على جوسلين يد » وبذلك تتابعت غارات جوسلين (١٢٣) .

وعندما وجـــد جوسلين ان ايلغازى قـــد انشغل عن أمر الشـــام فى ماردين بدبيس بن صـــدقة (١٢٤) ؛ توجـــه الى حلب « واستولى على معظمـه (١٢٥) » ؛ كما اغـــار على صفين جنوب الفرات وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة والواقعة شمال حلب قرب وادى بطنان ونجح فى خرق جزء من جدرانها ؛ ولم يرفـــع حصـــاره عنها الا بعد أن دفـــع له

---

(١٢٠) يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ؛ جـ ١ ص ١١٤ أن الأخص بنواحى حلب كورة كبيرة مشهورة ؛ قصبتها خناصرة وهى المدينـــة التى كانينزلها عمر بن عبد العزيز .

(١٢١) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ جـ ٢ ص ١٩٧

(١٢٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة .

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ؛ جـ ١ ص ١٩٧
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٤) ابن العديم : المصدر الســـابق ؛ ص ١٩٧ — ١٩٨ ويفسر ذلك بقوله « انه فى هـــذه السنة هرب ملك العرب دبيس بن صـــدقة الأسدى فاكرمـه نجم الدولة بمالك ثم ســـار الى ايلغازى الى مادين وتزوج ابنته فاستند به وأجاره ووصل معه الأموال العظيمة والنعمة الوافرة وحمل اليه ايلغازى ما يفوت الاحصـــاء فاشتغل ايلغـــازى بدبيس عن العبور الى الشـــام .

(١٢٥) ابن العديم : المصـــدر الســـابق ؛ ص ١٩٨ .

مبلغا من المـال (١٢٦) . وفى مايو ١١٢١م (٥١٥هـ) هاجم جوسـلين قلعة الاثارب الى الجنوب الشرقى من حلب واحـدث مذبحة ضخمة فى اهلها من المسلمين (١٢٧) .

عندئذ « كتب ايلغازى الى ولده ونوابه يأمرهم بصـلح الفرنج على ما يريدون فصـالحوهم على سرمين والجزر وليلون واعمال الشمال على انها للفرنج . وما حول حلب للفرنج فيه النصف حتى أنهم ناصفوهم فى رحى العربيـة وعلى ان يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفئتين فيه حكم (١٢٨) » . كذلك طالب الفرنج بتسليم الاثارب فوافق ايلغازى لكن الاهالى ناضـلوا بشـدة من اجلها لذا احتفظ المسلمون بها (١٢٩) .

ولـما كانت تلك الشروط مجحفة باهل حلب فانهم لم يستكينوا فخرجوا ٥١٦هـ (١١٢٢م) فى عـدد هائل الى عزاز لكن الهزيمـة حلت بهم وقتل عـدد كبير منهم (١٣٠) .

وفى نفس السنة تقـدم ايلغازى من ماردين الى حلب ليقاتل الفرنج بعـد ان جمع جيشـا كبيرا وبعـد ان وصل الى حلب اتجه الى شيزر فاجتمع ملك القـدس وجوسلين امير الرهـا لمقاومته ولكن لم يحـدث اى اشتباك بينهما وعـاد كل منهما الى بلاده فى سبتمبر ١١٢٢م (١٣١) .

---

(١٢٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن العديم : المصـدر السـابق ، ص ١٩٨ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٧) سعيد عاشور : الحركـة ، جـ ١ ص ٥٠٩ من ابن العـديم
محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ ، ص ٤٦ .
Setton : Ibid.. p. 416.
والاثارب قلعة معروفـة بين حلب وانطاكية (ياقوت : جـ ١ ص ٨٩) .

(١٢٨) ابن العديم : زبـدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٩٩ . وهو يـذكر ان جوسلين كان ممن تولوا المفاوضـات .

(١٢٩) ابن العديم المصدر السـابق نفس الصفحة
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416.

(١٣٠) ابن العديم : المصدر السـابق ص ٢٠٥ .

(١٣١) Mattieu : Op. Cit., p. 131, William : Op. Cit., V. 1, p. 537.

وفى الوقت الذى دخل فيه ايلغازى حلب توجه بلك ابن اخيه ليقتفى اثر الفرنج حتى تمكن كما راينا من قبل من اسر جوسلين نفسه ومعه ابن خالته جاليران (١٣٢) .

ورغم اسر امير الرها جوسلين الا ان ذلك لم يمنع فرنج الرها من محاربة اهل حلب انتقاما منهم لما حدث لرئيسهم فتوجه فرنج الرها فى شعبان ٥١٦هـ ــ اكتوبر ١١٢٢م « من تل باشر وكبسوا تل قباسين (١٣٣) ، فخرج النائب بيزاعا مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون وقتل منهم تسعون رجلا (١٣٤) » .

وفى رمضان ٥١٦هـ ــ نوفمبر ١١٢٢م « توفى ايلغازى بن ارتق ابن اكسب نجم الدين التركمانى الذى كان فارسا شجاعا كثير الغزو كثير العطاء فولى بعده ماردين ابنه حسام الدين تمرتاش (١٣٥) » .

وقد راينا كيف اسر الملكُ بلدوين الثانى نفسه مع جوسلين وجاليران ثم كيف افلت جوسلين من الأسر ٥١٧هـ (١١٢٣م) وعاد الى الرها ليجمع نجدة من انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس (١٣٦) . ولكن عندما علم بعودة بلك الى خرتبرت واحتجازه للملك مرة اخرى ثارت ثائرته وقام بالعديد من اعمال التخريب فى اقليم حلب ٥١٧هـ (١١٢٣م)

---

(١٣٢) Mattieu : Ibid., p. 131, William : Ibid., V. 1, p. 540, Michel : Op. Cit., p. 201. سماه متى الرهاوى واليران

(١٣٣) قرية من قرى العواصم من اعمال حلب (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٣) .

(١٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(١٣٥) الذهبى العبر ، حـ ٤ ص ٣٦ ، زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٥ ، محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ ، ص ٢٧ ويضيف الاخيران ابنه شمس الدولة سليمان استولى على ميافارقين ، فى حين كانت حلب من نصيب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق .

(١٣٦) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

وهى السنة التى تعتبر من اهم سنى الصراع بين الرهـــا وحلب لمـــا شهدته من اشتباكات جمة بينهما . وقــد وضــح فى كل اطوار تلك العلاقات فى هــذه السنة دور الهجوم من جانب جوسلين ، فقــد راى أن ذلك هو خير وسيلة للدفاع عن حــدوده الخاصـــة وحدود امارة انطاكية المعدومـــة القيادة (١٣٧) .

والواقـــع أن الفرنج اتفقوا على ان يخفوا فشـــل الحملة الموجهـــة لانقاذ الملك بأن يوجهوا جهودهم الى اعمال التخريب بحلب ، (١٣٨) ؛ انتقاما لاسر الملك مرة اخرى . فســـار جوسلين بمن معه ٥١٧هـ / ١١٢٣م الى «الوادى وقاتل بزاعا واحرق بعض جـــدارها ثم احرق الباب وقطـــع شجرة واحرق ما سواه من الوادى . ثم نزل جيلان ثم حلب من ناحيـــة مشهد الجف من الشمال ، وخرب المشـــاهد والبســـاتين وكسر الناس عند مشـــهد طرود بالقـــرب من بســـتان النقرة وقتـــل وسبى مقـــدار عشرين نفرا (١٣٩) » .

ثم رحل « ونزل الجانب الغربى فى البقعة السوداء وخرب مشـــاهد الجانب القبلى وبســـاتينه ونبش الضريح الذى به مشهد الدكة فلم يجـــد فيه شيئا فالقى فيـــه النـــار (١٤٠) » . وفى رمضـــان « نزل السعدى وقطع شجرة (١٤١) » .

---

(١٣٧) Setton : Ibid., V. 1, p. 420.

(١٣٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Setton : Ibid., 420.

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطبـــاخ الحلبى : أعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٠ وبزاعة بلدة من اعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ٤٠٩) أما جيلان فهى قرية من قرى حلب فيها عين تصل مياهها الى حلب (ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤) .

(١٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ .

(١٤١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٠ (المقصود هنا رمضـــان ٥١٧هـ) .

هنا يذكر ابن العديم أنه كرد فعل لنبش جوسلين اضرحة المسلمين سنة ٥١٧هـ (١١٢٣م) أمر قاضى حلب ابن الخشاب بموافقة مقدمى حلب أن تهدم محاريب الكنائس التى للنصارى بحلب وان تعمل لها محاريب الى جهة القبلة وتغير أبوابها وتتخذ مساجد (١٤٢) . ولم يبق للنصارى فى حلب سوى كنيستان (١٤٣) .

---

(١٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ أما ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) ، سبط بن العجمى (ت ٨٨٤هـ فيذكران أن تحويل الكنائس الى مساجد كان سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م . والراجح أن ذلك كان سنة ٥١٧هـ استناداً لرأى ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) فمثلا ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، حـ ١ ق ١ ص ٤٥ يذكر « أنه كان بحلب نيف وسبعون هيكلا للنصارى منها الهيكل المعظم عندهم الذى بنته هيلانه أم قسطنطين بانى القسطنطينية وهى التى بنت كنائس الشام كلها والبيت المقدس وهذا الهيكل كان فى الكنيسة العظمى التى هى تجاه الجامع الغربى وكانت هذه الكنيسة معظمة عندهم ولم تزل على ذلك الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ » .

أما سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ مخطوط ص ١٩١ فيذكر انه كان بقلعة حلب جرس عظيم يعلق على برج من ابراجها ، علق هذا الجرس سنة ٤٩٦هـ وسبب تعليقه ان الفرنج لما ملكوا انطاكية طمعوا فى حلب وضواحيها ، فصالحهم رضوان بن تاج الدولة تتش ، فاقترحوا عليه اشياء من جملتها ان يعلق هذا الجرس بقلعة حلب ويضع صليبا على منارة المسجد الجامع فوافق . فانكر القاضى أبو الحسن بن الخشاب — الذى كان بيده زمام البلد — وضع الصليب على منارة الجامع ، لذا راجع رضوان الفرنج فى ذلك فاذ نواق وضعه على الكنيسة العظمى فلم يزل بها الى ان حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ ونبشوا ما حولها من القبور فأخذ ابن الخشاب الكنائس ورمى الصليب ، أما الجرس فظل باقيا حتى ٥٨٧هـ وربما كان الخطأ فى تحديد السنة هو الذى جعل سامى الدهان ينشر ذلك الجزء من أحداث سنة ٥١٧هـ تحت سنة ٥١٨هـ .

(ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦) أما أهم الكنائس التى حولت الى مساجد فيذكر ابن العديم ص ١٤ — ١٥ « فعل ذلك بكنيستهم العظمى ، وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الحراف وهى مكان مدرسة ابن المقدم » أما الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ فيقول (كنيسة هيلانة والحدادين وموغان والمقدمية) .

(١٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ .

وفى تاسع عشر رمضان ٥١٧هـ ١١٢٣م خرج جوسلين الى الوادى والنقرة والأحص واخذ ما يزيد على خمسمائة فرس من الدواب والبقر والغنم والجمال ما لايحصى وقتل وسبى وخرب ما امكنه وعاد الى تل باشر (١٤٤) . ثم اغار جوسلين على اقليم شبختان واستولى على كل ما كان موجودا به (١٤٥) . كذلك اغار جوسلين « على الجبول (١٤٦) . وما حولها واخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر وهى قرية بين حلب وبالس فخنق اهلها بالدخان فى المغاير وفتح المقابر وسلب الموتى اكفانهم (١٤٧) » .

وهكذا كانت حلب هى اكثر المناطق الاسلامية تعرضا لتخريب جوسلين بعد هربه من الأسر وبعد أن أضاع بلك عليه الفرصة فى اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى .

وفى صفر ٥١٨هـ (١١٢٤م) توجهت مجموعة من أصحاب بلك بن بهرام الى عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج موقعة انتصر فيها الإتراك واخذوا من الفرنج حوالى اربعين رجلا وفر الباقون الى عزاز وهم مصابون بجراح كثيرة (١٤٨) . وفى نفس السنة وقعت موقعة منبج بين بلك ابن ارتق من ناحية وبين حاكم منبج وجوسلين من ناحية أخرى وهى التى راح ضحيتها بلك نفسه .

---

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٥ ؛ العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٨ .

(١٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٦

Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٤٦) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب ، ينصب فيها نهر بطنان ونهر الذهب ثم يجمد ملحا فيمتار منه كثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٥ ص ١٠٧) اما ابن الشحنه : الدر المنتخب ص ٢١٨ فيسميها الجبل .

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٦ ، ابن الشحنه ، الدر المنتخب ص ٢١٨ .

(١٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٧ ، الطباخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٢ .

ذلك أن حسان بن كمشتكين كان يحكم منبج (١٤٩) منذ ١٠٩١م (١٥٠) (٤٨٥هـ) تقريبا . وفى ٥١٨هـ (١١٢٤م) حدث سوء تفاهم بين حسان وبلك فأنفذ بلك اليه جيشا مع ابن عمه تمرتاش بن ايلغازى بن أرتق (١٥١). « وتقدم اليهم ان يمروا على منبج ويطلبوا من حسان أن يخرج معهم للأغارة على تل باشر فاذا خرج قبضوه (١٥٢) » . وبالفعل نفذوا ما طلبه منهم بلك وأخذوا حسان أسيرا « حيث حبس فى حصن بالو بعد أن عوقب وعرى وسحب على الشوك (١٥٣) » .

ورغم ذلك التعذيب الذى وقع بحسان ، رفض أخوه عيسى أن يسلم البلد الى اتباع بلك . بل اكثر من ذلك ارسل عيسى يستنجد بجوسلين امير الرها قائلا : « ان وصلتنى وكشفت عنى عسكر بلك سلمت اليك منبج (١٥٤) » .

وعندما رأى بلك تشدد عيسى فى موقفه جمع بعض القوات وسار ضد الفرنج وتوجه أولا الى حلب ومنها توجه لمهاجمة منبج (١٥٥) . فى نفس الوقت كان جوسلين قد توجه الى بيت المقدس وطرابلس

---

(١٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٨ . الطباخ نفس الصفحة .

(١٥٠) Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٥١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422,

(١٥٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٥٢ .

(١٥٣) المصدرين السابقين نفس الصفحات . ويذكر ابن العديم هنا أن بالو قلعة حصينة وبلدة من نواحى ارمينية بين ارزن الروم وخلاط .

(١٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٨ (وهو يذكر ايضا ان عيسى نادى بشعار جوسلين بمنبج اما متى الرهاوى فيذكر ان الاستنجاد كان بجوسلين وجيوفرى .

(Mattieu : Op. Cit., p. 138), Michel : Op. Cit., p. 211.

Cahen : Op. Cit., p., 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422.

(١٥٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 137 - 138.

وبقية المراكز الصليبية يجمع القوات لحرب بلك (١٥٦) .

وكان ان التقى الجيش الصليبي مع جيش بلك الأرتقي بالقرب من منبج في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول ٥١٨هـ ، ٤ مايو ١١٢٤م (١٥٧) . ويصف لنا متى الرهـــاوى تلك المعركة فيقول أن الاشتباك كان مخيفا . ورغم ان أعداد المسلمين فاقت أعـــداد الصـــليبيين الا ان كفة الصـــليبيين كانت هى الراجحة في البداية ، فطوقوا الأتراك واجبروهم على الفرار . ولكن مجموعة من الأتراك تمكنت من تطويق أمير مرعش — جيوفرى — ومعـــه مجموعة من نبلاء الصليبيين ، وقتلوا بعضهم وعندما بسمع جوسلين بذلك هرب متجها الى مدينته تل باشر (١٥٨) .

أما ابن العديم فيصور لنا نفس المعركة بقوله : « اقتتل العســكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار . وحمل فيهم بلك ذلك اليوم خمســين حملـــة يفتك فيهم ويخرج ســالمـــا ، يضرب بالسيوف ويطعن بالرماح ولا يكلم ، وعاد الى منبج فبات مصليا مبتهلا الى الله تعالى لمـــا جـــدده على يده من الظفر بالفرنج (١٥٩) » .

وفي اليوم التالى تجـــدد القتال بعـــد ان تخلص بلك من كل أسراه في اليوم الســـابق (١٦٠) ، واعطى بلك أوامره بتشـــديد الهجوم « وهو في غمرة فرحـــة بنجاحـــه (١٦١) » . في اليوم الســـابق . ولكن بينما

---

(١٥٦) Mattieu : Ibid., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422,
وكان اهم المنضمين الى جوسلين وقتذاك جيوفرى أمير مرعش الى جانب أمير دلوك .
Cahen : Op. Cit., p. 298

(١٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩
Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٨) Mattieu : Ibid. p. 138,

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٩ .

(١٦١) Mattieu : Op. Cit., p. 139.

وقف بلك يدير المعركة اذ جاءه سهم من القلعة قتله فى الحال (١٦٢) ، عندئذ استدعى « تمرتاش بن ايلغازى وعهد اليه بحكم بلاده (١٦٣) » ، ومن جملتها حلب (١٦٤) . وعندئذ نكث قواته الحصار عن منبج (١٦٥) . ويصور متى الرهاوى صدى موته بقوله « مسبب موته فرحة عامة بين الفرنج ، ولكن على العكس بالنسبة للبلاد التابعة له فقد حملت الحزن العميق فقد كان دائما مشهود له بالتسامح والعطف على الأرمن الذين تحت نفوذه (١٦٦) » ، وهذا يدل بالفعل على تسامحه مع الأرمن لأن متى الرهاوى كان أرمنى الجنسية .

وبوفاة بلك تشجع نائبا جوسلين بالهجوم على اقليم شبختان فى مايو ١١٢٤م ، اواخر ربيع الأول ٥١٨هـ (١٦٧) . « فاغار على شبختان ونهبها فسار اليه نائب تمرتاش بحلب وهو عمر الخاص الذى ركب اليه فى ثلثمائة فارس فلحقه على مرج اكساس فقاتله وقتل اكثر من

---

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ ،

Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 423, V. 2, p. 876.

ويذكر ابن العديم (انه قيل ان السهم كان من يد عيسى نوقع فى ترقوته اليسرى فانتزعه وبصق عليه وقال « هذا قتل المسلمين كلهم » ومات لوقته) أما متى الرهاوى فيقول أن قاتل بلك كان احد عباد الشمس .

(Mattieu : Op. Cit., p. 139)

(١٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٥ .

Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٤) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٢٤ — ٨٢٥

Setton : V. 1, p. 423,

(١٦٥) Mattieu . Op. Cit., p. 139, Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٦٦) Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٧) Setton : Op. Cit., V. I, p. 423,

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٠

كان معه من الفرنج وعاد غانما وانفذ رؤوسهم وما غنمه الى تمرتاش الى حلب (١٦٨) » . لهذا كافأ تمرتاش عمر الخاص بمنحه حكم حلب (١٦٩) . ومضى تمرتاش الى ماردين فى الخامس والعشرين من رجب (١٧٠) .

لم يمض شهر واحد حتى حوصرت حلب من جديد بواسطة الفرنج فى شعبان ٥١٨هـ (١٧١) (اكتوبر ١١٢٤م) (١٧٢) . اذ حاصرها الملك بلدوين الثانى وجوسلين أمير الرها (١٧٣) . فضلا عن دبيس بن صدقة أمير العرب وسلطان شاه بن رضوان وآخرين (١٧٤) . وهو ما سنتناول أسبابه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد . وقد أقام الفرنج وحلفاؤهم الحصار على حلب وارتكبوا الكثير من الفظائع التى

---

(١٦٨) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(١٦٩) Setton : Op. Cit, V. 1, p. 423,

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ٥ام ٤ ص ٨٤٠ (عن ابن العميد) .

(١٧١) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة . اما التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥١٩ فيذكر أن ذلك كان ٥١٩هـ .

(١٧٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, Setton. Op. Cit., V. 1, p. 452.

(١٧٣) يسميه التاريخ المظفرى ، حوادث ٥١٩هـ (جوسلين الرومى)

(١٧٤) Mattieu : Op. Cit., p. 141 - 142, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p.p. 876-877.

ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .

فصلها لنا ابن العـديم (١٧٥) . وسبط بن العجمى (١٧٦) . بل ان الفرنج عزموا على ان يداوموا حصـار المدينة لمـدة طويلة حتى يجبروا اهلهـا على التسـليم لهم « حتى انهـم بنوا لهم بيوتـا لأجـل الحر والبـرد (١٧٧) ». ويقـال ان الحصـار اسـتمر حـوالى أربعـة اشهر (١٧٨) . وكان بحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخـاص ومعهما قرابة خمسمائة فارس (١٧٩) .

وقـد فكر اهل حلب فى ان يرسلوا الى تمرتاش يستنجدون بـه وبالفعـل خـرج وفـد منهـم الى مـاردين « مسـتصرخين اليـه ومستغيثين (١٨٠) » . ولكنه لم ينجـدهم لأسباب أوردتهـا بعض المصـادر الاسلامية ، فبعضها يذكر « انهم وجدوا ان اخـاه سليمان بن ايلغـازى صـاحب ميافارقين كان قـد توفى فى رمضـان وسـار

---

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤ — ٢٢٥ . فقـد ذكر أن الفرنج « اقـاموا على حلب يزاحمونهـا وقطعوا الشجر وخربوا المشـاهد الكثيرة ونبشوا قبور موتى المسلمين ، واخـذوا توابيتهم الى الخيم وجعلوها اوعية لطعامهم ، وسلبوا الأكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تنقطـع اوصـاله . فربطوا فى رجلهم الحبال وسـحبوهم مقابل المسلمين . . . . . » .

(١٧٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ . فقـد قال : « اكل اهل البلد القطاط فى هـذه الشـدة ولمـا طال الحصـار عليهم وقلت أزوادهم وقـع فيهم المرض والفناء » .

(١٧٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ كرد على : خطط الشـام حـ ١ ص ٣٠٤ .

(١٧٨) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم ، حوادث ٥١٩هـ .

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، حـ ١ ص ٤٥٧ ، اما ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ فيذكر « أن حلب كانت قد خلت من الرجال ولم يبق فيها غير مئتى وستين رجلا » .

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٥ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٧ وكان تمرتاش قـد تولى أمر ماردين من ٥١٦هـ وظل بها حتى ٥٤٧هـ . (زامبور : معجم الأنسـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٥) .

تمرتاش الى البلاد ليملكها واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب (١٨١) » .
والبعض يقول « انه قال لهم خلوهم اذا اخذوها عدت واخذتها (١٨٢) » .

والبعض يشير الى أنـــه « ظهر لهم من صـــاحبهم تمرتاش بن ايلغازى الوهن والعجز والفتور (١٨٣) » . وآخرون يذكرون « لم ينجدهم صاحبها تمرتاش لايثاره الرفاهية والدعة (١٨٤) » .

وكـــان أن اتجـــه أهـــل حلب الى طـــلب النجـــدة من آقســـنقر البرسقى (١٨٥) . الذى كان مريضـــا ، فنذر أن عافاه الله تعالى ليفرجن من حلب الشـــدة (١٨٦) . فلما شفى توجـــه الى حلب « فلما قاربها رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوشن وابعدوا عن المدينـــة ، فلما وصـــل ســـاق وعسكر خلفهم مـــع أهل البلد فانهزموا بين يديـــه (١٨٧) » وحفظت المدينـــة (١٨٨) . ويقال ان ذلك كان بتأييد الطبيعة (١٨٩)

---

(١٨١) ابن العديم : نفس المصـــدر والصفحة .
(١٨٢) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ .
(١٨٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .
(١٨٤) الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٦ ، كرد على ، خطط الشام ، حـ ١ ص ٣٠٤ .
(١٨٥) يسميه ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (كنجاك الرشيقى) .
(١٨٦) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم حوادث ٥١٩هـ .
(١٨٧) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥١ .
(١٨٨) Mattiey : Op. Cit., p. 142,
(١٨٩) يذكر ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٥ أن الفرنج « أقاموا على حلب تسعة ايام فلما كان اليوم العاشر ، تشـــاور اهل حلب ، على انهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعـــد العصر أرســـل الله عز وجل سيلا عظيما أخـــذ الفرنج ودوابهم وجميع مالهم » . أما العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ص ٨٤٠ — ٨٤١ (عن ابن العميد) =

وان وصول آقسنقر البرسقى الى حلب كان فى ذى الحجة ٥١٨هـ يناير ١١٢٥م (١٩٠) .

وبذلك انتهت فترة الحكم الأرتقى لحلب واستكمال العلاقات الحلبية الرهوية من ذلك الوقت وحتى استولى عليها عماد الدين زنكى ، يصبح مكملا للعلاقات بين ولاة الموصل والرها كما سبق أن اشرنا .

وفى ربيع الآخر ٥١٩هـ (١٩١) ١١٢٥م جمع الأمير سيف الدين قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب حلب والموصل عساكره واستولى على كفر طاب من الفرنج ثم سار الى قلعة عزاز التى كانت تابعة لامارة الرها (١٩٢) . وكان يصحب آقسنقر فى حملته هذه طغتكين حاكم دمشق بعد أن تم التحالف بينهما (١٩٣) . وقدر متى الرهاوى جيشهما « بأربعين الف رجل من صفوة الفرسان (١٩٤) » .

= فيذكر انه « فى اليوم التاسع جاء قد عظيم فى نهر قويق وذلك قبل العصر فأخذ خيام العدو وغرق خلق خلق كثير وتلف لهم عظيم » .

(١٩٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٦
Mattieu : Op. Cit., p. 142,
العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

(١٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٦١ .

(١٩٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٢ ص ٩٢ (ب) ، روض المناظر : مخطوط رقم ٥٤م تاريخ احداث ٥١٩هـ ، أبو الفدا المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ ، أما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٩ فيسميها (عزز) .

(١٩٣) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 425.

(١٩٤) Mattieu : Ibid., p. 143.

والواقع ان غالبية المصادر العربية اكتفت بالاشارة الى هذه الحملة اشارة موجزة بقولها « اقتتل المسلمون والفرنج فانهزم البرسقى وقتل من المسلمين خلق كثير (١٩٥) » . ولم يشر اليها بشيء من التفصيل منهم سوى ابن الفرات (١٩٦) ؛ في حين وصفها متى الرهاوى وصفا تفصيليا (١٩٧) .

ومهما يكن من أمر فقد عقدت هدنة بين البرسقى والفرنج على « ان يناصفهم في جبل السماق وغيره مما كان بايدى الفرنج (١٩٨) » ثم رحل البرسقى إلى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال (١٩٩) ، بعد أن ترك في حلب ابنه عز الدين مسعود (٢٠٠) . واصطحب معه ابنه ملك بيت المقدس وابن جوسلين الى قلعة جعبر حيث أودعهم هناك ثم رحل الى الموصل (٢٠١) .

ولم يكد آقسنقر يرحل الى الموصل حتى تقدم الفرنج الى رفنية فاخذوها من ابنه في صفر ٥٢٠هـ (٢٠٢) (١١٢٦م) فخرج صاحبها شمس الخواص الى آقسنقر مستنجدا وعندئذ جمع ليارسقى الجند وسار الى الشام فوصل الرقة في أواخر شهر ربيع الآخر ثم « نزل

---

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٨ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٣ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥١٩هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(١٩٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٢ مخطوط ص ٩٢(ب) .

(١٩٧) Mattieu : Op. Cit., p.p. 143 - 144.

(١٩٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣١ .

(١٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٢ ص ٩٢ (ب)

(٢٠٠) ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٧ .

(٢٠١) Mattieu : Op. Cit., p. 145,

(٢٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٦٢ .

بالنقرة على الناعورة واقام به اياما والفرنج يراسلونه فراسله جوسلين على ان تكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة (٢٠٣) » . فاتفق على ذلك . وفى جمادى الآخره رحل البرسقى الى الأثارب فتوجه اليه ملك القدس وجوسلين وطلبوا منه ان يرحل عن الاثارب ويعود الوضع بينهما الى ما كان عليه ٥١٩هـ (١١٢٥م) ويعيدوا اليه الأثارب فصالحهم على ذلك لانه « خشى ان يتم على المسلمين ما تم على عزاز (٢٠٤) » . ثم غدر به الفرنج واستمر تردد الرسل بين الجانبين وكل منهما متربص بالآخر وفى النهاية نفذت امدادات الفرنج فعادوا الى بلادهم وعاد البرسقى الى حلب (٢٠٥) .

وبعد وفاة البرسقى خلفه ابنه عز الدين مسعود ؛ لفترة قصيرة ثم توفى هو الآخر . وبعد وفاته حدثت فوضى فى حلب وعاد ليها الحكم الأرتقى لمدة سنة تقريبا (٢٠٦) . فانتهز جوسلين امير الرها فرصة الفوضى الموجودة فى حلب وتقدم اليها ٥٢١هـ (١١٢٧م) « فصونع بمال وانصرف عنها (٢٠٧) » .

ويذكر ميخائيل السريانى انه حدث فى نهاية ١١٢٧م (٥٢١هـ) أن اجتمع الأتراك والفرنج فى سهل حلب للقتال ولكن الأتراك خافوا واتفقوا على اعطاء جوسلين اثنا عشر الف دينارا سنويا فى مقابل اقرار السلام،

---

(٢٠٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٢ .

(٢٠٤) ابن العديم : حـ ٢ ص ٢٣٣ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٥) ابن العديم : حـ ٢ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٦٣

(٢٠٦) يذكر الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ انه فى ٥٢١هـ ولى قتلغ حلب وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان ومد يده الى الأموال لا سيما التركات وقرب اليه الاشرار فنفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الأرتقى الذى كان صاحبها قديما فأطاعه اهل البلد واقاموه واليا يوم ٢ شوال ٥٢١هـ .

(٢٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب : حـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ .

ثم دبر الاتـــراك مؤامرة لدس السم لجوســـلين ولكن محـــاولتهم باءت بالفشل (٢٠٨) .

ثم انقضت بعد ذلك حوالى ثلاث سنوات بدون اشتباكات تقريبـــا بين حلب والرهـــا وهى الفترة التى استولى خلالها عماد الدين زنكى على حلب ووطد سلطانه فيها من ٥٢٢هـ (١١٢٨م) .

وفى ٥٢٥هـ (١١٣٠م) كان نـــائب زنكى بحـــلب هو ســـوار بن أيتكين (٢٠٩) . فوقعت بينه وبين جوســـلين وقعـــة بنـــاحية حلب الشمالية فانتصر فيها جوسلين وقتل من المسلمين جماعة (٢١٠) .

لكن لم تمض ســـنة حتى تجمع الأتراك فى اقليم حلب فتصـــدى لهم جوســـلين ، فلمـــا علموا ذلك دخلوا اقليم تل باشر ونهبوه (٢١١) . وبعد أن ترك الأتراك حوالى سبعين فارسا فى المكان ليحرسوه خرجوا لمنازلة الفرنج مرة أخرى ، ولكن الأتراك تربصوا لهم وأبادوا الفرنج جميعا(٢١٢). وهـــذه هى الموقعة التى أصيب فيها جوسلين الأول بكسور شديدة فى كل جسمه والتى أودت بحياته فى النهاية(٢١٣) .

وفى مستهل حكم جوسلين الثانى ١١٣٢م (٥٢٧هـ) أوقع الأميرسيف‌الدين ســـوار بفرنج تل باشر وقتـــل منهم خلقا كثيرا(٢١٤) . وفى العام التالى ١١٣٣م (٥٢٨هـ) اغـــارت فرســـان الرهـــا على شمال حلب فأوقع بهم ســـوار وحســـان صـــاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحمـــلوا الرؤوس والأسرى الى حلب(٢١٥) .

---

(٢٠٨) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٢٠٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6.

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٤٧ ، الطبـــاخ : حـ ١ ص ٤٧٨ .

(٢١١) بن العـــديم : زبدة الحلب : حـ ٢ ص ٢٥١
Michel : Op. Cit., p. 233,

(٢١٢) Michel : Ibid., p. 233.

(٢١٣) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 6.

(٢١٤) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٧٩ .

(٢١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٥٢ ، الطباخ : حـ ١ ص ٤٨٠ .

ومرت حوالى تسع سنوات لم تتم فيها أى اشتباكات تقريبا بين الرها وحلب ولكن فى ٥٣٧هـ/١١٤٢م يذكر ابن العـديم « ان ملك انطاكية خرج الى وادى بزاعا فخرج سـوار فردهم الى بلد الشمال واجتمع سـوار وجوسلين بين العسكرين فاتفق الصـلح بينهما (٢١٦) » .

أما العينى فيشير الى ان جوسـلين هو الذى « اغـار على شـط الفرات وسبى خلقا ثم وقع الصلح بينه وبين سيف الدين اسوار(٢١٧) » .

هكذا استطعنا ان نلم بعلاقة الرها بالسلاجقة فى فارس ونوابهم فى الموصل البلد الرئيسى لديار ربيعة فى الجزيرة(٢١٨) . كذلك علاقة الرها بسلاجقة قونيـة ثم بسلاجقة حلب كى نصل منها الى اولى العلاقات الارتقية بالرهـا منذ دخـلها ايلغـازى ٥١١هـ حتى ٥١٨هـ (١١١٧ م — ١١٢٤ م) عندما استنجد أهل حلب بالبرسقى وظلت تحت تبعيته وتبعية أولاده الى أن استولى عليها عماد الدين زنكى .

ولكى نستكمل علاقة الرهـا بالأراتقـة ، لابد وان نشير الى أراتقة سروج الذين تناولناهم بالبحث عند دراسة ضم سروج الأرتقية للرهـا فى عهد اميريها الأولين ، لذا لا داعى لاعادة دراسة ذلك الفرع مرة اخرى .

علاقـة الرهـا بأراتقـة ماردين :

أما أراتقة ماردين فقد مر بنا أيضـا بعد استيلاء بلدوين دى بورج على سروج من بـلك الأرتقى ٤٩٤هـ (١١٠٠م) أن هذا الانتصـار شجع بلدوين على الاغارة على المنطقة المجاورة لمـاردين واسر الكثيرين .

فقد ذكر لنـا متى الرهـاوى أنه فى ١١٠٣ — ١١٠٤ م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) « جمع بلدوين دى بورج بعض القوات وقـام بحملة عسكرية ضد الأتراك فى اقليم ماردين فأبادهم واسر أميرهم (٢١٩) » .

---

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢١٧) العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦ م ١ ص ١٣٢ .

(٢١٨) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 70.

كذلك نستطيع ان نلم بجانب كبير من علاقات الرها بماردين من خلال علاقات الرها بحلب ، لأن حكام ماردين الأراتقة مدوا نفوذهم الى حلب فترة طويلة كما اشرنا (٥١١ ـ ٥١٨هـ / ١١١٧ ـ ١١٢٤م) وبعد ذلك اصبحت العلاقات بين اراتقة ماردين فقط ـ بعد مد ولاة الموصل سلطانهم على حلب ـ وبين الرها .

ففي عهد جوسلين الأول وبالتحديد حوالى ١١٣٠ م (٥٢٥هـ) حدث صدام بين حكام ماردين وامارة الرها (٢٢٠) . وفى بداية حكم جوسلين الثانى استمرت العلاقات العدائية بين الرها واراتقة ماردين اذ حدث ١١٣١م (٥٢٦هـ) « ان طلب احد الأمراء الأراتقة من حسام الدين حاكم ماردين ان يتخلى له عن اقليم شبختان ليحارب الفرنج . فدخل بصورة متتابعة اقليم الرها ونهبه ولكن لحق به حوالى ستمائة فارس فرنجى وقتلوا الف تركى وقبضوا عليه . فاحرقوه على باب الرها . ثم استولى جوسلين على قلعة شبختان ودكها تماماً(٢٢١) » .

علاقة الرها باراتقة ديار بكر :

اما عن اراتقة ديار بكر فيقال انهم كانوا قد تحالفوا مع الأرمن فى الرها ضد السيادة الفرنجية فى البداية المبكرة لامارة الرها الصليبية وذلك ١٠٩٨ م (٢٢٢) (٤٩٢هـ) وهى المؤامرة التى كشف امرها بلدوين البولونى ونكل بالمشتركين فيها او المشتبه فيهم .

ولكن يبدو ان هذا الفرع من الأراتقة تحالف مع امراء الرها فى اواخر عمر امارتهم بدليل ما ذكر من انه « فى خريف ١١٤٤م هاجم زنكى قرا ارسلان الأمير الأرتقى لديار بكر ، الذى كان قد تحالف مع جوسلين فسار جوسلين خارج الرها بكل جيشه جنوبا الى الفرات ليحمى حليفه ويقطع بطريقة عملية اتصالات زنكى مع حلب(٢٢٣) » .

---

(٢٢٠) Michel : Op. Cit., p. 246.

(٢٢١) Michel : Ibid., p. 233.

(٢٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, Runciman : Op. Cit., p. 211 عن (Albert).

(٢٢٣) Runciman : Ibid., V. 2, p. 235.

علاقـــة الرهـــا بـــآمد :

ولمـــا كانت مدينة آمد تعتبر المدينـــة الرئيسية فى ديـــار بكر(٢٢٤) ، لذا رأينا ان نورد علاقتها بالرهـــا فى هذا المكان من البحث . وقد انقسمت علاقتها بالرها خاصة فى عهد جوسلين الاول الى نوعين : علاقات حربية وعلاقات دينيـــة . اما عن الاولى ففى ١١٢٨م (٥٢٢هـ) يشير ميخائيل السريانى الى « أن جوسلين غزا بلاد آمـــد ونهب الأتراك والاكراد وخرب القرى حتى أبواب المدينـــة لأن الاتراك غزوا اقليم الرهـــا بينما كان جوسلين فى انطاكية ، فلحقت بهم قوات آمد(٢٢٥) » .

اما فى الجـــانب الدينى فيشير ميخائيل ايضـــا الى أنه فى ١١٢٩ م (٥٢٣هـ) « أثير حاكم ماردين ضد البطريرك اثناسيوس Athanasius بسبب حرمانه لبطريرك آخر اسمه اسحاق ومنعـــه فى نفس الوقت من الخروج من آمد . وفى الواقع ان حاكم ماردين أرسل اكثر من مرة يطلب السماح عن اسحاق هذا وطلب من البطريرك العفو عن اسحاق فلم يوافق ابدا ثم حرض الأمير على الا يترك البطريرك يخرج من آمـــد وقيل له : « أن هذا البطريرك رجل مسن وعن قريب سوف يموت هنا وتاخذ انت ثرونه » . ولمـــا بقى البطـــريرك بآمد ـــ كما لو كان فى سجن ـــ ارسل الى جوســـلين حاكم الرها يطلب منـــه أن يتشفع له لدى أمير آمد . وبصورة عاجـــلة انبـــأ جوســـلين لأمير آمد هـــذه الكلمات « اذا لم تطلق سراح البطريرك فساخرب البلاد » . وهكذا سمح الأمير للبطريرك بالرحيل . فخرج من آمد الى الرهـــا ليشكر جوسلين ، ومن هنا صـــعد الى دير ماربارسوما (Mar Bar Çauma) (٢٢٦) .

ولاستكمال علاقات الرها بالاراتقة نشير الى انه فى ٥٢٣هـ (١١٢٨م) « هزم جوســـلين الأول على يد صـــاحب حصن كيفا (٢٢٧) » . والمرجح انه كان داود بن ســـقمان الأرتقى(٢٢٨) . لأن المعروف ان حصن كيفـــا

---

(٢٢٤) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢٢٥) Michel : Op. Cit., p. 22.

(٢٢٦) Michel : Ibid., p. 228.

(٢٢٧) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٠ .

(٢٢٨) زامبور : معجم الانســـاب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ (من ٥٠٢هـ ـــ ٥٣٩ هـ) .

كان احـــدى القلاع الأرتقيـــة . كان اول من ملكها منهم سقمان الارتقى نفسه اخو ايلغازى وذلك ٤٩١هـ (٢٢٩) (١٠٩٧م).

والى جانب العلاقات الأرتقيه والسلجوقية بالرها فقد عثرنا على بعض العلاقات بأماكن أخرى تركية ولكن لم يأت ذكرها الا فى سنة واحدة أو اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة.فمثلا أخرى تركية ولكن لم يـأت ذكرهـا الا فى سـنة واحـدة.او اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عـامة . فمثلا نجد انه كانت للرها علاقة بالعقيليين فى قلعـة جعبر بدات عـدائية ثم تحولت الى علاقـة ودية فى عهد جوسـلين الأول امير الرهـا . وربمـا يرجع ذلك الى الدور الذى لعبه دبيس بن صدقة بينهما . « ففى ٤٩٧ هـ (١١٠٣م) اغـار الفرنج من الرهـا على الرقة وقلعـة جعبر فاستاقوا المواشى واسروا من وقع بايديهم من المسلمين وكانت القلعـة والرقـة لسـالم بن مالك ابن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السـلطان ملكشاه ٤٧٩هـ(٢٣٠) » .

ويشير اسامه بن منقذ الى انه فى عهد جوسلين الأول « اغار جوسلين على الرقـة والقلعة واخذ كل ما عليها وسبى وسـاق غنائم كثيرة ونزل مقابل القلعة فركب نجم الدولة مالك صاحب القلعة زورقا وعبر الفرات الى جوسلين وكان بينهما معرفـة قديمة(٢٣١) ، ولمـالك عليـه جميل . وظن جوسـلين ان فى الزورق رسولا من مالك فجاءه واحـد من الافرنج وقال « هـذا مالك فى الزورق » فقـال « ما هو صحيح » فأشار آخر قـال « قـد نزل مالك من الزورق وهو جاءنى يمشى » . فقام جوسلين والتقاه واكرمه ورد عليه جميع ما كان أخذه من الغنائم والسبى(٢٣٢) » .

---

(٢٢٩) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 451.

(٢٣٠) ابن الأثـير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٢٠ ؛ ابن الوردى تتمـة المختصر ، حـ ٨ ص ١٤ ؛ زامبور معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣١) بسبب علاقة دبيس بن صدقة بمالك وتوسط الاخير له عند جوسلين كما سنرى .

(٢٣٢) اسامة بن منقذ : الاعتبـار ،ص ٩٠ .

كذلك اغــار جوســلين سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) على العربــان والتركمان النازلين بصفين قرب قرية جعبر على الفرات « فغنم من أموالهم ومواشيهم شيئا كثيرا »(٢٣٣) .

ومن العلاقات التركية الرهوية ما ذكره ميخائيل السريانى فى ١١٣٤م (٥٢٩هـ) « انه عنــدما توجــه جوســلين للصلاة فى القــدس نهب الأتراك بقسوة كل الاقاليم وخربوا واحرقوا قرية حــارم(٢٣٤ » .

علاقــة الرهــا ببنى دانشمند :

سبق أن رأينــا انه منذ قيــام امــارة الرها الصــليبية كان شرق الأناضول تحت حــكم أمير تركى قــوى هــو الملك غــازى كمشــتكين بن الدانشمند حــاكم سيواس(٢٣٥) .

حقيقة ان ما عثرنا عليه فى المصادر والمراجع بالنسبة لعلاقة الرهــا بالأتراك من بنى دانشمند يعتبر بسيطا لكن هذا لا يمنع من الاشارة اليه .

كانت أولى تلك العلاقــات واهمها فى المصــادر هى علاقة الرهــا ببنى دانشمند فى سميســاط منــذ قيــام الامــارة ــ كما ســبق أن اشرنــا(٢٣٦) . يلى ذلك انه عندمــا اسر الأمير الدانشمندى ، الأمير بوهيموند كان يأمل ايضا ان يأسر الأمير بلدوين البولونى ومما يدل على ذلك ما ذكره (البرت) على لسان ابن الدانشمند عنــدما قال : « انى آمل فى الحصــول على بلدوين ذاته كما حصــلت على بوهيموند فى وقت قصــير(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٠٢ ، ابو الفــدا : المختصر ، جـ ٢ ص ٢٣٤ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٢٨ ، العينى : عقد الجمــان ، جـ ٥م ٤ ص ٧٦٨ ، الطبــاخ الحلبى اعلام النبلاء ، جـ ١ ص ٤٣٥ ــ ٤٣٦ .

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p. 253.

(٢٣٥) زامبور : معجم الانساب ، جـ ٢ ص ٢٢٠ حكم من ٤٧٧ هـ الى ٤٩٥ هـ .

(٢٣٦) انظر ص ٧٤ ــ ٧٥ .

(٢٣٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII., T. 4, p. 525.

وفى ١١٤١م « توفى غازى الداشنمندى (٢٣٨) فلم يمكن الاحتفاظ بوحدة ارثه اذ استقر ابنه ذى النون فى قيصرية(٢٣٩) واحد اخوة المتوفى المسمى ياغى سيان احتل سيواس كما احتل احد بنى دانشمند ايضا ملطية وبذلك صارت هناك عندئذ ثلاث امارات لبنى دانشمند هذا الى جانب مسعود السلجوقى فى قونيه والذى اتحد مع ذى النون فى مواجهة امارة الرها(٢٤٠) » .

علاقة الرها ببنى مزيد فى الحلة :

وبالنسبة لعلاقة امارة الرها ببنى مزيد فى الحلة ، فيجدر بنا أن نعطى نبذة عن الحلة وملوكها المعاصرين لامارة الرها الصليبية ثم موقفها من الامارة . والحلة هى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين (٢٤١) . اختطها الأمير سيف الدولة بن بهاء الدولة الاسدى الناشرى ، صدقه بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد سنة خمس وتسعين واربع مئة(٢٤٢) . . وساعده على ذلك انشغال سلاطين السلاجقة من اولاد ملكشاه ابن ألب ارسلان بالخلافات بينهم خاصة بركياروق ومحمد وسنجر(٢٤٣) وكانت اجمة يأوى اليها السباع فنزل بها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وقد قصدها التجار فصارت افخر بلاد العراق واحسنها فى حياة

---

(٢٣٨) كما ذكر زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٢٠ هو ابو المظفر محمد بن ناصر الدين بن كمشتكين (توفى ٥٣٧هـ) .

(٢٣٩) تولى ذو النون عماد الدين بن محمد سنة ٥٣٧هـ فى سيواس زامبور : معجم الانساب حـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٢٤٠) Cahen : Op. Cit., p. 365.

(٢٤١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، المجلد الثانى ، طهران ١٩٦٥ (منشورات مكتبه الأسدى رقم ٧ ، ص ٣٣٢ .

(٢٤٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١ ، ٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ وهنا نجد زامبور يذكر أن سيف الدولة صدقه تولى حكم الحلة من ٤٧٩ الى ٥٠١ هـ (زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٢٠٧) .

(٢٤٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان (المصدر السابق) ص ٣٣٢. ص ٣٤٥ — ٤٣٦ .

سيف الدولة صدقــة فلما قتل بقيت على عمارتها(٢٤٤) . وكانت تسمى ايضا الحلة السيفية (٢٤٥) او الحلة المزيدية (٢٤٦) . كان صدقــه هذا يـلقب بملك العرب(٢٤٧) . وفى ٥٠١هـ (١١٠٧م) قتـل سيف الدولة صــدقه(٢٤٨) فملك العرب بعده ابنه نور الدولة ابو الاغر(٢٤٩) .

وقد لعب دبيس دورا ايجابيا فى تاييد الفرنج ضد المسـلمين وكانت بينه وبين الخلفاء العباسيين فى تلك الفترة خلافات شديدة ، وربما هى التى دفعته الى اتخاذ مثل هذا الموقف وخاصة خلافه مع المسترشـد بالله « اذ خرج دبيس عليه اكثر من مرة (٢٥٠) » . وكان ينهب القرى ويزعج البلاد (٢٥١) . وفى ٥١٢هـ (١١١٨م) طلب دبيس من السلطان محمود « أن يرده الى الحلة وغيرها مما كان ابوه يتولاه من الاعمال فاجابه الى ذلك وولاه ما كان ابوه يتولاه من ذلك فعظم ورفع شانه (٢٥٢) » .

والواقع ان اكثر السنوات التى برز فيها التحالف بين الامير دبيس

---

(٢٤٤) ياقوت : المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢٤٥) الذهبى : العبر ، جـ ٤ ص ٢ .

(٢٤٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، جـ ١ ص ٥٢ .

(٢٤٧) الذهبى : العبر ، جـ ١ ص ١ ، ٢ ، ٧٨ ، ابن الجوزى بالمنتظم، جـ٩٠ ص ١٣٢ .

(٢٤٨) الذهبى : المصــدر السـابق ص ١ هنا يذكر ابن الفرات تاريخ الدول والملوك جـ ١ مخطوط ص ١٤ (أ) انه لمـا قتل اضاف السلطان محمد مملكته اليه وولاها اصحابه فدخلها الخبط والضياع .

(٢٤٩) أبن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ص ٥٢ الذهبى : العبر جـ ٤ ص ٧٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب جـ ١ ص ٥٢ ، زامبور : معجم الانساب ، جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) الذهبى : العبر ، جـ ٤ ص ٧٨ سـبط بن العجمى : كنــوز الذهب ، جـ ١ ص ٥٢ .

(٢٥١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ص ٥٣ .

(٢٥٢) أبن شاكر الكتبى : عيون التــواريخ ميكروفيلم بدار الكتب جـ ١٣ رقم ١٦٧٢ تاريخ ص ٧٩ .

العربى وبين امـارة الرهـا هى ١١٢٤ م (٥١٨هـ) اى فى عهد الأمير جوسلين دى كورتنساى . اذ يبدو انه تم تحـالف سرى بين دبيس وبين الفرنـج بعـد الصراع الشـديد بينـه وبين الخليفـة المسترشـد ، ولذا أراد تمرتاش بن ايلغازى حـاكم حلب ان يأمن جانب دبيس . وكان الملك بلدوين الثـانى قد انتقل من سجن بلك بعد وفاته الى حلب(٢٥٣) ، وعندئذ بدأت مفاوضات بين الملك بلدوين وبين تمرتاش ، استقر الراى فيها على ان يسلم الملك فى مقابل اطلاق سراحه « الاثارب وزردنا(٢٥٤) وكفر طاب والجزر(٢٥٥) وعزاز وثمانين الف دينار والا يكون له علاقـة بدبيس(٢٥٦) » .

لذا كاتب دبيس قومـا من اهل حلب وارسـل اليهم بعض الدنانير « وسامهم تسليمها ، فكشف ذلك رئيسها فضـائل بن صاعد بن بديع فاطلع عليـه تمرتاش بن ايلغـازى فاخذهم وعـذبهم وشنق بعضـهم وصـادر بعضـا وأحرق بعض(٢٥٧) » وبذلك فشلت محـاولة دبيس هذه فى الاستيلاء على حلب .

---

(٢٥٣) Mattieu : Op. Cit., p. 189, Setton : Op. Cit., V. 1, p: 428.

(٢٥٤) بليدة من نواحى حلب الغربية (يـاقوت الحموى : معـجم البلدان حـ ١٠ ص ١٣٦) .

(٢٥٥) كورة من كور حلب (ياقوت حموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ١٣٣) .

(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١
Setton : Op. Cit., V. 1,p. 452,

هنا يذكر ابن العديم : ان دبيس كان قد وصل منهزما من المسترشد بعد أن كسره وقتل خلقا من عسكره فترك بلاده وحمل ما قدر عليه من العين والعروض على ظهور المطـايا ووفد على سـالم بن مالك بن بدرن الى قلعـة دوبـر واستجار به فأجاره وغاضب المسترشد والسلطان محمود فى أمره « .

(٢٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢١ ـــ ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء حـ ١ ص ٤٥٥ .

ثم كان ان تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثانى على الشروط المتفق عليها بعد ان دفع من المبلغ المحدد عليه وهو عشرين الف دينار(٢٥٨) »، وكان القائم بالمفاوضات بين الملك وتمرتاش هو الأمير ابو العساكر سلطان ابن منقذ . وانتقل الملك الى شيزر حتى حضرت رهائن بدله اهمهم ابنته وابن جوسلين وتم اطلاق سراحه يوم الجمعة سابع عشر ، رجب ٥١٨هـ (٢٥٩) (١١٢٤م) . ولكن بمجرد ان اصبح الملك حرا تنكر للعهد الذى بينه وبين تمرتاش ورفض التنفيذ قائلا « ان للبطريرك الذى لا يمكن خلافه سالنى عما بذلت وما الذى استقر ، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها منى ابى ، وامرنى بالدفع عنها وقال ان خطيئتك تلزمنى ولا اقدر على خلافه (٢٦٠) » هنا بدات المفاوضات من جديد ولكن لم تنته الى حل .

ومن هنا بدأ يبرز دور دبيس بن صدقة ملك العرب وامير الحلة ، فاتصل بالفرنج وقدم لهم خدماته فى مقابل مساعدته هو الآخر فى تحقيق مآربه . وهناك روايتان ، تذكر الأولى أن دبيس « خالط جوسلين وبغدوين وصافاهم وصافوه بواسطة الأمير مالك بن سالم صاحب جعبر واتفق دبيس والفرنج على قواعد تعاهدوا عليها منها أن تكون حلب أدبيس والأموال والأرواح للفرنج (٢٦١) » . أما الرواية الثانية فتذكر « انه لما ملك الفرنج مدينة صور طمعوا وقويت نفوسهم فاكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس ابن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال ان اهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب ، فمتى راونى سلموا البلد الى وبذل لهم المساعدة وقال انى اكون ههنا عنكم نائبا ومطيعا (٢٦٢) » . ومهما تختلف الروايات فقد تم بالفعل تحالف بينهم وساروا جميعا الى حلب لحصارها .

---

(٢٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٦٠) المصدر السابق نفس الصفحة،الطباخ ، حـ ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢٦١) ابن العديم نفس الصفحة ، الطباخ ، ص ٤٥٦ .

(٢٦٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ، ص ٨٦ ، كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ص ٣٠٣ — ٣٠٤

وقد اشترك فى هذا الحصار لمدينة حلب كل من الملك بلدوين الثانى ملك القدس وجوسلين الأول امير الرها (٢٦٣) . ودبيس ابن صدقة وسلطان شاه بن رضوان (٢٦٤) . وكان بصحبة دبيس عيسى بن سالم بن مالك ويغى سيان بن عبد الجبار صاحب بالس (٢٦٥) ، كما يضيف اليهم متى الرهاوى ايضا سلطان ملطية (٢٦٦) .

وحاصر هؤلاء الحلفاء ، الفرنج والعرب الاتراك والمسلمون ، حلب من كافة الجهات اذ خرج دبيس وجوسلين من تل باشر وقصدوا ناحية الوداى فافسدوا الزرع ، ثم رحلا ونزلا مع الملك بلدوين على حلب (٢٦٧) . ثم وصل اليهم الملك سلطان شاه بن رضوان . «ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربى من حلب فى الحلبة ونزل جوسلين على طريق عزاز وما يجاوره يمنه ويسره ، ونزل دبيس وسلطان شاه بن رضوان مما يلى جوسلين من الشرق وفى صحبة دبيس عيسى بن

---

(٢٦٣) Mattieu : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

(٢٦٤) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ، ص ٥١ ، ابن العديم : الزبدة ، حـ ٢ ص ٢٢٤ . هنا يشير متى الرهاوى الى دبيس باسم (صدقة — (Sadaka, Sale) ابن دبيس ، والواقع انه ربما خلط بين الأب لابن . ومما يرجح ذلك ان متى نفسه يعرفه بانه صهر ايلغازى ، وبذلك يكون دبيس وليس صدقة . اما ابن ايبك : كنز الدر ، حـ ٦ ، ص ٤٩٤ فيشير الى دبيس خطأ بانه دبيس البرسقى سيف الدولة . والصحيح ان سيف الدولة الذى قصده هو آقسنقر البرسقى وليس دبيس . اما عن سلطان شاه فيذكر متى انه الابن الأصغر للسلطان تتش ، ولكنه فى الحقيقة حفيده وابن رضوان بن تتش .
(Mattieu : Op. Cit., p. 142).

(٢٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

(٢٦٦) Mattieu : Op. Cit., p. 142,
وهو هنا كما سبق ان اشرنا اما عرب او طغرل ارسلان بن قلج ارسلان .

(٢٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

ســالم بن مالك . ونزل يغى سيان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب بالسن مما يلى دبيس من الشرق (٢٦٨) » .

وبعد أن قاسى اهالى حلب كثيرا من قلة الأرزاق ومن كثرة الهجمات (٢٦٩) . كما سبق أن شرحنا ـ التجأوا الى آقسنقر البرسقى أمير الموصل يتوسلون اليه أن يحضر لنجدتهم (٢٧٠) . ولكن البرسقى كان مريضا لا يستطيع الحركة لشدة ضعفه ومنع الدخول اليه فوصل الى دبيس من اخبره بذلك « فضرب البشارة فى عسكره وارتفع عنده التكبير والتهليل ونادى بعض أصحابه فى اهل حلب ، قد ملت من أملتم نصره (٢٧١) » . ولكن البرسقى سرعان ما شفى فتوجه الى حلب فلما اقترب منها ارسل اليهم يقول « اننى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها فاجبوه الى ذلك (٢٧٢) » . عندئذ وصل الى حلب فرحل الفرنج عنها بدون أى خسائر (٢٧٣) . وأراد جنده أن يتعقبوهم فرفض ذلك (٢٧٤) .

---

(٢٦٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٤ الطباخ الحلبى : حـ ١ ص ٤٥٦ .

(٢٦٩) Mattieu : Op. Cit., p. 142,

سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١

(٢٧٠) Mattieu : Ibid., p. 142,

ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٧

(٢٧١) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٥٨ .

(٢٧٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣١٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ .

(٢٧٣) Mattieu : Op. Cit., p. 142, Grousset : Hist. des Crois V. 2 p. 877 عن (L'Anonyme).

(٢٧٤) هنا يذكر ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣١٧ أن البرسقى منعهم بنفسه وقال « قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب وتصلح حالها وتكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم » .

=

وبعد انسحاب دبيس عن حلب اتجه الى الموصل فخربها وخرب كل الاقاليم التابعة للبرسقى (٢٧٥) .

والراجح ان دبيس ظل بعد تلك الهزيمة على موقفه العدائى من الخلافة والمسلمين آملا ان يجد الفرصة مرة اخرى كى يجد فى الفرنج سندا له . والدليل على ذلك ما ذكره ابن العديم ٥٢٥هـ ١١٣٠م من « ان دبيس وصل منهزما من المسترشد وخفى خبره فترة ثم ظهر بعد مدة انه وصل الى قلعة جعبر ، وأودع ابن السلطان عند مالك صاحبها ، وسار الى جوسلين واستند الى الفرنج فلم ير ما يعجبه (٢٧٦) » .

وفى ٥٢٩هـ ١١٣٤م قتل دبيس بن صدقة وقيل أن السلطان مسعود هو الذى قتله بعد مقتل المسترشد بثمانية وعشرين يوما (٢٧٧) . وهكذا استراح المسلمون من هذا الأمير العربى الخائن للقضية الاسلامية فى ذلك الوقت ، والذى لم يكن يعنيه الا المنفعة الشخصية فقط .

ولاستكمال علاقات الرها بالمسلمين عامة يجدر بنا الاشارة الى علاقة الرها بالقبائل العربية القريبة من دمشق الى جانب علاقتها ببيروت .

اما سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٨٣٩ – ٨٤٠ ، فيذكر أن سبب عدم تعقبه لهم انه « عندما طلب منه ابو الفضل بن الخشاب أن يتعقبهم قائلا : لوسقت خلفهم لغنتاهم باسرهم فانهم منهزمون فقال له : تعلم ان فى بلدكم ما يقوم بكم وبعسكرى لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة .

فقال : لا فقال : وما يؤمننا انهم لو كسرونا ودخلنا البلد وتوا علينا ما نفعنا انفسنا ولكن الله تعالى قد دفع شرهم » .

(٢٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 142.

(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٢٧٧) التاريخ المظفرى : ميكروفيلم حوادث ٥٢٩هـ . ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ٥٢ ، ٥٣ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٨ . ويذكر زامبور : معجم الأنساب حـ ٢ ص ٢٠٨ ان مقتل نور الدولة دبيس كان فى ذى الحجة ٥٢٩هـ .

ففى ٥١٣هـ ١١١٩م سار جوسلين فى مائتى فارس فكبس طائفة من طى يعرفون ببنى خالد — وهم بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية ٢٧٨ — فأغار عليهم وغنم أموالهم (٢٧٩) ، وسألهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه انهم بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فأسرع اليهم بقوة مكونة من خمسين فارسا كما سير اليهم قوة أخرى مكونة من مائة وخمسين فارسا وتواعدوا على كبس بنى ربيعة . وعندما علم بنو ربيعة بذلك أرادوا الرحيل ، لكن اميرهم مر بن ربيعة منعهم . وكان عدد بنى ربيعة مائة وخمسين ، فلما وصل المائة وخمسين فارسا الفرنجيا دارت معركة بين الجانبين . « فظهرت من أمير بنى ربيعة شجاعة وحسن تدبير وجودة راى (٢٨٠) » . فقتل من الفرنج سبعين وأسر اثنا عشر من مقدميهم فبذل كل منهم فى فداء نفسه « مالا جزيلا وعدة من الأسرى » أما جوسلين فانه ضل فى الطريق وبلغه خبر الموقعة فاتجه الى طرابلس فجمع جيشا ورحل الى عسقلان فهزمه المسلمون هناك وعاد مغلولا (٢٨١) .

أما من علاقة الرها ببيروت فما عثرنا عليه فى المصادر يتركز فى فترة حكم بلدوين دى بورج أمير الرها الثانى .

وفى ذلك الوقت كانت بيروت تابعة للفاطميين فى مصر بعد زوال معظم ملكهم فى الشام ، ولم يبق لهم السيادة الا على بعض الثغور البحرية التى منها بيروت . ففى ٤٩٥هـ (١١٠١م) « وصل قمص

---

(٢٧٨) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ، ص ٢٤٢ وهم بنو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٧٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٥م ٤ ص ٧٥٣ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٢ ص ٢٣١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٢٥ .

(٢٨١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩٨ .

«الرها مقدم الفرنج فى عسكره الى ثغر بيروت فنزل طامعا فى افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ولم يتهيأ فيه مراد فرحل عنه (٢٨٢) » .

وفى ٥٠٣هـ (١١١٠م) سار جوسلين صاحب تل باشر والتابع الأول لبلدوين دى بورج الى بيروت « لمعاونة النازلين عليه من الأفرنج ويستنجد بهم على عسكر مودود النازلين على الرها وفى شوال من السنة سقطت بيروت فى يد الفرنج (٢٨٣) » . وقد ذكر متى الرهاوى « ان جوسلين ساعد فى الاستيلاء على المدينة وابدى شجاعة كبيرة فى ذلك (٢٨٤) » .

بهذا امكننا اعطاء صورة مفصلة عن علاقة امارة الرها الصليبية بالقوى الاسلامية بقدر ما اسعفتنا به المصادر الأصلية والمراجع المختلفة .

ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشام :

نقصد هنا بالامارات الصليبية فى بلاد الشام ، بيت المقدس وانطاكية وطرابلس . وسنبدأ أولا بدراسة علاقات امارة الرها مع الصليبيين عامة قبل تأسيس الامارات الثلاث ثم نتلوها بالعلاقة مع بيت المقدس باعتبارها كانت ابرز الوحدات الصليبية فى الشرق بل كانت تمثل القيادة العليا بالنسبة لبقية الامارات ثم نتبعها بامارة انطاكية القريبة من امارة الرها والتى كانت على صلة دائمة بها سواء ودية او عدائية ونتلوها اخيرا بتناول علاقة الرها بامارة طرابلس ، وهى كما سنرى لم تكن كبيرة .

اما عن علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول ، فيلاحظ انه ما كاد يتم مقيام امارة الرها الصليبية ، حتى شارك بلدوين البولونى بنفسه فى الحصار الذى فرضه الصليبيون على انطاكية فاشارت المصادر اللاتينية الى انه « غادر الرها بعد شهرين فقط من تبنى توروس له

---

(٢٨٢) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٤٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ؛ مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث (٣٠١ — ٥٠٠هـ) ص ٢٧٦ .
Gibb : Op. Cit., p.p. 54 - 55,

(٢٨٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٧ .

(٢٨٤) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

الى انطاكيــة (٢٨٥) » . ويؤكــد مشـــاركة بلدوين الصليبيين فى تلك المهمة ماذكرته المصـــادر الاسلامية ايضـــا من انه كان يوجـد فى انطاكية فى ذلك الوقت « الملك بردويل وصنجيل وكنــدفرى والقمص صـــاحب الرهـــا وبيمند صـــاحب انطاكية (٢٨٦) » . والواقـــع اننا لا نعرف من المقصود (بالملك بلدوين هنا) حيث انه لم يكن هناك ملكا للصليبيين عندئذ وكان بلدوين البولونى كما راينا أميرا للرها فقط كذلك (بيموند او بوهيموند لم يكن قــد أصبح (صـــاحب انطاكية) حتى ذلك الوقت . ولعل المصادر العربية تشير اليهما بحكم ما أصبحا عليه بعد تلك لابحكم ما كانا عليــه فعلا عندئذ وقت حصـــار انطاكية .

والراجح ان بلدوين لم يلبث ان عـــاد الى الرهـــا للأهتمام بامارتــه الجديدة وحمايتها مما احاط بهـــا من أخطار فضلا عن الاحتفاظ للصليبيين عامــة بركيزة اولى فى المشرق الاسلامى . ولكن بلدوين حرص فى الوقت نفســه على الا يفقــد الأرتباط بينه وبين بقيــة الصليبيين المحـــاصرين الانطاكية فكان يتلقف أخبارهم ويتابع المصـــاعب التى واجهوها وخاصــة فى الميرة والمؤن (٢٨٧) . ويقال أن بلــدوين أسرع بارســـال الكثير من المؤن اليهم (٢٨٨) . كما أرسل أيضـــا « كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس الحريرية والخيول الممتازة ذات القيمة العاليـــة الى أخيه الدوق جودفرى والى روبرت فلاندر وروبرت النورماندى وغيرهم من الأمراء (٢٨٩) » . ويبدو أن تلك الهبات كانت كثيرة جـداً مما اكسبه حب الجميع (٢٩٠) .

---

(٢٨٥) Baldrici Episcopi Dolensis : Historia ... T 4, p. 81

(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ١٨٧ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ٥ م ٣ ص ٥٠٣ .

(٢٨٧) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 237-238.

(٢٨٨) Archer : Op. Cit., p. 63, Cahen : Op. Cit., p. 213.

(٢٨٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber IV, T. 4, p. 395, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

هنـــا يضيف (ميشو) الى قائمـــة الصــــليبيين أمراء (شـــارترس وبلوا (Chartres, Blois ويذكر أن بلدوين نسى عن قصـــد أن يقدم شيئا من العون لبوهيموند .

(Michaud ; Op. Cit., V. 1, p. 287).

(٢٩٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., p. 395.

وفى تلك المرحلة يعطينا وليم الصـــورى أول صورة للانقســام بين المسلمين بسبب تباين المصـــالح الفردية فدب الخلاف بين رضوان أمير حلب وبين حاكم مدينـــة عزاز (٢٩١) . واستنجد الاخير بجودفرى اخى بلدوين الذى طلب من اخيه المشـــاركة معه بجيشـــه لنجدة ذلك الصديق المسلم . وكـــان أن تم ذلك ثم عاد بلـــدوين الى الرهـــا وجودفرى الى انطاكيـــة (٢٩٢) .

ويهمنا انه فى خلال تلك الحملـــة ، قام بلدوين بدعوة اخيـــه جودفرى لزيارة الرهـــا ــ كما سبق ان اشرنا ــ وكان الدافـــع الأول لجودفرى على الموافقـــة على تلك الدعوة هو « استمرار الوباء بانطاكيـــة بصورة مثيرة واستمرار ارتفاع الموت الجماعى بين الناس (٢٩٣) » . وصحب جودفرى معـــه الى الرهـــا حاشيته وعـــددا كبيرا من الناس المحتاجين ليمدهم بحاجاتهم الضرورية (٢٩٤) ، وهؤلاء حصل بعضهم على اقطاعات بالرهـــا واستقروا فيها (٢٩٥) . فى حين عاد البعض الآخر إلى اخوانهم الصـــليبيين فى انطاكيـــة بعـــد أن اغـــدق عليهـــم بلـــدوين الكثير من الهبات (٢٩٦) .

ثم كان ان أستولى الصليبيون على بيت المقدس ومن ثم بدأت علاقات مباشرة بين امارة الرهـــا من ناحيـــة وبيت المقـــدس الصليبية من ناحية أخـــرى

ويتبلور جزء من هـــذه العلاقات فى الزيارة التى قام بها بلدوين أمير

---

(٢٩١) William : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٢٩٢) William : Ibid., V. 1, p.p. 301.-304.

(٢٩٣) William : Ibid., V. 1, p. 304.

(٢٩٤) Alberti Aquensis : Historiae Liber V. T. 4, p. 435, William : Op. Cit., V. 1, p. 304

(٢٩٥) Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 234.

(٢٩٦) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304-305.

الرهـا بوهيموند امير انطاكية لبيت المقدس ١١٠٠م (٢٩٧) ، (٤٩٤هـ)
ويبدو ان بلدوين وبوهيموند صادفا متاعب جمة خلال رحلتهما الى المدينة المقدسـة حتى وصـلا سـالمين (٢٩٨) ، وعندئذ استقبلهم جودفرى وتنكريد واتباعهم بفرحة عظيمة (٢٩٩) . ثم زاروا الأماكن المقدسـة فى القدس فى الوقت الذى كانت المدينـة تفوح منها رائحـة جيف المسلمين الـذين سـقطوا قتلى بحراب الصـليبيين عنـد اسـتيلائهم على بيت لمقدس (٣٠٠) .

هـذا الى ان بلدوين امير الرها شـارك فى اختيار دايمبرت بطريركا على بيت المقـدس (٣٠١) ، وان كانت المصـادر المعاصرة لا تشير الى ان دايمبرت اعطى تفويضـا بحكم امارة الرهـا لبلدوين اسوة بالتفويض الذى حصـل عليه جودفرى وبوهيموند (٣٠٢) . وربما يرجع ذلك الى ما كان هناك من خلافات بين بلدوين ودايمبرت .

واخيرا عزم كـل من بلـدوين وبوهيموند على الرحيل والعودة فتم توديعهما « فى فرح شامل وسعادة واشترك فى التوديـع رجـال الدين وجمهور القـادة وجودفرى نفسـه بل انهم صاحبوهم الى نهر الأردن »

---

(٢٩٧) تذكر المصـادر اللاتينية المعاصرة ان الرحلة بدأت فى نوفمبر ١٠٩٩م وكـان الوصـول الى بيـت المقـدس فى مـارس ١١٠٠م .
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.
Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704.
اما المراجع الافرنجيـة الحديثـة فتشير الى ان تلك الزيـارة كانت فى ديسمبر ١٠٩٩م .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261, Zoé : p 177.
والراجح هو ما ذكرته المصـادر اللاتينية ، خاصـة وان المؤرخ فولشر كان مصـاحبا لبلدوين فى تلك الرحلة .

(٢٩٨) Fulcherii : Ibid., T. 3, p.p. 365 - 366.

(٢٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 178.

(٣٠٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.

(٣٠١) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. T. 4, p. 512.

(٣٠٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

وهناك اغتسلوا جميعا فى النهر لينتعشوا ا ثم افترقوا (٣٠٣) » . وبذلك عاد بلدوين الى الرهـا وعاد بوهيموند الى انطاكية (٣٠٤) .

ثم كان ما سبق أن ذكرناه من وفاة جودفرى حـاكم بيت المقـدس ، وحلول اخيه بلدوين محله ليتوج ملكا على المدينـة المقدسـة باسم الملك .

ومن الطبيعى أن تكون العلاقات قوية بين مملكة بيت المقـدس فى عهد ملكها بلدوين الأول وبين امارة الرهـا بحكم ما بين بلدوين والرهـا من علاقات سـابقة ، وتتضـح هـذه العلاقة عندما اسر امير الرها بلدوين دى بورج اذ يقال أن جكرمش أرسـل الى تنكريد يعرض عليـه اطلاق سراح الأمير بلدوين مقابل أطلاق سراح أميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه أو ان يدفـع مقابل اطلاق سراحها خمسـة عشر الف بيزانت (٣٠٥) . هنا أسرع ملك القـدس بلدوين الأول بالكتابة الى بوهيموند أن يسـلم الأميرة ولا يفوت فرصـة اطلاق سراح بلدوين ، لكن امير انطاكية كان يفضـل ان يظل الأمير بلدوين فى الحبس (٣٠٦) ؛ وسوف نتناول موقف انطاكية بالتفصيل من هـذا الموضوع عند تناول علاقتها بالرهـا .

وعندما اطلق سراح بلدوين — كما سبق أن اوضحنا — واحتدم النزاع بين الرهـا وانطاكية لم تدخل انطاكية ضمن نطـاق النفوذ الاقطـاعى لملك بيت المقـدس وانما كانت الرهـا هى التى تتبعه فقط « لذا احضر تنكريد امام مجلس البارونات واجبر سريعا على الصلح مع بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى ولم يقف الأمر فقط عند حـد اعلانه الولاء لملك القـدس ، بل اجبر على الركوع أمامه (٣٠٧) » . ويفضل تدخل الملك

---

(٣٠٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 512.

(٣٠٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 512, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704, William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(٣٠٥) Alberti : Ibid. Liber IX, T. 4, p. 619. كانت تلك الأميرة قـد اسرها تنكريد اثنـاء تتبعـه لجكرمش عند حصـار الأخير للرهـا بعـد حران .

(Zoe : Op. Cit., p. 215.)

(٣٠٦) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45.

(٣٠٧) Zoé : Op. Cit., p. 241.

بلدوين عندئذ تم الصلح بين انطاكية والرهــا من ناحيــة وبين طرابلس وانطاكية من ناحية اخرى (٣٠٨) . اما عن الرهــا « فقد حصل الملك من تنكريد على تنــازل بدون مقابل عن كل ما وضــع يــده عليــه من امارة الرهــا (٣٠٩) » .

وعندما هاجم مودود الرهــا ١١١٠م (٥٠٤هـ) وهددهــا الجيش السلجوقي التركي الاسلامي ، خــاف بلدوين دى بورج من تكتل القوى الاســلامية وفى المشرق ضــده ولسرع بالاستنجاد بالملك بلدوين الأول، فأرسل اليه جوسلين دى كورتناى ليطلب منه المساعدة العاجلة (٣١٠) .

وكــان الملك بلــدوين فى ذلك الوقت يحاصر بيروت كمــا مر بنا . فلم يستطع أن يتوجــه الى الرهــا الا بعد انتهاء حصــار بيروت وخاصــة وان المدينة كانت عندئذ على وشــك السقوط (٣١١) . وبعــد أن تم الاستيلاء على بيروت عاد بلدوين وجيشــه الى بيت المقــدس (٣١٢) .

---

(٣٠٨) Cahen : Op. Cit., p. 251.

(٣٠٩) Cahen : Ibid., p. 251,

اما (ستون) فيذكر أن ذلك كان فى مقابل ممتلكات اخرى فقد قال « انه من اعظم منجزات الملك بلدوين الاول انه جعل تنكريد يتخلى عن ادعائه فى الرها وان يعترف باعادة بلدوين دى بورج قريب الملك اليها . وفى مقابل ذلك منح الملك بلدوين لتنكريد اقطاعات طبريــة ، الناصرية وحيفا واصبح تنكريد تابعا رسميا لبلدوين بسبب تلك الاقطاعات » .

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 398)

(٣١٠) Mattieu : Op, Cit., p. 91, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449, L'Epopée, p. 87, Archer : Op. Cit., p. 147.

(٣١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451, Archer : Op. Cit., p. 147,

سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٦ — ٤٥٧ (عن صالح بن يحى : تاريخ بيروت)

(٣١٢) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti Aquensis : Historiae Liber XI,. T. 4, p. 671.

ليعطى الصليبيين فيها فكرة عن خطورة وضـع الرهـا (٣١٣) ، ويطلب منهم المسـاعدة (٣١٤) .

وبالفعل جمـع قواته وانضمت اليها قوات طرابلس وتوجـه مـع جوسلين الى الرهـا ويصحبتهم بعض القوات الأرمينية (٣١٥) . وكان ذلك فى بداية يونية (٣١٦) . أو فى منتصف مايو (٣١٧) .

والواقـع ان الملك بلدوين استطاع ان يجمع جيشـا ضخما بلـغ عـدده حوالى خمسـة عشر الفا (٣١٨) ، ولم يلبث ان انضم تنكريد الى ذلك الحلف الفرنجى (٣١٩) . بعـد ان ارسـل اليه الملك يدعوه ان يتصـل ببقية الفرنج وتصفية ما بينهم من خلافات (٣٢٠) . ولعل هـذا ما دفـع بعض المؤرخين الى القول « بأن سـنة ١١١٠م شهدت وحـدة صليبية بين اماراتهم فى السـلم (٣٢١) » .

وكانت فرحة بلدوين دى بورج عظيمة عند رؤية الجيوش الصليبية وعلى راسـها الملك بلدوين وقد اتت لنجدته(٣٢٢) . وقد سبق ان ذكرنا

---

(٣١٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(٣١٤) Alberti : Op. Cit., Liber XI, T. 4, p. 671,
سيأتى التفصيل فى الملاحق

(٣١٥) Mattiue : Op. Cit., p. 92, Zoé : Op. Cit., p. 242,
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert),
سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٥٧
Cahen : p. 257, Archer : p. 148

(٣١٦) Cahen : Ibid., p. 257.

(٣١٧) Setton : Op, Cit., V. 1, p. 399.

(٣١٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
L Epopée, p. 87.

(٣١٩) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti : Op. Cit.,
Liber XI ... T. 4, p. 672, Jean Richard : Op. Cit., p. 42.

(٣٢٠) Alberti : Ibid., p. 672, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399,

(٣٢١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٣٢٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 عن (Albert),
'LEpopée, p. 87.

احداث تلك الحملة عند كلامنا عن العلاقات بالموصـل ، ولكن ما نـود الاشـارة اليه هنا هو ان ملك بيت المقدس ظل يقود حركة المقاومة الصليبية عن الرهـا حتى جاءته بعض الأخبـار بأن الفاطميين انتهزوا فرصـة غيابه وهاجموا ممتلكاته مما جعله يعجل بالعودة الى القـدس (٣٢٣) .

وفي سنة ١١١٣م (٥٠٧هـ) مر بنا كيف وتسع الخلاف بين بلـدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى وطرد الأخير من الرهـا وتوجـه الى القـدس فاقطعه الملك بلدوين الأول طبريـة والجليل ليستفيد من خبراته العسـكرية في محاربة المسلمين .

وكانت أول تجربة مر بهـا جوسلين وهو في القـدس هى موقعـة طبريـة (ثالث عشر محرم ٥٠٧هـ) (٣٢٤) . (١١١٣م) بين الفرنـج والمسلمين وهى الموقعـة التى ذكر ابن الفرات ان الجيش الفرنجى فيهـا كان بقيادة ملك بيت المقـدس ومعه جوسلين فضـلا عن امير انطاكيـة روجر (٣٢٥) . وفي تلك الموقعة حلت الهزيمة بالصليبيين « واسر ملكهم بغدوين واخـذ سلاحه لكنه افلت من الاسر وغرق من الفرنج خلق كثير في بحيرة طبريـة واختلط الـدم بالمـاء حتى امتنع الناس من شرب المـاء ايام (٣٢٦) » . وتؤيد بعض المصـادر الاسلامية الأخرى (٣٢٧) . رأى ابن الفرات في ان بلدوين دى بورج لم يشـارك في تلك المعركـة ، وربما شغلته امور امارته واخطـار الترك المتحفزين للانقضـاض عليها واخـذها ، عن المشـاركة في ذلك . ويخرج عن هـذا الراى اسـامة

---

(٣٢٣) Zoe : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 458, سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٥٨

(٣٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١ ص ٦٧ (أ) ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٦ أما ابن خلدون فيخطىء في ذكر التاريخ حيث يقول ان ذلك كان في منتصف المحرم ٥١٠هـ .

(٣٢٥) يسميه ابن الفرات المصدر السابق ص ٦٧ (أ) (سروحال) .

(٣٢٦) ابن الفرات : المصدر السـابق ، ص ٦٧ (ب) ، ٦٨ (أ) .

(٣٢٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٢٦٦ ، ابو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ص ٢٦٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٢١ .

بن منقذ وحده فينفرد بالقول بأن حاكم الرها شارك فى تلك المعركة (٣٢٨) .
ومن الواضح أن أسامة أخطأ فى اعتبار جوسلين حاكم الرها وقتذاك .

ثم تعاقبت الأحداث ومات الملك بلدوين الأول كما مر بنا ١١١٨م وتولى مكانه بلدوين دى بورج أمير الرها بفضل موقف جوسلين دى كورتناى الذى تولى حكم الرها . ويعلق جروسية على وضع الرها وعلاقتها ببيت المقدس فى تلك المرحلة فيقول : « كانت امارة الرها فى أول الأمر مستقلة تماما عن القدس واتصلت أول مرة بمملكة بيت المقدس عندما أصبح بلدوين الأول ملكا فاقطع بلدوين دى بورج الرها ، ثم ازداد ذلك الاتصال قوة عندما اختير بلدوين الثانى (دى بورج) ملكا على بيت المقدس ، فاقطع الرها لجوسلين (٣٢٩) » .

ثم كان أن توجه ايلغازى لمهاجمة الفرنج فى زردنا ، فاجتمع الملك بلدوين مع جوسلين أمير الرها وبعض البارزين من أمراء انطاكية لصده ، على أنه لم يحدث اشتباك مع المسلمين عندئذ بسبب مرض ايلغازى وحمله الى حلب حيث توفى (٣٣٠) .

وعندما وقع جوسلين فى أسر بلك الأرتقى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٣٣١) . (٥١٦هـ) غدت امارة الرها فى وضع قلق مما جعل ملك بيت المقدس يضعها تحت قيادة حلبية بإمرة جيوفرى الراهب ، حاكم مرعش حتى يتكشف أمر جوسلين . وهكذا أدت جهود الملك بلدوين ونائبه جيوفرى الراهب الى المحافظة على امارة الرها ، وقام الملك بعدة اجراءات ادارية وسياسية وعسكرية ، توجت بالمعاهدة بينه وبين سليمان بن عبد الجبار حاكم حلب فى ٩ ابريل ١١٢٣م (٣٣٢) . ومن هذا يبدو أن الملك بلدوين الثانى تحمل عبئا جسيما فى ذلك الوقت بسبب الأوضاع الصليبية العامة التى غدا فيها الصليبيون ، بعد مقتل روجر حاكم

---

(٣٢٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٤ .
(٣٢٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538.
(٣٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 537.
(٣٣١) Michel : Op. Cit., p. 210, William : Ibid., V. 1. p. 540.
(٣٣٢) Setton : Op. Cit., V .1, p. 419.

انطاكية قبل ذلك بثلاثة سنوات ثم اسر جوسلين ، فضلا عن ان مملكة بيت المقدس ذاتها احاطت بها المخاطر كما بينا من قبل . وحسب الملك بلدوين انه قام بوصايتين فى وقت واحد على الرها وانطاكية (٣٣٣) .

وهكذا حتى كان اسر ملك بيت المقدس نفسه ـ كما مر بنا ـ ١١٢٣م . ويذكر البعض ان اسره كان اثناء توجهه ليرفع حصار بلك عن قلعة كركر (٣٣٤) . فى حين ذكر البعض الآخر انه توجه ضد بلك للانتقام من اسر جوسلين ، فاسر (٣٣٥) . اما وليم الصورى فيذكر ان اسره كان نتيجة لاهمال حراس الملك نفسه اثناء تجوله فى بلاد جوسلين للأطمئنان على سير الأمور فيها « فقد تقدم الملك الى ارض امير الرها ، وتمنى أن يقدم بعض العون لأولئك الناس الذين حرموا من زعيمهم . وبينما كان يتجول ، يستقصى الأحوال بعناية فائقة . ويشرف بدقة على تحصين القلاع تحصينا طيبا وعلى اعداد الفرسان والمشاه والأمدادات الوافرة من الأسلحة والمؤن . . . اذ هاجمه بلك فجأة فى غفلة حراسة (٣٣٦) » .

وهكذا خلت ثلاث امارات صليبية هى انطاكية والرها وبيت المقدس من حماتها الذايين عن بيضتها (٣٣٧) .

وقد رأينا كيف بذل الارمن سواء فى داخل خرتبرتاو خارجها أو من اهل الرها نفسها اقصى ما فى وسعهم حتى اطلقوا سراح جوسلين ، الذى اخذ على عاتقه اطلاق سراح الملك .

كان جوسلين عند وصوله الى الرها « مثقلا بالمهمة التى عهدت اليه (٣٣٨) » ، فلم يتمكن من الاقامة فى الرها مدة طويلة (٣٣٩)

---

(٣٣٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥١١ .

(٣٣٤) ابن الأثير : الكامل : حـ ٨ ص ٣١٣

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872 عن (L'Anonyme)

(٣٣٥) Mattieu : Op. Cit., p. 133.

(٣٣٦) William : Op. Cit., V. p. 540.

(٣٣٧) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٢٠ .

(٣٣٨) William : Ibid., p. 544

(٣٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 456.

لذلك رحل الى انطاكية ولكنه لم يجد فيها القوات الكافية لتحرير الملك فاتجه وفقا لنصيحة البطريرك برنارد الى القدس (٣٤٠) . « حيث شرح البطريرك ولامراء المملكة ظروف الكارثة التى لحقت بالملك وروى كل التفاصيل الخاصة بالحادث ورجاهم أن يرسلوا نجدة فى الحال لان وضع الملك محفوف بالمخاطر ، لا يسمح باى تباطىء (٣٤١) » .

ونتيجة لتوسلات جوسلين « اجتمع كل اهالى المملكة كرجل واحد وحملوا صليب الصلبوت معهم ، وبدأوا الرحيل فى الحال ثم انهم حصلوا من المدن التى مروا بها على تعزيزات مما زاد من اعدادهم حتى وصلوا الى انطاكية وهناك انضمت اليهم جموع غفيرة وساروا تحت قيادة جوسلين الى تل باشر (٣٤٢) » .

أما عن الملك بلدوين الثانى فقد ظل فى حبس بلك بحران حتى توفى بلك فى موقعة منبج ١١٢٤م (٥١٨هـ) كما مر بنا فنقل الجميع الى حلب (٣٤٣) ، التى كان يحكمها آنذاك تمرتاش بن ايلغازى . ومع ذلك لم تتوقف جهود الأمير جوسلين من اجل تخليص الملك من الحبس ، من ذلك انه تم ١١٢٤م الاتفاق بينه وبين الملكة زوجة بلدوين الثانى من ناحية وبين تمرتاش من ناحية اخرى على فداء الملك مقابل مبلغ كبير من المال ،

---

(٣٤٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 544, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤١) William : Ibid, p. 545.
وهنا يذكر جروسيه أن بطريرك القدس فى ذلك الوقت كان Gormond de Picquigny (Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 592)
وكان القائم بالوصاية على القدس هو الكنستابل ايو ستاس جرنيبة Cahen : Op. Cit., p. 298.

(٣٤٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Zoé : Op. Cit., p. 298, Cahen : Op. Cit., p. 297, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

(٣٤٣) Mattjeu : Op. Cit., p. 139.

على أن يقدموا رهائن ابنه الملك وابن جوسلين ، ومعهما خمسة عشر شخصا من كبار القوم (٣٤٤) .

وكان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثاني بعد أن دفع عشرين الف دينار (٣٤٥) . ويعلق متى الرهاوى على اطلاق سراح الملك بأن الفضل فيه يرجع الى جهود جوسلين (٣٤٦) .

وقد برزت جهود الملك بلدوين الثاني في مساعدة امارة الرها بعد اطلاق سراحه عندما حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها ١١٢٥م — ٥١٩هـ وقد أوضح متى الرهاوى ذلك بالتفصيل (٣٤٧) . وفي ١١٢٦م (٥٢٠هـ) هاجم البرسقى الاتارب فتوجه لاغاثته ملك بيت المقدس وجوسلين دى كورتناى ثم تم الصلح بينهما ، كما سبق أن بينا في علاقة الرها بحلب .

والواقع أن امارة الرها شاركت بمجهودات واسعة في مساعدة التوسع الفرنجي الذى قاده ملك القدس ١١٢٦م على حساب المسلمين. وخاصة على حساب اتابكة دمشق (٣٤٨) .

وفي ١١٢٧م (٥٢١هـ) تدخل ملك بيت القدس بين كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثاني أمير انطاكية وانهى خلافا نشب بينهما (٣٤٩) ، كما سنرى بعد ذلك . وفي ١١٢٨م (٥٢٢هـ) (٣٥٠) ، توفى طغتكين حاكم دمشق وخلفه ابنه بورى الذى نكل بالباطنية في دمشق ، لذا خاف الباطنية في بانياس على أنفسهم وسلموها للفرنج (٣٥١) . عندئذ تحركت

---

(٣٤٤) وابن جوسلين هنا هو جوسلين الثاني. Mattieu : Ibid, p. 139. (Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423).

(٣٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٢٢ .

(٣٤٦) Mattieu : Op. Cit., p. 140.

(٣٤٧) Mattieu : Ibid., pp. 143 - 144.

(٣٤٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 426.

(٣٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٣٥٠) ابن الأثير الباهر : ص ٣٨ .

(٣٥١) Cahen : Op. Cit., p. 348.

فى نفوس الفرنج رغبة شديدة لامتلاك دمشق والاقليم المحيطة بها (٣٥٢) .
وكان ان ارسل الملك بلدوين الى الغرب يستحثه لارسال حملة صليبية جديدة للمساعدة فى الاستيلاء على دمشق ، وبالفعل تقدم عدد كبير « من الرفاق من الرجال النبلاء الى المملكة (٣٥٣) » ، والى جانب هؤلاء القادمين شارك كبار امراء الصليبيين فى الشرق فى القيام بتلك المهمة وعلى راسهم « فولك امير انجو وبونز Pons امير طرابلس وبوهيموند الثانى امير انطاكية وجوسلين الاول امير الرها (٣٥٤) » .

وقد وصلت الى الشرق مجموعات من الصليبيين على رأس كل منها امير وتقدم الجميع نحو دمشق فى دسمبر ١١٢٩م (٣٥٥) (٥٢٣هـ) ولكن باءت المحاولة بالفشل لسببين اوضحهما وليم الصورى : الاول انشغال كل فريق بالحصول على غنائم لنفسه فقد عمدت الجيوش « الى الاحتفاظ بكل فريق بعيدا عن الآخر حتى تستطيع كل جماعة ان تطالب شيئا مما تجده ولا تقتسمه مع الآخرين (٣٥٦) » . وهو ما شجع بورى حاكم دمشق (٣٥٧) ، على ان يدبر هجوما مفاجئا ضدهم وهم متفرقون على هذا النحو (٣٥٨) .

والسبب الثانى للهزيمة كان تدخل العناية الالهية لصالح المسلمين فقد هبت عاصفة شديدة ممطره مصحوبة بالضباب على الصليبيين (٣٥٩) .

---

(٣٥٢) Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 40.

(٣٥٤) William : Ibid., V. 2, p. 41, Cahen : Op. Cit., p. 348, Gibb : Op. Cit., p. 195.

(٣٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 41.

(٣٥٧) هنا اخطأ وليم الصورى فاشار اليه بانه (طغتكين) .

(٣٥٨) William : Ibid., V. 2, p. 41.

(٣٥٩) William : Ibid., p.p. 41 - 42.

ثم حدث في أواخر أيام الملك بلدوين الثاني أن توفي بوهيموند الثاني أمير انطاكية ١١٣٠م (٣٦٠) ، ـ كما سنرى ـ وحاولت زوجته اليس ابنة الملك بلدوين نفسه أن تحرم ابنتها كونستانس من حقها الشرعي في الحكم ولكن بلدوين أسرع الى انطاكية وعهد الى جوسلين الأول بأن يحكم انطاكية بوصفه وصيا على كونستانس حتى تتزوج ويصبح زوجها أميرا لأنطاكية (٣٦١) . وهذا يشهد على مدى ثقة بلدوين في الأمير جوسلين . وأخيرا توفي بلدوين الثاني ملك القدس في ٣١ أغسطس ١١٣١م (٣٦٢) ، فحل محله في ١٤ سبتمبر فولك الأنجوى Foulque d'Anjou زوج ابنته ميلزاند التي كان قد تزوجها في ١١٢٩م (٣٦٣) .

والواقع أن عهد الملك بلدوين الثاني يظهر فيه الارتباط الشديد جدا بين الرها وبيت المقدس ، فلم يبخل الملك بحمل النجدة اللازمة الى امارة الرها في غالبية الظروف عندما تهدد الامارة بأي خطر خارجي يهدد مصالحها ، وبالتالي مصالح الصليبيين عامة ، لأنها كما سبق ان ذكرنا الحصن الشرقي الواقي للامارات الصليبية جملة .

أما عن خليفة بلدوين الثاني على عرش القدس ، فانه لم يستطع في غالبية الأحيان ان يفرض سلطانه على امراء الشمال ـ نعني أميري الرها وانطاكية ـ ونتج عن ذلك سقوط امارة الرها (٣٦٤) ، كما سنرى .

ولكن مع ذلك فقد حدث ٥٣٤هـ/١١٤٠م أن حلت الهزيمة بالملك فولك امام زنكي وطلب الملك نجدة أميري الرها وانطاكية فخفا بالفعل لنجدته (٣٦٥) . وفي ١١٤٤م (٥٣٩هـ) عندما حاصر زنكي الرها

---

(٣٦٠) Michel : Op. Cit., p. 230, G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient Latin, p. 32.

(٣٦١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٣٦٢) G. Schlumberger : Op. Cit., p. 3.

(٣٦٣) G. Schlumberger : Ibid., p.p. 4 - 5.

(٣٦٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٣٦٥) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين : ص ٣٠ (عن الاعتبار) .

وارسل جوسلين الثانى يستنجد بمملكة بيت المقدس ارسلت الملكة ميلزاند جيشا بقيادة حاكم نابلس وحاكم طبرية (٣٦٦) . وانتظر جوسلين فى تل باشر وصول جيش الملكة لكنه جاء متأخرا جدا (٣٦٧) . وسوف نتناول موقف القدس بالتفصيل عند دراسة ردود الفعل المختلفة لسقوط الرها .

والواقع ان علاقات الرها بالقدس كان يغلب عليها باستمرار الطابع الودى .

اما عن علاقة الرها بانطاكية : وهى اقرب امارة صليبية الى الرها فى الشمال ، فانها اتصفت بالعداء وسوء التفاهم بعكس العلاقة بين الرها والقدس ، التى اتسمت غالبا بطابع الود والتحالف كما رأينا .

وقبل ان نتناول علاقات امارتى الرها وانطاكية ، يجدر بنا الرجوع قليلا الى الخلف للوقوف على جذور تلك العلاقة . فقد افاضت المصادر اللاتينية والافرنجية بتوضيح الخلاف الذى قام بين بلدوين البولونى من ناحية وبين تنكريد ابن اخت بوهيموند امير انطاكية الاول من ناحية اخرى امام طرسوس ثم امام المصيصة سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) عند مجىء الحملة الصليبية الاولى الى الشرق ولكننا سنكتفى بالاشارة الى ذلك بايجاز لانه وان كانت خارجة عن نطاق العلاقات بعد تاسيس الامارات ، ولكن كان لها فى نفس الوقت تاثيرها بعد ذلك .

اما عن الخلاف امام طرسوس فقد كان ذلك مبكرا فى سبتمبر ١٠٩٧م (٣٦٨) . عندما سبق تنكريد بلدوين البولونى فى الوصول الى تلك المدينة « مستفيدا من الطرق القصيرة ، وبذلك كان الاول فى الوصول الى قيلقية (٣٦٩) » . ثم حضر بلدوين بعده الى نفس المكان فاستقبله تنكريد بحب وكرم (٣٧٠) . لكن عندما رأى بلدوين اعلام تنكريد ترفرف

---

(٣٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٣٦٧) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236.

(٣٦٨) Harold Lamb : Op. Cit., p. 126.

(٣٦٩) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ١٧٩
William : V. 1, p. 178,

(٣٧٠) William : Ibid., V. 1, p. 180.

على المكان تنسابق وطلب بمقاسمة تنكريد فى المدينة فرفض قائلا : «اننى أرفض كل قسمة معك (٣٧١) » .

وبعد جدل طويل بينهما اصر بلدوين على رايه فاشار عليه تنكريد بتحكيم الاهالى الذين كانوا بالفعل يميلون الى جانب تنكريد (٣٧٢) . لكن بلدوين هددهم « ان لم ينزلوا علم تنكريد ويرفعوا علمه بدلا منه فسوف يسلم المدينة وكل الضواحى المجاورة للتدمير (٣٧٣) » . لذا خشى الاهالى لان جيش بلدوين كان الاكثر عددا (٣٧٤) . فرفع علم بلدوين مكان علم تنكريد « وضبط تنكريد مشاعره وانسحب خوفا من قيام قتال بين القوات الفرنجية واتجه الى مدينة إذنة (٣٧٥) » .

وبعد رحيل تنكريد امر بلدوين اهالى طرسوس بفتح ابواب المدينة امام جنده ليدخلوها ، مستخدما فى ذلك مزيجا من التهديد والانذار ؛ ففتحوا الابواب وسمحوا لبلدوين وقواته كاملة بالدخول ، وتخلوا له عن برجين وضعوهما تحت تصرفه فى حين احتفظ الاتراك الذين كانوا لا يزالون بالمدينة بملكية الابراج الاخرى (٣٧٦) .

وفى نفس تلك الليلة كان بوهيموند قد ارسل قوة من ثلثمائة نورماندى

---

(٣٧١) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ Harold Lamb : p. 127, هنا يذكر المؤلف المجهول أن الأهالى تدخلوا بين الأميرين وطلبوا تعيين تنكريد حاكما لمدينتهم . هنا احتج بلدوين بقوله «فلندخل المدينة معا وننهبها وليقم على حراستها من يصيب النصيب الا وفى وليحطها من يستطيع غزوها . فقال تنكريد» ما ابغض هذا المسلك الى نفسى وابعدها منه اننى لا اريد أن اسلب النصارى ولقد اختارنى رجال هذه المدينة اميرا عليهم وهم لا يريدون سواى اميرا .

(٣٧٢) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ .

(٣٧٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 180.

(٣٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Op. Cit., 137, المؤلف المجهول المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣٧٥) William : Op. Cit., V. 1, p. 181, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 182.

لمســاعدة تنكريد ، فلما وصلت الى طرسوس وعلمت ما تم لجيش تنكريد طلبوا من بلــدوين السماح لهم بالدخول للمبيت فرفض واضطروا للمبيت خــارج اســوار المدينـة (٣٧٧) . « وفي ســكون الليل خرج الاتراك الموجودين بالمدينــة خلسة في هدوء تام مصطحبين معهم زوجاتهم واطفالهم وعبيــدهم وامامهم وكل ما يملكون . فقــد كانوا لا يستطيعون الشعور بالاطمئنان في ديارهم مــع الضيوف الذين وفدوا عليهم (٣٧٨) » . وفي اليوم التالي قام الفرنج فوجــدوا المديـنـة خالية من السكان « فاستغربوا لهرب العــدو الســابت (٣٧٩) » . لكنهم اكتشفوا مذبحــة احد ثها الاتراك الراحلون في الجيش المسيحي النورماندي الــذي رفض بلــدوين ادخاله الى المدينـــة في اليوم الســـابق (٣٨٠) .

والواقع ان هذا الحادث الب على بلدوين الكثير من رجاله البارزين « ونسبوا اليــه قتل رفــاقهم » (٣٨١) وكان ان تعرض بلدوين بسبب هذا الحدث للتجريح والنقد حتى من اتباعه انفسهم(٣٨٢) بل لقد افتقدته الاعتبــار لدى الكثير من الرؤساء الصليبيين (٣٨٣) ولم يهدأ الحــال نوعا ما الا بعــد ان « اقسم بلدوين ان السبب الوحيد الذى منعــه من السماح بدخول الحجاج النورمان الى المدينة ، انه وعد مخلصا بعــدم السماح بدخول اى شخص المدينة حتى يصل الدوق (جودفرى) وهكذا هــدأ الناس وتم الصــلح »(٣٨٤) .

ثم تقدم بلدوين بعد ذلك حتى وصل الى المصيصة التي كان قد سبقه اليــها ايضـــا تنكريد ، وعندما علم تنكريد باقتراب بلدوين « عزم على

---

(٣٧٧) William : Ibid., V. 1, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٧٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٧٩) William : Ibid., V. 1, p. 183.

(٣٨٠) مؤلف مجهول اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقــدس ص ٤٥ William : Ibid., V. 1, p. 183, Zoé : O. Cit., p. 138 عن (Albert),, Setton : Op. Cit., p. 300.

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٨٢) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٨٣) Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 184.

ان يرد من نفس الزاوية المسلمة الشريرة التى تلقاها (٣٨٥) ؟ لذا انقض تنكريد بنفسه ومعه خمسمائة فارس مدرع على معسكر بلدوين ونشبت معركة قاسية سقط فيها الكثير واخذ بعض الأسرى من كلا الجانبين ، وفى اليوم التالى هدأت مشاعر الكراهية وسكن الغضب وارسلت الرسل لطلب شروط السلم واعيد الأسرى الى كلا الجانبين وعاد السلم(٣٨٦) .

وبعد ذلك توجه بلدوين الى مرعش وانضم الى الجيش الأصلى وهناك وبخه اخوه بشدة عما حدث وكذلك فعل بقية الزعماء الصليبيين (٣٨٧) . وبعد ذلك اتجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها(٣٨٨) .

من خلال هذا العرض السريع للعلاقة بين بلدوين وتنكريد قبل تاسيس الامارات الصليبية . يمكن أن نستكشف بعض الرواسب التى اثرت فيما بعد على علاقتهما ببعض . والواقع أن المصادر المعاصرة كانت عند عرضها لتلك الأحداث السابقة تقف فى صف تنكريد وتمتدح جانبه فى حين اعتبرت سلوك بلدوين نوعا من القسوة وحب الذات .

ثم كان أن قامت امارة انطاكية كوحدة سياسية مستقلة ، وعندئذ ظهر موقف الرها منها عندما أسر بوهيموند(٣٨٩) امير انطاكية ووقع فى قبضة بنى دانشمند كما سبق أن اشرنا . ويهمنا هنا ان نتناول موقف أمير الرها من بنى دانشمند والى اى مدى تحرك لنجدة بوهيموند .

---

(٣٨٥) Gesta Tancredi in Expeditione hierosolymitana : Auctore Radulfo Cadomensi (R.H.C.), Hist. Occid., T. 3, p. 637, William : Op. Cit., V. 1, p. 185.

(٣٨٦) William : Ibid., V. 1, p. 185, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301, Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٧) Zoé : Ibid p. 138.

(٣٨٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٣٨٩) هو بوهيموند الأول بن روبرت جوسكارد أمير تازنت . كان بوهيموند اميرا لأنطاكية من ١٠٩٨م . وتوفى فى كانوذادى بوجليا Canossa de Puglia (G. Schlumberger : Op. Cit., p. 31.

هنا يقــال ان بلدوين عرف بالحــادث « عن طريق بعض الفــاريين الذين وصفوا له تلك الكارثة »(٣٩٠) أو ان بوهيموند نفسه هو الذى استنجد ببلدوين (٣٩١) .

وعندما سمع بلدوين بذلك « تعــاطف مع الأمير كما لو كان اخــا شقيقا له ، وحركته تلك الكارثة بقــوة » (٣٩٢) بل قيل انه « حزن على زميله ورفيقه وبكى على ما آل اليه امره (٣٩٣) » لذا تقــدم بسرعــة لنجــدته (٣٩٤) . ونزل بلدوين « مع مائة من الرجال المشــاه المختارين واربعين من الفرسان المجهزين الى سهول ملطية لتخليص بوهيموند(٣٩٥)» كما ضم اليــه جمــاعة من رجــال انطاكية لمســاعدته (٣٩٦) . ولكن بلدوين لم يســتطع تقــديم اى عــون لبوهيموند بعــد ان اخذه بنـــو دانشمند وانسحبوا ، وبعد ان تعقبهم بلدوين ومن معــه لمدة ثلاثة ايــام بدون جــدوى عــاد الى ملطيــة فخضعت له ثم عــاد الى الرهــا . امــا اهــالى انطاكيــة فقــد تملكهم الغضب الشــديد وانصرفوا الى شئونهم (٣٩٧) .

وفى ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عندما تقدم بلدوين البولونى الى القدس ليتولى حكمها مكان اخيه جودفرى الذى مات قبل فترة قصيرة،اتجه اولا الى انطاكية

---

(٣٩٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 411, Secunda Pars : Historiae... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 552.

(٣٩١) Fulcherii : Op. Cit... T. 3, p. 368, Gesta Francorum: T. 3, p. 519, Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 525.

(٣٩٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٣) Secundo Pars : Historiae ... Op. Cit., T. 3, p. 552.

(٣٩٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 411.

(٣٩٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525

(٣٩٦) Gest.a Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 519, Michaud Op. Cit., V .1, p. 52.

(٣٩٧) Fulcheri : Op. Cit. ... T. 3, p. 368.

حيث استقبل استقبالا حافلا من اهلها . وبعد ان استراح فيها ثلاثة ايام استأنف رحلته الى بيت المقدس (٣٩٨) .

وقد حدث فى يناير ١١٠١م (٣٩٤هـ) ان خرج بلدوين دى بورج الى سروج لحمايتها من سقمان الارتقى فحلت به الهزيمة فى اول الامر ، واضطر الى الفرار الى الرها ومنها اسرع لطلب المعونة من انطاكية(٣٩٩) وبعد الحصول عليها تقدم الى سروج .

وفى ١١٠٢م (٤٩٦هـ) اشتركت جيوش الرها وانطاكية فى القيام ببعض الهجمات على المسلمين فى شمال الشام فهاجموا « قرية المسلمية (٤٠٠) وقتلوا بعض اهلها وقطعوا على عدة مواضع قطائع اخذوها (٤٠١) » ثم توجهوا الى حلب واقاموا بالبلد عدة ايام وبعد التفاوض مع رضوان اميرها استقر الحال على ان يدفع لهم مبلغا من المال وبعض الخيول ويطلقون الاسرى المسلمين الموجودين عندهم(٤٠٢).

وفى ١١٠٣م — ٤٩٧هـ اطلق سراح بوهيموند بعد ان ساهم بلدوين دى بورج فى فديته(٤٠٣) وبعد اطلاق سراحه مباشرة تم التحالف بينه وبين بلدوين دى بورج واتخذ موقفا هجوميا ضد مسلمى حلب وفرض ضريبة على اميرها (٤٠٤) .

---

(٣٩٨) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 527.

(٣٩٩) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 370.

(٤٠٠) قرية على طريق حلب تبعد عنها احد عشر كيلوا مترا (ابن العديم : زبدة الحلب ﺣ ٢ ص ١٤٧) .

(٤٠١) ابن العديم : زبدة الحلب ﺣ ٢ ص ١٤٧ .

(٤٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب ﺣ ٢ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 212, Harold Lamb : p. 240.

(٤٠٤) Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

ثم كانت معركة حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) التى شـارك فيها كل من بوهيموند وتنكريد (٤٠٥) ، كما شـارك فيـها بطريرك انطاكية اللاتينى برنارد دى فالنس (٤٠٦) . ومر بنـا كيف ادى شك بلدوين فى الانطاكيين الى عدم تسلمه مفاتيح حران من اهلها ، (٤٠٧) ، الى جانب النزاع مع الانطاكيين حول ايهما يرفع علمه اولا على المدينة (٤٠٨)، مما ادى الى هزيمتهم بعـد ذلك والواقع انه اذا كان يفهم من كلام ابن الاثير كما مر بنا عند الكلام عن موقعة حران ــ ان الجيش الانطاكى لم يحارب فى تلك المعركة اطلاقـا (٤٠٩) . فان المصـادر اللاتينية تشير الى الاشتراك الفعـلى للانطـاكيين فى تلك المعركة (٤١٠) . امـا (كاهـين) فيعتبر نجـاح الانطاكيين غير كامل فى تلك المعركة (٤١١) . والحقيقة انه ربما دفع الى هـذا الاختـلاف فى مدى مشـاركة الانطاكيين ، أن المعسكر الانطاكى لم يصب بضرر (٤١٢) .

وبعد اسر بلدوين دى بورج وجوسلين وفرار بوهيموند وتنكريد الى الرهـا اختار الأهالى تنكريد وصيا على الرهـا الذى صد عنها هجوم

---

(٤٠٥) Alberti Aquensis Historiae Liber IX... T. 4, p. 615, Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Matieu : Op. Cit., p. 71,

ابن القلانسى : الذيل ص ١٤٣ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمـان ، جـ ٨ ق ١ ص ٩ .

(٤٠٦) Alberti : Ibid., p. 615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 403 عن (Albert), Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 42.

(٤٠٧) Michel : Op. Cit., p. 195.

(٤٠٨) Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

(٤٠٩) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ٢٢١ ــ ٢٢٢ .

(٤١٠) Gesta Tancredi : Op. Cit.... T. 3, p. 710, Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 615-616.

(٤١١) Cahen : Op. Cit., p. 238.

(٤١٢) Mattieu : Op. Cit., p. 72.

جكرمش١١٠٤م – (٤٩٧هـ) ثم خضعت الرها لحكم ريتشارد دى سالرن الذى ازهق الامارة كثيرا بحكمه كما بينا من قبل .

والواقع أنه كان من الممكن أن يتم اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٤م بعد العرض الذى قدمه جكرمش بانه مستعد ان يطلقه فى مقابل اطلاق تنكريد لأميره سلجوقية كان قد أسرها فى نفس السنة ، او ان يدفع لتنكريد خمسة عشر الف بيزانت لاطلاق سراح الأميره(٤١٣) . وبالرغم من ان ملك بيت المقدس ارسل الى انطاكيه يطلب من بوهيموند وتنكريد الا يفوتا تلك الفرصة لاطلاق سراح بلدوين لكن بوهيموند وتنكريد كانا يحتاجان الى المال بينما عودة بلدوين سوف تقصى تنكريد بعيدا عن وصايته على الرها ، ويعود خالى الوفاض . لذا اجابا بانه ليس من السياسة أن يظهروا فى صورة المتلهفين على الموافقة على العرض لأن ذلك من شأنه ان يجعل جكرمش يرفع الثمن إذا ترددوا ولكن فى نفس الوقت فانهما رتبا مع الأمير جكرمش الحصول على المبلغ ويبقى بلدوين فى الأسر (٤١٤) فقد كانت الرها « ممر عظيم جدا وذو اهمية تجارية كبيرة (٤١٥) » .

وبعد اطلاق سراح بلدوين وجوسلين ، قدم تنكريد لبلدوين مبلغا كبيرا من المال . ولكنه عرض على الأميرين الرجوع الى الرها « بشرط أن يكونا تابعين لامارة أنطاكية مرغمين (٤١٦) » .

هنا يعود بلدوين الى تل باشر ويطلب مؤازرة جاولى والاتراك من ناحية وكوغ باسيل الأرمنى من ناحية أخرى (٤١٧) . اما تنكريد

---

(٤١٣) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 619.

(٤١٤) Alberti : Ibid., p. 619, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Cahen : Op. Cit., p. 246.
نص خطاب الأميرين الى الملك مع الملاحق.

(٤١٥) Zoé : Op. Cit., p. 215.

(٤١٦) Mattieu : Op. Cit, p. 86.

(٤١٧) Mattieu : Op. Cit,. p. 85, Alberti : Op. Cit., Liber X... T. 4, p. 649, Cahen : Op. Cit., p. 249, Zoé : Op Cit., p. 239, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436.

فقد استدعى لمؤازرته رضوان حاكم حلب ، وأمير قلعة جعبر(٤١٨). وقامت بين الامارتين حرب طاحنة « كان جوسلين فيها — على وجه الخصوص — نشطا ضد تنكريد لأن قلعته كانت تقع فى ذلك الجانب من الفرات وكان بذلك قريبا من أراضى أنطاكية(٤١٩) ».

ولما كانت هذه الحرب تعتبر نوعا من الانقسام بين الفرنج وكانت تهدد الوجود الصليبى فى شمال الشام لذا تدخل كبار الشخصيات الصليبية(٤٢٠) ، الى جانب بطريرك انطاكية برنارد وتمكنوا من فض النزاع (٤٢١) . وعادت الرها الى أميرها الشرعى (٤٢٢) .

وما كاد أمير الرها يسترجع امارته حتى نشأ خلاف بين جاولى ورضوان واستنجد جاولى ببلدوين ورضوان بتنكريد وبدأ الصراع من جديد بين الامارتين . والواقع اننا فصلنا ذلك الصراع عند الكلام عن علاقة الرها بالموصل ٥٠٢هـ (١١٠٨م) ولكن ما نود أن نضيفه هنا هو ما ذكره ابن الفرات وأكده فولشر من أن المعركة بين الرها وانطاكية كانت حوالى ثلاثة اشتباكات متتالية انتهت بانتصار تنكريد (٤٢٣) .

وهكذا فبعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج حدث اصطدامان بين

---

(٤١٨) Cahen : Op. Cit., p. 249.

كان أمير قلعة جعبر فى ذلك الوقت شمس الدولة سالم بن مالك بن بدران ٤٧٩ — ٥١٩هـ (١٠٨٦ — ١١٢٥) زامبور : معجم الأنساب،حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

(٤٢٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 410, William : Op. Cit., V. 1, p. 475.

(٤٢١) ابن الأثير : الكامل،حـ ٨ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ابن الفرات : مخطوط، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ،

Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p 438.

(٤٢٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ؛ ابن الفرات مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) .

(٤٢٣) Fulcherii : Op. Cit. ... T. 3, p. 410,

الرهـا وانطاكية : الاول اثير بسبب تشدد تنكريد فى عدم ارجـاع الرها لبلدوين والثـانى بسبب استنجاد رضوان بتنكريد ضـد جاولى وبالتالى استنجاد جاولى ببلدوين ضـد رضوان .

ولم يمر عـام واحد حتى شرع مودود بأمر من السلطان السـلجوقى فى سياسة الجهاد ضـد الفرنج كما مر بنـا . وهنا نجـد رايا ينفرد به منى

=

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ح ١ ص ٢٥ (ب) — ٢٦(ب)

وهنا يعطينا ابن الفرات وصفا شيقا لبعض ما حدث فقال ان تنكريد برز اثنـاء القتال بين الصفين المتحاربين واستدعى جوسلين وتحـادثا والأمير جاولى ينظر اليهما . « ولم يعـلم ان هـذه عـادة القوم وان العـدو يجتمع بعـدوه ويحادثه ويقرر حـاله » فخشى أن يكون الأميران الصليبيان قد اصطلحا ضد مصلحة المسلمين . ولكن لم يصل الطرفـان الى شيء من هذا ، وتنادوا بالحرب من جديد . وهنـا راى جوسـلين ان الأمير جـاولى قـد اعتزل من العسـكر فوصـل اليه وقـال له : « يا مولاى هذا زينا فلا تظن غير هـذا فلم يجبـه الى قولـه وظل على اعتزاله » وعاد جوسلين وتنكريد للاشتباك من جديد وكانت الحملة الأولى من اشـد حملاتهم . وفى الحملـة الثانيـة « كـان جوسـلين لا يقصـد الا طنكريد ، وطنكريد مثله فتطاعنا وتضـاربا بالسيوف وأبلى كل واحد منهما ثم اسـتل كل منهما رمحـا وتطاعنا فسبقت طعنـة طنكريد الى جوسلين فقنطره من ظهر فرسـه وحمل صـاحب مرعش على طنكريد بطعنة فصرعه ايضـا وظن ان جوسـلين قد قتـل ، وكان صاحب مرعش هو حامل علم جوسلين » . فلما راى أصحاب جوسلين انه قد سقط على الأرض انهزموا ، لكن جوسلين نهض وسار الى الحصن فمنعته أمه من الدخول وقالت « الى اين ليتنى لم اكن رزقتك » . فقـال لها « والله ما انهزمت حتى طعنت طنكريد حق الطعن ونازلته حق المنازلة » فقالت « والله لا اصدقك حتى اتاكد من ذلك من طنكريد نفسه » . وبالفعـل ذهبت لتنكريد وسـألته هل قاتله ابنها حق قتـال ، فقـال لها « والله ما انهزم ولكن سـقط على الأرض كرهـا وانهزم عنـه اصحابه وقـد ضربنى فى الثلاث حملات وضربته عدة ضربات » واكد كلام تنكريد جماعة من الفرسان فانصرفت .

الرهاوى عن سبب قدوم تلك الحملة ولو أننا نستبعد الأخذ به ، وهو « ان كلا من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أراد أن يعلن الحرب ضد تنكريد ، فقد كانت قلوبهما مليئة بالحقد ضده — ربما لهزيمة العام السابق — ففكرا تفكيرا غير لائق بمسيحى وهو الاستنجاد بشرف الدولة مودود(٤٢٤) » ثم يعود متى بعد ذلك وينكر « أن الأمير وجد أن بلدوين دى بورج تحاشاه فتوجه ضد الرها وبذلك أسرع بلدوين فى ارسال جوسلين دى كورتناى ليستنجد بالملك بلدوين اثناء حصاره لبيروت ضد مودود (٤٢٥) » . وهذا يكفى لضحض النص السابق وتأييد القول بأن الحملة ارسلت أصلا من جانب السلاجقة ضد الفرنج . ويؤيد رأينا هذا ما ذكر من أن تنكريد لم يعبأ بانقاذ الرها فى بادىء الأمر لأن بلدوين الثانى دى بورج اتهمه بتحريك تلك الحملة الاسلامية ضد الرها والتآمر مع المسلمين ضده(٤٢٦) .

والواقع ان جروسيه يعزو ذلك — اى الصاق كل أمير التهمة للآخر بتحريك تلك الحملة ، الى ما سبق من تعاون كلا الجانبين مع الترك ضد بعضهما (٤٢٧) . لذلك كانت أولى كلمات بلدوين دى بورج للملك بلدوين عندما حضر لنجدته ، هى شكواه من « تنكريد عدوه المحرك للغزو التركى(٤٢٨) » . وعلى ذلك فقد « كان أمير انطاكية على علاقة سيئة مع الرها بسبب تعهداته مع المسلمين ضدها(٤٢٩) » لذلك فقد دعا الملك بلدوين الأول تنكريد الى أن يتصل ببقية الفرنج واذا كان لديه

---

(٤٢٤) Mattieu : Op. Cit., p 91.

(٤٢٥) Mattieu : Ibid., p. 91.

(٤٢٦) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber XI. T. 4, p. 670.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٥٦ عن (البرت) .

(٤٢٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449.

(٤٢٨) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Ibid., p. 459.

(٤٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289.

شـكاوى يحضرها (٤٣٠) . وقـد تردد تنكريد وقـوانه فى المشـاركة مع الصليبيين ضـد تلك الحملة التركية ، ولكنه عـاد وادرك ان عـدم تعـاونه مع اخـوانه الصليبيين فى حربهم ضـد الاتراك يسىء الى سمعته فى المحيط الصليبى بل يعتبر خيـانة فى حقهم ، لذا سـار بقـوة تقـدر بحوالى الف وخمسمائة فـارس الى الرهـا ، حيث اسـتقبل من الملك استقبالا وديـا (٤٣١) وبعـد ذلك سـاله عن سبب موقفه العدائى من امير الرهـا فأجاب بان الرها كانت منذ عهد بعيد — ايسام الحـكم البيزنطى أو التركى — ضمن نفوذ انطاكية(٤٣٢) عنـدئذ رد الملك على تنكريد قـائلا : « اخى تنكريد ان ما تطلبـه غير صحيح . انك تستند على وضـع البلاد زمن السيادة الاسلامية لكن يجب ان تعلم اننـا عندما رحلنا من اجـل الحـرب المقدسـة ، كان معروفـا ان ما سينتزعه كل منـا من المسـلمين سيؤول اليه .. لذا فانا باسم كل المسيحية الموجودة هنا احثك على صلح صـادق مع بلدوين دى بورج . واذا فضلت التآمر مع الأتراك فلن تستطيع البقـاء بيننـا وسوف نحاربك بدون شفقه (٤٢٣) » وامـام هذا الشعور العـام الذى تلى الخطبة الملكية اضـطر تنكريد للخضوع(٤٣٤)وتخلى عن مشاعر الكره والحسد(٤٣٥)أى أن خضوع تنكريد كان تحت ضـغط الظروف المحيطة به فى ذلك الوقت ـ هنـا يجب ان نستعيد الى ذاكرتنا ما حـدث قبل تأسيس الامارات من صراع بين تنكريد

---

(٤٣٠) Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٤٣١) Alberti : Ibid., p. 672, Grousser : Ibid., p. 452, سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٥٧ عن (Stevenson)

(٤٣٢) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 452.
هنـا يذكر البزت أن تنكريد كـان يرغب فى الحصـول على ضريبة سنوية على الرهـا .
(Alberti : Op. Cit., p. 672).

(٤٣٣) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453, L'Epopée, p. 88 عن (Albert), Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٤) Grousset : Op. Cit, V. 1, p. 453

(٤٣٥) Archer : Op. Cit., p. 148.

وبلدوين وكيف رجحت كفة بلدوين ايضا ـ وفى المعركة التى دارت بين المسلمين والصليبيين بعــد ذلك نجـد رأيين احدهمـا يذكر أن تنكريد اضطر للانسحاب الى سميساط لأنه عـلم ان مؤامرة تدبر ضـده هـو وجماعتـه (٤٣٦) . والرأى الثانى يشير الى انه بمجرد أن اجتمع الجيش الفرنجى للتوجه ضد الأتراك ، بادر الجمع النورماندى بالانسحاب(٤٣٧).

وفى ١١١١م (٥٠٥هـ) كانت حملة مودود الثانية كما رأينا على الرها وهى التى توجهت الى حلب بعد ذلك وفقا لرغبة رضوان ، حتى أغلق رضوان ابواب البـلد فى وجه الجيش التركى مدعيا أنه انهى خلافاته مع تنكريد وعندئذ توجه هـذا الجيش الى أنطاكيـة وتوقف فى شيزر فما كان من تنكريد الا ان جمع حوله كل الفرنج فلحق به الملك بلدوين الأول ملك بيت المقـدس وبرترام أمير طرابلس وبلدوين دى بورج امير الرها(٤٣٨). واجتمعوا عند أفـاميـة أو فـاميـة (٤٣٩) وتقـابل الفريقـان بعـد ذلك عنـد شيزر ولكن لم تحـدث معركـة وانسحب الجانبان كل الى بلاده(٤٤٠) . هكذا فشـلت حمـلة مودود ١١١١م فى كل خطواتها لأن المسـلمين كانوا مفتقرين الى وحدة تنظم صفوفهم فى الوقت الذى اتحد فيـه الصليبيون جميعا من أطراف العراق وشمال الشـام الى جنـوب فلسـطين تحت رعـاية بلدوين الأول ملك بيت المقـدس (٤٤١) . تلك الوحـدة التى أكد (برويـه) وجودهـا فى سـنتى ١١١٠م ـ ١١١١م بين الصليبيين بفضل جهود الملك بلدوين الأول(٤٤٢) .

---

(٤٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 93, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Mattieu).

(٤٣٧) Zoé : Op. Cit, p. 242.

(٤٣٨) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٣٩) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٦٥ عن (Setton) Grousset : Id., p. 90.

(٤٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(٤٤١) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ٤٦٥ عن (Runciman)

(٤٤٢) J. Pra . . Op. Cit., T. 1, p. 28.

وفى ١٢ ديسمبر ١١١٢م توفى تنكريد أمير انطاكيا (٤٤٣) ، فحل محله فى حكم امـــارة انطاكية روجر السالرنى ابن ريتشارد(٤٤٤) ؛ الذى تولى ادارة الرهـــا فترة ، اثناء أسر بلدوين دى بورج كوصى عليها من قبـــل تنكريد .

ويبدو انـــه قبل وفـــاة تنكريد وبالتقريب فى الفترة ما بين ١١١٠م ــ ١١١٢م (٥٠٤ ــ ٥٠٦هـ) أيدت الرهـــا جـــانب انطاكية ضـــد بيزنطـــة مثلها فى ذلك مثل القـــدس التى أيدت هى الأخرى انطاكية . وقـــد عثرنا على نص ذكرته (آنا كومنينا) وتشير الى ان الامبراطور الكسيوس ارسل سفارة للتفاوض مـــع ملك بيت المقـــدس ضد تنكريد ويدفع له الأمبراطور مبلغـــا من المـــال فى مقابل ذلك فرفض الملك ، لـــذا اتجهت السفارة الى الأمير جوسلين دى كورتناى الذى كان يزور القـــدس للعبادة فى كنيســـة القيامة . فكان جوابه مشـــابها لجواب الملك (٤٤٥) . والراجح أن تلك الســـفارة ذهبت الى القـــدس قبـــل أن يطرد جوسلين من الرهـــا وان جوســـلين فى ذلك الوقت كان يمثل التـــابع الرئيسى لبلدوين دى بورج .

وفى عهد روجر تم ارتباط ودى عن طريق الزواج بين امارة الرهـــا وامـــارة انطاكيـــة ، فقـــد تـــزوج روجر من أخت بلـــدوين دى بـــورج نفســـه (٤٤٦) . ويبدو أن ذلك الزواج تم قبل ١١١٣م لأن وليم الصورى يذكر أنه « فى ١١١٣م ارســـل الأمير بلدوين دى بورج بعض رســـله فى مهمة خاصـــة الى روجر بن ريتشـــارد حاكم انطاكية ، الذى كان قـــد تزوج احـــدى أخوات الأمير بلدوين (٤٤٧) » .

---

(٤٤٣) Grousset : L'Epopée, p. 91.

(٤٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 482, Cahen : Op. Cit., p. 273,
يسميه ابن الاثير (روجيل) ابن الاثير الكامل ، حـ ٨ ص ٢٧٢

(٤٤٥) Anna Comnena : The Alexiad ; p. 367.
سيأتى النص كاملا فى الملاحق .

(٤٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 498, Zoé : Op. Cit., p. 246, Grousset : L'Epopée, p. 93, Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

(٤٤٧) William : Ibid., V. 1, p. 498.

ويعبر عن تلك العلاقات الوديـة المتينـة فى تلك الـدور ، ما ذكره جروسية من أنه « عندما أصبح بلدوين دى بورج ملكا ١١١٨م ، استفادت امارة انطاكية بكل تأييد المملكة الفرنجية (٤٤٨) » .

وفى ١١١٥م (٥٠٩هـ) كانت حملـة البرسقى على أنطاكيـة والتى مر فيها بالرهـا (٤٤٩) ، ثم توجه الى انطاكية وفى نيته تخريب كل الاقليم المحيط بها (٤٥٠) . وكـان أن استنجد الأمير روجر بالملك بلدوين ملك القـدس وببلـدوين أمير الرهـا (٤٥١) ، هـذا الى جـانب بونز أمير طرابلس (٤٥٢) . وكان بلـدوين أمير الرهـا « فى الطليعة بفرقتـه العسكرية وحالما وقع نظره على العدو ، حتى اندفـع عليهم غير مروع باعدادهم العظيمة ، وذلك بهجوم ضـار ، هز كل جيشهم وتبعت الكتائب الأخرى مثاله فقذفوا بأنفسهم بروح مشـابهة ضـد قلب قوات العـدو وحاربوها بالسيوف يدا ليد (٤٥٣) » . ويقال أن لؤلؤ (٤٥٤) ، اخبر الفرنج بتحركات البرسقى لذا باغتـه روجر وبعـد أن كـان متفوقـا فى البداية اضطر للهرب (٤٥٥) .

وفى بداية عهد جوسـلين دى كورتناى كأمير للرهـا غزا ايلغـازى الاقليم المحيط بانطاكية وكان بصحبته طغتكين حاكم دمشـق ودبيس أمير الحلة العربى السـابق الذكر . عندئذ استنجد روجر بالملك بلدوين — أخو زوجته — وبجوسـلين أمير الرهـا وبونز أمير طرابلس « وتضرع اليهم بالحاح وعجلة الا يتأخروا فى المجىء لمساعدته فى الهجوم الطارىء (٤٥٦) » .

---

(٤٤٨) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 482.
(٤٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 114.
(٤٥٠) Mattieu : Ibid., p. 115.
(٤٥١) Galterii Cancellarii Bella Antiochena : II Bellum — Art X. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 188, William : Op. Cit., V. 1, p. 504, Mattieu : Op. Cit., p. 115.
(٤٥٢) Cahen : Op. Cit., p. 273, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.
(٤٥٣) William : Op. Cit., V. 1, p. 504.
(٤٥٤) لؤلؤ الخصى الوصى على الب ارسلان بن رضوان حاكم حلب .
(٤٥٥) Cahen : Op. Cit., p. 274.
(٤٥٦) William— : Op. Cit., V. 1, p. 528.

فخفوا جميعا لنجدته ولكن رغم ذلك كان النصر لايلغازى (٤٥٧) . ومعنى ذلك انه فى عهد جوسلين الأول استمرت العلاقات قوية بين الرها وانطاكية ، وازدادت هذه العلاقات قوة ؛ عندما تزوج جوسلين دى كورتناى اخت روجر حاكم انطاكية وهى ماريا السالرنية والتى سبق أن ذكرنا انه تلقى عزاز مهرا لها (٤٥٨) . فى حين اشار راى آخر انها كانت ابنه روجر نفسه وأن ذلك كان حوالى ١١٢٠م (٤٥٩) .

ثم حدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) أن حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها فخف اليها الفرنج جميعا لمساعدة جوسلين ضد أعدائه وساهم رجال انطاكية البارزين بدور كبير فى المعركة (٤٦٠).

والواقع انه بعد ذلك الدور بدأت العلاقات الرهوية الأنطاكية تدخل فى صراع مكشوف اكثر مما كان بين سنتى ١١٠٨ — ١١١٠م (٥٠٢هـ — ٥٠٤هـ) . وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد كاحد العوامل المسببة لسقوط امارة الرها ، لكننا نذكره هنا بحكم تسلسل العلاقات وحتى لا تكون هناك فجوة غير مشار اليها فى علاقات الرها بانطاكية .

ففى خريف ١١٢٦م (٥٢٠هـ) وصل الى انطاكية ابن بوهيموند الأول ، الذى رحل من روما وحكم انطاكية ، وحمل نفس اسم ابيه (٤٦١) . فكان يحمل اسم بوهيموند الثانى (٤٦٢) . (Bohenmond II).
تزوج بوهيموند هذا الأميرة (اليس Alix) ابنة بلدوين الثانى ملك القدس (٤٦٣) ، وفى نفس السنة ٥٢٠هـ قتل البرسقى (٤٦٤) .

---

(٤٥٧) William : Ibid., p. 528.
(٤٥٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418.
(٤٥٩) Cahen : Op. Cit., p. 291. عن (l'Anonyme Syriaque)
(٤٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24.
(٤٦١) Michel : Op. Cit., p. 224, Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
وكان وصول بوهيموند الثانى إلى بلاد الشام فى (١٨ رمضان ٥٢٠هـ) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .
(٤٦٢) Schlumberger : Op. Cit, p. 32.
وهو ابن بوهيموند الأول وكستانس (Constance)
(٤٦٣) Schlumberger : Ibid., p. 32, Grousset : Hist: Hist. des Crois. V. 1, p. 651.
(٤٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ص ٣١ .

نوفمبر ١١٢٦م (٤٦٥) . وقــد أدى ذلك الى قيام فوضى بحلب فانتهزها كل من جوسلين الأول وبوهيموند الثــانى واسرعا الى حلب آملين اخــذ المدينــة وسط الفوضى وكان ذلك ١١٢٧م هنا نشب بين الجانبين الرهوى والأنطاكى عداء علنى (٤٦٦) . وهنــا يذكر وليم الصورى « أن أسباب هــذا العداء الخطير بين بوهيموند الثــانى وجوسلين الأكبر كــانت غير معروفة (٤٦٧) » . ولكن من الراجح أن سبب ذلك هو أن جوسلين كان يأمل أن يعتلى عرش القــدس بعــد الملك بلــدوين الثــانى ولكن زواج بوهيموند من ابنة الملك بلدوين ضيع عليه تلك الفرصــة (٤٦٨) .

واذا كان جوسلين قد انصرف عن حلب بعد أن « صونع بمال (٤٦٩) » فان الصراع انتقل الى انطاكية بعد ذلك ، وقــد استعان فيــه جوســلين بالأتراك ضــد بوهيموند (٤٧٠) . وقــد أشــار وليم الصورى الى ذلك بقولــه « دعا جوســلين لمســاعدته مجموعات من الأتراك واقام اسمــا ســابقة سيئة لاعقابه وبمســاعدتهم انتقم من أراضى انطاكيــة بالنــار والسيفواجبروا أهلها ــ الخــدم الحقيقيين للمســيح . على أن ينحنوا لنير عبوديــة غير مستوجب (٤٧١) » . أما ميخائيل السريانى فيــذكر أن جوســلين « استولى على كل شىء وجــده فى اقليم انطاكيــة ماعــدا الرجال (٤٧٢) » . لذا أسرع الملك بلــدوين الى انطاكيــة وعن طريق مؤازرة البطريرك برنارد دى فالنس ، تم الوفاق بينهما (٤٧٣) . فقــد « غضب البطريرك واقفل الكنائس واوقف القداســات والصلوات واوقف

---

(٤٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٣٠ .

(٤٦٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٦٨) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 651.

فقد كان جوسلين يأمل فى العرش لقرابته اولا من الملك بلدوين وثانيا بحكم السوابق التى حصلت فكلا من بلدوين الأول والثانى ، أرتقى بعد امارة الرها عرش القــدس (سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٣١) .

(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٨ .

(٤٧٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(٤٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(٤٧٢) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

الأجراس والجنازات على الموتى ، لذا اجبروا على عقد الصلح وأعاد جوسلين كل الغنيمة (٤٧٤) » .

ويبدو أن الوضع بين امارتى الرها وانطاكية عاد الى هدوئه النسبى حتى فبراير ١١٣٠م — رمضان ٥٢٤هـ ، عندما قتل بوهيموند الثانى فى معركة ضد الأمير غازى الدانشمندى (٤٧٥) . وعندئذ حاولت ارملته اليس السيطرة على الحكم وحرمان طفلتها كونستانس صاحبة الحق الشرعى فى الحكم عن طريق تدبيرها للمكائد (٤٧٦) . فما كان من رجال انطاكية البارزين الا ان جمعوا مجلسا ثم استنجدوا بالملك بلدوين للمساعدة (٤٧٧) . ويقال ان اليس وصلت فى تحديها للأنطاكيين الى درجة الاستنجاد بزنكى لمساعدتها ، ولكن لسوء حظها وقع خطاب الاستنجاد فى يد والدها وعرف بالمؤامرة (٤٧٨) . عندئذ اسرع الملك بلدوين الى انطاكية كما اتجه اليها ايضا جوسلين دى كورتناى أمير الرها (٤٧٩) . ولكن اليس منعتهم من الدخول الا ان بعض القادة المدنيين والدينيين عصوا أوامرها وفتحوا أبواب المدينة لهم (٤٨٠) . وعندئذ اصدر الملك بلدوين مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على

---

(٤٧٤) Michel : Op. Cit., p. 224.

(٤٧٥) Michel : Ibid., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431,
ابن شداد : الأعلاق الخطيرة، جـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ . (هنا يخطىء أحد مؤرخى الأرمن فيجعل تاريخ وفاة بوهيموند الثانى هو تاريخ توليته . فيذكر ان بوهيموند خلف روجر ١١٣٠م فى حكم انطاكية :
Jacques D. Issaverdens : Hist. de l'Arménie, T. II, p. 316.

(٤٧٦) اسحاق عبيد : روما وبيزنطه ، ص ١٥٧ .

(٤٧٧) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٧٨) Setton : Ibid., V .1, p. 431, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

(٤٧٩) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 p. 255.
هنا يذكر ابن العبرى : ان ذلك كان سنة ١١٣١م.ولكن الراجح انه كان ١١٣٠م .

(٤٨٠) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431, Prawer : Op .Cit, T. 1, p. 317.

كونستانس ابنه بوهيموند الثـانى فى حكمها لانطاكية والمناطق التابعة لها حتى تتزوج فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (٤٨١) .

وفى ١١٣٠م أيضـا قامت بين الرهـا وانطاكية علاقـة دينيـة ذلك أن (حنا ماديانا) عندما توجه الى مدينـة كيسوم ليتم اختياره بواسـطة مجمعها الدينى ، بطريركا يعقوبيا على انطاكيـة ، وجـد المدينة محاصرة بواسطة سلاجقة الروم ـ كما سبق الذكر ـ لذا توجه ذلك البطريرك الى تل باشر حيث تمت رسـامته تحت رعاية جوسلين الاول فى كنيسـة تل باشر اللاتينية فاصبح بطريركا لدير — Dovair — وبذلك خلف البطريرك اليعقوبى لانطاكية اثناس وتم ذلك بالتحـديد فى ١٧ فبراير ١١٣٠م ، بفضل تأييد جوسـلين الاول ومسـاعدته (٤٨٢) .

وفى ١١٣١م — ٥٢٦هـ توفى جوسلين الاول وخلفه فى حكم امارة الرها جوسلين الثانى الذى رغب فى ان يحكم انطاكية مكان أبيه لكن اهالى انطاكية والبطريرك لم يوافقوا على ذلك واحتفظوا بالمدينة لابنه بوهيموند (٤٨٣) .

وفى اغسطس ١١٣١م توفى الملك بلدوين الثانى(٤٨٤) فحاولت اليس تحقيق اطماعها من جـديد ولكن فولك ملك بيت المقـدس الجـديد منعها من ذلك بالقـوة واجبرها على الفـرار الى اللاذقيـة ثم تمت خطبـة كونستانس لريموند دى بواتييه Raimond de Poitiers الذى كان وقتها فى بلاط هنرى الأول ملك انجلترا(٤٨٥) .

هنا يقـال أن اليس استعانت فى محاولتها الأخيرة بجوسـلين امير الرهـا (٤٨٦) . ونحن لا نستبعد هـذا الراى وخاصـة ان جوسلين الثـانى كان قد تقدم الى انطاكية ١١٣٢م (٥٢٧هـ) لمساعدتها ضـد غزو الأتراك لها (٤٨٧) .

ومهما يكن الأمر فانه بزواج ريموند دى بواتييه من كونستانس ابنه

---

(٤٨١) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : V., 1, p. 255. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(٤٨٢) Groussét : Hist. des Crois., V. 2, p. 7.

(٤٨٣) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٤٨٤) Schlumberger : Op. Cit., p. 3.

(٤٨٥) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٤٨٦) Sétton : Op. Cit., V. 1, p. 433, Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 317.

(٤٨٧) Michel : Op. Cit., p. 234.

بوهيموند الثـانى اصبح أميرا لأنطاكيـة من ١١٣٦ — ١١٤٩م (٤٨٨) (٥٣١هـ — ٥٤٤هـ) مما قضى على أطماع الطامعين فى امارة انطاكيـة ومن بينهم جوسلين الثـانى نفسه .

وفى ١١٣٧ — ٥٣٢هـ جدت ظروف فى امارة انطاكية استدعت تدخل الأمير جوسلين الثـانى . وترجع جذور تلك الأحداث الى ١١٣٥م عندما توفى قنسطنطين ملك ارمينيا الصغرى (٤٨٩) فخلفـه على العرش ليو الأول أخـو توروس الذى انتزع من البيزنطيين ، المصيصـة واذنـه وطرسوس وتقدم منتصرا حتى شـواطىء البحر المتوسـط . وعنـدما تولى ريموند دى بواتيه امـارة انطاكية ١١٣٦م أصبحت حدوده متقاربة جدا مع حـدود ليو الأرمنى فكان لابد من الاحتكاك بينهما بحكم كونهما رئيسين طموحين . وكان أن وقع ليو الأرمنى فى كمين(٤٩٠) نصـبه له ريموند بالاشتراك مع بلدوين أمير مرعش(٤٩١) وظل ليو اسيرا داخل احـدى القلاع لمدة شهرين حتى تم الاتفـاق على اطلاق سراحه مقابل التنـازل عن بعض المـدن ودفع مبلغ من المـال وان يقدم ابنه كرهينـة ومن ناحية أخرى وعـده ريموند بمساعدته ضـد الامبراطور البيزنطى حنـا كومنين(٤٩٢) .

ومع ذلك فانه ما كاد يتم أطلاق سراح ليو حتى حنث بعهده وهاجم

---

(٤٨٨) Schlumberger : Op. Cit., p. 32.
(توفى ريموند ٢٩ يونيه ١١٤٩م) Tournebize : Ibid., p. 173.

(٤٨٩) Tournebize : Ibid., p. 173.

(٤٩٠) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit. p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316.
ولو أن الأخير يخطىء فيعتبر ان ذلك كان فى عهد بوهيموند .

(٤٩١) Gregoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Cahen : Op. Cit. p. 358.

(٤٩٢) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques D. Issaverdens : Op., Cit., T. II, p. 316, Cahen: Op. Cit., p. 358.

أما المدن التى وعـد ليون بتسليمها فهى المصيصة واذنه Sarovanticar، او Roc de Saravant . وكان المبلغ حوالى ٦٠,٠٠٠ دينـار .

ريموند واستولى من جديد على المدن التى كان قد تنازل عنها(٤٩٣) مدعيا « أنها اغتصبت منه بالخديعة والقوة » (٤٩٤) لذا اشتبك الجانبان فى حرب أريقت فيها دماء كثيرة (٤٩٥) رغم تدخل الملك فولك لاصلاح الموقف (٤٩٦) وجاء ذلك العداء كارثة على الأرمن والفرنج جميعا ، لأن المسلمين انتهزوا الفرصة للانقضاض على الجانبين المتحاربين(٤٩٧) هذا الى جانب الأخبار التى بدأت تنذر باقتراب الجيش البيزنطى (٤٩٨) . لذا توسط جوسلين الثانى بين الجانبين فى ذلك الوقت ، بحكم أن والده كان متزوجا من أخت الأمير ليو . وأوقف المداوات وأصلح بين الطرفين وتم ذلك ١١٣٧م (٤٩٩) .

فى نفس الوقت الذى وصلت فيه أخبار استعدادات الامبراطور لحملته على الشام ١١٣٧م وصلت أنباء أيضا بأن فولك ملك بيت المقدس لقى هزيمة على يد زنكى فأرسل الملك يستنجد بريموند أمير انطاكية . وكان وضع ريموند عندئذ حرجا للغاية فمن ناحية لم يكن يود أن يبرح امارته فى ذلك الوقت حتى لا يتمكن العدو البيزنطى من الاستيلاء عليها . وفى نفس الوقت كان عليه أن يلبى نداء الملك ، لذا « عهد الى كل من جوسلين الثانى أمير الرها وبلدوين أميرا مرعش بمهمة حماية امارته » واسرع هو ليقدم العون للملك ، وعندئذ آثر زنكى التفاوض مع فولك وبذلك عاد ريموند الى امارته(٥٠٠).

---

(٤٩٣) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٤٩٤) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٥) Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٦) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

(٤٩٧) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٤٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٤٩٩) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 173, Cahen : Op. Cit.. p. 358.

ويذكر كاهين أن ذلك كان فى شتاء ١١٣٦م — ١١٣٧ .

(٥٠٠) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٥٩ . ولكن الراجح أن جوسلين لحق بريموند لنجدة الملك هو الآخر عندما وصله استنجاد الملك به أيضا . وربما يكون أمر انطاكية ترك لأمير مرعش وحده ويرجح

وقد حدث ١١٣٨م (٥٣٢ هـ) عندما تقدم الامبراطور حنــا كومنين الى شــيزر للاســتيلاء عليهــا وفقــا لمــا تــم عليــه الاتفــاق بمقتضى الحلف الفرنجى البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى موضع آخــر من البحث أن تقــاعس جوسلين وريموند عن مســاعدة الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر . ولذا ســخط الامبراطور عليهما ، وعندما التمس منه حاكم شيزر ان يترك حصــارها مقــابل مبلغ من المــال وافق وانصرف عنها (٥٠١) .

على أن الامبراطور انسحب من شيزر ليطالب بانطاكية ، وعنــدئذ أرسل جوسلين الى أنطاكيــة عنــاصر اســتثارت غضب الجمــاهير وحقدهــا . وفى الوقت الذى تظاهر هو بأن الجماهير فى انطاكية تتهمه بالخيانة وتطالب بقتلــه وكان أن نجحت حيلتــه . وانسحب الامبراطور من المدينة بعد ان أصيب بعض أفراد حاشيته(٥٠٢) ويبدو أن جوسلين دبر تلك الخــدمة لا بدافع مصلحة أمير انطاكيــة فحسب بل ايضــا خوفــا من ان يســيطر الامبراطور البيزنطى على الرهــا اذا تمت له السيطرة على انطاكية .

وثمة نص يذكره وليم الصــورى يشير الى تجــدد العــداء ١١٣٨م بين انطاكية والرهــا اذ يذكر ان جوسلين ارســل فى تلك السنة الى بطريرك انطاكية الذى كان موجود فى صقلية اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم انطاكية (٥٠٣) فاظهر جوســلين الثــانى الود تجــاه البطريرك نكاية فى ريموند ودعــاه للحضور ومعه بطانتــه الى الرهــا لتأييــده ومنــاصرته . فلبى البطريرك الدعوة وحضر الى الرهــا حيث استقبل باحــترام كبير من كل الاســاقفة ورحب به الأمير جوســلين ترحيبــا فائقــا (٥٠٤) .

=

هذا رأى ابن الفرات الذى ذكر أن جوسلين أسرع فى ذلك الوقت لنجدة الملك (ابن الفرات . تاريخ الدول والملوك حـ ٣ ص ٩١) (أ) .

(٥٠١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 95 — 96.

(٥٠٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Brêhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(٥٠٣) قيل أن سبب ذلك النزاع هو موافقــة ريموند على اقــرار بطريرك بيزنطى فى انطاكية .

(William : Op. Cit., V. 2, p. 117, J. Prawer : Op. Cit., T. 1,. p. 327).

(٥٠٤) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 116 — 117.

وعندمـــا علم الأمير ريموند بذلك أرســـل ســـفارة الى الرهـــا تطلب الى البطريرك الرجوع الى وظيفته فاستجاب البطريرك لذلك(٥٠٥).

وفى ١١٤٤م (٥٣٩) وهى التى سقطت فيها امارة الرها كما سنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد ــ كان العـــداء لا يزال قائما بين الرها وانطاكية او بالأحرى بين جوسلين الثانى وريموند . ولذا حدث عندما استغاث جوسلين بريموند لنجدته بوصفه أقرب جيرانه الصليبيين ، اعتذر ريموند باعـــذار شتى (٥٠٦) بل قيل ان ريموند لم يستطع أن يخفـــى سروره وشماتته لمـــا حل بجوســـلين (٥٠٧) . ويعلق وليم الصـــورى على ذلك بأنه نسى قول (هورس) « عندما يكون منزل جـــارك يحترق فان منزلك يصبح فى خطر (٥٠٨) » . ومن جهة أخرى فانه يقال أن سبب امتـــذار ريموند فى ذلك الوقت عن نجـــدة الرهـــا كان مرجعه انشغاله بمنازعاته مع الامبراطور البيزنطى الجديد مانويل (٥٠٩) .

والواقع أنه مهما تكن ظروف ريموند فان الواجب كان يملى عليه أن ينجد جوسلين أولا ثم يفكر فى مصالحه الخاصـــة بعد ذلك لأن ما يهدد الرهـــا سيهدده هو بالدرجة الثانية . وهذا ما بينه نيرسيس شنورهالى فى مرثيته عن سقوط الرهـــا فى يد زنكى حيث يقول مخاطبا انطاكية على لسان الرها :

اليك حـــديثى وعتـــابى
يا شقيقتى الحبيبة انطاكية
ايه ايهـــا القرينـــة الحبيبة
لـــم لـــم تـــهرعى الى
وانت فى اليسر والســـعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة
بل شمت بى وتركتينى
اقع فى أيدى الكافرين ؟
هلمى واصغى الى نحيبى
وشاطرينى حسرة أضرمت فؤادى

---

(٥٠٥) William : Ibid., p. 117.
(٥٠٦) William : Ibid.. V. 2, p. 142.
(٥٠٧) William : Ibid., V. 2, p. 201, Grousset : L'Epopée, p. 163.
(٥٠٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 201.
(٥٠٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 447.

وولولى معى وانتحبى
وواسى قلبى الجريح(٥١٠)

وحتى بعد سقوط الرها وعند محاولة جوسلين استرجاعها للمرة الثانية ١١٤٦م (٥٤١ هـ) رفض ريموند تقديم المساعدة بدعيا « ان الحملة تخطيطها سيء »(٥١١) ورغم أنه كان واضحا لدى جوسلين أن زنكى سيهاجمه بسرعة ، الا انه لم يستطع ان يغفر لريموند رفضه مساعدته ، لذلك دخل معه فى نزاع علنى (٥١٢) .

وهكذا تقلبت العلاقات بين الرها وانطاكية بين العداء حينا والتحالف أحيانا فضلا عن العلاقات الدينية . وان كان الغالب على تلك العلاقات هو الطابع العدائي .

اما عن علاقة الرها بامارة طرابلس : فاننا لم نعثر على نصوص كاملة تشير الى تلك العلاقات (لذا استقينا معلوماتنا من بين النصوص الخاصة بالعلاقة بين الرها وبيت المقدس من ناحية والرها وانطاكية من ناحية أخرى ، وذلك فيما عدا النادر اليسير الذى شاركت فيه الرها وزميلاتها ، بقية الامارات الصليبية فى نجدة طرابلس مثل حصار بارين (٥١٣) ١١٣٧م (٥٣١هـ) والغالب أن العلاقة بين امارتي

---

(٥١٠) Nersés Schnorhali : Op. Cit.. p. 231.

(٥١١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٥١٢) Runciman : Ibid., V. 2, p. 238.

(٥١٣) بارين « بليدة بين حمص والساحل تتلفظ به العامة (بعرين) وهو خطأ والصحيح بارين (ابن الاثير : الباهر - ص ٥٩) ولذا نجد بعض المصادر والمراجع تكتبها بعرين والبعض الآخر يكتبها بارين .

فممن كتبوها بعرين (ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الوردى جـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، أما من كتبوها بارين فهم (ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الأثير : الباهر ص ٥٩ ، أبو شامه : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥) والغريب أن ابن الأثير ذكر التسميتين فى كتابيه .

أما المصادر والمراجع الأجنبية فتشير اليها باسم (Montferrand)
=

الرهـا وطرابلس كانت ذات طابع ودى فى اطار تبعية الجـانبين لمملكة بيت المقـدس وذلك منذ قيـام امـارة طرابلس ١٢ يوليو ١١٠٩م(٥١٤) (ذى الحجة ٥٠٢هـ(٥١٥)) .

والواقع ان العلاقات بين طرابلس والرهـا كانت ودية حتى قبـل قيـام امـارة طرابلس الصليبية . ففى اوائل سنة ١١٠٠ م (٤٩٣هـ) عندما كان بلدوين البولونى امير الرهـا متوجها الى القدس بعد سماعه بخبر وفـاة أخيه ، سـار كما ذكرنا وسـط بلاد المسـلمين وتحمـل هو ورفاقه المشقات الكثيرة ولكنه ما كاد يصل الى طرابلس ، التى كان يحكمها عندئذ فخر الملك ابن عمار(٥١٦) . حتى استقبله امير طرابلس المسلم « بالترحاب وتوطدت الصـداقة بينهما وقـدم له أمير طرابلس الخبز والنبيذ وأخبره ان دقاق حـاكم دمشق والقـائد جنـاح الدولة اقاموا له كمينا على الطريق حتى يأخذ حذره »(٥١٧) .

ويبدو ان موقف ابن عمار هـذا انما يعزى الى سوء العلاقات بينه وبين دقـاق صاحب دمشق (٥١٨) .

وكانت اول علاقة للرها بطرابلس بعد ان اصبحت الأخيرة امـارة صليبية هو مشاركة طرابلس فى الحملة المتوجهة من بيروت بعد الاستيلاء عليها ١١١٠م (٥٠٤ هـ) الى الرهـا لنجـدتها من خطر الأمير مودود وجيشه المحاصر لها . ذلك ان برترام الصنجيل (٥١٩) توجـه لنجـدة الرهـا « بكل قواته صحبة الملك بلدوين ملك القـدس (٥٢٠) » .

ثم حـدث ١١٢٣م (٥١٧هـ) بعـد اسر الملك بلدوين الثـانى أن صارت كل من بيت المقـدس والرها وانطاكية محرومة كلها من رؤسـائها

=
(William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70).

(٥١٤) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٣٧٢ .

(٥١٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٦٣ .

(٥١٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٧٩ .

(٥١٧) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 520

(٥١٨) Zoé : Op. Cit., p. 184.

(٥١٩) هو برترام امير تولوز والابن الأصغر لريموند الصنجيل .
(G. Schulmberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٠) Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 671.
Grousset : Hist. de Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert).

فى حـــين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بـــونز Pons (٥٢١) تتراس تلك الامـــارات كما مر بنـــا(٥٢٢) .

وفى ١١٢٤م (٥١٨هـ) عندما استنجد عيسى أمير منبج بجوسلين ضد بلك الارتقى ســار جوســلين الى بيت المقـــدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشـــد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجـــل وتقـــدم الى منبج (٥٢٣) . واشترك بهم فى تلك المعركة .

كذلك حـــدث ١١٢٥م (٥١٩هـ) عندمـــا حاصر البرســـقى عزاز ان ســار لنجدتها ملك بيت المقـــدس ومعـــه بقيـــة الأمراء الفرنج ومن بينهم أمير طرابلس بونز بن برترام (٥٢٤) . وكان جيش طرابلس يكون الجناح الأيسر للجيش الصليبى فى تلك المعركة (٥٢٥) .

وفى ١١٣٧م شوال ٥٣١هـ (٥٢٦) عندما تعرضت امـــارة طرابلس لتهديد زنكى وحصاره اسرعت الرهـــا لتقديم المعونة لشقيقتها الصليبية .

---

(٥٢١) بونز بن برترام هو امـــير طرابلس من ١١١٢ — ١١٣٦م ، تزوج أرملة تنكريد بعد وفـــاته .
(Schumberger : Op. Cit., p. 58).

(٥٢٢) Grousset : L'Epopée, p.p. 120 — 121.

(٥٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٨ .
Setton : Op. Cit., V. 6, p. 422.

(٥٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 143. William : Op. Cit., V. 2, p. 24.

(٥٢٥) William : Ibid.. V. 2, p. 24.

(٥٢٦) تشير غالبية المصـــادر والمراجع الاسلامية الى أن ذلك كان ٥٣١ هـ ومنها :
ابن الأثير : الكامـــل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ ، النويرى : نهـــاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ والعينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٩٤ . فى حين ينفرد مصـــدران فقط بأن ذلك كان ٥٣٤هـ وهما ابن الأثير : البـــاهر ص ٥٩ ، ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ . وبذلك يكون ابن الأثير : ذكر الرايين فى كتابيه والراجح أن ذلك كان ٥٣١هـ بمقابلتها بسنة ١١٣٧م التى ذكرتها المصادر والمراجع الأجنبية
William : Op. Cit., V. 2, p. 86.
Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

وبما اننا سنتناول حصار بارين على يد زنكى بالتفصيل فى الجزء الخاص بجهاده الاسلامى قبل استقلاله للرها فسوف نحاول هنا بقدر الامكان التركيز فقط على دور الرها فى تلك المعركة .

ذلك ان بارين كانت ذات موقع استراتيجى هام لانها تشرف على الطريق الرئيسى لبلاد الشام الاسلامية من حماه الى حمص (٥٢٧) . وكانت عند حصار زنكى لها تابعة لأمير طرابلس ريموند الثانى (٥٢٨) . وموقعها فى الجزء الشرقى من الامارة (٥٢٩) . وقد حدث عند تعرضها لحصار زنكى ان طلب ريموند المعونة من القدس أولا(٥٣٠) ولكن عندما ادرك الملك تفوق زنكى اضطر للجوء الى حصن بارين نفسه للاحتماء به فاصبحوا شبه مسجونين بعد أن حاصرهم زنكى داخله (٥٣١) وفى تلك الاثناء كان قد قتل فى المعركة بينهم وبين زنكى جودفرى الأخ الاكبر لجوسلين (٥٣٢) .

وبعد ان استقر الملك بالحصن ومعه مجموعة من النبلاء تشاوروا واتخذوا قرارا بان يستنجدوا بأميرى الرها وانطاكية ، وبطريرك القدس ليأتى لنجدتهم ومعه كل اهالى المملكة (٥٣٣) .

وبالفعل توجه احد الرسل الى الرها متوسلا بأميرها الذى جمع كل قواته واسرع لنجدة الملك ، وصحبه امير انطاكية فى تلك المهمة(٥٣٤). فضلا عن بطريرك القدس (٥٣٥) . وعندما علم زنكى باقتراب تلك الجيوش

---

(٥٢٧) J. Prawer : Ibid., T. 1, p.p. 322 — 323.

(٥٢٨) Cahen : Op. Cit., p. 398, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٢٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٥٣٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70.

(٥٣١) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابو شامة ، الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، النويرى : نهاية الارب مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٢) Willam : Op. Cit., V. 2, p. 86.

(٥٣٣) William : Ibid., V. 2, p. 87.

(٥٣٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٥٣٥) J. Prawer : Op. Cit., p. 323.

الصليبية الى جانب احتمال وصول الجيش البيزنطى بعد أن استنجد الصليبيون بالروم(٥٣٦) ، اختار ان يفاوض اعداءه الموجودين داخل القلعة والذين كانت حالتهم قد وصلت الى درجة شديدة من السوء مما دفعهم الى قبول شروط الصلح بسرعة ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

وما كاد الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم أميرى الرها وانطاكية فقابلهم بتأثر عظيم وشكر حبهم ومروءتهم (٥٣٧) ، وبعد ذلك انسحب الأميران كل الى بلاده (٥٣٨) .

هكذا كان الود والتحالف هو السمة البارزة فى علاقةالرها بطرابلس.

ثالثــا : علاقة الرها بالأرمن خارجها :

سبق أن أشرنا الى الدور المهم الذى قام به الأرمن خارج الرها ١٠٩٧ م (٤٩٠هـ) فى ارشاد بلدوين البولونى ، عبر مسالك قيليقية الوعرة وخاصة جهود باكراد الأرمنى وغيره من الأرمن الذين كان لمساعدتهم الأثر الأكبر فى تسهيل مهمة بلدوين فى تحقيق هدفه بتأسيس امارة صليبية له فى الشرق .

والواقع أن علاقة امارة الرها الصليبية بالأرمن خارجها كانت اغلبها علاقات ود وتحالف يدخل ضمنها زواج غالبية امراء الرها بأرمينيات — وبعضها عبارة عن توسع من جانب الامارة على حساب الأرمن ، ولكن يندر أن نجد علاقة عداء شديد بين الامارة والأرمن خارجها . ولا اقل من تتبع تلك العلاقات وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين .

أما عن اول أمراء الرها الصليبية وهو الأمير بلدوين البولونى فانه لكى يدعم حكمه فى الامارة ويكتسب رضاء الأرمن ، وبعد وفاة زوجته الفرنجية بادر بالزواج من الأميرة (اردا) (٥٣٩)ا الأرمينية وكان أبوها

---

(٥٣٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦١ ، الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٣٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 438

(٥٣٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (ب) .

(٥٣٩) Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 433. Alberti Aquensis : Op. Cit.,... Liber III... T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit.,

باتفاق المصادر ، احد امراء الارمن ذوى النفوذ والثروة فى ذلك الوقت حتى ان صداقها بلغ حوالى ستين الف بيزانت (٥٤٠) .

ويهمنا من أمر هذا الزواج أن الكتاب الأرمن اعتبروه « تحالفا للمصالح اقر بواسطة النسب ودخل عن طريقه مسيحيو الشرق ضمن نطاق التنظيمات الاقطاعية الصليبية » (٥٤١) فى حين اشار اليه بعض الكتاب الأوربيين المحدثين بانه « كان زواجا سياسيا (٥٤٢) » . والواقع اننا لا نستطيع أن نقرر أن تلك الزيجة كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصورة ، فالواقع أن ثراء والد الزوجة ربما اغرى بلدوين بالحصول على ثروة وافرة مما يدعم المركز المالى لامارته الناشئة .

اما عن علاقة بلدوية البولونى بكوغ باسيل واخوة باكراد ، فان كوغ باسيل كان عند تيلم امارة الرها ، يحكم كيسوم ورعبان وقلعة الروم (٥٤٣) ، أما باكراد فقد اعطاه بلدوين حكم مدينة الراوندان بعد الاستيلاء عليها كما مر بنا هنا يشير كل من البرت ووليم الصورى الى العلاقة بين بلدوين واخيه جودفرى وهذين الأميرين الأرمنيين فى نص خلاصته انه بينما كان جودفرى مقيما بالقرب من تل باشر وراوندان ، بلغته شكوى الناس من الأخوين باكراد وكوغ باسيل وكيف انهما اثقلا كاهل الاهالى وعلى وجه الخصوص اهل الاديرة بالالتزامات الثقيلة ومن ناحية أخرى فان هذين الأخوين ارسلا الى الأمير بوهيموند يستثيرانه ضد امير الرها . ولذا سخط جودفرى عند سماعه تلك الاتهامات وارسل ضد كوغ باسيل وباكراد قوة حطمت قلاعهم (٥٤٤) . وهكذا يبدو كيف غدر بلدوين بالأمير بلكراد رغم الخدمات الجليلة التى تـدمها له الأخير .

كذلك تركز جانب هام من العلاقات بين امارة الرها الصليبية والأرمن فى عهد بلدوين البولونى فى علاقته بجبريل أمير ملطية ، وهى

= V. 1, p. 372, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, L'Epopée, p.p. 104, 205.

(٥٤٠) Alberti : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64.

(٥٤١) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 169.

(٥٤٢) Grousset : L'Epopée, p. 104.

(٥٤٣) عن (Albert) Grousslt : L'Empire, p. 386.

(٥٤٤) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V ... T. 4, p. 441. William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304 — 305.

العلاقة التى سبق ان تكلمنا عنها بالتفصيل اثناء الكلام عن عهـد بلدوين البولونى فى الرهـا وعند الكلام ايضـا عن علاقة الرهـا بانطاكية عندما اسر بنو دانشمند بوهيموند امير انطاكيـة ١١٠٠م حتى انتهى الأمر بان اعلن جبريل امير ملطيـة ولاءه لبلـدوين ودخـل تحت طاعتـه فى تلك السـنة (٥٤٥) .

والراجح ان جبريل كان قـد عرض على بلدوين القـدوم الى ملطية منـذ اللحظة الأولى لتاسيس الامارة بدليل ما ذكره ميخائيل السريانى من انه « بعـد ان وصل الفرنج الى الرهـا وحكموها بذل جبريل جهـده ليجعل الفرنـج يحضروا ويستولوا على ملطيـة (٥٤٦) » . ويبدو ان انشغال بلدوين بتدعيم امارتـه فى بادىء الامر ثم باخماد المؤامرة التى قامت ضـده فى مستهل حكمه هو الـذى منعه من تلبيـة طلب جبريل بسرعة ، لذا لجـا جبريل كمـا راينا الى بوهيموند ، وانتهى الأمر الى دخول ملطيـة بالفعل تحت سيطرة الرهـا .

على انه ما كاد بلدوين يغـادر ملطيـة عائدا الى الرهـا بعـد ان ترك بهـا حامية مكونة من خمسين جنديا حتى عاد بنو دانشمند من جـديد لمحاصرة ملطيـة دون جـدوى (٥٤٧) .

ثم كان ان شهد عهد بلدوين دى بورج نشـاطا واسعا فى للعلاقات بين الرهـا والأرمن خارجهـا ، من ذلك ان بلدوين دى بورج لجـا الى نفس اسلوب بلدوين البولونى لتاكيد مكانته لدى الأرمن فتزوج من مورفيا ابنه جبريل (٥٤٨) . حاكم ملطيـة كما سبق ان ذكرنا والتى حملت اليه صـداقا كبيرا جـدا (٥٤٩) ، اشبع خزانة بلدوين . ومع ذلك فان هـذا التحالف لم يحل دون هجوم الأتراك من بنى دانشمند على ملطيـة واخـذها ١١٠٣م (٥٥٠) (٤٩٧هـ) ومن اهم الزيجات التى تمت أيضا

---

(٥٤٥) Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525, Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 519, R.H.C. : Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 412.

(٥٤٦) Michel : Op. Cit., p. 187.

(٥٤٧) Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII. .T. 4, p. 525.

(٥٤٨) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménîe Ciliciénne, p. 93, Cahen : Op. Cit., p. 230, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 392, Zoé : Op. Cit., p. 228, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 868. عن (L'Anonyme).

(٥٤٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228.

(٥٥٠) Zoé : Ibid., p. 210.

فى عهد بلدوين دى بورج التى ربطت بين امارة الرها من ناحية وبين ارمينيا الصغرى من ناحية أخرى ، زواج اخت بلدوين د ى بورج من ليون الأول ملك ارمينيا الصغرى (٥٥١) .

ولم تقف علاقات الرها بالأرمن فى ذلك العهد على المصاهرات وانما حدث « فيما بين سنتى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) ان ساعد ثوروس بن قنسطنطين (١١٠٠ — ١١٢٩م) (٥٥٢) . الصليبيين فى رد هجمات البيزنطيين عن الرها وانطاكية (٥٥٣) » . وفى ١١٠٤م (٤٩٨هـ) تنازل طاطول الأرمنى صاحب مرعش عن مدينته لجوسلين دى كورتناى (٥٥٤) .

وقد مر بنا كيف أسر بلدوين دى بورج حوالى خمس سنوات بعد ذلك وكيف عارضت انطاكية فى رد امارته اليه بعد ذلك مما أدى الى الخلاف بينه وبين تنكريد ١١٠٨م (٥٠٢هـ) بسبب ذلك . بل ان بلدوين اضطر الى اعلان الحرب ضد تنكريد وهى الحرب التى استنجد فيها بلدوين بجاولى . كذلك توجه بلدوين فى ذلك الوقت الى كوغ باسيل حاكم رعبان وكيسوم بالقرب من بهسنى (٥٥٥) . الذى كان قد

---

(٥٥١) Iorga: L'Arménie Ciliciénne, p. 94, Zoé: Op. Cit., p. 296
هنا يضيف (ايورجا) ان اخت بلدوين اسست بعد زواجها فى أرمينيا ديرا لاتينيا .

(٥٥٢) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٥٣) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.

(٥٥٤) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٣ عن (Runciman)
ويسميه ميخائيل هنا امير الأمراء ويذكر انه باع فى نفس الوقت صورة العذراء المقدسة الى ثوروس بن قنسطنطين بن روبان فى مقابل مبلغ ضخم من المال ثم رحل الى القسطنطينية .
Michel : Op. Cit., p. 75.

(٥٥٥) Michel : Op. Cit., p. 187, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393,
Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 52.
يسميه (كونسيل) كل من ابن الأثير : الكامل : حـ ٨ ص ٢٥٢ ؛ ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٢٣ (أ) أما ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٤٠ فيسميه (ابو سيل الأرمنى) .

«جمع الجيش الارمني القومي في قلعته العسكرية الحصينةفي الجزء الشرقي من طوروس المواجه للفرات (٥٥٦) » .

وعندما ذهب بلدوين الى كوغ باسيل يلتمس منه المساعدة ضد تنكريد ، استقبله كوغ باسيل استقبالا وديا واغدق عليه الهدايا (٥٥٧) ، اذ وجد ان مصالحهما تتفق في مواجهة تنكريد الذي طمع في الاستيلاء على قيليقية بأكملها ، بعد أن استولى على مدينة المصيصة فعلا ، ومن ناحية اخرى فقد عانى اهل الرها الكثير من ابن عمه ريتشارد دي سالرنو الذي حكم امارتهم حكما استغلاليا (٥٥٨) . لذلك لم يبخل كوغ باسيل بتقديم معونته الى بلدوين دي بورج ضد تنكريد « فأنجده بالف فارس والف راجل (٥٥٩) » . اما متى الرهاوي فيقدر المعونة التي قدمها كوغ باسيل لبلدوين « بفرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ محارب (٥٦٠) » . وقيل انه ارسل معه كذلك فرقة من المرتزقة تعمل لحساب الامبراطور البيزنطي (٥٦١) .

وربما يتساءل البعض لماذا لم يتجه بلدوين الى جبريل ، والد زوجته ليمده بما يحتاج اليه من نجدة ؟ الراجح ان كوغ باسيل كان اغنى بالقوات البشرية التابعة له ، بينما كان جبريل اغنى بماله .

لذا نجد أن بلدوين لم يفوت فرصة الاستفادة من جبريل بعد عودة امارته اليه ، حتى وصل الامر الى حد ابتزاز أمواله كما أشار وليم الصوري (٥٦٢) .

وعندما تعرضت الرها لتهديد مودود ١١١٠م (٥٠٤هـ) أسرع اليها الملك بلدوين الأول لنجدتها مع بقية الفرنج كما مر بنا وساهم بعض الرؤساء الارمن في مؤازرة امارة الرها وعلى راسهم كوغ

---

(٥٥٦) (Mattieu) من Grousset : Hist. des Crois.. V. 1, p. 436.

(٥٥٧) Grousset : Ibid.. p. 436, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٥٨) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥١ (عن البرت)
Grousset : Ibid., p. 437,

(٥٥٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٢٣ (أ) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ١٩١ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٢ عن (Stevenson),
Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٥٦٠) Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٥٦١) Mattieu : Ibid., p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٦٢) William : Op. Cit., V. 1, p.p. 479 - 481.

باسيل (٥٦٣) . الذى « أصدر أوامره الى قواته الشعبية بالاستعداد والتوجه الى سميساط (٥٦٤) » .

وفى ٥٠٦هـ (٥٦٥) (اكتوبر ١١١٢م) (٥٦٦) . توفى كوغ باسيل « فحكمت زوجته بعده مرعش وكيسوم ورعبان وتحصنت من الفرنج وكانت امرأة عاقلة فدبرت أمر البلاد أحسن تدبير (٥٦٧) » . وقد مر بنا كيف حاصر البرسقى الرها ١١١٤م (٥٠٨هـ) وعندئذ أرسلت اليه زوجة كوغ باسيل تقول « ان زوجى أوصانى بعد موته أن أخالط المسلمين وأن أجانب الفرنج وأنا من الموالين لك فأرسل الى من أجتمع به وأكون تحت أمرك ؛ فقبل ولاءها (٥٦٨) » . ويقال أن السبب فى تقديمها الولاء للبرسقى هو أن زوجها قاسى من عدوان تنكريد ١١١٢م (٥٦٩) (٥٠٦هـ) بل ان تنكريد كان يطمع فى امارته بعد موته هذا الى أنه يبدو أن بعض الأرمن الذين طردهم بلدوين الثانى من الرها ١١١٣م (٥٠٧هـ) نزحوا الى كيسوم حيث حرضوا دفا باسيل — ابن كوغ باسيل المتبنى — (٥٧٠) . على محالفة السلاجقة ضد الصليبيين (٥٧١) .

ويقال أن الفرنج الموجودين فى كيسوم ورعبان ما كادوا يعلمون بذلك حتى غادروها الى انطاكية (٥٧٢) . وقد رأى الفرنج أن ذلك خيانة كبرى فى حق المسيحية فضلا عما فى ذلك التحالف من تهديد صريح للامارات الصليبية فى الشمال (٥٧٣) .

---

(٥٦٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92, Cahen : Op. Cit., p. 257, Setton : Op Cit., V. 1, p. 299 سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٥٧ عن (Stevenson) Archer : Op. Cit., p. 148.

(٥٦٤) Mattieu : Op. Cit., p. 92

(٥٦٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

(٥٦٦) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ .

(٥٦٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ ، مخطوط ، ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٨) ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ١ ص ٨٠ (أ) .

(٥٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1. p. 403.

(٥٧٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

كانت زوجة كوغ باسيل قد أرضعته فقط .

(٥٧١) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ عن (Runciman)

(٥٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ١ مخطوط ص ٨٠ (ب) .

(٥٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٧٣ .

لذلك ففى ١١١٥م (٥٠٩هـ) شرع بلدوين دى بورج فى الحرب ضد باسيل دغا Vasil - Dgha فحاصر رعبان الحصينة واستمر على ذلك فترة دون الوصول الى نتيجة رغم انه كان يحاصرها من كل الجهات (٥٧٤) . ثم توجه باسيل دغا بعد ذلك الى صاحب ارمينية الصغرى الأمير الأرمنى ليون بن قنسطنطين بن روبان واخو ثوروس ليتزوج ابنته « فدعا ثوروس باسيل وقبض عليه غدرا وقاده الى الرها (٥٧٥) » .

وفى الرها عذب باسيل بقسوة على يد بلدوين حتى اضطره ليسلم كيسوم ورعبان بل وكل بلاده وذلك ١١١٦م (٥١٠هـ) (٥٧٦) . لذلك اشار ميخائيل السريانى الى ان بلدوين دى بورج امتلك كيسوم ورعبان فى تلك السنة (٥٧٧) .

وفى نفس ١١١٦م استولى بلدوين على قلعة الروم الى الشرق من سميساط والى الجنوب من الرها قرب الضفة الغربية للفرات وكانت جزءا ايضا من ممتلكات باسيل دغا (٥٧٨) .

اما عن كركر التى كانت تابعة للأمير قنسطنطين الأرمنى الذى سبق ان ساعد بلدوين الاول فى الاستيلاء على الرها (٥٧٩) . فنجد ان ميخائيل السريانى يشير الى ان بلدوين دى بورج ضمها لامارة الرها ١١١٦م (٥٨٠) ، فى حين يشير متى الرهاوى ان ذلك حدث ١١١٧م (٥١١هـ) (٥٨١) وأن بلدوين دى بورج سجن قنسطنطين فى

---

(٥٧٤) Mattieu : Op. Cit.. p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275. Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 493.

(٥٧٥) Mattieu : Op. Cit., p. 116.

(٥٧٦) Mattieu : Ibid., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275, Grousset Op. Cit., V. 1, p. 493, L'Empire, p. 387 عن (Matieu). سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٣ عن (متى الرهاوى) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 408 هنا يضيف متى الرهاوى « ان باسيل دغا لجأ بعد ذلك الى القسطنطينية حيث استقبل بحفاوة كبيرة — هو والقوات التى صحبته — من الامبراطور البيزنطى » .

(٥٧٧) Michel : Op. Cit., p. 199.

(٥٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.

(٥٧٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٨١) Mattieu : Op. Cit., p. 117, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

حميســـاط حتى هلك فى احــد الزلازل الأرضية (٥٨٢) .

وفى ١١١٧م ايضــا توجــه بلدوين دى بورج ضـــد احــد الرؤساء الارمـــن المشــهورين هو ابو الغـــريب — Abeigh'arib — حــاكم البيرة (٥٨٣) . وصحبه فى حملته هـــذه امير سروج . وكانت البيرة ذات موقع استراتيجى فى المكان الأول من الأهميـــة على مجرى الفرات على طريق الرهــا عينتاب (٥٨٤) . وظل بلدوين يحاصر البيرة حوالى سنة كاملة حتى فقـــد ابو الغريب كل امل فســـلم البيرة وكل الاقليم الى بلـــدوين (٥٨٥) .

وهكذا يكون بلدوين قـــد استولى بين سنتى ١١١٥م ، ١١١٨م على ممتلكات كل من دفا باسيل حــاكم كيســـوم ورعبان وقلعة الروم وأبو الغريب حــاكم البيرة وقسطنطين حــاكم كركر ، وذلك عن طريق القوة والضغط حتى أن متى الرهـــاوى يذكر صـــدى ذلك بقوله « اننا نود أن نحصى الجرائم العديدة للفرنج ، ولكننا لا نجرؤ أو نتجـــاسر لاننا تحت نفوذهم (٥٨٦) » .

والواقع ان سياســـة بلدوين التوسعية عن طريق العنف لم تستمر طويلا ففى ١١١٨م توجــه كما مر بنـــا الى القـــدس حيث توج ملكا . هنـــا يعقب او لدنبرج على سياســـة بلدوين البولونى ودى بورج مـــع الأرمن فيقـــول « انـــه بالرغم من صـــلابتهما فان سياســـة التحـــالف والامتيازات المتبادلـــة فرضـــت على الفرنـــج بحكم ظروف الســـاعة نفسها (٥٨٧) » .

وهكذا كان عهـــد بلدوين دى بورج عهدا ظهرت فيه علاقات امارة

---

(٥٨٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 117-118. Grousset : Op. Cit., p. 494.

(٥٨٣) Mattieu : Op. Cit., p. 116-117.

(٥٨٤) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٧٢ عن (Setton)
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 493
هنـــا يذكر جروسية انه رغم ان البيرة دانت بالطاعة لبلدوين الأول ١٠٩٩م الا أنه تركها تتمتع بكيانها كامارة ارمينية . ولكن كانت تعترض بطريقة مكدرة بين الرهـــا وتل باشر .

(٥٨٥) Mattieu : Op. Cit., p. 117. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494.

(٥٨٦) Grousset : Ibid., V. 1, p. 494 عن (Mattieu)

(٥٨٧) Zoé : Op. Cit., p. 210

الرهـــا بالأرمن خارجهـــا فى ثلاثة انماط . اما زواج متبادل أو ود وتحالف أو عـــداء وتوســـع بالقوة من جانب الرهـــا .

وفى عهد جوسلين دى كورتناى تجددت علاقات الزواج من أرمينيات ، فقد اتخذ جوسلين من اخت ليون الاول ملك أرمينيا الصغرى (٥٨٨) . (١١٢٩ — ١١٣٦م) (٥٨٩) . أو أخت ثوروس الاول (٥٩٠) . أو بمعنى آخر ابنـــة قسطنطين (٥٩١) . زوجـــة له ، لان ثوروس وليون كانا ولدى قسطنطين .

ومن أبرز العلاقات بين الأرمن والرهـــا فى عهد جوسلين دى كورتناى تلك المحاولة البطولية التى ســـاعد بها الأرمن فى اطلاق سراح جوسلين من سجن خرتبرت كما مر بنا . ذلك أن الأمر لم يقتصر عندئذ على جهود رعايا جوسلين الأرمن فحسب (٥٩٢) . بل تعداه الى الأرمن فى خرتبرت ســـواء فى قلعتها أو فى البلد نفسها (٥٩٣) . أو فى طريق عودتـــه الى الرهـــا خاصـــة جهود أحـــد الفلاحين الأرمن الذى اسهبت المصـــادر المعاصرة فى الاشـــادة بجهوده فى هـــذا المجال (٥٩٤) .

وما أن علم تلك بأمر هرب جوسلين ووقوع القلعة — كما مر بنا —

---

(٥٨٨) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٥٨٩) Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٩٠) Zoé : Op. Cit., p. 296.

(٥٩١) Iorga : L'Arménie ciliciénne, p. 93 عن (Alishan Sissouan)

(٥٩٢) Mattieu : Op. Cit., p. 134, Cahen : Op. Cit., p. 297, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 541 - 542, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, عن (L'Anonyme), Archer : Op. Cit., p. 162.

(٥٩٣) Matti.u : Op. Cit., p. 134, Michel Op. Cit., p. 211 Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op Cit , V 1, p. 419 Grousset : L'Empire, p. 300, عن (Foulcher), Archer : Op. Cit., p. 163.

(٥٩٤) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 456 Cahen : Op. Cit., p. 297, Archer : Op. Cit., p. 163, Setton : Op. Cit. V. 1 p.420, Zoé : Op. Cit., p. 298, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 592, L'Epopée, p. 123 عن (Foulcher)

بيد الملك ورفاقه حتى أسرع اليهـا واستعادها (٥٩٥) ؛ ولم يتم ذلك بالطبع فى سلام بل راح ضحيتـه كل الأرمن تقريبا الذين وجـدهم بلك فى القلعة(٥٩٦) وحتى الذين ظلوا على قيد الحياة وقعوا فى قبضته(٥٩٧).

وقبل أن ننتقل الى عهد جوسلين الثـانى نحاول التعرف على علاقة الرها بكركر فى عهد جوسلين الأول . فقد كانت زوجة قنسطنطين حاكم المدينـة قد ظلت تحكمها ـ بعـد أن زج بلدوين دى بورج زوجـها فى السجن ـ حتى عهد جوسلين الثـانى (٥٩٨) . وعند أسر الملك بلدوين الثانى كان يحكم كركر ١١٢٣م ـ (٥١٧هـ) ميخائيل بن قنسطنطين (٥٩٩). وثمة نص لميخائيل السريانى يوضح علاقة كركر بامارة الرها بعـد ذلك يقول « فى عهد بلك خرج ميخائيل الأرمنى من قلعة كركر وتنـازل عنها . وبعد مقتل بلك استولى عليها من جديد الى أن هاجمه بعض الأتراك ؛ ولمـا لم يكن قـادرا على حماية نفسـه فانه هرب فى الفرات ، ثم تنازل لجوسلين عن كركر . حتى باعها جوسلين بخمسمائة دينار (٦٠٠) » .

وفى ١١٣٧م تمت فى عهد جوســلين الثانى رابطة تسـوية بين امارة الرها والأرمن فى أرمينيا الصغرى . ذلك أنه حدث فى تلك السنة خلاف بين ريموند الثانى أمير انطاكية من ناحية وبين ليون ملك ارمينيا من ناحية أخرى ، وبحكم قرابة الأخير من جوسلين فقد توسط بينهما وأقام الصلح بين الجانبين الذين تحالفا ضد الامبراطور البيزنطى (٦٠١) .

على أن البيزنطيين احتلوا تيليقيـة بين سنتى ١١٣٨ ـ ١١٤٥م ـ

---

(٥٩٥) أبو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ٢٣٧ ، ابن الوردى : جـ ٢ ص ٣١
Mattieu : Op. Cit., p. 134, William : Op. Cit., V. 1. p. 543, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

(٥٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, Zoé Op. Cit., p. 298.

(٥٩٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 544.

(٥٩٨) Cahen : Op. Cit., p. 276.

(٥٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2 p. 875 من (L'Anonyme)

(٦٠٠) Michel : Op. Cit., p. 244.
وهو يقصـد هنـا ميخائيل الأرمنى ، ميخائيل بن قنسطنطين

(٦٠١) Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan Op. Cit., p. 172. Tournebize : Op. Cit., p. 173. Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥٣٣ ــ ٥٤٠هـ وكان آخر حاكم لارمينيا عند الغزو البيزنطى هو ليو الأول (٦٠٢) .

رابعا : علاقة الرها بالدولة البيزنطية :

للتعرف على أهم العلاقات بين امارة الرها الصليبية والدولة البيزنطية فى الفترة التى ندرسها ، ينبغى الرجوع الى الوراء ، أى الى ٩٤٣م (٣٣١هـ) عندما حاصر القائد البيزنطى حنا كوركاس الرها(٦٠٣) . والواقع أن هذا الحصار لم يتبعه دخول الرها فى حوزة البيزنطيين ، لأن ذلك لم يتم الا بعد حوالى قرن من تلك الحملة (٦٠٤) ولكن اهمية ذلك الحصار ترجع الى ما تبعه من مفاوضات طويلة بين البيزنطيين والخلافة العباسية محورها رغبة البيزنطيين فى الحصول على صورة المسيح المقدسة التى كانت موجودة بالرها حتى ذلك الوقت . وقد بينا فيما سبق ــ عند الحديث عن تلك الصورة ــ كيف انتهت تلك المفاوضات بموافقة الخليفة المتقى ٣٣١هـ ــ ٩٤٣م على التخلى عنها فى مقابل اطلاق سراح الأسرى المسلمين الموجودين فى القسطنطينية(٦٠٥) . وبالفعل تم نقل ذلك الاثر المقدس الى القسطنطينية فى ١٥ اغسطس ٩٤٤م وسط احتفال دينى عظيم (٦٠٦) .

---

(٦٠٢) Iorga : L'Arménie Cilliciénne : p. 94, Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٣) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 245, Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785.

(٦٠٤) Cam. Med. Hist. : Ibid., p. 140.

(٦٠٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعى : أخبار الخلفاء ، تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ مخطوط ص ٨٠.
Le Strange : Op. Cit., p. 104.
أما ابن العبرى فيذكر ان ذلك كان ٩٤٢م
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p.p. 162 - 3)

(٦٠٦) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 246, Encyclopaedia of Islam V. 3, Part 2, p. 996, Cam. Med. Hist.: Ibid, p. 141.
ويضيف المرجع الاخير ان نقل ذلك الاثر كان آخر انتصارات عهد الامبراطور (Romanus Lecapénus) لانه بعد حوالى اربعة اشهر بالتحديد فى ١٦ ديسمبر ٩٤٤م قبض على الامبراطور ووضع فى جزيرة Prote حيث توفى فى ١٥ يونية ٩٤٨م
Cam. Med. Hist., p. 143.

وفى ١٠٣٠م (٤٢٠هـ) « كان يحكم الرهــا اميران عربيان فأرســل احدهما الى الامبراطور ميخائيل وباع له نصيبه ، فجاءت القوات البيزنطية وتولت السلطة وأقاموا اماكن دفاعية قوية هناك وعندما سمع حاكم حلب بذلك ارســل الى الرها جيشــا اســتولى عليها وهرب المسيحيون الى الكنيســة العظمى حتى حل الشتاء ونزلت الثلوج وعندئذ جعلوا الشــتاء ذريعة وتنازلوا عن البلد ورحلوا(٦٠٧) » .

وفى ١٠٣٢ (٤٢٤هـ) توجه القائد البيزنطى جورج مانياكس الى الرهــا واســتولى عليها محققا بذلك قمة انتصــاراته(٦٠٨) . ففى تلك الحملة استولى البيزنطيون على الاثر المقدس الشــانى فى الرهــا وهــو خطاب المســيح المشــهور الى ابجر ملك الرهــا الســابق الذكر واحتفل فى القسطنطينية « احتفالا كبيرا بوصول ذلك الأثر اليها(٦٠٩) . وبعد ذلك ظلت الرها ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين (٦١٠) أو على الأصح حتى بداية غزوات الأتراك السلاجقــة (٦١١) ». « فبينما كانت نيقية على مشارف البسفور بيد الأتراك السلاجقة منذ ١٠٨١م (٤٧٤هـ) فان مدنــا أخرى متطرفة فى الشرق مثل انطاكية بالشــام والرهــا شرقى الفرات ــ ظلت تابعة للدولة البيزنطية فقامت بها حاميات بيزنطية وزعماء من الأرمن يعترفون بالسيادة القسطنطينية ، وقــد استمرت الرها على ذلك الوضع حتى ١٠٨٧م ــ ٤٨٠هـ (٦١٢) » .

ويؤكد تبعية الرها لبيزنطة قبيل وصول الصليبيين ما قاله الشــاعر

---

(٦٠٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 192 - 193.
وكان حاكم حلب آنذاك هوشبل الدولة ابو كامل نصر بن صالح بن مرداس الذى حكم من ٤٢٠ : ٤٢٩هـ (الطباخ الحلبى:اعلام النبلاء،حـ ٢ ص ٣٢٢ ، العينى : عقد الجمــان ، حـ ١٤ م ٥ ص ٨٢٧ ــ ٨٢٨) .

(٦٠٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 285
أما ابو الفضائل الحموى:التاريخ المنصورى،ص ١٥٠ فيذكر ان الرها سلمت للروم ٤٢٣هـ ويتفق معه فى ذلك ميخائيل السريانى الذى يقول انها دخلت ضمن حوزتهم ١٠٣١م Michel : Op. Cit., p. 280. ولكن الراجح ان حملة جورج مانياكس كانت فى العام التالى وانها هى التى اكدت استيلاء البيزنطيين على الرهــا .

(٦٠٩) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 725.

(٦١٠) Cam. Med. Hist : Ibid., p. 726.

(٦١١) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ Setton : Op. Cit., V. 1. p. 304.

(٦١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ؛ حـ ١ ص ٩٤ .

الارمني نيرسيس في قصيدته التى رثى بها الرها اذ تصور الرها تخاطب القسطنطينية فتقول .

يا مدينة العظمة والأبهة
يا من شادها الملك قسطنطين
على ابواب آسيا الصغرى
لقد كنت ملكا لك
وجزءا منك يا أم المدائن
وبنيت على أرضى هيكلا
وسميته باسم هيكلك(٦١٣) .

فاذا انتقلنا الى علاقة امارة الرها الصليبية بعد تأسيسها بالامبراطورية البيزنطية . نجد أن « تأسيس بلدوين البولوني للامارة في حد ذاته يعتبر خروجا واضحا على الاتفاق الذى ابرمه البيزنطيين(٦١٤). ذلك ان الرها كانت اقليما بيزنطيا وكان يجب أن تعود لبيزنطة . وهكذا ورغم أن بلدوين كان قد حلف يمين الولاء للامبراطور الكسيوس الا انه لم يقم أى وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف الى ذلك ، لذا رفض بلدوين رد الرها للامبراطور (٦١٥) . وقد ادعى بلدوين انه وصل الى السلطة عن طريق الارادة الشعبية ممثلة في أهالي الرها الذين نادوا به اميرا عليهم (٦١٦) .

---

(٦١٣) الابيات من ٧٦ : ٧٨ ، ٨٩ : ٩٠. Nersès : Op. Cit., p. 220. هنا يفسر المترجم الفرنسي دولوريبه المقصود بالهيكل هنا : كنيسة (القديسة صوفيا) .

(٦١٤) Bréhier : Vie et Mort, p. 313, J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 209, اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٠٩

(٦١٥) Bréhier : Ibid., p. 313.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ عن (Runciman)
جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٠٦
عن (Ostrogorsky) هذا الى جانب الغدر الذى عامل به بلدوين الامير تورس كان لطمة للعاهل البيزنطى ، فثوروس كان موظفا في خدمة الامبراطور كما انه كان عضوا في الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية (اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ — ١١٠) .

(٦١٦) J. Prawer : Op. Cit., p. 209, Setton : Op. Cit. V, 1, p. 304.
سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ١٨٤ .

ورغم ذلك فان الامبراطور الكسيوس الاول كومنين (Alexius I Comménus) (١٠٨١ — ١١١٨م (٦١٧) / ٤٧٤هـ — ٥١٢ هـ) لم يفعل شيئا ولم يقدم حتى احتجاجا رسميا ، بل فضل السكوت فى ذلك الوقت حتى تحين فرصة افضل ، فقد كانت مسألة الرها عندئذ اقل نسبيا من مشكلة انطاكية الاكثر خطورة(٦١٨) .

واذا كان البيزنطيون قد انزعجوا من قيام الامارات الصليبية لما نشأ بين الطرفين من عداء مرير فاق فى قسوته العداء مع المسلمين، الا انهم اكتفوا فى البداية باستعادة جزء من ممتلكاتهم المفقودة فى آسيا الصغرى مستغلين ضعف سلاجقة الروم فى ذلك الدور(٦١٩) .

ويبدو ان هجمات البيزنطيين اخذت تشتد على الصليبيين حوالى ١١٠٢ — ١١٠٣م (٤٩٦ — ٤٩٧هـ) فقد سبق ان اشرنا ان ثوروس بن قنسطنطين ساعد الصليبيين فى صد هجمات البيزنطيين على الرها وانطاكية (٦٢٠) .

والواقع ان موقف البيزنطيين من الصليبيين وخاصة فى الرها وانطاكية برز واضحا جليا بعد هزيمة الفرنج فى حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) « فقد كان الامبراطور يراقب الموقف فى قلق فى بيزنطة ولم يأسف لسماع إخبار هزيمة الفرنج »(٦٢١) .

وقد سبق أن أوضحنا كيف ان هزيمة الصليبيين فى حران اضعفت مركز الصليبيين بالشام واحيت آمال كل من الامبراطور الكسيوس والمسلمين (٦٢٢) . ويبدو أن تمسك الامبراطور الكسيوس كرمنين بحق البيزنطيين فى انطاكية جعله يفتح باب المفاوضة من جديد مع الأمير بوهيموند أمير انطاكية . ويبدو أن هذه الخطوة تمت قبل اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة ١١٠٨م بدليل ما اشارت اليه بعض المراجع الفرنجية من « تجدد الاتفاق بين كل من الامبراطور البيزنطى الكسيوس وبين بوهيموند سنة ١١٠٨م بعد هزيمة الأخير فى البلقان واثناء

(٦١٧) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .
(٦١٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304.
(٦١٩) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p.p. 52 - 57.
(٦٢٠) H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 203.
(٦٢١) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 44.
(٦٢٢) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 58.

وجوده فى السجن الامبراطورى(٦٢٣) ، وفى اثناء تلك المفاوضات ادى بوهيموند يمين الولاء من جديد للامبراطور ، والراجح أنه اتفق معه فى مقابل امراره على اخذ انطاكية منه ان يحصل فى مقابلها على ارض اخرى فى الشام وما بين النهرين ويفهم مما ذكرته (أنا كومنينا) (٦٢٤) ان الرها كانت ضمن تلك البلاد التى سيعوض بها الامبراطور الكسيوس بوهيموند عن امارته انطاكية . وربما شجع الامبراطور على ذلك التعهد خلو امارة الرها من اميرها فى ذلك الوقت . ويفهم من النص الذى ذكرته (أنا) ايضا ان التعهد من جانب الامبراطور لم يقتصر على بوهيموند فحسب بل امتد الى ورثة بوهيموند بشرط خضوعهم ايضا للامبراطور (٦٢٥) .

والحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر آخر على نص يؤيد ما ذكرته (أنا كومنينا) ، ولكن ذلك لا يحول دون صحة تلك الرواية اذ لا يستبعد أن يكون بوهيموند قد أراد فعلا أن يتخلص من حالة عدم الاستقرار مع بيزنطة بسبب تمسكها بحقها فى انطاكية والذى ستتمسك به باستمرار بعد ذلك مقابل افضل الشروط .

وعندما خلف تنكريد بوهيموند فى حكم انطاكية يبدو انه لم ينفذ ما تعهد به بوهيموند للامبراطور الكسيوس مما ادى الى تجدد الخلاف بينهما . ويدلنا على ذلك ما حدث عند عودة بلدوين دى بورج من الأسر ، اذ رفض تنكريد اعطاءه امارته ، مما تسبب فى قيام النزاع بين الجانبين . هنا يشير ابن الفرات الى انه بعد أن استنجد بلدوين بجسولين كما مر بنا لجأ الأخير الى جوسلين صاحب تل باشر « وكان بين جوسلين الفرنجى

---

(٦٢٣) اشار جروسيه الى ذلك الاتفاق تحت اسم معاهدة Deabolis وذكر انها كانت بين الامبراطور الكسيوس وبوهيموند ١١٠٨م عندما كان الاخير سجينا لديه .

Grousset : Hist. des Crois.. V. 2, p. 89 من (Chalandon)

اما برويبه فقد اشار الى ذلك الاتفاق بقوله (كل ما وعد به بوهيموند الامبراطور الكسيوس عند هزيمته فى البلقان سنة ١١٠٨م . (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325) كذلك اشار ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة العريني ص ٦٣ (القاهرة ١٩٦٠) بان ذلك كان بعد هزيمة بوهيموند فى دورازو .

(٦٢٤) Anna Comnena : Op. Cit., p.p. 355-356.

الصعوبة الوحيدة هنا أن (أنا) لم تحدد التاريخ الخاص بهذا الاتفاق

(٦٢٥) Anna : Ibid., p. 356.

وطنكريد حروب كثيرة وعداوة .. وكان طنكريد اقوى بانطاكية وجوسلين اضعف بقلة ملكه وماله ، ولما راى جوسلين ان لا طاقة له بطنكريد اوصى لمن يحفظ البلاد وشحن الحصون وسار الى ملك الروم فطرح نفسه بين يديه وطلب منه المساعدة فاطلق له خمسة عشر الف دينارا وغادر من عنده (٦٢٦) » . وهذا النص نستشف منه : ان أولى الأمر فى الرها لم يكن لديهم علم بما تم بين الامبراطور وبوهيموند ، فضلا عن ان الامبراطور عندما وجد ان تنكريد غير موافق على ما تعهد بوهيموند به أراد ان يكسب حكام الرها الى جانبه ضد تنكريد وبذلك لم يتأخر فى تقديم المساعدة اليهم كفاتحة لتوطيد العلاقات بين الجانبين .

وثمة دليل آخر على عدم تنفيذ تنكريد لأتفاق الكسيوس — بوهيموند هو ان آنا كومنينا نفسها تعود وتذكر أن سفارة اتجهت من بيزنطة الى بيت المقدس لتطلب من الملك بلدوين الاول عقد تحالف مع الامبراطور ضد تنكريد فى مقابل مبلغ من المال تقدمه الامبراطور ، ولما رفض الملك ذلك العرض خاطب الرسل جوسلين دى كورتناى — الذى كان بالقدس عندئذ — فى نفس الأمر فرفض هو الآخر (٦٢٧) . ومعنى هذا ان الرها عندما اتضح لها الهدف الحقيقى للامبراطور من وراء كسبه ودها ، وانه يرمى الى وضعها الى جانبه ضد شقيقتها الصليبية رفضت ذلك بشدة .

وهكذا كان العداء بين الصليبيين والبيزنطيين على اشده حتى أن الامبراطور نفسه لم يلبث ان ارسل يحرض سلطان السلاجقة محمد بن ملكشاه ضد الفرنج ٥٠٤هـ — (١١١٠م) وقد اورد كل من ابن القلانسى وابن الاثير اخبار تلك السفارة (٦٢٨) والتى سبق ان اشرنا اليها بالتفصيل عند تناول العلاقات بين الرها وسلاجقة فارس فى تلك السنة .

وعندما خلف الامبراطور حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م (٦٢٩) ٥١٢ — ٥٣٨هـ) الامبراطور الكسيوس الاول كانت أهم آمال الامبراطور

---

(٦٢٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ١ مخطوط ، ص ٢٥ (أ) ، (ب) .

(٦٢٧) اوردنا النص مع الملاحق Anna Comnena : Op. Cit., p. 367.

(٦٢٨) ابن القلانسى : الذيل - ص ١٣٧ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٦٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon)

الجديدة هى « اعادة تاسيس القوة البيزنطية فى وادى الفرات وبدا مصمما على التدخل فى شئون مملكة بيت المقدس، ووادى الفرات (٦٣٠)» هذا يعنى ان امارة الرها نفسها كانت محط اطماع ذلك الامبراطور .

على أن العلاقات البيزنطية الصليبية دخلت مرحلة جديدة منذ ١١٣٧م — (٥٣١هـ) ففى تلك السنة توجه الامبراطور حنا كومنين الى كل من قيليقية والشام لتاكيد حقوق الامبراطورية فى كل من الاقليمين . ذلك أنه اعتبر اعطاء امارة انطاكية لريموند دى بواتيه من طريق زواجه بكنستانس ابنة بوهيموند الثانى دون الرجوع الى القسطنطينية فى ذلك الأمر خرقا لليمين الذى اقسمه الصليبيون فى القسطنطينية لوالده الامبراطور الكسيوس (٦٣١) . هذا فضلا عن حقده على أمراء أرمينيا الصغرى فى قيليقية لخروجهم عن طاعة الامبراطورية البيزنطية (٦٣٢) .

والواقع ان امراء انطاكية وقيليقية لم يكونوا يجهلون ذلك الشعور وموقف الامبراطور البيزنطى من كل من الجانبين (٦٣٣) .

وقد رأينا ما كان من خلاف بين كل من ليون الأول أمير أرمينيا الصغرى وريموند الثانى امير انطاكية وكيف تدخل جوسلين الثانى بينهما ١١٣٧م حتى تم الصلح بينهما وعندئذ « تحالف الطرفان ضد الامبراطور حنا كومنين (٦٣٤) » . وكان ان الحق ليو قواته العسكرية بالقوات الانطاكية للقيام بعمل مشترك ضد الامبراطور البيزنطى (٦٣٥) .

أما الأسباب التى حركت الامبراطور ضد ارمينيا الصغرى وانطاكية فى تلك السنة بالذات فاهمها الخلاف الذى سبق ان اشرنا اليه بين ملك

---

(٦٢٩) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204
اسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ٢٩٧ ، هنا يكنيه الكاهن جريجوار (Parphyrogénète) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

(٦٣٠) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 66.

(٦٣١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٣٢) Grégoire Le Prêtre : Ibid, p. 152.

(٦٣٣) Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 174.

(٦٣٤) Jacques de Morgan : Ibid., p. 172, Tournebize : Ibid p. 173-4.

(٦٣٥) (Cinnamus) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

ارمينيا وأمير انطاكية وبالرغم من عقد الصلح والتحالف بين الطرفين فان الامبراطور تقدم الى قيليقية واستطاع أن يستولى على غالبيتها ويأسر ليون نفسه (٦٣٦) . كذلك عندما اشتد حصار زنكى لبارين ١١٣٧م (٥٣١هـ) « سار من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ... الى بلاد الفرنج والروم يستجدونها »(٦٣٧) . بل قيل ان القساوسة والرهبان هم الذين سارعوا بطلب النجدة من بلاد الروم والفرنج « فحشدت النصرانية وجمعت وقصدوا الشام مع ملك القسطنطينية (٦٣٨) .

ولكن يبدو ان الامبراطور لم يستطع القيام باى عمل ايجابى تجاه الصليبيين المحاصرين فى بارين بدليل ما ذكر من انه عند رجوع الأمير ريموند الثانى أمير انطاكية الى امارته وجدها محاصرة بواسطة الامبراطور البيزنطى (٦٣٩) .وعندئذ طالب الامبراطور ريموند بان يتخلى له عن انطاكية، وفى النهاية اصبح أهالى انطاكية انفسهم حكما بين الطرفين (٦٤٠) ، وتم الاتفاق على أنه فى مقابل دخول انطاكية تحت نفوذ الامبراطور يساعد الأخير الصليبيين فى الاستيلاء على بعض المدن التى ما زالت خاضعة للمسلمين فى الشام مثل حلب وحمص وحماه وشيزر وان تصبح تلك المدن عندئذ تحت تصرف أمير انطاكية (٦٤١) . وهو ما يعرف بالحلف الفرنجى

---

(٦٣٦) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204, Grégoire : Ibid., p. 152. هنا يسمى ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٢ الامبراطور حنسا (كاليانى) أما ليون فيسميه لاون بن روبال .

(٦٣٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦٣٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٦٣٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 325.

(٦٤٠) Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101.

(٦٤١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Bréhier : Ibid. p. 101. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147. Jean Richard : Op. Cit., p. 45,
يوسف الدبس : تاريخ سورية حـ ٦ ص ٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٨٤ .

البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفضيل فى البـاب القـادم . وكل ما يهمنـا هنـا هو ابراز العلاقات الرهوية البيزنطية من خـلال هـذا الحـلف خاصـة منذ ١١٣٨م — (٥٣٢هـ) عندمـا بـدأ يدخـل فى دور التنفيذ العملى .

ذلك أن الامبراطور ارسـل فى تلك السنة رسله لدعوة الأمير ريموند والأمير جوسـلين الثـانى وأمراء آخرين للسير مـعه لحرب المسلمين، وبالفعـل جنـد الأميـران القوات من كـل مناطـق نفوذهمـا وتبعوا الامبراطور (٦٤٢) . وتقـدم الامبراطور ومعـه ريمونـد وجوسـلين الثـانى الى حلب ولكن بعـد قتال شـديد لم يستطع الفرنج والبيزنطيون الاستيلاء عليها (٦٤٣) . وكان أن توجـه الجيش المسيحى الى شيزر ، وهنـاك دارت بين المسلمين والصليبيين وحلفائهم البيزنطيين معركـة حاميـة ، تحمـل الامبراطور فيهـا الجـزء الأكبر من عبء المعركـة فى الجبهـة المسيحية ، بينما لم يبذل كل من جوسـلين الثانى وريموند جهـدا ايجابيـا ملحوظـا فى الحصـار (٦٤٤) . وعندئـذ اضـطر الامبراطور الى رفـع حصـاره عن شيزر لاسباب سنتناولها بالتفصيل فيما بعـد من بينها الموقف غير الايجابى لأميرى الرهـا وانطاكية .

ثم انسحب الأمبراطور والأميران الصليبيان الى انطاكية ، وهنـاك طلب الامبراطور من أمير انطاكيـة ان يسلم قلعة المدينـة اليـه تنفيذا لوعـده (٦٤٥) ، وقـال له « انجز وعدك وكن مطيعا واظهر ولاءك واعمل واجبك وسيكون على سمونا الامبراطورى أن ننفـذ الالتزامات

---

(٦٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(٦٤٣) Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset: L'Epopée, p. 155, Zoé : Op. Cit., p. 328,
ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية، حـ ٦ ص ٦٤ .

(٦٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 95. Bréhier : L'Eglise...p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Zoé : Op. Cit., p. 328, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(٦٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٨ J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 362. Grousset : L'Epopée, p. 157, Zoé : Op. Cit., p. 329.

الباقيـة علينـا (٦٤٦) » . وعندئـذ تدخل جوسـلين الثـانى لينقذ الموقف فرد على الامبراطور قائلا : « سيدى ان كلمات سموك الامبراطورى مشحونة بالفصـاحة الرائعة وجديرة بكل استحسان ، لاننـا نرى انها تستهدف زيادة قوتنا ككل ، ولكن ثمة أمر جـدير بالأعتبار هو ان طلبك ليس رهينا بموافقة امير انطاكيـة وحـده ، وانما يجب استطلاع آراء نبلائـه ورأيى ورأى رعايـاه المخلصـين ولـذا يجب اعطـاءه مهلـة للتفكير (٦٤٧) » .

وبالفعل لاقت تلك الأجابة استحسانا من الامبراطور وترك لهم فترة قصيرة للتفكير فى الأمر .

وعندئـذ اتصـل جوسـلين سرا عن طريق بعض اعوانـه بالناس ليخبرهم بمطالب الامبراطور ويستثيرهم ويحضهم على التسلح والثورة ولـم تلبث ان شبت ثـورة فى المدينـة وانطلقت الجمـاهير تصـيح فى شوارعها (٦٤٨) . « وعندئذ أسرع جوسـلين على فرسـه الى القصر كما لو كـانت الجماهير تطـارده ثم القى بنفسـه لاهثـا عند أقـدام الامبراطور فتعجب الامبراطور من دخوله المفاجىء وسـأله بقلق لـماذا يفعل هـذا على عكس قواعـد التشريفات والسـلوك . فاجاب الأمير بأن الضروريات تبيح المحظورات . وان الثورة الجماهريـة ارغمته ان يخالف القواعـد المـألوفة كى يتحاشى خطر الموت على يـد الجمـاهير الغاضبة (٦٤٩) » .

ولم تلبث ان ترامت الى مسـامع الامبراطور صـيحات الجمـاهير « الويل لأنطاكية فقد بيعت للروم (٦٥٠) » . وهاجم الثوار أفراد أسرة الامبراطور ونهبوهم وضربوهم ووضـعوا السيف فى كل من ابدى ايـة مقاومة (٦٥١) . مما جعل الامبراطور يقرر الرحيل عن انطاكية (٦٥٢) .

---

(٦٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 98.

(٦٤٧) William : Ibid, V. 2 p.p. 98 — 99.

(٦٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 99, Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Prewer : Op. Cit., T. 1, p. 327, Grousset : L'Eppoée, p. 157.

(٦٤٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 99.

(٦٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ، ص ٦٥ .

(٦٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100.

(٦٥٢) William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 2, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 363, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327. سعيد عاشور : الحركة حـ ١ ص ٥٨٩ (عن وليم الصورى) .

وبعد مضى أربع سنوات عاد الامبراطور حنا كومنين للظهور من جديد فى شمال الشام كى يطالب بانطاكية مرة اخرى ولكن قبل ان يتوجه اليها بدأ أولا بامارة الرها ، كى يضمن جانب جوسلين الثانى لأنه لم يخف عليه ما دبره جوسلين من حيلة لاجلائه عن انطاكية ١١٣٨ . لذا ظهر الامبراطور فجاة أمام تل باشر ١١٤٢م — (٥٣٧هـ) وطلب من جوسلين رهائن مما اثار دهشة الأخير لوصول الامبراطور المفاجيء ولكنه ازاء قوة الامبراطور البيزنطى وجيشه الذى لا يضاهى والذى لا يمكن لأى مملكة أن تصمد أمامه بادر بتقديم ابنته (ايزابيلا — Isabella) كرهينة للامبراطور (٦٥٣) . وهكذا فان جوسلين الثانى الذى انتصر على الامبراطور بالخديعة والحيلة منذ أربع سنوات مضت ، وجد نفسه فى هذه المرة عاجزاً ضعيفا فسلم للامبراطور بعض الرهائن التى اكدت طاعته له (٦٥٤) .

وعند عودة الامبراطور حنا كومنين من انطاكية ١١٤٣م (٥٣٧هـ) توفى بأذنه (٦٥٥) . فخلفه ابنه مانويل الأول (١١٤٣ — ١١٨٠م) (٦٥٦) . وفى بداية حكم مانويل سقطت الرها فى يد زنكى ١١٤٤م كما سنرى .

والواقع ان الشاعر الأرمنى الكبير نيرسيس عندما رثى الرها عند سقوطها على يد زنكى ، طلب من القسطنطينية على لسان مدينة الرها ايضا ، المعونة والثار من المسلمين مما يبين أن بيزنطة لم تقف موقفا متعاطفا مع الرها فى محنتها فهو يقول :

اليك اتوسل : عبثى

توانك العاتية

واطعنى الأعداء فى صميمهم ثاراً وانتقاما (٦٥٧) .

لكن اذا كانت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين قد ادت فى النهاية الى ضياع امارة الرها من أيدى الصليبيين فان ذلك لم يمنع بيزنطة من التفكير مع بقية العالم المسيحى الغربى فى استعادة الرها مرة

---

(٦٥٣) William : Op. Ci., p. 124, Grousset : His. des Crois.. V. 2, p. 146, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 445, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 361 (1936).

(٦٥٤) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 335.

(٦٥٥) ابو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٨ .

(٦٥٦) أسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢٩٧ .

(٦٥٧) Nersès : Op. Cit., p. 230

أخرى وردهـا الى حظيرة الحكم المسـيحى . ففى اغسـطس ١١٤٦م (٥٤١هـ) أرسل الامبراطور مانويل خطابا الى البابا (٦٥٨) ، ردا على خطـاب كان قـد ارسـله الى الامبراطور واخبره فيـه ان ملك فرنسـا سيتوجـه على رأس حملة للانتقـام للكنائس المقدسـة وليعوض كارثة الرهـا . فقـد ابتهج مانويل لهـذا المسعى من أجل صـالح المسيحيين ولتحطيم المسلمين . وقـد رد بأنه مستعد لتسهيل مرور الجيش الصليبى وتجهيزه بالمؤن ولكنه طالب فى مقابل ذلك ولاء الصليبيين كما حـدث فى عهـد جـده الكسيوس كومنين ورغب فى أن يجتهد البابا فى تنفيذ ذلك المطلب (٦٥٩) .

ومعنى هـذا أن الامبراطور مانويل كانت لديه الرغبة فى المسـاعدة على استعادة الرهـا ولكن فى مقابل الحصـول على ولاء الصليبيين له . وربما فضـل مانويل ان تعود الرهـا الى قبضـة الصـليبيين خير من بقائها فى يد المسلمين . فعند عودتها الى المسيحيين يصبح من السهل على الامبراطور فرض سلطانه على شمال الشـام من جـديد ولو بطريقة اسـمية .

والحقيقة انه عثر على خطابين للامبراطور مانويل ارسلهما الى البابا ايوجين الثالث (٦٦٠) . بعـد سقوط الرهـا مباشرة ولكننا سنرجىء دراسـة هذين الخطابين بالتفصيل الى الباب القـادم عند دراسـة ردود الفعل بالنسبة لسقوط الرهـا .

---

(٦٥٨) كان البابا حينئذ هو ايوجين الثالث ، — Eugène III
١١٤٥ — ١١٥٣م اسد رستم : الروم ، حـ ٢ ص ٢١٠ .

(٦٥٩) V. Grümel : Deux Lettres de Manuel Comnéne au pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 144.

(٦٦٠) V. Grumel : Ibid., p. 146.

الباب الثالث

نهـايـة امـارة الرهـا

جهود زنكى فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية :

ينتسب عماد الدين زنكى الى بنى زنكى الذين يعرفهم أبو المحاسن بأنهم « أواسط الدول (١) » عرف أبوه « بالحاجب قسيم الدولة آقسنقر التركى (٢) » . وعندما قتل قسيم الدولة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لم يخلف من الأولاد الا ولدا واحدا هو عماد الدين الذى كان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه مماليك والده واصحابه (٣) . ولما تخلص الأمير كربوقا من سجن حمص بعد مقتل تاج الدولة تتش صاحب دمشق وحلب ٤٨٩هـ (١٠٩٦م) توجه الى حران واجتمع اليه جماعة وملك نصيبين ثم الموصل وماردين وعظم شأنه . ثم احضر مماليك الأمير قسيم الدولة آقسنقر وأمرهم باحضار الامير عماد الدين زنكى وقال « هو ابن اخى وانا اولى الناس به فاحضروه عنده فاقطعهم

---

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٩ فهو يذكر « بنو زكى هم أواسط الدول فان أول من ملك مع الخلفاء وتلقب بالسلطان والألقاب العظيمة بنوبوية ، ثم انشا بنوبوية بنى سلجوق . وانشأ بنو سلجوق بنى ارتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء . ثم انشأ بنو زنكى (اعنى الملك العادل نور الدين محمود الشهيد) بنى ايوب سلاطين مصر وغيرها . ثم انشأ بنو أيوب المماليك ودول الترك » .

(٢) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ ، ابن أيبك كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٤٩٩ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ١ ص ٧٠ (أ) هنا يضيف ابن الفرات ان قسيم الدولة سمى بذلك لانه كان مملوكا للسلطان العادل عضد الدولة الب ارسلان بن داود ميكائيل بن سلجوق ، تربى مع ولده السلطان العادل جلال الدولة ابى الفتح ملكشاه واستمر فى صحبته الى حين كبر وافضاء اليه فجعله من أعيان دولته واكابر امرائه واخص اوليائه واعتمد عليه فى أموره كلها وعلت رتبته ومنزلته. السبب ان لقب قسيم الدولة : ابن الفرات : حـ ١ ص ٧٠ أ ، ب .

(٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ١ ص ٧٠ (ب) .

الاقطاعات السنية (٤) » ... واقام الامير عماد الدين زنكى فى صحبة الامير كربوقا الى ان توفى ... وعندما تولى جكرمش الموصل — وهو احد مماليك السلطان جلال الدولة ملكشاه — قرب عماد الدين اليه الى ان توفى ٥٠٠هـ (١١٠٦م) ثم ولى بعده الامير جاولى سقاووا ، فاتصل به الأمير عماد الدين . ولما تولى الأمير مودود الموصل من قبل السلطان محمد بن السلطان جلال الدولة ملكشاه صحبة الأمير عماد الدين وحضر معه حروبه الى أن قتل مودود ٥٠٧هـ (١١١٣م) فعاد عماد الدين الى الموصل (٥) . فلما أمر السلطان محمد البرسقى بالخروج للجهاد وكتب الى عساكر الموصل بالخروج معه ، ساروا وفيهم عماد الدين فابلى فى هذه الحرب بلاء حسنا وعادت العساكر تتحدث بما فعله وما ظهر له من الشجاعة (٦) . وفى ٥١٦هـ (١١٢٢م) اقطع مدينة واسط وولى شحنكية البصرة (٧) . ثم ولى شحنكية بغداد ٥٢١هـ (٨) (١١٢٧م) ثم ولى الموصل — كما مر بنا — هذا الى جانب ديار الجزيرة . ومن الموصل سار الى جزيرة ابن عمر فاستولى عليها ثم ضم اليه أيضا نصيبين وسنجار والخابور وحران ثم حلب وحماه (٩) ، وكلها اماكن كانت بايدى المسلمين . ثم بدأ بعد ذلك يسترجع ما كان الفرنج قد استولوا عليه

---

(٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ — ١٦ ، ابن الفرات المصدر السابق ص ٧٠ (ب) .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦ — ١٧ — ١٩ ، ابن الفرات المصدر السابق والصفحة .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ١٩ — ٢٠ . ويبدو أن اتابك زنكى حارب مع القادة المسلمين ضد الفرنج فى الشام فى سنتى ٥١٣، ٥١٥هـ (١١١٩م ، ١١٢١م) بدليل ماذكره ابن أيبك انه فى ٥١٣هـ كسر اتابك الفرنج على جبل السماق كسرة عظيمة (ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦، ص ٤٨٢) وفى ٥١٥هـ كسر اتابك الفرنج على تل حورى . (نفس المصدر ص ٤٨٨) .

(٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٤ . والشحنة لفظ فارسى معناه : محافظ المدينة ، نائب الملك ، رئيس البوليس . والمقصود هنا من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان .

(٨) المصدر السابق ص ٢٨ — ٣١ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١١٢ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٦ — ٣٧ ، الكامل حـ ٨ ص ٣٢٥ .

من بلاد وهو ما سنتناوله بالتفصيل . ويلخص الذهبى صفات زنكى فى قوله « كان فارسا شجاعا ميمون النقيبة ، شديد البأس ، قوى المراس ، عظيم الهيبة ، فيه ظلم وزعارة (١٠) » . وأيده الأصفهانى فى ذلك بوصفه انه « كان جبارا عسوفا ، نمرى الخلق أسدى الحنق ، لا ينكر العنف ولا يعرف العرف (١١) » .

وقبل الحديث عن جهود زنكى فى مواجهة الصليبيين نود ان ننقل تلك الصورة المعبرة عن الموقف بين المسلمين والفرنج عند تولى عماد الدين حكم الموصل فقد قال ابن الاثير : « لما ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم واشتد بطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف أهلها من كف عاديتهم ، وتتابعت غزواتهم ، وساموا المسلمين سوء العذاب وركبوهم بالتبار والتباب ، واستطار فى البلاد شرر شرهم ، وعم أهلها شديد حيفهم وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكدرة ، وسماء عزهم منفطرة وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة ، وانصارهم على أهل الايمان منصورة .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص ، وحماه ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد . ومن ديار الجزيرة الى نصيبين وراس العين فاستاصلوا ما لأهلها من اثاث وعين (١٢) » .

والواقع ان زنكى اختار ان يبدأ بأسلوب المهادنة مع امارة الرهاالصليبية بدلا من اسلوب القوة . ففى ٥٢١هـ (١١٢٧م) ارسل الأتابك زنكى الى جوسلين امير الرها فهادنه مدة يسيرة (١٣) ، أو بمعنى آخر دخل معه فى علاقة ود وصداقة حتى أن زنكى عندما أراد أن يرتبط ببوهيموند أمير انطاكية ، استخدم فى تلك المفاوضات جوسلين وسيطا (١٤) . وكان غرض زنكى من وراء تلك الهدنة مع امارة

---

(١٠) الذهبى : العبر ، جـ ٤ ص ١١٢ . (الزعارة هى شراسة الخلق).

(١١) الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٦ .

(١٢) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٢ — ٣٣ . (التبار والتباب أى الهلاك والخسران) .

(١٣) ابن الاثير : الباهر ص ٣٧ ، الكامل جـ ٨ ص ٣٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٢٢٤ .

(١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 148.

الرهــا هو التفرغ للاستيلاء على ما بقى له من البلاد الشامية والجزرية واصــلاح شــأنها والفراغ من اقطــاع بلادهــا لجند يختبرهم ويعرف شجاعتهم (١٥) .

ولمــا فرغ زنكى من ضم حلب سنة ٥٢٢هـ (١٦) (١١٢٨م) واعمالها « عاد الى الموصــل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ، ثم أمرهم للغزاة فتجهزوا واعــدوا واستعدوا وعاد الى الشــام وقصــد حلب (١٧) ». وكــان ان عزم على الاستيلاء على حصن الأثارب ، اذ كان ذلك الحصن شــديد الضرر على اهل حلب فقــد اجتمع فيه عــدد كبير من فرســان الفرنج الشجعان وكان « من المســلمين فى نحورهم (١٨) » . وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربيــة « حتى على رحا لأهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق (١٩) » . لذلك ســار زنكى الى الحصن ونازلــه فلما علم الفرنــج بذلك توجهوا لملاقاته فى كامل استعدادهم وكان ذلك ٥٢٤هـ (٢٠) ربيع ١١٣٠م .

---

(١٥) ابن الاثيــر : البــاهر ص ٣٧ ، الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٥ : ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٤ .

(١٦) (ابن الاثير : البــاهر ص ٣٨ ، الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٢٦) ويذكر (ستون) من جهب أن ذلك كان فى يناير ١١٢٨م

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 429.)

(١٧) ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابو الفــدا : المختصر فى اخبار البشر،حـ ٣ ص ٣ ، العينى : عقد الجمان،١٦م ١ ص ٢٥ — ٢٦ .

(١٨) ابن الاثير : البــاهر ص ٣٩ .

(١٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (أ ، ب) ابو الفــدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، النويرى : نهــاية الأرب حـ ٢٥ ، مخطوط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، أحداث ٥١٣هـ العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٠) ابن الاثير : الكــامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، البــاهر ص ٣٩ ، ابن الفرات : المصدر الســابق حـ ٣ ص ١٣ (أ) ، ابو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين : ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب الســابع ٥٢٤هـ ، ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٥ ،

Setton : Op .Cit., V. 1, p. 421.

وبالرغم من اجماع كل تلك المصادر على أن ذلك كان ٥٢٤هـ ١١٣٠م . نجــد بعض المصــادر اشــارت الى أن ذلك كــان سنة ٥٢٣هـ مثل :

=

والحقيقة أن الفرنج عندما علموا بتقدم زنكى لقتالهم انقسموا ا
فريقين على رأى ابن الاثير ، فالبعض هونوا أمره والبعض طالبوا بات
اقصى الاستعدادات لملاقاته (٢١) وبالفعل توجهوا اليه فى قوة كبيرة ب
ذلك فقد اهتموا حينئذ « بجميع الفرسان والأجناد واحضروا من
أطراف البلاد وجمعوا الدانى والقاصى والمطيع والعاصى واقبلوا
جموعهم المحشورة وعساكرهم المجرورة ، واعلامهم المنشورة وصلبا
وبنودهم وملوكهم وكنودهم (٢٢) » .

ويبدو أن جند زنكى واصحابه تخوفوا من مقابلة ذلك الجمع
الاعداء (٢٣) فقد ذكروا له « ان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لايدر
على اى شىء تكون العاقبة » . ولكنه لم يستجب لهم وقال
ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من بين ايديهم طمعوا وسار
فى اثرنا وخربوا بلادنا ولابد من لقائهم على كل حال (٢٤) . لذ
ترك زنكى الحصن وسار لملاقاة الفرنج (٢٥) . وعندما التقى الجم
نصر الله المسلمين وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسا
فى الأسر (٢٦) .

=
النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط حـ ٢٥ ورقة ٢٥ . وروض المناظ
مخطوط احداث ٥٢٣هـ . فى حين ذكر ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ
ص ٢٧ أن ذلك كان فى صفر ٥٣٣هـ .

(٢١) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٢٢) ابن الاثير : الباهر ص ٤٠ . اما تفسير كلمة كنودهم فتذ
حاشية لمحقق الباهر ص ٤١ أن كلمة امير الفرنسية Comte عر
العرب الى (كند) ، (كند) ، (قند) .

(٢٣) ...tton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٢٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخط
حـ ٣ ، ص ١٣ (ب) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٢٥) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : المصـ
السابق حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : المصدر السابق نفس الصفح
ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٤ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ
ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ .

(٢٦) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : نف
المصدر والصفحة ، العينى : نفس المصدر والصفحة ، ابو شـام
الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥ مخط
ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥٢٣هـ .

وتقدم زنكى الى جنده طالبا منهم « الاثخان فى القتل (٢٧) » . قائلا ان هـذا اول مصـاف عملناه معهم فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ذلك (٢٨) » فلم ينـج من المعركـة الا من هرب اثنـاء الليل أو اختفى بين القتلى (٢٩) . ثم عاد زنكى الى الحصن « فامتلكه عنـوة (٣٠) » وقتلوا واسـروا كل من فيـه (٣١) ثم خربـه زنكى وجعله دكا (٣٢) .

وبعـد ذلك توجه زنكى الى حصن حارم (٣٣) . فارسل من فيـه من الفرنج اليه يطلبون الصـلح ويبذلوا له نصف دخل حـارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك (٣٤) . لان عسـكره كان قـد « كثر فيهم الجراحات

---

(٢٧) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ٢٦ .

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات ، مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٢٩) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ .

(٣٠) المصدر السـابق ص ٤٢ ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ؛ ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ١٣ (ب) ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ مخطوط ورقة ٢٥ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السـابع ٥٢٤هـ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٥٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ . النويرى : نهايـة الارب ، حـ ٢٥ ورقـة ٢٥ ، العينى : عقـد الجمان :

(٣١) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر : ٤٢ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، ابو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، النويـرى : نهايـة الارب حـ ٢٥ ورقـة ٢٥ ، العينى عقـد الجمـان : حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٢٥ ، روض المناظر ، مخطوط ، احداث ٥٢٣هـ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٤هـ ، ابو الفدا : حـ ٣ ص ٣ ، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٢٦ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٢٦ .

(٣٣) ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ٦ ص ٢٠٥ انها حصن حصين وكورة جليلة تجـاه انطاكية من اعمال حلب .

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٤٢ ، ابو شـامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابن الفرات : حـ ٣ ص ١٣ (ب) ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦ م ١ ص ٢٦ . Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

والقتل فاراد ان يستريحوا ويريحوا (٣٥) » . وعاد زنكى وقد « اشتد ازر المسلمين بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين ، وعلموا ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم فى حسبان وصار قصارى همهم حفظ ما فى ايديهم بعد أن كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع (٣٦) » .

وفى شعبان ٥٣٠هـ ابريل ١١٣٦م سارت جيوش زنكى مع الأمير اسوار نائبه بحلب فقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا اعمال اللاذقية فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا ، وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامراة وصبى ومائة الف راس من الدواب وخربوا اللاذقية وما جاورها ثم توجهوا الى شيزر فى منتصف رجب بما معهم من غنائم عظيمة (٣٧) .

وفى ١١٣٧م (٥٣١هـ) اكمل زنكى عملياته العسكرية الأولى بحملته الكبيرة ضد بارين التى كانت تقع فى امارة طرابلس الصليبية (٣٨) . ويفسر وليم الصورى قيام زنكى بتلك الحملة ضد طرابلس بانه استغل فى ذلك الوقت وضع الامارة الضعيف بعد وفاة بونز وقيام ابنه ريموند الثانى (٣٩) .

ثم سار زنكى على راس قواته واغار على حصن بارين فى شوال ٥٣١هـ (٤٠) وعندئذ ارسل ريموند أمير طرابلس الى خاله

---

(٣٥) ابن الأثير : الباهر ص ٤٢ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٧٨ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ١٣ (ب) .

(٣٧) ابن الأثير : المصدر السابق حـ ٨ ص ٣٥٣ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٣٨) يسمى ابن خلدون فى العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ حصن بارين (حصن بعدوين) وهذا غير صحيح .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

(٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 85.

(٤٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ، ص ٣٥٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٨٩ ، الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ .

ملك القدس « بتوسلات جسادة وتضرع الى فولك ان يحضر بسرعة لمساعدتهم فى وضعهم الذى يدعو الى الشفقة (٤١) » . واستجابه الملك فولك لتلك التوسلات ، فجند قواته من المشاة والفرسان وبسرعة وصل الى طرابلس (٤٢) . وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية بقولها « جمع الفرنج مارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامستهم وكنودهم الى اتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين (٤٣) » .

والواقع ان ملك القدس تلقى فى ذلك الوقت استنجادين اولهما من طرابلس ضد زنكى والثانى من انطاكية ضد الامبراطور البيزنطى حنا كومنين ولكن بعد استشارة أعوانه قرر نجدة طرابلس اولا ثم انطاكية بعد ذلك (٤٤) .

وعندما التقى زنكى بالفرنج قرب حصن بارين قام بينهما صراع شديد صمد فيه الفريقان طويلا (٤٥) لكن زنكى لجأ الى استخدام الحيلة فكمن لهم كمينا وضع فيه غالبية جنده ثم التقى بالفرنج بنفسه مع عدد قليل من رفاقه فطمعوا فيه وتبعوه فوقعوا فى الكمين (٤٦) . وانجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج (٤٧) . عندئذ اشار البعض على الملك بالانسحاب الى داخل قلعة بارين ، فاستصوب ذلك الرأى بوصفه احسن

---

(٤١) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 70.

(٤٢) William : Ibid V. 2, p. 85.

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط حـ ٣ ص ٩٠ (ب) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٢ — ٧٣ (والقمامصة جمع قمص والقومص تعريبه حرفى للفظة اللاتينية (Comes) ومعناها (الرفيق) لانه كان فى بادىء الأمر يرافق الملك فى حروبه وتنقلاته ولفظة (Comes) اللاتينية هى التى حورت فى اللغة الفرنسية الى (Comte) واعتادت المراجع العربية أن تعربها الى (كد) ، (كند) ، (قند) محقق الباهر ص ٤١ .

(٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Cahen : Op. Cit., p. 358, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 71.

(٤٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٤٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٠ (ب) .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، النويرى : نهاية الأرب : مخطوط ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

خطة عندئذ بعد ان قتل كل المشاة أو أسروا (٤٨) . لذلك احتمى بحصن بارين (٤٩) فى حين أسر أمير طرابلس هو وبعض فرسانه (٥٠) . « وغنم العسكر الاسلامى سوادهم واثقالهم وكراعهم (٥١) » . ولم يحمل اللاجئون ميرة معهم الى داخل القلعة بل حملوا فقط أسلحتهم ، وقد ادرك زنكى هذه الحقيقة ولذا عزم على تجديد الحصار لبارين ، وكان واثقا انه خلال وقت قصير سيستطيع الاستيلاء على القلعة (٥٢) . « فحصرهم ومنع منهم كل شيء حتى الأخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته (يقصد زنكى) على جنوده (٥٣) » .

وفى نفس الوقت كان الفرنج الذين فى الحصن واثقين من حصانته ، متيقنين انه لا يمكن لأحد أن ينالهم بسوء وهم به معتصمون (٥٤) . ولكن ذلك لم يمنعهم من الاتفاق على طلب النجدة من القدس والرها وانطاكية وبالفعل سار ثلاثة رسل الى تلك المناطق لطلب نجدة سريعة (٥٥) . ولم تقتصر طلب النجدة على الامارات الصليبية فى بلاد الشام فقط بل تعدتها الى بلاد الروم وبقية البلاد المسيحية (٥٦) .

---

(٤٨) William : Ibid., V. 2, p. 86.

(٤٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، الباهر ، ص ٦٠ (وهو يذكر أن ذلك كان ٥٣٤هـ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، أبو شامة : الروضتين حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى تتمة المختصر حـ ٢ ص ٤١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ،
William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 328.

(٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

(٥١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ، ص ٩١ (أ) .

(٥٢) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87.

(٥٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٥٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٠ .

(٥٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 87-88.

(٥٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج
=

أما زنكى فقد اشتد فى تضيقه الحصار على من بالقلعة حتى قلت الأقوات والذخائر لدى المحاصرين (٥٧) ، فاضطروا الى أكل خيولهم ودوابهم (٥٨) . وأخيرا طلب المحاصرون الأمان من زنكى على أن يسلموا اليه الحصن وينجوا بأنفسهم الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك (٥٩) . « وأبى الا أخذهم قهرا (٦٠) » . ولكن عندما سمع زنكى باقتراب « ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج (٦١) » . فضلا من اقتراب الجيوش التى أتت من الامارات الصليبية الثلاث الأخرى لنجدة المحاصرين (٦٢) - وافق زنكى على طلب الأمان « وترر على المحاصرين تسليم الحصن وخمسين الف دينار فوافقوا (٦٣) » .

وبمجرد خروج الملك ورفاقه عرفوا بأخبار اقتراب جيوش النجدة،

=

الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ، ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٥٧) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٥٨) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، William : Op. Cit., V. 2, p. 90

(٥٩) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ .

(٦٠) ابن الأثير : الباهر ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (أ) .

(٦٢) William ; Op. Cit., V. 2, p. 91, Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323 ,Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438. ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩١ (أ) .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ، ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى : عقد الجمان ، ١٦م ١ ص ٩٤ .

منهم وهي الجيوش التي اختلفت المصادر الاسلامية في وصفها (٦٤) . أما المصادر والمراجع الفرنجية فتتفق على انها جيوش الرها وانطاكية وبيت المقدس (٦٥) . هذا الى ان المصادر العربية والافرنجية اختلفت من جديد في موقف أولئك المسيحيين بعد أن اطلق سراحهم وبعد ان عرفوا بقرب النجدة منهم . فبعض المصادر الاسلامية اكتفى بقوله انهم « ندموا حيث لم ينفعهم الندم (٦٦) » . والبعض قال ان جيوش النجدة عندما قابلتهم « سألتهم عن حالهم فاخبروهم بتسليم الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا، عجزتم عن حفظه يوما او يومين . فحلفوا لهم اننا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حصرنا الى الآن . فلما عميت الاخبار عنا ظننا انكم قد اهملتم أمرنا وقعدتم عن نصرتنا فحقنا دماءنا بتسليم الحصن وافتدينا به ماوراءه (٦٧) » .

أما وليم الصوري فيقول ان الملك ورفاقه عندما اطلق سراحهم توجهوا جنوبيا من المرتفعات الى الحقول قرب عكا ، وهناك علم ان أميرى انطاكية والرها بالقرب منه ، فقابلهم الملك بتأثر عظيم وشكر شعورهم الأخوى وعنايتهم المفرطة (٦٨) .

وبعد استيلاء زنكى على حصن بارين سلمه الى شمس الدين لأجين

---

(٦٤) يذكر ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ (بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم) وفي الباهر ص ٦١ يقول (لقيتهم امداد النصرانية) ويذكر هذا الراى ايضا ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٧ ، وبعض المصادر تذكر (تحققوا خروج ملك الروم لنصرتهم) مثل ابن الفرات : مخطوط حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ . اما النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥. ورقة ٤٧ ، العينى . عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ فيقولوا (اجتماع الروم والفرنج) .

(٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton: Op. Cit., V. 1, p. 438.

(٦٦) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٧ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ .

(٦٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨٨ .

(٦٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 91.

فلم يزل فى يده ويد أولاده الى عهـد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى فسلم الحصن الى الأمير شمس الدين بن المقدم (٦٩) .

والواقـع ان استيلاء زنكى على بارين كان من اهم الأعمـال التى احرزها فى مواجهة الفرنج بالشـام وهو ما عقب عليه بروبيه بقوله « كان الاستيلاء على بارين نصرا اسلاميا ذا اهمية كبيرة ، لأنه أعـاد اراضى زراعية لمـدن حماه وحمص كانت معرضـة على الـدوام لخطر الهجوم الفرنجى (٧٠) » .

وفى نفس ٥٣١هـ (٧١) (١١٣٧م) استولى زنكى ايضـا على المعرة وكفر طاب وكان ذلك « فى مـدة مقامة على بارين (٧٢) » . باجمـاع معظم المصـادر الاسـلامية ، فى حين انفرد ابن ايبك بالقول أن ذلك كان « بعـد فتح بارين (٧٣) » . وقـد دفع زنكى الى أن يخطو تلك الخطوة أن الفرنج الذين بالمعرة وكفر طاب كان ضررهم عظيما على المسـلمين لتوسطهما البـلاد الاسلامية (٧٤) » . والواقع ان المصـادر الاسلامية اسهبت فى الكلام عن عدل زنكى الشـديد خاصـة مع أهل المعرة بعـد استيلائه على مدينتهم من الفرنج . وقـد صور عدله هـذا بروايتين الأولى

---

(٦٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩١ (ب) .

(٧٠) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

(٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، روض المنـاظر : مخطوط احـداث ٥٣١هـ . فى حين ينفرد ابن الأثيـر : البـاهر ص ٦١ بالقول ان ذلك كان ٥٣٤هـ أما الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ٧٥ فيقول أن ذلك كان ٥٢٩هـ ، بينما يذكر ابن قاضى شهبة : الـدر الثمين فى سيرة نور الدين ميكروفيلم الباب السـابع ٥٢٨هـ أن ذلك كان ٥٢٨هـ . ولكن المرجح أن استيلاء زنكى عليهما كان فى ٥٣١هـ.

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٧٤ ، أبو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمـة المختصـر حـ ٢ ص ٤١ ، العينى : عقـد الجمـان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب حـ ٣ ص ٨٩ .

(٧٣) ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٥ .

(٧٤) ابن الأثير : الكـامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصـل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٤ .

من ابن الأثير (٧٥) ومن اخذ عنه والثانية لابن واصل (٧٦)ومن اخذ عنه .

وفى ٥٣٢هـ صيف ١١٣٨م سار اتابك الى حصن عرقة وهو من اعمال طرابلس فحاصره وفتحه عنوه ونهب ما فيه (٧٧) . وفى المحرم ٥٣٣هـ — ٢٧ سبتمبر ١١٣٨م « فتح اتابك بزاعا بالسيف (٧٨) » . كذلك استعاد الأثارب التى كان الصليبيون والبيزنطيون قد استولوا عليها ٢١ ابريل ١١٣٨م (٧٩) . وفى ٥٣٤هـ / ١١٣٩م كانت موقعة الزيتون مع اتابك زنكى التى هزم فيها الفرنج هزيمة منكرة عظيمة وقتل منهم عشرين الف شخص على تل الثعالب (٨٠) وفى نفس السنة ايضا قتل زنكى من أهل العريش الف رجل كانوا قد اتفقوا مع الفرنج على ان يسلموهم بلاد المسلمين (٨١) .

وفى ٥٣٦هـ / ١١٤١م اغار عماد الدين زنكى على انطاكية عند جسر الحديد فهزم الفرنج هناك ثم عاد الى حلب محملا بالغنائم والسبى (٨٢) . وقيل ان الذى قام بذلك هو نائب زنكى فى حلب سيف الدين اسوار (٨٣) . وفى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م وهى السنة التى سبقت فتح الرها على يد زنكى

---

(٧٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب : حـ ٣ ص ٨٩ ، العينى عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٨٣ .

(٧٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٣ ص ٩١ (ب) ، ٩٢ (أ) .

(٧٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٧ ،
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٩
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.
Cahen : Op. Cit., p. 363, Zoé : Op. Cit., p. 329.

(٧٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Cahen : p. 363, Zoé : p. 329.

(٨٠) ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣١ .

(٨١) المصدر السابق ص ٥٣٢ .

(٨٢) العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ مخطوط ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٨٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٣٧ ، العينى : المصدر السابق ص ١٢٣ .

مباشرة استولى زنكى على « جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين (٨٤) » .

تصـــدع الحلف الفرنجي البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

يبدو من دراســـة العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين فى عصر الحروب الصليبية أن العلاقة الطيبة التى كانت تسود بينهما احيانا بدافع العـــداء للمسلمين ، كانت لا تلبث أن تتحطم على صخرة المصـــالح المتضـــاربة مما ادى فى كثير من المراحل الى اثارة الشقاق والخـــلاف بين الجـــانبين مما سهل على المسلمين التغلب عليهم جميعا وخير شـــاهد على ذلك تمكن زنكى من اسقاط امارة الرهـــا .

والحقيقة ان موضوع الحلف الفرنجي البيزنطى (٨٥) او كما يسميه البعض البيزنطى الأنطاكى (٨٦) — بحكم خطورة العـــلاقة بين الدولة البيزنطية وامارة انطاكيـــة — احتل مكانا مهما بين صفحات المصـــادر والمراجع التى تناولت دراســـة الثلاثينات والاربعينات من القرن الثـــانى عشر للميلاد ، الســـادس الهجرى ، لذا سنحاول بحثه بشيء من التفصيل للتعرف على جوانبه المختلفة .

والواقـــع ان طبيعـــة الحلف الفرنجي البيزنطى لا يمكن فهمها فهما واضحا الا فى ضوء العلاقات البيزنطية الارمينية من ناحيـــة والعـــلاقات البيزنطية الأنطاكية من ناحية أخرى . وقـــد مر بنا كيف كان البيزنطيون ناقمين على الطرفين ، اذ اعتبـــروا ان امراء آل روبان الأرمن ســـلبوا قيليقية منهم واغتصبوا حقوقهم فيها (٨٧) . هـــذا الى جـــانب انطاكية التىكانت محط اطماع البيزنطيين دائما .

ومهما يكن من أمر فاننا فى علاجنا لسقوط امارة الرهـــا نجـــد انفسنا مضطرين للوقوف والتســـاؤل عن الســـبب المبـــاشر لتحرك الامبراطور حنـــا كومنين Jean Gommène (١١١٨ — ١١٤٣م / ٥١٢ — ٥٣٨هـ) فى ســـنة ٥٣١هـ ١١٣٧م ممـــا ادى الـــى عقـــد حلـــف فرنجي بيزنطى فى تلك السنة ؟

---

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٧ .

(٨٥) Grousset : L'Empire, p. 223; Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 94.

(٨٦) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٨٧) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 88.

والواقع ان الاجابة على هذا السؤال تختلف فى المصادر العربية عنها فى المصادر والمراجع الأجنبية . فبينما تشير غالبية المصادر العربية الى ان سبب تحرك الامبراطور الى الشام ٥٣١هـ ١١٣٧م هو استنجاد الصليبيين به بسبب حصار زنكى لبارين وانه فى طريقه أخضع « ابن ليون الأرمنى » ثم توجه الى انطاكية (٨٨) . الا ان ابن القلانسى المعاصر لحملة الامبراطور هذه يظهر فى تاريخه ان الامبراطور خرج اولا واستولى على بلاد (ابن ليون) فى الوقت الذى كان زنكى موجودا بالموصل وانه عندما قدم وحوصرت بارين كان الامبراطور لايزال فى بلاد ابن ليون (٨٩) . معنى ذلك أن استنجاد الصليبيين بالامبراطور بسبب بارين كان وهو فى أرمينيا وانه لم يعد حملة بسبب بارين بالذات .

اما المصادر والمراجع الأجنبية فتذكر انه حدث فى ١١٣٧م ان انتهى الخلاف بين ريموند دى بواتيه (٩٠) ، وليو الأرمنى بوساطة جوسلين الثانى بينهما وتعهد الجانبان بالاتحاد معا ضد

(٨٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٧٦ ، ابن خلدون العبر ، ج ٥ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ . تذكر هذه المصادر : « لما مضت القسوس والرهبان الى بلاد الروم واستنفروهم على المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلته بارين ... فتجهز الروم وساروا الى انطاكية وهى لهم عنعلذ فارسوا بها منتظرين المراكب التى فيها الأثقال والسلاح فلما وصلت ساروا الى مدينة نيقية فنازلوها وحاصروها ثم صولحوا على مال يؤدى اليهم . ثم ساروا الى مدينة اذنه والمصيصة وهما لابن ليون الأرمنى فحصرهما ملك الروم وملكهما ... ثم توجه الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة » . واذا كانت كل المصادر تذكر أن خروج ملك الروم كان فى ٥٣١هـ فان العينى : عقد الجمان ، ج ١٦م ١ ص ٩١ (عن تاريخ بيبرس) يذكر أن ذلك كان ٥٣٠هـ .

(٨٩) يذكر ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ بالتواريخ « فى ذى القعدة ٥٣٠هـ وقيل أول المحرم ٥٣١هـ خرج متملك الروم من القسطنطينية . وفى شعبان ٥٣١هـ توجه عماد الدين اتابك من الموصل وقطع الفرات ووصل الى حمص . وفى شوال نزل زنكى على الحصن المعروف ببعرين لينزعه من أيدى الافرنج . وفى ذى القعدة نزل متملك الروم على انطاكية وضايقها وجرى بينه وبين صاحبها مصالحة ثم رحل عائدا الى الدروب ، فافتتح ما بقى فى يد ابن ليون الأرمنى » .

(٩٠) يسمى ميخائيل السريانى ريموند دى بواتييه (Bedawi)
Michel : Op. Cit., p. 245.
أما العينى : عقد الجمان ، ج ١٦م ١ ص ٩١ (عن العظيمى) فيسميه بيمند بن بيدنس الافرنجى) .

البيزنطيين (٩١) . وجاء هذا التحالف الجديد مهددا لمصالح الامبراطور حنا كومنين الذى كان يرغب حينئذ فى اثبات حقوقه فى كل من انطاكيــة وقيليقية (٩٢) لهذا غزا الامبراطور حنا قيليقية « وكان ممتلئا بالغضب ضــد ليون (٩٣) » . واستولى على المصيصــة وطرسوس واذنه بل واخـذ ليو نفســه اسيرا الى القسطنطينية مع زوجته وبعض اولاده (٩٤) .

ومعنى هــذا ان الامبراطور كان قــد رغب بالفعل لحملته التى قــام بها ضــد قيليقية وان تلك الحملة كانت مقصودة لذاتها ولم تكن شيئا عابرا عن للامبراطور أثناء توجهــه الى الشــام كما ذكر بريييه « ان الأمبراطور اثناء عبوره قيليقية بجيشــه الكبير استولى على طرسوس ثم ظهر امام انطاكية (٩٥) » . وعلى ذلك يكون تقدم الامبراطور حنا الى قيليقية ثم الى انطاكية ١١٣٧م ناتجا عن رغبته فى الاستيلاء على قيليقية بعــد ان علم بالفقرة الأخيرة من الصــلح بين الأمير ليو وبوهيموند الشاب ثم لرغبته ايضــا فى القصــاص من انطاكية التى شقت عصــا الطاعة منذ فترة وجيزة بسبب الصــلح الأخير ، أما موضوع بارين فقــد استجد بعــد خروجــه بالفعل .

وفى بداية ذى القعدة ٥٣١هـ ١١٣٧م ظهر الامبراطور حنا كومنين امام انطاكية . هنا تكتفى المصــادر الغربيــة بالقول بــأن الامبراطور وامير

---

(٩١) Jacques de' Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173, Issaverdens : T. II, p. 317, Cahen : Op. Cit., p .358 عن (Orderic).

(٩٢) Morgan : Op. Cit., p. 172.

(٩٣) Michel : Op. Cit., p. 245.

(٩٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Michel : Op. Cit., p. 245. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Archer. : Op. Cit., p.p. 191 -192.

وربما هــذا ما اشــار اليه ابن العديم بقوله « لمــا فتح ملك الروم بلاد لاون بن روبال دخل اليه لاون متطارحــا فقال : أنت بين الفرنج والأتراك لا يصــلح لك المقام فسيره الى القسطنطينية » (ابن العديم : الزبدة ، جـ ٢ ص ٢٦٣) .

(٩٥) Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 101.

أنطاكية « تصالحا ثم عاد ملك الروم الى بلاد بن ليون (٩٦) » ليستكمل فتحها . والواقع أن تلك الكلمات الموجزة فى المصادر العربية هى نفسها التى تشير الى الحلف الفرنجى البيزنطى الذى نقصده ، والذى تناولته المصادر والمراجع الأجنبية بالتفصيل . ذلك انه حدث فى اغسطس (٩٧) ١١٣٧م ان ظهر الامبراطور حنا كومنين أمام انطاكية وحاصرها وطالب بأخذها (٩٨) وعندئذ أسرع أمير انطاكية بارسال بعض المبعوثين الى ملك بيت المقدس ليستشيره فى الموقف . وقد رد الملك بأنه لا يمكن اغفال حقوق بيزنطة فى انطاكية (٩٩) . عندئذ دارت مفاوضات بين الجانبين البيزنطى والانطاكى وهى المفاوضات التى يذكر (بريبه) أن اهالى انطاكية مثلوا فيها دور الحكم (١٠٠) . لذا وافق ريموند على اعلان ولائه وتبعيته للامبراطور (١٠١) وتم الاتفاق

---

(٩٦) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ﺣ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ﺣ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الأرب ، ﺣ ٢٥ ورقة٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ﺣ ٢ ص ٢٦٣، ابن الفرات : مخطوط ، ﺣ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، ﺣ ٥ ص ٢٣٣ العينى : عقد الجمان ، ﺣ ١٦م ١ ص ٩١ من (العظيمى) .

(٩٧) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(٩٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Michel : Op. Cit., p. 245.
Bréhier : L'Eglise., p. 101, Setton : Op. Cit., V. 1, p 439.
Zoé : Op. Cit., p. 327.

(٩٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 95-96 عن (Ordric Vital). Zoé : Op. Cit., p. 327.

(١٠٠) Bréhier : Op. Cit., p. 101.

(١٠١) حاشية عن Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153.
(Cinnamus) Bréhier : Op. Cit., p. 101, Ostrogorsky : Op. Cite., p. 336.
عن (Chalandon) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 97.
هنا يذكر بريبه وجروسية أن اعلان ريموند الولاء للامبراطور (كان فى معسكر الامبراطور نفسه) ويؤيدهما ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٣، الذى يذكر « خرج ريموند صاحب انطاكية الى متملك الروم وهو مخيم فى عسكره بمرج الديباج وقرر معه الهدنة والموادعة وعاد الى انطاكية » . ومرج الديباج « هو واد بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال » (ياقوت : معجم البلدان ، ﺣ ١٧ ص ١٠١) .

على « ان يساعد الامبراطور في الاستيلاء على حلب وشيزر وحمص وحماه وان يمنح تلك المدن لريموند كاقطاع له يحكمه من قبل الامبراطور وفى مقابل ذلك يستعيد الامبراطور انطاكية (١٠٢) » وقد وعد الامبراطور ببدء الحرب ضد المسلمين ١١٣٨م لاستعادة تلك البلدان المشار اليها (١٠٣) . ولم يقتصر الحلف او الاتفاق على النواحي السياسية فقط بل تعداه الى ناحية دينية مهمة وهي ان الامبراطور شرط فيه « ان يصبح بطريرك انطاكية من الآن مساعدا بيزنطي ارثوذكسي (١٠٤) » وقد انفرد ابن القلانسي بين المصادر العربية بالاشارة الى هذا الشرط (١٠٥) . والواقع ان ذلك الجانب الديني من الحلف هو الذي جعل جروسية يعقب عليه بقوله « ان ذلك التنازل — من جانب الصليبيين — لم يصبح لسياسيا فقط بل دينيا ايضا . فقد كانت كل خطوة في الغزو البيزنطي لهذا الاقليم تعتبر نصرا للكنيسة البيزنطية على حساب الكنيسة الارمينية (١٠٦) » .

وفى ذى الحجة ٥٣١هـ (١٠٧) — سبتمبر ١١٣٧م (١٠٨) غادر الامبراطور انطاكية واكتفى برفع الراية الامبراطورية عليها (١٠٩) وتوجه الى « بغراس ومنها الى بلاد ابن ليون (١١٠) » .

---

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Brhier : L'Eglise, p. 101, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147; Jean Richard Op. Cit., p. 45, Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

(١٠٥) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٣ .

(١٠٦) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 147.

(١٠٧) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٣ .

(١٠٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

(١٠٩) Bréhier : L'Eglise... p. 101, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336.

(١١٠) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٦ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن الفرات مخطوط ، حـ ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٥ .
والغريب ان هذه المصادر تذكر ان ابن ليون صالح الامبراطور بالاموال
=

على أسيـابين العودة كما ذكرنا لتنفيذ ما اتفق عليه .

ولكن قبل ان ننتقل الى الكلام عن التنفيذ العملي لنص الحلف الفرنجي البيزنطي نود ان نشير الى ان بعض المصـادر العربية المعاصرة للحلف اشـارت الى انه كانت هناك مراسـلات بين الامبراطور وزنكي بعـد اتمام عقـد ذلك الحلف ، فقـد انفـذ الامبراطور رسـولا الى زنكى في الثـانى والعشرين من ذى الحجـة ٥٣١هـ (١١١) ، فرد زنكى على تلك السفارة بسفارة اخرى معها « هديـة الى ملك الروم فهود وبزاة وصقور (١١٢) » ، فعـاد اليه رسـوله ومعه « رسول من قبل ملك الروم اخبره انـه يحـاصر بـلاد لاون (١١٣) » . فماذا كان يقصـد الامبراطور من وراء تلك السفارة ؟ هل كـان يسـتهدف التمويـه على ماتمت عليه شروط الحلف الفرنجي البيزنطى ، كي يبعـد عن الحلفـاء شكوك زنكى وبالتالى تهديداته وبذلك تتـاح الفرصـة لتنفيذ الاتفاق ؛ وربما كان الأمر كذلك وربما استهدف الامبراطور من وراء ذلك كسب زنكى الى جـانبه حتى اذا شعر بنوايا غير طيبة من جهة الصـليبيين تجاهه ؛ ضم زنكى الى جـانبه فيصبح الأخير سندا له لطعن الصـليبيين من وراء ظهورهم ، وذلك لتقـارب المصـلحة البيزنطية الاسلامية .

ومهما يكن من امر ، فانه بعـد ان لمضى الامبراطور شهور الشتاء في قيليقيـة تقـدم الى الشـام بجيوشـه في ربيـع ١١٣٨م (١١٤) (٥٣٢هـ) ، فلقـد اراد ان يمـارس حقوقـه الخاصـة بنفوذه على

=

وادخـل في طاعتـه . ولكن الحقيقـة كما ذكرت المصـادر الارمينيـة نفسها كما بينا ان ليو الارمني كان قـد اسر وارسـل الى القسطنطينية قبل تقـدم الامبراطور الى انطاكيـة وانـه ربما توجه الامبراطور الى بلاد الارمن في هـذا الوقت لاستكمال فتحهـا فقط .

(١١١) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٦٣ .

(١١٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٦٣ ؛ العينى : عقـد الجمان ، جـ ١٦م ١ ص ٩١ (عن العظيمى) .

(١١٣) ابن العديم : المصـدر السـابق والصفحة (وقـد اشـار كاهين الى تلك السفارات بقوله انه في شتاء ١١٣٧م تبودلت السفارات بين زنكي وحنا كومنين)
Cahen : Op. Cit., p. 360.

(١١٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325.

اتباعه (١١٥) » ، لذا ارسل رسله ومعهم مرسوم امبراطوري الى كل من امير الرها وامير انطاكية يدعوهما للسير للحرب معه (١١٦) .

وبدات الخطوة الاولى لتنفيذ الاتفاق الفرنجي البيزنطي في فبراير ١١٣٨م — المحرم ٥٣٢هـ عندما قبض حاكم انطاكية على كل التجار والمسافرين من حلب كي لا تتسرب اخبار الاستعدادات الصليبية الى زنكي (١١٧) .

وعندما اجتمعت الجيوش المتحالفة توجه الجميع للاستيلاء على حلب ولكن تلك الجيوش اضاعت حوالي اسبوعين امام قلعة بزاعة حتى استولت عليها (١١٨) ، في الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ (١١٩)

---

(١١٥) Bréhier : Vie et Mort, p. 324, L'Eglise ... p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

(١١٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Bréhier : L'Eglise, p. 101.
وهنا يذكر برييه انه دعاهم لحصار شيزر اما في كتابه الثاني فيقول انه دعاهم لحصار حلب (Bréhier : Vie et Mort, p. 324.)
اما ميخائيل السرياني فيذكر ان الصليبيين ارادوا ان يخدعوا الامبراطور فخرج الى تليلقيية فذهبوا اليه هناك وعملوا اتفاقا جديدا وعاد الامبراطور معهم لحصار حلب .
(Michel : Op. Cit., p. 245.)

(١١٧) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٥٨٥ ، Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 325, 326, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.

(١١٨) Michel : Op. Cit., p. 245, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.
هنا يضيف كلّ من جروسية وكاهين
ان الامبراطور ضمها بعد ذلك الى جوسلين الثاني
(Grousset : Ibid., p. 101. Cahen : p. 361)

(١١٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٦ ، النويري : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ص ٩٨ وتفصل بعض المصادر ما حدث لأهل بزاعه عندئذ فتقول : « كان حصن بزاعة في يد امراة فسلموه الى الروم بالامان بعد ان توثقوا منهم بالعهود والأيمان فغدروا بهم واسروا من بزاعة حوالى ستة آلاف مسلم =

(حوالى مارس ١١٣٨م) والواقــع ان الوقت الذى ضـــاع امام بزاعــة لم يكن فى مصلحة الجيوش المسيحية « فقــد ضــل منهم جماعة اظهروا انهم مستأمنه ، وانذروا من بحلب بالروم فتحرز الناس وتحفظوا وكاتبوا اتابك زنكى بذلك فوصـــله الخبر وهو على حمص (١٢٠) » وكان ذلك الانـــذار لأهل حلب قبل الاغــارة عليهم بيوم واحد (١٢١) مما اتـــاح لعماد الـــدين زنكى ان يرســل اليهم فى الحـــال « الأمير ســيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمســمائة فارس فى اربعة من الأمراء (١٢٢) » . فزود سوار المدينــة بالمؤن والســلاح ووزع الدفاع عنها بين رجاله وبين اهل المدينة انفسهم (١٢٣) » . ثم قدم الروم والصليبيون الى حلب « فقاتلهم احــداث البلــد قتالا شــديدا فقتل كثير من الروم وجرح كثير فقاتلوا ثلاثة ايام ورحلوا (١٢٤) » . وتوجــه الروم الى الأثارب وملكوها بعد ان هرب اهلها منها وطرحوا النــار فى خزائنها (١٢٥) . ثم وضــع الروم

او بزيدون . وتنصر قاضى بزاعة وجماعة من اهلها تقدر بحوالى اربعمائة نفس واقام الروم بعــد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى ودخنوا على من حصل المغاير فهلكوا » ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الاثير . الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن العديم . زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن واصــل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٧ — ٧٨ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ص ٥٢٦ ، روض المنــاظر : مخطوط احــداث ٥٣٢هـ ، العينى : عقــد الجمــان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ . اما التاريــخ المنصــورى فيذكر ص ١٦٦ — ١٦٧ (ان ذلك كان ٥٣٣هـ) وهــذا خطأ .

(١٢٠) ابن العديم : المصــدر الســابق حـ ٢ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .

(١٢١) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ .

(١٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 102.

(١٢٣) ابن الفرات : تاريخ الدل والملوك ، حـ ٣ مخطوط ص ٩٤ (أ) .

(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ : ذكرا ان ذلك كان (من ٦ شعبان الى ٨ منه) ، ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصـــل . مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـــة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢هـ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩٠ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ٩٨ .

(١٢٥) ابن القلانسى : الذيل . ص ٢٦٥ (وكان ذلك فى ٩ شعبان) ، ابن العديم : زبــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٥ ، ابن الاثيــر : الكــامل حـ ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصــل : مفــرج الكــروب ، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب حـ ٢٥ ورقــة ٤٨

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 103.

امــا ابن خلدون : العبر حـ ٥ ص ٢٣٣ فيســـمى الأثــارب (الأتــاود)

أسرى وسبايا بزاعة بالأتارب ، فتوجه اليوم الأمير سوار من حلب وخلصهم وأنزل بالروم الهزيمة (١٢٦) عندئذ توجه ملك الروم الى معرة النعمان فاستولى عليها كما استولى أيضا على كفر طاب (١٢٧)

اتفق الامبراطور البيزنطي بعدئذ مع الفرنج واجمعوا على التوجه الى شيزر ومنازلتها (١٢٨) . والمعروف أن شيزر حصن منيع على مرحلة من حماه (١٢٩) . كان يحكمها الأمير أبو العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني (١٣٠) . وترجع أهمية تلك المدينة الى انها احدى المدن التي وعد الامبراطور بالمساعدة في الاستيلاء عليها في مقابل استعادته لأنطاكية (١٣١) ، فضلا عن انها مدينة بيزنطية قديمة ذات موقع عسكري هام (١٣٢) . وكان الفرنج هم الذين اشاروا على الامبراطور بالتوجه الى شيزر بدعوى « انها ليست لاتابك فلا يهتم بحفظها والذب عنها (١٣٣) » . ولكن ذلك لم

---

(١٢٦) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكامل ، هـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٦٥ ، سبط بن العجمي ، كنوز الذهب ، ح ١ ص ٥٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ح ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، ح ٢٥ ورقة ٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط احداث ٥٣٢هـ . التاريخ المنصوري ص ١٦٧ ، الغزي : نهر الذهب ، ح ٣ ص ٩٠ ، ابن خلدون : العبر ، ح ٥ ص ٢٣٣ ، العيني : عقد الجمان ، ح ١٦م ١ ص ٩٨ — ٩٩
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 103.

(١٢٧) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ٢٦٦ (المعرة في الثالث عشر من شعبان وكفر طاب في منتصف شعبان) ، Grousset : Ibid., p. 103, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٢٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢
Michel : Op. Cit., p. 245, William : Op. Cit., V. 2, p. 94.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٥ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٨١ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (أ) الباب السابع ٥٣٢هـ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ح ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، ح ٢٥ ورقة ٤٨ ، العيني : عقد الجمان ، ح ١٦م ١ ص ٩٩ .

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 104.

(١٣٢) Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٣٣) ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ .

يمنع اميرها ابو العساكر سلطان من الاستنجاد بالاتابك عماد الدين زنكى الذى سارع لنجدته (١٣٤) .

وهكذا نزلت الجيوش المتحالفة على شيزر فى شعبان ٥٣٢هـ ابريل ١١٣٨م (١٣٥) . « فى مائة الف راكب ومائة الف راجل ومعهم من الكراع والسلاح مالايحصى الا الله (١٣٦) » . وفى الحال اسرع زنكى لنجدة امارة شيزر ونزل على نهر العاصى بينها وبين حماه (١٣٧) . ولكنه لم يجازف بالدخول مع المسيحيين فى حرب مباشرة بسبب ضخامة عددهم « لذا كان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتاخذ من ظفرت به منهم (١٣٨) ». اما الجيش المسيحى فقد شدد الهجوم على المسلمين فى حين كان دور الامبراطور البيزنطى بارزا جدا فى تلك المعركة يفوق دور حلفائه الصليبيين . وقد اورد لنا وليم الصورى وصفا كاملا لجهود الامبراطور حينئذ (١٣٩) . ويبدو ان اميرى الرها وانطاكية كانا مشغولين باللهو ،

---

(١٣٤) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، النويرى: نهاية الارب حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين - ميكروفيلم الباب السابع حوادث ٥٣٢هـ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ٢ ص ٥٢ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى: تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ .

(١٣٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦ ، اما سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ١ ق ١ ص ١٦٣ فيذكر ان ذلك كان فى شوال

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 104.

(١٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٦

Grousset : Ibid., p .104.

(١٣٧) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل مفرج الكروب، حـ ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، حـ ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٣٨) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ٧٨ — ٧٩ ، النويرى : نهاية الارب، جـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب : حـ ١ ص ٥٢ ابو الفدا : حـ ٣ ص ١٣، ابن الوردى : حـ ٢ ص ٤٢ ، سعيد عاشور الحركة ، جـ ١ ص ٥٨٦ .

(١٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

واكثر من ذلك فيقلة اهتمامهما بمواصلة الحرب اثروا على الاخرين فقللوا من دورهم الايجابي فى الحصار (١٤٠) .وبهذا كان تفكك جهود الحلفاء عند شيزر من اهم العوامل التي ادت الى فشلهم فى الاستيلاء عليها . اما الاسباب المتباينة التى ادت لرفع الجيوش المسيحية حصارها عن شيزر (رمضان ٥٣٢هـ — مايو ١١٣٨م) (١٤١) .

اولها الأسلوب الذى اتخذه زنكى فى مواجهة اولئك الحلفاء اذ حاول فى البداية ان يشن عليهم حربا نفسية ويدخل الخوف فى قلوبهم من قوته وقوة اتباعه فقال لهم « انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم . استرحتم واخذتم شيزر وغيرها » والواقع أنه لم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول وأشباهه (١٤٢) . ثم حاول زنكى بعد ذلك ، الايقاع بالحليفين البيزنطى والفرنجى « فكان زنكى يرسل الى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم : ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعها فاستشعر كل من صاحبه (١٤٣) » .

كذلك كان من بين العوامل المشجعة على رفع الحصار عن شيزر ان زنكي عندما كانت الجيوش المتحالفة محاصرة لبزاعة ، « ارسل القاضى كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى

---

(١٤٠) William : Ibid., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise, p. 102. Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٤١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٦٣ ؛ Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(١٤٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٨١ — ٨٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٢هـ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٨١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٨٧ .

(١٤٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٦ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٨٢ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ مخطوط ورقة ٤٨ ، ابن قاضى شهبة ، الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٢هـ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٥ ، ص ٢٣٣ Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326, Grousset : Hist., des Crois., V. 2, p. 108.

الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر (١٤٤) » . ولكن القاضى لم يجد ردا من السلطان لذا وضع بعض رفاقه فى جامع القصر يوم جمعة وامرهم بالثورة اذا طلع الخطيب المنبر وبالفعل صاحوا « واسلاماه ! وادين محمداه ! » فترك الناس الصلاة ، ولعنوا السلطان مما اخاف السلطان وامر بتجهيز حملة للجهاد ورغم عدم وصول تلك الحملة الى شيزر لنجدتها ــ لأنه اثناء اعدادها « وصل كتاب اتابك زنكى من الشام يخبر برحيل ملك الروم (١٤٥) » ــ فان سماع خبرها كان كفيلا بارهاب الجيوش المسيحية . ومن بين العوامل التى شجعت على رفع الحصار عن شيزر ما بلغهم « ان قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق عبر الفرات فى جموع عظيمة تزيد عن خمسين الف من التركمان وغيرهم ، فاحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر (١٤٦) ».

على أن المصادر والمراجع الأجنبية القت مسئولية فشل عملية حصار شيزر على اميرى انطاكية والرها اللذين تركا العبء الاكبر فى المعركة يقع على عاتق الامبراطور بينما انصرفا الى اللهو والعبث (١٤٧) .

« وكان الامبراطور ساخطا عندما وجد مدينة ضعيفة استطاعت ان تقاوم جيشه الضخم لمدة طويلة (١٤٨) » . ولكن يبدو أن الامبراطور عندما فقد الأمل فى تحقيق نصر جماعى على شيزر « فكر فى الحصول على نجاح شخصى يسمح له بالانسحاب وهو محتفظ بكرامته (١٤٩) » .

---

(١٤٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ، ابن خلدون العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ .

(١٤٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٧٩ ــ ٨١ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٣ ، العينى عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٠٠ .

(١٤٦) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٦٨ ،

(١٤٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 107, Cahen : Op. Cit., p. 361, William : Op. Cit., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise ... p.p. 101 — 102. Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois.. V. 2, p. 108, Zoé : Op. Cit., p. 328, 331, Archer : Op. Cit., p. 192, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

(١٤٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

(١٤٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110.

لذلك انتهز الامبراطور فرصة ارسال أمير شيزر اليه متوسلا ان يحفظ مدينته فى مقابل دفع مبلغ من المال فوافق الامبراطور على هذا العرض (١٥٠) . وربما هذا هو الذى دفع البعض الى القول « بان امارة شيزر كانت تارة محالفة للفرنج وتارة معادية لهم (١٥١) » .

واخيرا فان ثمة عامل عجل برفع الامبراطور وبالتالى حلفائه الحصار عن شيزر وهو ما بلغه من اخبار عن مهاجمة السلطان مسعود سلطان قونية لقيليقية واستيلائه على مدينة أدنه (١٥٢) . لذلك لم يكد أمير شيزر يدفع المبلغ المتفق عليه للإمبراطور حتى رفع الحصار عن المدينة (١٥٣) . وعادت جيوش الحلفاء فاشلة (١٥٤) . وكان انسحابهم على تلك الصورة من اهم الانتصارات التى احرزها زنكى فى ذلك الوقت ؛ لذا كافاه السلطان بارسال الخلع اليه (١٥٥) .

وهكذا اخفق التحالف الفرنجى البيزنطى فى ١١٣٨م فى تنفيذ الخطة التى تم الاتفاق عليها ١١٣٧م . وكان الكسب الوحيد الذى احرزه الامبراطور من كل تلك الجولة الطويلة هو ما اخذه من مال من أمير شيزر العربى فى مقابل انسحابه عن مدينته . وباخفاق الحلفاء فى الاستيلاء على المدن التى سيعوض بها امير انطاكية فى مقابل استرجاع الامبراطور لانطاكية ، قرر الامبراطور العودة الى انطاكية وفى نيته وضع يده عليها بحكم سلطته .

---

(١٥٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 96, Cahen : Op. Cit.. p. 362, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110, Zoé : Op. Cit., p. 329, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، حـ ٦ ص ٦٤
هنا يذكر جروسية ان أمير شيزر قدم للامبراطور بعض الخيول وبعض الملابس الحريرية الموشاه بالذهب ومنضدة قيمة وصليب مرصع بالياقوت الاحمر : والمنضدة والصليب سلبا من الامبراطور رومان ديوجين بعد كارثة منزيكرت .

(١٥١) Zoé : Op. Cit., p. 328.

(١٥٢) Michel : Op. Cit., p. 245, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. عن (Cinnamus), Cahen : Op. Cit., p.p. 361-362.

(١٥٣) William : Op. Cit,. V. 2, p. 96.

(١٥٤) تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥٣٢هـ : التاريخ المظفرى : مخطوط رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ .

(١٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٨٣ .

وفعلا تقدم الامبراطور البيزنطى بعد ذلك الى انطاكية ودخلها وسط مظاهر العظمة واستقبله البطريرك ورجال الدين ، بينما احاط جوسلين الثانى وريموند دى بواتييه بالامبراطور يخدمانه (١٥٦) . ويبدو ان الامبراطور اراد ان يمارس حقوقه بتشدد وأن يتحاشى اى تصدع متعذر اصلاحه (١٥٧) . وقد اقام الامبراطور فى قصر امير انطاكية « كما لو كان فى قصره الخاص (١٥٨) » . وبعد عدة أيام استدعى امير الرها وأمير انطاكية وكل النبلاء للمثول بين يديه ثم خاطب ريموند قائلا انه اضطر للبقاء فى امارته وقتا طويلا لكى يوسع امارته وذلك وفقا للاتفاق الذى عقد بينهم فى سبتمبر ١١٣٧م . ولكن ذلك لا يتم فى وقت قصير لذا يجب ان يسمح لقوات الامبراطور بالبقاء فى المدينة او بمعنى أصح يجب ان تسلم قلعة المدينة للامبراطور كى تكون مركزا للعمليات العسكرية ضد المسلمين بدلا من قيليقية البعيدة (١٥٩) .

والواقع ان الامير وبقية النبلاء لم يتصوروا ان يطلب منهم الامبراطور مثل هذا الطلب ولذا فوجئوا به ، ولكن تدخل جوسلين الثانى هو الذى انقذ الموقف — كما مر بنا — بان طلب من الامبراطور مهلة للتشاور فى الامر ثم ما كان من اتصاله باهالى انطاكية وتحريضهم على الثورة . وعندئذ ازداد شغب الجماهير وتعرضوا بالاذى حتى لافراد أسرة الامبراطور نفسه (١٦٠) ولذلك خشى الامبراطور عاقبة اشتداد تيار

---

(١٥٦)
William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois., V. 2, p. 112,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Zoé : Op. Cit., p. 332.

(١٥٧) Cohen : Ibid., p. 362.

(١٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 112.

(١٥٩) (نص خطاب الامبراطور مع الملاحق)
William : Op. Cit., V. 2, p. 98,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 112-113, L'Epopée, p. 157, L'Empire, p. 223, Bréhier : L'Eglise ... p. 102,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٦٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

المظاهرات العسكرية ضده دفعا الأمراء من جديد وأخبرهم انه سحب مطالبه ، ورجاهم تهدئة الجماهير ، وانه قرر الانسحاب فى اليوم التالى (١٦١) . لكن ذلك لا يعنى أن أميرى الرها وأنطاكية كانا يجهلان ان الامبراطور ادرك جيدا ما يجيش فى صدروهما ، لذا اسرعا بتقديم الاعتذارات للامبراطور عما حدث حتى « ان أمير انطاكية ابدى استعداده للالتزام بشروط المعاهدة حتى اذا تطلب ذلك تحويل المدينة الى أيدى الامبراطور (١٦٢) » .ولكن الراجح ان امير انطاكية لم يقدم ذلك العرض السخى للامبراطور الا لعلمه أن الامبراطور لم يعد يفكر فى ذلك الوقت الا فى الرحيل بسبب اشتداد ثورة الجماهير ضده ، والواقع ان الامبراطور لم يرغب فى ذلك الوقت فى استخدام القوة ضد حلفائه الفرنج (١٦٣) لذا اخبرهم « بان اسباب ملحة تضطره للعودة الى بلاده (١٦٤) » . وبعد أن اعاد علاقات الود من جديد مع ريموند دى بواتية « طلب منه الاحتفاظ بالقلعة وبكل انطاكية وان يكون تابعا مخلصا للامبراطور (١٦٥) » . ثم انسحب الى قيليقيه ومنها الى القسطنطينية (١٦٦) . بعد ان وعد حلفاءه الصليبيين بالعودة مرة اخرى وبقوة أكبر لتنفيذ الاتفاق الذى عقد من قبل بينهم (١٦٧) .

ويعنى هذا ان التحالف الفرنجى البيزنطى لم يحقق اغراضه بل كاد الصراع العلنى يدب بين طرفيه . وربما ازدادت تلك الفجوة اتساعا بسبب المرسوم الذى أصدره البابا انوسنت الثانى فى ٢٨ مارس ١١٣٨م

---

(١٦١) William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Cahen : Op. Cit., p. 362, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Grousset : L'Epopée, p. 158, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

(١٦٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(١٦٣) Cahen : Ibid p. 363, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 120.

(١٦٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 102.

(١٦٥) Grousset : L'Epopée, p. 158.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Bréhier : Vie et Mort, p. 324 - 325, L'Eglise : p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 121.

(١٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(أواخر ٥٣٢هـ) الذى استنكر فيه وصول الامبراطور حنا الى قيليقية وما قام به من محاولات ضد الامارات اللاتينية (١٦٨) . والحقيقة انه ربما كان الدافع الأكبر الى اصدار البابا لهذا القرار هو ما سبقت الاشارة اليه من الاتفاق بين البيزنطيين والصليبيين على احلال بطريرك بيزنطى محل اللاتينى وهو ما فرضه الامبراطور فى قيليقية بالاجبار ، لذا سارعت البابوية بالتدخل لحسم هذا الموقف .

وفى ١١٤٢م (٥٣٧هـ) عاد الامبراطور حنا كومنين الى الشام من جديد ولكن هل كان قدومه فى تلك المرة ــ وبعد مرور أربع سنوات على خديعة حلفائه الصليبيين له ١١٣٨م ــ لكى ينفذ شروط التحالف الذى سبق ان تم بينه وبينهم ١١٣٧م أن هناك أسبابا أخرى دفعته الى المجىء تلك المرة ؟ حقيقة ان أمير انطاكية كان قد أرسل له خلال تلك السنوات الأربع يستنجد به ضد زنكى ويرجوه الحضور الى امارته (١٦٩) وفقا للتحالف السابق . لكن الامبراطور عندما قدم تلك المرة كان مصمما على الاستيلاء على انطاكية . والدليل على ذلك انه لم يرسل الى الصليبيين بالشام مقدما يطلب منهم الاستعداد للخروج معه لحرب المسلمين كما حدث ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وانما وصل فجاة الى الرها « وعسكر بدون سابق انذار امام تل باشر (١٧٠) » . ويبدو ان الامبراطور أراد أن يضمن ولاء جوسلين الثانى له فى اتجاهه الجديد ضد انطاكية لذا طلب من أمير الرها رهائن لضمان ولائه له ولما كان الأخير « غير مستعد كلية وغير قادر على المقاومة ، فانه أرسل ابنته ايزابيلا رهينة (١٧١) » ثم تقدم الامبراطور بعد ذلك وعسكر بالقرب من انطاكية .

والحقيقة ان الامبراطور كان ينوى تكوين امارة على الحدود لابنه

---

(١٦٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 101, Bréhier : L'Eglise, p. 102. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(١٦٩) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 124-125, Bréhier : Op. Cit., p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.

(١٧٠) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 123 - 124

(١٧١) William : Ibid., V. 2, p. 124.

مانويل تشمل على الاناضول وانطاكية وقبرص (١٧٢) . وبذلك تصبح تلك الدولة الجديدة قاعدة عسكرية ضد المسلمين وفى نفس الوقت توفر حماية للدولة البيزنطية ضد الفرنج الذين لم يفوا للدولة البيزنطية أبدا بعهودهم (١٧٣) .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل الامبراطور رسلا الى امير انطاكية تطلب منه تسليم المدينة والقلعة (١٧٤) « حتى يصبح قادرا على اعلان الحرب على المدن المجاورة التى بيد العدو ، من قاعدة ملائمة وقريبة (١٧٥) » . وكان ان وقع أمير انطاكية فى حرج لانه كما سبق ان ذكرنا كان قد استنجد فعلا بالامبراطور على أساس الاتفاق المعقود بينهما . واخيرا اتفق أمير انطاكية مع كبار اعوانه ورجال الدين على رفض طلب الامبراطور مستندين فى ذلك على ان ريموند لم يرث الامارة وانما تولاها بعد زواجه ، وليس لزوجته أيضا حق التصرف فيها بدون الرجوع لرأيهم (١٧٦) . والواقع ان تدخل رجال الدين فى ذلك الوقت يؤكد رفضهم التام لاقامة هيئة كهنوت من رجال الدين البيزنطيين فى انطاكية .

وغضب الامبراطور لعدم تلبية امير انطاكية لطلبه ولكنه لم يكن فى امكانه القيام بعمل عسكرى ايجابى لتحقيق هدفه فى ذلك الوقت لان الشتاء كان قد اقبل ببرده القارس (١٧٧) ، فاكتفى البيزنطيون بنهب

---

(١٧٢) Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 224,
(Kinnamos) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٣ عن
(١٧٣) Cam. Med. Hist. Ibid. p. 224.
(١٧٤)
William : Op. Cit., V. 2, p. 124, Brêhier : L'Eglise, p. 102,
Archer : Op. Cit., p. 192.
يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، حـ ٦ ص ٦٥
(١٧٥) William : Op. Cit., V. 2. p. 124.
(١٧٦)
William : Ibid., V. 2, p. 125, Ostrogorsky ... Op. Cit., p. 336,
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Archer: Op. Cit., p. 192.
(١٧٧)
William : Op. Cit., V. 2, p 126, Archer : Op. Cit., 19?

اطراف المدينــة (١٧٨) . ثم انسحبوا الى قيليقية على اســاس العودة فى الربيــع لتحقيق مطامعهم فى انطاكيــة (١٧٩) . ذلك ان الامبراطور كان يعلم ان الحقوق البيزنطيــة فى انطاكية لها سندها التاريخى فضــلا عن تاكيد الصــليبيين انفسهم لتلك الحقوق عن طريق معاهدات واتفاقيات علم ١٠٩٧م ، ١١٠٨م ، ١١٣٧م (١٨٠) .

ولكى يخفى الامبراطور غرضــه الحقيقى تجــاه انطاكيــة فى ذلك الوقت ارســل ســفارة الى الملك فولك Fulk ملك بيت المقــدس يعرض عليه رغبته فى التوجه الى القدس لزيارة الاماكن المقدسة (١٨١) ، فضــلا عن وضــع قواته فى مواجهــة العدو فى تلك الأجزاء (١٨٢) . وكان أن عقــد الملك مجلســا للتشــاور ثم ارسل ردا لبقا الى الامبراطور مــع بعض رســله مرحبا بالامبراطور فى حجــه الى القــدس بشرط الا يصطحب معــه الا حوالى عشرة آلاف فقط من رجاله لأن مملكته لا يمكنها أن تقدم المؤن لعدد اكبر من هــذا والا تعرضت لمجاعــة (١٨٣) . وقــد أغضب هــذا الرد الامبراطور ولكنــه كظمــه وحمــل الرســل بعض الهدايا الى الملك (١٨٤) . وفى نفس الوقت ازداد تصميما على اعــلان

---

(١٧٨) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

الدبس : تاريخ سورية . حـ ٦ ص ٦٥

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ ، اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٥ . والمرجع الأخير يذكر سببا آخر لموافقة الامبراطور على رغبة انطاكية وهو وفاة ولده الأكبر الكسيوس . عن

(Otto of Freising)

(١٧٩)

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٨٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٥٩١ .

(١٨١) William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Bréhier : L'Eglise .. p. 102, Zoé: Op. Cit., p. 330.

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 126.

(١٨٣)

William : Ibid.. V. 2, p. 126, Bréhier : L'Eglise . p. 102.
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Zoé: Op. Cit., p. 330.
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.

(النص الكامل لرد الملك مع الملاحق)

(١٨٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Michaud · Op. Cit., V 2, p. 87.

الصراع العلنى ضد الصليبيين بعد انتهاء الشتاء لولا وفاته فى ٨ أبريل ١١٤٣م (١٨٥) . وعندئذ حاول امير انطاكية ان يستغل تلك الظروف ويستعيد استقلاله ولكى يبرهن على موقفه هذا هاجم الحاميات البيزنطية فى قيليقية ، لكن الامبراطور الجديد مانويل حاربه برا وبحرا مما اضطر الامير الصليبى الى الذهاب للقسطنطينية راعلا. ولائه للامبراطور (١٨٦) .

والحقيقة ان سنة ١١٤٣م — ٥٣٨هـ لم تشهد فقط وفاة الامبراطور حنا كومنين بل توفى فيها ايضا الملك فولك ملك بيت المقدس (١٨٧) .

وكانت خسارة المعسكر المسيحى كبيرة بفقد هاتين الشخصيتين البارزتين فى تلك الظروف ، مما جعل تلك السنة تمثل بداية النهاية بالنسبة لامارة الرها الصليبية بوجه خاص . ذلك أن أميرها جوسلين الثانى كما سبق ان ذكرنا كان شخصية اضعف بكثير من أمراء الامارة السابقين ؛ ولكن الظروف نفسها خدمته وجعلت زنكى يؤجل اسقاط امارته رغم انها اقرب من بقية الامارات الصليبية الى ممتلكاته سواء فى الموصل او فى حلب . بل هادنه زنكى حتى تتاح له الفرصة المناسبة ليهاجم تلك الامارة . وكان دخول الرها طرفا فى الحلف الفرنجى البيزنطى فى السنوات الأخيرة من اهم الاسباب التى جعلت زنكى يؤجل تسديد ضربته القوية الى تلك الامارة . لكن عندما تصدع التحالف الفرنجى البيزنطى — على مراحل — كما مر بنا زالت من طريق زنكى تلك العقبة فتشجع على مهاجمة امارة الرها الصليبية وحالفه التوفيق فى اسقاطها كما سنرى .

---

(١٨٥)
William : Op. Cit., V. 2, p. 127, Bréhier : L'Eglise, p. 102, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336

(١٨٦)
Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 91-92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 173-174.

(١٨٧)
Charles - Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T.V., Part 1, p. 802, Cahen : Op. Cit., p. 368.

وهما يذكران ان ذلك كان فى ١٣ نوفمبر ١١٤٣م
أما شلمبرجية فذكر ان الملك فولك توفى فى ١٣ نوفمبر ١١٤٤ والراجح انه أخطأ فى ذكر السنة .

(Schlumberger : Op. Cit., p. 4)

الصـــراع بين امارتى الرهـــا وانطاكية :

ذكرنا بعض اطوار هــذا الصراع اثناء بحثنا للعلاقـــة بين الامارتين ولكننا هنـــا سنركز على مراحل النزاع والخـــلاف فقط بين الامارتين . لأن ذلك سيترتب عليه تصــدع الوحـــدة الصليبية نفسها فى شمال بلاد الشـــام فـــاذا اضيف هـــذا الى التصـــدع الســـابق بين تلك الجبهـــة والجبهة البيزنطية لتصورنا كيف اصبح الطريق ممهدا أمام زنكى لتسديد ضربته الكبرى ضـــد امارة الرهـــا .

فقـــد مر بنا كيف بدأت جـــذور العداء بين امارتى الرهـــا وانطاكية منذ وصـــول بوهيموند الثـــانى الى انطاكية ١١٢٦م ـــ ٥٢٠هـ وبزواجه من اليس ابنه الملك بلدوين الثـــانى ضاعت آمال جوســـلين دى كورتناى فى امتلاء عرش بيت المقدس . ثم برزت اولى بوادر العـــداء العلنى بين الامارتين ١١٢٧م ـــ ٥٢١هـ فى التســـابق لاحراز مكاسب على حســـاب حلب التى كانت تسودها الفوضى آنذاك . ولكن اذا كان الحلبيون قـــد انهوا ذلك الموقف الشـــائك بدفـــع المـــال للفرنج (١٨٨) ، الا أن الصراع استمر بين الأميرين الصـــليبيين على أرض امارة انطاكية واستعان فيـــه جوســـلين بالأتراك ضـــد بوهيموند (١٨٩) وكان أن اغار أمير الرهـــا وحلفاؤه على انطاكيـــة ونهبهـــا (١٩٠) . ولمـــا وصـــل الأمر الى تلك الدرجـــة من الخطورة أسرع الملك بلدوين الثـــانى الى هناك لينهى ذلك الخلاف « المهدد بالخراب (١٩١) » بحكم رابطة الدم بينه وبين الامارتين فابن عمته هو امير الرها وزوج ابنته امير انطاكية (١٩٢) . وقد عاون الملك فى القضـــاء على هـــذا الشقاق بطريرك انطاكية برنارد دى فالنس الذى أصـــدر قـــرار الحرمـــان ضـــد الامـــارتين كى يعيـــد الأميـــرين الى صوابهما (١٩٣) . كما أمر باغـــلاق الكنـــائس وايقـــاف كل الطقوس

---

١٨٨) ابن العـــديم : زبـــدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ص ٨٨ .

(١٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V.1, p. 428, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(١٩٠) Michel : Op. Cit., p. 224, Cahen : Op. Cit., p. 305.

(١٩١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(١٩٢) William : Ibid., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428.

(١٩٣) Cahen : Op. Cit., p. 305.

الدينية فيها (١٩٤) . وصادف عندئذ أن مرض جوسملين مرضا خطيرا جعله يندم على مسلكه السابق ولذلك قبل الصلح مع بوهيموند . بل ان الأمر وصل الى ماهو أبعد من ذلك عندما أعلن جوسلين ولاءه لبوهيموند (١٩٥) . وهو ما اكده متى الرهاوى بقوله « أن بوهيموند استطاع بسلطته التى لا تقهر أن يخضع لنفوذه أمة الفرنج فاعترف أمير الرها جوسلين وابن الصنجيل بسيادته (١٩٦) ».

وفى فبراير ١١٣٠م منتصف رمضان ٥٢٤هـ توفى بوهيموند الثانى (١٩٧) وحاولت أرملته السيطرة على الحكم ــ كما مر بنا ــ وبأن تحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعى من الحكم . وعندئذ أسرع بلدوين الثانى من جديد ومعه جوسلين دى كورتناى ليوقفا تصرفها هذا واصدر والدها ــ على كره منها ــ مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على انطاكية حتى تتزوج الأميرة كونستانس فيصبح زوجها أميرا على انطاكية (١٩٨) .

ولكن حدث عندما توفى جوسلين الأول وتولى جوسلين الثانى مكانه أن رفض أهالى انطاكية وبطريركها السماح لأمير الرها الجديد بتولى الحكم فى امارتهم (١٩٩) . وفى١١٣٦م ــ ٥٣٠هـ تزوج ريموند دى بواتييه من الأميرة كونستانس واصبح اميرا لانطاكية (٢٠٠) .

وفى ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وبعد هزيمة البيزنطيين والصليبيين امام شيزر نلمح تجدد العداء بين الامارتين ولو بصورة خفية من خلال السطور التى كتبها وليم الصورى حين يقول أن الأمير جوسلين الثانى

---

(١٩٤) Michel : Op. Cit., p. 224, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 429.

(١٩٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Zoé : Op. Cit., p.p. 283 - 284.

(١٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 147.

(١٩٧) Michel : Op. Cit., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ﺣ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠هـ .

(١٩٨) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255.

(١٩٩) Michel : Op. Cit., p. 233.

(٢٠٠) Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

حـاول أن يوغر صـدر الامبراطور ضـد الأمير ريموند الثـانى حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الامبراطور (٢٠١) . ولو اننا لا نستبعد أن يكون انفراد وليم الصورى بهذه الراويه راجع الى سوء علاقاتـه بأبناء جوسـلين الثـانى (٢٠٢) . والواقع أن الامارتين الشماليتين كانتا فى غالبيـة الأحيـان متنازعتين ولكن جهود الملك بلـدوين الثـانى شجعت باسـتمرار على توحيـد الامـارتين فى اطـار المصـلحة الصـليبية العـامة (٢٠٣) ولو بطريق الضغط والأجبـار كما تعـددت على ذلك الأمثلة من قبل . اما خليفـة بلدوين الثـانى ـ الملك فولك ـ فانـه لم يستطع فى غالبية الأحيـان بسط نفوذه على امـراء الشمال (٢٠٤) . ولكنه حقق نجاحـا فى بعضها . وعندما توفى فولك وتولى ابنـه بلدوين الثـالث العرش تحت وصـاية أمـة ميلزاند (٢٠٥) ضـعفت الفرصـة للسيطرة على امارتى الشمال لذا زاد العداء بصورة واضحة بين الامارتين حتـى أن أميـر الرهـا ـ كمـا رأينـا ـ ابتهـج لسـقوط امـارة الرها ١١٤٤م (٢٠٦) ، وكان ذلك لا يعنيه ولا يضر بمصالحه هو الآخر .

---

(٢٠١) William : Op. Cit., V. 2, p. 97.

(٢٠٢) Zoé : Op. Cit., p. 295.

(٢٠٣) والحقيقـة ان جهود الملك بلدوين الثانى (مارس ١١١٨م ـ اغسطس ١١٣١م) لم تقتصر فقط على الامارتين الشماليين بل تميز حكمه بانه امتدت فيه قوة المسيحيين ودعمت ؛ حتى ولو تطلب ذلك الدخول فى معارك مرعبة مع المسلمين المجاورين والتى وقـع الملك فى احـداها اسيرا فى ابريل ١١٢٣م .

(Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 802)

(٢٠٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317.

هنـا يعلـق (هيفـل) علـى حكـم فولـك وميلزانـد بانه « كان بداية انحلال أعقاب الصـليبيين فى الشرق »

Charles-Hefele : Op. Cit., T V. Part 1, p. 802.

(٢٠٥) Schlumberger : Op. Cit., p. 4-5 ; Charles-Hefele : Op. Cit., p. 802

(٢٠٦) William : Op Cit., V. 2, p. 201.

سقوط الرهـا في يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م (٢٠٧) — ٥٣٩هـ .

(أ) الظروف المشجعة لزنكى على التقدم الى الرهـا :

كان استيلاء عماد الدين زنكى على الرهـا اهم خطواته في جهـاده الاسـلامى ضـد الصليبيين والذى استكمله بعده ابنه نور الدين والحقيقة ان الذى شجع زنكى على القيـام بذلك العمل الهـام عـدة حوافز بعضها يتعلق بعلاقات الرهـا الخارجيـة وبعضها يخص الرهـا في الداخل .

فاذا حاولنا التركيز اولا على **الحوافز الخارجيـة** ، نجـد اننا قـد اشرنا اليهـا اثناء تناولنا للحلف الفرنجى البيزنطى وللصراع بين الرهـا وانطاكيـة . فغالبيـة المصـادر والمراجـع الأجنبية تضـع في المقـام الأول ، ذلك الصراع الشـديد بين اميرى الرهـا وانطاكيـة والذى كان قـد وصـل الى حـد الصـدام العلنى ، حتى أن كلا منهما كان يفرح لمـا يصيب الآخر من كوارث ونكبات (٢٠٨) . ويرتبط بهـذا ايضـا الحافز الثـانى وهو انه بوفـاة الملك فولك ، اصبح نفوذ مملكة القـدس ضئيلا جـدا على اميرى الرهـا وانطاكية وخاصـة عندما آل الحكم الى بلدوين الثالث تحت وصـاية امـه ميلزاند (٢٠٩) . ففى ذلك الدور انعـدم وجود الشخصية الصـليبية القويـة التي يمكنهـا جمـع شمل الأمراء الصـليبيين وقت الخطر . فاذا اضيف الى ذلك تصـدع الحلف الفرنجى البيزنطى (٢١٠) — كمـا مر بنـا — والذى ازال بذلك عقبة كبيرة من

---

(٢٠٧) ينفرد ابن العبرى : كمصـدر سريـانى والدبس ولوسترانج بالقول أن ذلك كان ١١٤٥م .

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Le Strange : Op. Cit., p. 104,

يوسف الدبس : تاريخ سوريـة ، جـ ٦ ص ٦٦

ولكن جميـع المصـادر العربية والافرنجية تؤكد — كما سنرى — أن ذلك كان ١١٤٤م وهو الأرجح .

(٢٠٨)
William : Op. Cit., V. 2, p.p. 140 - 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174 - 175.

(٢٠٩)
Charles - Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802, Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Prawer : Op. Cit. p. 337, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175 182, L'Empire, p. 224.

(٢١٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175.

طريق زنكي — لأمكننا التعرف على مدى طمأنينة زنكي من ناحية تلك القوى الخارجية التى لن تتمكن من المسارعة بتقديم العون الضرورى لامارة الرها اذا هاجمها .

اما اذا انتقلنا الى العوامل الداخلية فاننا نجد ان التركيز على شخصية جوسلين الثانى امير الرها آنذاك وتصرفاته تأتى فى المكان الأول . ذلك أن جوسلين الثانى ولد من أم أرمينية ، وكان يفضل مجتمع الارمن والسريان على مجتمع الفرنج (٢١١) . بل يقال انه كان يشعر بالغربة بين فرسانه الفرنج (٢١٢) . ثم انه لم يشبه والده جوسلين الأول فى شجاعته المطلقة وان احتفظ بقدر محدود منها (٢١٣) ، حيث أن بعض المصادر العربية أشارت اليه بأنه « كان صاحب راي الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر (٢١٤) » . فى حين قال البعض الاخر عنه انه « هو عاتى الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم (٢١٥) » .

يضاف الى هذا كله ان جوسلين الثانى كانت تنقصه روح التصميم (٢١٦) وكان يميل الى حياة الراحة والهدوء ولذا تخلى عن الاقامة فى مدينة الرها وفضل عليها تل باشر لكى يكون « بعيداً عن القلق المتسبب عن اعدائه (٢١٧) » . وفى مقره الجديد مارس

---

(٢١١)
Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢١٢)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176, L'Epopée, p. 162.

(٢١٣) Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، النويرى نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤١ .

(٢١٥) ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢١٦) Zoé : Op. Cit., p. 337.

(٢١٧)
William : Op. Cit., V. 2, p. 140.

حيـاة مليئة باللهو والترف والفراغ (٢١٨) هـذا فضـلا عن انه اقحم نفسـه في الأمـور الدينيـة وبدخـل في ترشيحات رجـال الكنيسـة اليعقوبية (٢١٩) . بل انه تحت ستار الجمع نهب دير سـانت برصوما Mar Bar Çauma المقـدس لدى اليعاقبة (٢٢٠) مما أوجد بينه وبين المعاقبة فجوة كبيرة .

اما عن المسـائل المتعلقة بالدفاع عن الامارة ومن الذى كان يتولاه . فالمعروف ان اهلهـا كـانوا يشتغلون بالتجـارة ويجهلون اسـتخدام الاسـلحة (٢٢١) . ولمـا كـان عـدد سـكان الرهـا من الفرنـج بالنسبة للسـكان الأصليين اصغر (٢٢٢) لذا اعتمدت الامارة فى الدفاع عن كيانها على المرتزقـة ، وكان هـذا النظام له خطورته ، خصوصـا بالنسبة لامارة الرهـا بالذات (٢٢٣) .

فاذا اضفنا الى ذلك ان امارة الرهـا كانت اكثر تعرضـا لهجمات

---

(٢١٨) William : Ibid., V.2, p. 140, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : L'Epopée, p. 163, Archer : Op .Cit., p. 202.

(٢١٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176.

(٢٢٠) Grousset : Ibid., p. 176, L'Epopée, p. 300.

(٢٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1 p. 446.

والراجح أن السريان من أهلها هم الذين كانوا زراعا وتجـارا مهرة وغير مغرمين بحمل السـلاح استنادا الى ماجاء فى المصـدر اللاتينى
Haytonus Flos : Historiarum Terre Orientis, (Doc. Arm.), T. 2, p.p. 270 - 271.)

(٢٢٢) William : Op. Cit., V.2, p. 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٣) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1, p.446
فقـد ذكر وليم الصورى أن هؤلاء المرتزقة كانوا لا يتلقون اجورا ونقـا لزمن ونوع الخدمـة المقدمة لكن غالبا ما ينتظرون سـنة او اكثر قبل ان يستطيعوا جمع ما يستحقوه وكانت طريقة الدفع للقوات تشتمل حتى على الفرسـان ، ومن الواضح انها كانت باهظة اكثر فى الرهـا عن اى مكان آخر ، لأن النبلاء من السـكان الأرمن والمسيحيين الوطنيين الأخرين ، لم يكونوا قـد أخرجوا بواسطة النبلاء الغربيين حتى انه بدون شك اشتملت المرتزقة فى بعض الأوقات على المسلمين .

المسلمين بحكم موقعها وانها تعرضت تحت الحكم الصليبى لها لتدهور الحياة الاقتصادية فيها بسبب التخريب والهجرة التى اصابت جزءها الشرقى (٢٢٤) ، فاننا نخرج من هذا كله بحصيلة عن الأوضاع التى شجعت زنكى على توجيه ضربته القاتلة ضدها .

والواقع ان عماد الدين زنكي وجه جهوده ضد امارة الرها بالذات فى ذلك الدور دون غيرها من الامارات الصليبية ، للاسباب المشجعة السابقة الذكر فضلا عن انها كانت الامارة الصليبية الأقرب الى مركز نشاطه والى مقر الخلافة فى بغداد . ولا يخفى علينا أن ضررها كان كبيرا على المسلمين اذ امتدت غاراتها حتى بلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكان حكامها يملكون من قرب ماردين الى الفرات ، عدة حصون مثل سروج والبيرة وسن بن عطير وجملين والموزر (٢٢٥) . هذا فضلا عن مدينة الرها ذاتها التى « كانت من الديار الجزرية عينها ومن البلاد الاسلامية حصنها (٢٢٦) » .

كذلك وجد سببان مباشران دفعا زنكى الى مهاجمة امارة الرها ، اولهما انه حدث ٥٣٨هـ/١١٤٣م ان كان السلطان مسعود قد استعد لمحاربة زنكى لأنه اعتقد أنه هو الذى يحرض أمراء الأطراف عليه وهو اتهام صحيح لأن زنكى أراد عندئذ أن يشغل السلطان وليتمكن هو من فتح البلاد والتمكين لنفسه (٢٢٧) . لذلك ارسل زنكى يستعطف السلطان ويستميله وترددت الرسل بينهما حتى استقر الراى على أن يدفع زنكى للسلطان مائة الف دينار دفع منها زنكى عشرين الف دينار . ولكن عندما طلب السلطان من زنكى مثوله بين يديه اعتذر باشتغاله بمحاربة

---

(٢٢٤) Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م١ ص ١٤١ . وسن ابن عطير وتسمى أيضا السن وهى قلعة بالجزيرة قرب سميسط (ياقوت : معجم البلدان ، حـ ١١ ص ٢٦٩) .

(٢٢٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٧ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٦٥ ، الكامل حـ ٩ ص ٦ .

الفرنج « فمذره وشرط عليه فتح الرها (٢٢٨) » .

وثانيهما أن زنكى سمع بقيام تحالف ارتقى رهوى ، أى بين فخر الدين ابو الحارث قرا ارسلان بن داود (٢٢٩) . الأرتقى حاكم حصن كيفا وبين جوسلين الثانى ؛ تنازل فيه الأول للثانى عن احدى قلاعه بالقرب من كركر ، على أن يساعده الأخير ضد زنكى (٢٣٠) . وقد ارسل جوسلين بالفعل ١١٤٤م نجدة الى قرا ارسلان (٢٣١) . لذا اراد زنكى أن يضرب ذلك التحالف . ولكنه كان يعلم جيدا انه لن يستطيع أن ينزل ضربته بالرها مادام جوسلين واعوانه موجودين بها (٢٣٢) . وانه اذا توجه اليها وحاول الاستيلاء عليها « اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذر عليه ملكها لما هى عليه من الحصانة (٢٣٣) » . لذا استخدم زنكى الحيلة والخداع وبدأ يموه ويخفى غرضه الحقيقى ، فبدأ بمهاجمة قرا ارسلان الأرتقى فى خريف ١١٤٤م (٥٣٩هـ) ، كى يوهم فرنج الرها بانه مشغول عن التفكير فى محاربتهم (٢٣٤) . « فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها

---

(٢٢٨) ابن الأثير : الباهر ص ٦٥ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، حـ ١ ص ٤٩٨ .

(٢٢٩) زامبور : معجم الانساب ، حـ ٢ ص ٣٤٤ . تولى من ٥٣٩هـ ١١٤٤م .

(٢٣٠) Michel : Op. Cit., p. 260, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 178 - 179, Cahen : Op. Cit., p. 368, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461.

(٢٣١) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٣٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ ؛ ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابو الهيجاء : مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٣٩ .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(٢٣٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ،

Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 368, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

بروم (٢٣٥) » . عندئذ اطمأن جوسلين الثانى من ناحية زنكى وغادر الرها الى بلاده الشامية او الغربية (٢٣٦) اى الى تل باشر غربى الفرات . وفى الحال بلغت زنكى عن طريق اهل حران تحركات امير الرها (٢٣٧) . وانه كان مصحوبا بمعظم رجاله والبارزين فى حاميته واكثر محاربيه شجاعة (٢٣٨) . فى حين ترك مدينة الرها بدون حامية ومؤن كافية (٢٣٩) . على عكس ما كان يفعل امراء الرها السابقين (٢٤٠). وعهد جوسلين بالدفاع عن الرها الى المسيحيين الوطنيين تحت توجيه اساقفتهم (٢٤١) ، والى بعض المرتزقة الذين لم يكونوا يتقاضون مرتباتهم الا بصعوبة (٢٤٢) .

---

(٢٣٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ . ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٤ .

(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٣ . ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن الفرات ، مخطوط حـ ٤ ص ٥٦ (أ) ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ مخطوط حوادث ، ٥٣٩هـ ،

Grousset : L'Empire, p. 300

(٢٣٧) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Michel : Op. Cit., p. 260,

Cahen : Op. Cit., p. 369, Seton : Op. Cit., V. 1, p. 446,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 179, 879.

وقد اخطأ ميخائيل السريانى هنا فى قوله (أن امير الرها كان قد توجه الى انطاكية آنذاك) أما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩، فيذكر أن الذى اخبر زنكى بتحرك جوسلين الثانى كان (جمال الدين أبو المعالى فضل الله بن ماهان رئيس حران) .

(٢٣٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ،

(البيت ٦٢٨) Nersès : Op. Cit., p. 246, Gibb : Op. Cit., p. 266..

(٢٣٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Zoé : Op. Cit., p. 336,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 180, 879, L'Empire p. 300.

(٢٤٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177.

(٢٤١) Nersès : Op. Cit., p. 259, Cahen : Op. Cit., p. 369, Grousset : L'Empire, p. 300, Zoé : Op. Cit., p 336, Archer : Op. Cit., p. 202, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235

(٢٤٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177, Archer : Op. Cit., p. 202.

ب ـ حصار زنكي للرها واستيلائه عليها :

كاتب زنكي طوائف التركمان ليساعدوه ويؤدوا معه فريضة الجهاد واخبرهم انه لن يتبل أي عذر ، فوصل اليه عدد كبير منهم (٢٤٣) . ثم ارسل زنكي بعض مواته بسرعه الى الرها بقيادة الأمير صلاح الدين الياغيسياني كي يباغتوا المدينة حتى يلحق بهم بقواته ، لكن الياغيسياني ضل الطريق فوصل متأخرا (٢٤٤) . في الوقت الذي كان عماد الدين زنكي قد وصل الى الرها فعلا وبدأ حصاره لها في ٢٨ نوفمبر ١١٤٤م (٢٤٥) .

وكان زنكي أول من حمل على الفرنج (٢٤٦) ، فالتجأ هؤلاء الى داخل المدينة واحتموا بأسوارها الحصينة ، وعندئذ شدد زنكي الحصار عليهم ، وسد في وجه المحاصرين كل سبيل للخروج او الدخول للمدينة للحصول على اى مؤن (٢٤٧) . ووصلت قسوة تشديد الحصار الى درجة « ان الطائر لا يكاد يقرب منها — من الرها — خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيقين عليها (٢٤٨) » . وعندما طلب زنكي من أهالي الرها التسليم كي

---

(٢٤٣) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٧٩

Nersès : Op. Cit., p. 246. (الأبيات ٦٣٠ : ٦٣٤)

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩

Gibb : Op. Cit., p. 266

هنا يضيف (ميشو) بنطرفه الواضح في كتابته ان تلك الأعداد الكبيره سارعت للانضمام الى زنكي طمعا في غنيمة ثرية

(Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 102)

(٢٤٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879.

(٢٤٥) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268

Grousser : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 2, p. 879.

Bréhier : L'Eglise, p. 103.

(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويري : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العيني : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 141,

Nersès : Op. Cit., p. 246 (البيت ٦٣٦)

ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩

(٢٤٨) ابن القلانسي : المصدر السابق والصفحة

Gibb : Op Cit., p.p. 266 - 267,

لا يهلكوا لانــه لا يوجـــد لهم اى منفذ للنجـــاة - رفضوا (٢٤٩) ، لأنهم كانوا يأملون فى وصـــول نجدة اليهم من انطاكية وبيت المقدس (٢٥٠) .

ولكن مـــاذا كـــان موقف جوســـلين نفســـه ؟ الواقـــع ان كـــل ما فعله جوســـلين فى ذلك الوقت كـــان محـــاولة جمـــع قواته بسرعـــة الى جـــانب استجاده بانطاكيـــة والقـــدس (٢٥١) . وهنـــا يعقب وليم الصـــورى على موقف جوســـلين بانـــه تحرك بعـــد فوات الأوان « فبـــدا كانـــه يعـــد الطقوس الجنائزيـــة للموتى ، لهؤلاء الذين اهمل مســـاعدتهم اثناء المرض والتوســـل (٢٥٢) » . ومعنى ذلك ان جوسلين لم يتنبه للخطر الذى هـــدد امارتـــه الا متأخرا ، بعـــد ان ترك الجزء الشرقى للامارة ونعم بالراحـــة فى جزئها الغربى . والواقـــع ان جوسلين لم يخف الى الرهـــا بسرعـــة عندما علم بالهجوم عليها ، وانمـــا اكتفى بالبقـــاء فى تل باشر كى يستطيع منها أن يقطع اى تعزيزات تصـــل الى زنكى من حلب . ويبدو أن ثقته فى تحصينات الرهـــا كانت كبيرة (٢٥٣) . ولكن الأسوار والأبراج لم تفد الا قليلا لعـــدم وجود من يدافع عنها (٢٥٤). حقيقة ان أهـــالى الرهـــا ورجال الدين فيها هم الذين تولوا الدفاع عنها فى تلك الأزمة ، وذلك بقدر مـــا أسعفتهم طاقاتهم ، فاستبسلوا رجـــالا ونســـاء « سواء الأعيان المحترمون أو السوقة الذليلون (٢٥٥) » . هـــذا الى جـــانب الدور الكبير الذى قام به رجـــال الدين عندئذ والذى سنتناوله بالتفصيل عند الكلام عن الكنيســـة ورجـــال الدين فى الفصـــل الأخيـــر .

---

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٥٠) Nersès : Op. Cit., p. 252, Michel : Op. Cit., p. 260, Cahen : p. 370.

(٢٥١) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Zoé . Op. Cit., p. 336.

(٢٥٢) William : Op. Cit., V .2, p. 142.

(٢٥٣) Runciman :Op.Cit.,V. 2, p.p. 235 - 236.

(٢٥٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٥) Nersès : Op. Cit., p 251, Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Grousset : Hist. des .Crois., V. 2, p. 880, Zoé: Op. Cit., p. 336.

اما عن موقف زنكى عندما راى صمود اهل الرهـا ودفاعهم المستميت عن مدينتهم (٢٥٦) ، فانه امر بتشـديد الحصـار بدرجـة اكبر على المدينـة . وعندئذ ظهرت براعـة رجاله الخراسـانيين والحلبين فبذلوا جهـدا كبيرا فى حفر الخنادق تحت سور المدينـة ووضعوا فيها العوارض الخشبية كى يشـعلوا فيها النيران فيسهل انهيـار السـور (٢٥٧) . ومرة اخرى طلب زنكى من المحـاصرين أن يستسلموا بعـد ان غـدت المدينـة على وشـك السقوط ولكنهم اصـروا على الرفض ، مؤملين وصول النجـدة اليهم ، بل انهم استهزأوا به وتحدوه (٢٥٨) . لذا أمر زنكى باشعال النـار فى الخشب الموجود فى الانفـاق تحت السـور مما ادى الى انهيار جزء منه سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة (٢٥٩) .

---

(٢٥٦)
Michel : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 181.

(٢٥٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ،
Michel : Op. Cit., p. 261, William : Op. Cit., V. 2, p. 142.
Gibb : Op. Cit., p. 227.

(٢٥٨)
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 184
ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٨ ـ ٦٩

(٢٥٩) ابن القلانسى : الذيل ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤
Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., p.p. 142 - 143,
Nersès : Op. Cit., p. 253.

حيث يقول
حين انبعثت نيران سـاروم
من اعماق الارض
ولم تمطر من السـماء
بل من أجواف الخنـادق
واذا بالسـور المحصن
ينهـار ويتـداعى
وينـدك من اسسـه
لقـد فتح الاعـداء فيه ثغرة

وقـد سـارع أهالى الرهـا الى ذلك الصـدع الذى فتح فى السـور ليحولوا دون دخول المسلمين منه فما كان من بقية الجيش الاسلامى الا أن اعتلى الأسوار التى خلت من المدافعين عنها . وهكذا امتلك زنكى البلد عنوة بالسيف (٢٦٠) . ولم يستطع الاهالى حماية انفسهم من سيوف المسلمين ، حتى عندما لجـأوا الى قلعة المدينـة وجـدوا ابوابها معلقة فمات الكثيرون مخنوقين من شـدة الزحام وكان من بينهم الأسقف اللاتينى نفسـه (٢٦١) . وسنرجىء الكلام عما أصـاب اهالى الرهـا عندئذ الى حين نعالج طبقات المجتمع فى الباب الأخير .

واخيرا سقطت الرهـا فى يد زنكى وقواته فى يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م (٢٦٢) . السـادس والعشرين من جمادى الآخره ٥٣٩هـ (٢٦٣) بعـد حصـار دام ثمانيـة وعشرين يوما (٢٦٤) . اما القلعة فقـد

---

(٢٦٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٩ ، ابن القلانسى: الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى: نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، أبو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، روض المناظر : مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ .

(٢٦١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 - 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269. William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Cahen : Op. Cit., p.370.

(٢٦٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 157, William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Tournebize : Op. Cit., p. 163, Gibb. Op. Cit., p. 267, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٧٩ ، الأصفهانى : تاريخ دولـة آل سـلجوق ، ص ١٨٦ . أمـا كل من ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ١٠ ص ١١٢ - الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، مخطوط ص ١٧٩ (أ) ، أبو الفضـايل الحموى : التاريخ المنصورى ص ١٦٩ فيذكروا ان ذلك كان فى الخامس والعشرين من جمادى الآخره . وأما ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ فيذكران أن ذلك كان فى ١٦ جمادى الآخرة . والراجح ان ذلك كان فى ٢٦ جمـادى الآخـرة .

(٢٦٤) ابن واصـل : مفرج الكـروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، أبو الفـدا : المختصر ، حـ ٣ ص ١٧٠ ، الدبس : تاريخ سورية ، حـ ٦ ص ٦٧ .

سقطت بعد ذلك بيومين (٢٦٥) . حـدث كل هذا دون ان يتقدم جيش صـليبى واحـد لنجدة الرهـا . فانطاكية كما بينا من قبل لم تقـدم اية معونـة ولم يرسـل اميرهـا اية نجـدة بل انه سر لمـا اصـاب الرهـا (٢٦٦) اما بيت المقـدس فرغم ارسـال الملكة ميلزاند بعض القوات لنجدة الرهـا الا انها وصلت متأخرة جـدا (٢٦٧) .

وهنا يؤكد كل من نيرسيس وابن العبرى أن سـقوط الرهـا كـان مرجعـه الآثام التى ارتكبها اهـالى الرهـا (٢٦٨) . والتى يرجعهـا نيرسيس الى اختلاطهم بالفرنج (٢٦٩) . اى بالصـليبيين الغربيين ، واما البعض الآخر فيذكر ان السر فى سـقوط الرهـا يرجـع الى تغيب

---

(٢٦٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Bréhier : L'Eglise, p. 104
Cahen : Op. Cit., p. 370, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 222.

هنا يذكر الكاهن جريجوار القلعة (بقلعة مانياكس (Maniacès)
وان الذى سـاعد على سقوطها هو نقص المـاء بداخلها . .
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158 - 159.

(٢٦٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 142 - 143, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud :Op. Cit. V. 2, p. 104.

(٢٦٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

ويشير نيرسيس الى ذلك بقوله :
لكن لم يصـل احـد
ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصـليب
فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسـوا .
عن مديد المعونة الينـا
(الابيات من ٨٠٧ الى ٨١٢) Nersès : Op. Cit., p. 252.

(٢٦٨) Nersès : Ibid . p. 252, 268, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

(٢٦٩) (البيتان ٥٩١ — ٥٩٢) Nersès : Op. Cit., p. 245
منذ تلك الساعة التى بدات فيها
لصـاهر اهل روما واقترب اليهم

حمايتها عنها (٢٧٠) . والحقيقة ان المجهودات الكبيرة من جـانب زنكى وقواته الى جـانب ظروف الامـارة الداخلية والخارجية آنذاك تضافرت لتمكين الجيوش الاسلامية من النصر .

كانت المدينة قـد تعرضت للسلب والنهب من جـانب قوات زنكى فلما دخلها اعجبته ورأى ان تخريب مثلها لا يجوز « فنودى فى العسـاكر برد ما اخـذوه من الرجال والنسـاء والأطفال الى بيوتهم واعـادة ما غنموه من اثاثهم وأمتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقـد منـه شيء الا الشـاذ النادر الذى اخـذ وفارق من اخـذه العسـكر (٢٧١) » . عندئذ عادت الأحوال الى هدوئهـا مرة اخرى ، فترك زنكى بهـا بعض قواته بقيادة زين الدين على كوجك (٢٧٢) .

ثم كـان أن توجـه زنكى بعـد ذلك الى سروج فاستولى عليها فى يناير ١١٤٥م بعـد أن هرب من بها من الفرنج (٢٧٣) . وبذلك لم يبق لجوسـلين شرقى الفـرات سـوى البيـرة التى توجـه اليهـا زنكى وحاصرهـا (٢٧٤) . ليستكمل فتح الجـزء الشرقى من امارة الرهـا .

---

(٢٧٠) Michel : Op. Cit., p. 266.
(ذكر ذلك احـد رجـال الدين بالرهـا وهو (Mar Jean :
Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢٧١) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٨ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن واصـل ، مفـرج الكـروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السـابع ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥١ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل : حـ ٩ ص ٩ ، البـاهر ص ٦٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥١ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461, Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢٧٣) ابن القلانسى : الـذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العـديم : زبـدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ ، Gibb : Op. Cit., p . 268, Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٤) ابن الأثيـر : الكـامل ، حـ ٩ ص ٩ ، البـاهر ص ٧٠ ، ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٤ ، روض المنـاظر ، مخطوط احـداث ٥٣٩هـ. Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370.

لكن البيرة كانت شديدة التحصين (٢٧٥) . وكان الفرنج الموجودون بداخلها قد زودوها بكميات كبيرة من المؤن الى جانب وضع حاميات هائلة بداخلها (٢٧٦) . ولذا استطاعت قوات البيرة الفرنجية أن تقاوم زنكى وتصمد له مدة طويلة (٢٧٧) . ولكن عندما نفدت المؤن والذخائر وكادت المدينة تسقط فى يد زنكى وقواته جاءته الأخبار من الموصل بمقتل نائبه نصير الدين جقر نبها (٢٧٨) . مما اضطره الى الرجوع بسرعة الى الموصل « خوفا من أن يحدث بعده فى البلاد فتق يحتاج الى المسير اليها (٢٧٩) . » ولما غادر عماد الدين زنكى البيرة خاف الفرنج الموجودون بها من عودته اليهم فراسلوا حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وسلموها اليه (٢٨٠) » .

---

(٢٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩، الباهر ص ٧٠ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط حـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ .
Gibb : Op. Cit., p. 268.

(٢٧٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب، حـ ١ ص ٩٤ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 191.
عن (Rey : Colonies franques).

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٠ ، ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٠، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، العينى : عقد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ (ويذكر الأخير أن جقر قتل فى ٨ ذى القعدة ٥٣٩هـ/٢ مايو ١١٤٥م)
Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : Op. Cit., p. 268,
وهنا يذكر ميخائيل ان زنكى اصطلح مع الفرنج قبل رحيله ولكن الراجح أن ذلك غير صحيح .

(٢٧٩) ابن الأثير : الباهر ص ٧٠ ، ابو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٣ .

(٢٨٠) ابن الأثير : الباهر ص ٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ٩٦ ، ابو الفدا : المختصر : حـ ٣ ص ١٧ . بن الوردى : تتمة المختصر ، حـ ٢ ص ٤٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، روض . طر : مخطوط حوادث ٥٣٩هـ ، العينى : عقد الجمان : حـ ١٦م ١ ص ١٤٢ .

وهكذا دعمت تلك الخطوة التحالف بين مرنج الرهـا وارتقـة ماردين ، لتشابه مصالح الطرفين فى مواجهة اهداف زنكى التوسعية (٢٨١) .

وهكذا لم يبق بيد جوسلين الثانى من بقايا امارته سوى تل باشر وسميساط ومرعش ودلوك وعينتاب وقورس وعزاز والراوندان (٢٨٢) . ومن الواضح انه بسقوط الرها سقطت أول لبنة فى البنـاء الصليبى بالشرق واذا كانت امارة الرها اول امارة اسسها الصليبيون فى الشرق ، فان الظروف شاءت أن تكون أول اماره صليبية تنهـار أمام ضربات المسلمين (٢٨٣) .

ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرهـا ١١٤٤م :

١ ـ رد الفعـل من جـانب المسلمين :

كان فتح الرهـا من اهم الاعمـال التي جلبت السرور الى نفوس المسلمين . فقـد حمـل اليهم امـلا جـديدا (٢٨٤) . فى اسقاط بقيـة الصرح الصليبى فى الشرق . وازال عنهم كربا شـديدا (٢٨٥) . وعبر عنه المؤرخون المسلمون المعاصرون بانه « طـار فى الآفـاق ذكره وطـاب بهـا نشـره (٢٨٦) . كـذلك عبـر الشـاعر الأرمنـى (نيرسيس شنورهالى) (٢٨٧) . فى قصيدتـه عن رثـاء الرهـا عن

---

(٢٨١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦٠٩ ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٨ . ويضيف الأخير انه مما قلل من اهمية تلك المخالفات أنها كنت شخصية فردية .

(٢٨٢) سعيد عاشور : الحركة ، حـ ٢ ص ٦٠٨ Grousset Hist. des Crois., V. 2, p. 192.

(٢٨٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 208 - 209.

(٢٨٤) Runciman Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢١٩ .

(٢٨٦) ابن الاثير : الباهر ص ٦٩ ، ابو شـامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ٦٦ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٨٧) Nersès : Op. Cit., p. 264.

فقـد ذكر ان الائمة المسلمين صعدوا الى المـآذن هاتفين :
« يا رسول الله محمد
لقد استرددنا ما كنا قـد فقدناه :
ديارك ودارك
=

فرحـــة المسلمين بذلك الفتح رغم تحامله عليهم فى اجزاء كثيرة من تلك القصـــيدة .

ومن ناحيـــة اخرى فقـــد رفـــع ذلك الفتـــح من مكانتـــه زنكى لدى المسلمين ، فمجـده الشعراء وخلع عليه الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله العباس ، وزاد فى القابــه ، زين الاســـلام الملك المنصـــور ، نصير امير المؤمنين (٢٨٨) .

اتاح سقوط امـــارة الرهـــا الصليبية تامين طريق المواصلات الاسلاميه بين الموصـــل وحلب ورفـــع الحاجز الصـــليبى الذى كان قائما بين اتراك ايران واتراك الأناضول (٢٨٩) .

٢ ــ رد الفعل من جـــانب بقية الامارات الصـــليبية فى الشرق :

حمل استيلاء المســلمين على الرهـــا الحزن الشـــديد والكآبة بين

= من تلك الأمة الضـــالة .
العابدة لحجـارة صماء .
لقـد روينا الأرض من دمائهم
وفقا لتعليمات قرآنك
اليك نزف البشرى
يامكة العظيمة ، موطن محمد
ياقبلة الأمانى بكعبتها السوداء .
والقدم المرسومة على صفحتها
اننا سنرد اليوم اليك
جميع اولئك المشارقة
عباد الصـــليب الضـــالين
وخدام يســوع المســيح » .

هـــذا الى جـــانب خطـــاب زنكى نفســـه الذى حمل البشرى بالنصر الى الخليفة فى بغـداد والذى سياتى فى الملاحق (Nersès : Ibid., p. 267).

(٢٨٨) ابن الفرات : تاريـــخ الـدول والملوك ، حـ ٤ ص ٦٠ (ب) ،
Cahen : Op. Cit., p. 371

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237, Michaud : Op. Cit., V. 2, p.p. 110 - 113 - 114.

(٢٨٩) Cahen Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V.2, p. 238.

الصــليبيين جميعا فى الشرق (٢٩٠) ؛ اذ دق ناقوس الخطر لبقية الامارات الصــليبية ، التى لم تستطع أن تقــدم اية مســاعدة ايجابية للرهــا وقت محنتها (٢٩١) . حتى جيش القــدس الذى كان قــد ارســل نجــدة للرهــا ، والذى انضم اليه بعض الفرنج من بقية الامــارات ، لم يستطع الوصــول الى الرهــا . ففى رمضــان ٥٣٩هـ مارس ١١٤٥م علم زنكى باجتماع هــذا الجيش فى تل عدى Tell'Ada شمال انطاكية ــ فارسل اليهم جيشــا كبيرا من التركمــان أعمل فيهم الأسر والقتل وشتت جموعهم فرجعوا خاسرين (٢٩٢) .

وعندما لم تجــد تلك الوسيلة لانقاذ امــارة الرهــا بدات أنظــار صليبى الشرق تتجه الى الغرب المسيحى من جديد لطلب النجدة (٢٩٣) .

٣ ــ رد الفعل من جــانب المسيحيين الشرقيين :

ولم يقتصر الحزن لفقد الرهــا على بقية الامارات الصليبية فى الشرق بل تعداه الى جميع الطوائف المســيحية الشرقية خاصــة الأرمن الذين اعتبروا الاستيلاء على الرهــا ضياعا لجــزء هــام من كيــانهم ، بحكم تبعيتها لهم قبل قــدوم الصــليبيين ، فضــلاً عن انهــا كــانت مقــرا لجوســلين الثــانى وهو صديق حقيقى لهم (٢٩٤) .

وقــد ظهر ذلك الحزن فى عــدة مظاهر . منها تلك البعثة الأرمينية

---

(٢٩٠) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 114, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(٢٩١) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69.

(٢٩٢) Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : p. 269,
ابن القــلانسى : الــذيل ، ص ٢٨٠ حسن حبشى : نور الــدين والصــليبيين ، ص ٣٩ (عن الذهبى : تاريخ الاســلام) وهنــا يشــير ميخــائيل الســريانى أن سبب تفرق الجيوش الصــليبية هو خوفهم من المجاعة بعــد قطــع المســلمين الامدادات عنهم . اما كاهين فيذكر أن الانطاكيين هم الذين اشتبكوا مع قوات زنكى التركمانية ؛ وربما دفعــه الى ذلك الخطأ ان مكان التجمع كان فى منطقة قرب انطاكية
(Cahen : Op. Cit., p.p. 370 — 371).

(٢٩٣) Charles - Hefele : Op Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier: l'Eglise, p. 104.

(٢٩٤) Iorga : L'Arménie, p. 96.

التى توجهت الى روما فى نوفمبر ١١٤٥م لطلب النجـدة من البابا ايوجين الثالث وعقدت فى نفس الوقت صـلحا مع الكنيسة الرومانية (٢٩٥) ، كان يصـاحب تلك البعثة (هيو) أسقف جبلة ، احـد أسـاقفة امـارة انطاكية البارزين ، والذى توجـه الى الغرب واثار فكرة حرب صـليبية جـديدة (٢٩٦) . ومن هـذا يبدو انه اذا كان أمير انطاكيـة لم يسرع لنجـدة الرهـا ، فان هـذا لم يمنع رجـال الدين فى امارته من القيـام بدور ايجابى تجاه الرهـا .

ومن بين تلك المظاهر ايضـا المراثى الشعرية والنثريـة التى كتبها بعض رجـال الدين من المسيحيين الشرقيين المعاصرين لسـقوط الرهـا والتى من اهمها قصيدة الرثاء التى كتبها نيرسيس شنورهالى (٢٩٧) . هـذا الى جـانب المقالتين التى رثى بهمـا الرهـا (ديونيسيوس) — الذى كان لايزال شماسـا فى ملطية آنذاك . كذلك المقالات الرثائية الثلاث التى كتبها باسيليوس Basilius مطران الرها اليعقوبى (٢٩٨) .

وقـد يتضح موقف الأرمن أكثر تجاه تلك الحركـة التى قام بها زنكى اذا عرفنا ان بعض المصـادر المعاصرة ذكرت أن جماعة من الأرمن بالرها

---

(٢٩٥) Bréhier : L'Eglise, p. 104.

(٢٩٦) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier : L'Eglise, p. 104, يؤكـد هـذا ما ذكـره اسـحاق عبيـد : رومـا وبيزنطـة ص ١٨٢ عن (Otto of Freising « ان اسقف جبله وصل الى روما وعيناه قـد اغرورقت بالدموع يحـذر سـامعيه من الخطر المحدق بالكنيسـة فيما وراء البحـار نتيجة لسقوط الرهـا ، ومبديا رغبتـه فى عبور جبال الالب ليستعطف ملكى الألمـان والفرنسيين لاستنقاذها » .

(٢٩٧) Nersès : Op. Cit., p.p. 242 - 243.

ففى الأبيات ٤٨٥ — ٤٨٨ ، ٥٢٣ — ٥٢٥ يقول

كنت متربعة على عرش فخم
كملك اعتـلى مركبتـه
او ملكة رائعة الجمال
ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ماأسبغ على من نعمة
زال واندثر

(٢٩٨) Michel : Op. Cit , p. 267, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. - p. 270

انتهزوا فرصة قلة الحامية الزنكية بالمدينة وارادوا الأيقاع بهـا . لكن نائب زنكى بها اعلمه بذلك فاتى مسرعا وعاقب هؤلاء بالقتل والصلب والطرد (٢٩٩) .

٤ — رد الفعل من جـانب البابوية والغرب المسيحى :

أثـار استنجاد مسيحى الشرق بالبابويـة ١١٤٥م فكرة الشروع فى اعـداد حملـة صـليبية ثانيـة تتوجـه لانقـاذ الأراضى المقدسـة فى الشرق (٣٠٠) . وقـد حث على تنفيذ تلك الفكرة ملك فرنسـا لويس السـابع ، الذى أعلن فى يوم عيد الميلاد ١١٤٥م عن رغبتـه فى انقـاذ الامارات المسيحية فى الشرق وبعـد ان اصبحت فى حـال يرثى له بعـد سقوط الرهـا (٣٠١) . وارسـل الملك بالفعل بعثة الى البابا ايوجين الثالث تحمل ذلك المعنى ، فلاقت الفكرة قبولا كبيرا لديه ، وعاد السفراء الى فرنسـا ومعهم خطاب من البابا يحث فيه الملك الفرنسى وشعبه على تنفيذ ذلك ، واعـدا اياهم بالعديد من الخدمات الكنسية وفى نفس الوقت عين البابا مندوبا عنه فى تلك الحملة هو القديس برنارد Saint Bernard (٣٠٢) .

مقتل عماد الدين زنكى :

على ان الأجل لم يمهل زنكى حتى يستكمل فتح بقيـة امارة الرهـا ،

---

(٢٩٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٨١ : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ٤ مخطوط ص ٦٠ (ب) ، Cahen : Op. Cit., p. 371 ويضيف المصـدر والمرجع الأخيرين اتصـال جوسـلين بهؤلاء الأرمن .

(٣٠٠) Charles-Hefele : Op. Cit., T. V, Part 1, p. 803, Edward Maslin : The Middle Ages, p. 485, George Burton Adames. Medieval and Modern Hist., p. 114, Pasdermadjian : Op. Cit., p. 207, Archer : Op. Cit., p. 204, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٣٠١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 803 - 804. Augustin Fliche : Hist. du Moyen Age, T. II, p. 542.

هنـا يذكر (هيفل) أن رغبـة ملك فرنسـا هـذه نبعت من رغبتـه فى اصلاح العلاقات بينه وبين البابوية والتى كانت قـد سـاءت منذ ١١٤٠م .

(٣٠٢) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p. 804. من (Labbe : Concilia)

فلم يمر سوى سنة وتسعة أشهر تقريبا على سقوط الرهـا حتى قتل فى أوائل ربيع الآخر ٥٤١هـ ، منتصف سبتمبر ١١٤٦م (٣٠٣) . وذلك أثناء حصاره لقلعه جعبر التى كانت بيد مالك بن سالم بن مالك بن بدر العقيلى (٣٠٤) . وكان زنكى قد أرسل فى ذلك الوقت ايضا جيشا للاستيلاء على قلعة فنك من صاحبها الامير حسام الدين الكردى البشنوى (٣٠٥) . ويبدو أن زنكى كان لا يود ترك اية قلعة وسط بلاده فى يد قوة لا يطمئن اليها ، مبالغة منه فى الحزم والاحتياط (٣٠٦) . لكن بعض مماليكه اغتالوه وهو نائم لأسباب اختلف فيها (٣٠٧) . وبذلك

---

(٣٠٣) Michel : Op. Cit., p. 268, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.
يذكر أن ذلك كان فى ١٥ سبتمبر ١١٤٦م . أما جروسية ورنسيمان فيذكران أن ذلك كان فى ١٤ سبتمبر .
Grousset : L'Empire, p. 224, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.
أما المصادر العربية فبعضها يذكر أنه توفى فى الخامس من ربيع الآخر ٥٤١هـ واهمها ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٣ ، ابو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ص ١٨ والبعض الآخر يذكر أن ذلك كان فى سادس ربيع الآخر واهمها ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٩٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٨١ . فى حين انفرد سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٩٠ . بالقول أن ذلك كان فى يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر . والراجح أن هذا الراى الأخير غير صحيح .

(٣٠٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٩٨ ، ابو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ص ١٨ ، زامبور : معجم الأنساب ، جـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٣٠٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٩٨ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ص ١٨ . وقلعة فنك حصن مجاور لجزيرة ابن عمر وهو للاكراد البشنوية وكان له معهم حوالى ثلثمائة سنة (ابن الأثير : الباهر ص ٧٣) .

(٣٠٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٩٨ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ١٠٧ .

(٣٠٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٨٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٩٩ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١ ق ١ ص ١٩٠ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ١٠٨ . وقد ذكر ابن العديم أن سبب قتله أنه هدد احد خدمه المسمى (يرنقش) فى النهار فلما كان الليل قتله وذكر أيضا أن زنكى بعد أن نام نتبه فراى يرنقش يشرب هو وجماعة من غلمانه فضل شرابه فتوعدهم فاجمعوا على قتله . أما أبو شامة وسبط بن الجوزى فيذكران أن سبب ذلك أنه كان اذا نقم من كبير أرداه واقصاه واستبقى ولده وخصاه . ولذا نبعد أن خصى جماعة من الغلمان ذبحوه وهو نائم .

خسر الاســلام بمقتله شخصيه من اهم الشخصيات التى تزعمت حركــة الجهــاد الاســلامى ضــد الصـــليبيين فى الشرق فى النصف الأول من القرن الثــانى عشــر للميلاد ، حتى قيل ان المســلمين قتلوا جميعــا بقتله (٣٠٨) . وبهذا أحــدثت وفاته فرحـــة كبيرة بين الفرنج (٣٠٩) .

وبعــد وفاة زنكى انقسمت ممتلكاتــه الى قسمين . الشرقى ومقره الموصــل تولى الحكم فيــه ابنــه الأكبر سيف الدين غازى بمســاعدة جمال الدين محمد الأصفهانى ، والقسم الغربى ومقره حلب وقــد آل الى نور الدين محمود بمســاعدة صــلاح الدين الياغيســيانى (٣١٠) . وتمكن ابناء زنكى من المحافظة على ارث والدهم . ولم يلبث نور الدين ان حمل راية الجهاد ضــد الفرنج بعــد ابيه ، بل صــار اكثر منــه شــدة فى التصــدى لهم ، مما جعل فرحـــة الفرنج بوفاة زنكى لاتدوم طويلا .

ضياع الرهــا واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

لم تكد اخبار وفاة زنكى تصــل الى الفرنج حتى تجــدد لديهم الأمل فى استعادة الرهــا من المسلمين . كان جوســلين الثــانى لايزال مقيما فى تل باشر عندما علم بذلك الخبر فجمع حوله الفرنج وتقدم الى الرهــا ليسترجعها بعــد ان تأكــد من معاضــدة مسيحى الرهــا — خاصــة الأرمن — له فى تلك الخطوة . واذا كانت غالبية المصــادر العربيــة قــد اكدت ان جوســلين هو الــذى راســل اهل الرهــا واخــذ موافقتهم

---

(٣٠٨) ابن العــديم : زبــدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠٩) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 110.

(٣١٠) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٣ — ١٤ ، البــاهر ص ٨٤ — ٨٦ ، ابن العــديم : زبدة الحلب حـ ٢ ص ٢٨٥ ، ابو شــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ Michel : Op. Cit. p. 268. ويضيف ابو شــامة ان ذنكى لم يترك هذين الولدين فقط بل كان له ايضــا ولدين وبنتان والولدين هما قطب الدين مودود وهو ابو الملوك بالموصــل ونصرة الدين أمير اميران .

(٣١١) ابن القلانسى : الــذيل ، ص ٢٨٨ . ابن الأثير : الكــامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، البــاهر ص ٨٦ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١٠ ؛ سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهايــه الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

على مســاعدته فى القيام بتلك الحركة (٣١١) . فان وليم الصورى ذكر أن أهــالى الرهــا كان لهم التأثير الكبير فى دفعه الى ذلك . ذلك انه أوضــح أن زنكى كــان قــد ترك بالرهــا حاميــة قليلــة العــدد ، وكان الســكان الموجودون بالمدينة آنذاك شــديدى الأخلاص للمسيحيه . لذا أرســلوا سرا الى جوســلين الثــانى وأخبروه انه باستثناء الأتراك القليلين الذين كانوا يحرسون القلعة ، فان مدينتهم بيد الأهــالى ، والحوا عليه بشــدة أن يجمع القوات ويسرع الى المدينة فيسلمها اليه الأهالى فى الحــال (٣١٢) .

والراجح أن رغبة جوســلين الثــانى الجامحة فى استعادة امارتــه تضــافرت مــع التقرير المشجع الذى وصــله عن الرهــا وطبيعة الدفاع منها فى ذلك الوقت .

وكــان أن تقــدم جوســلين الى الرهــا مصحوبا بما تبقى لــه من فرســان فضــلا عن بعض المشــاة ، كما رافقــه بلدوين أمير كيسوم ومرعش (٣١٣) . وبمجرد وصولهم الى الرهــا فى ٢٧ أكتوبر ١١٤٦م ـ جمادى الآخره ٥٤١هـ (٣١٤) . دخلوها فجاة اثناء الليل (٣١٥) . عن طريق تسـلق المشــاة لأسوارها بمســاعدة ســكانها الأرمن وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على برجين من ابراج المدينــة ، ولم يلبث أن فتــح هؤلاء المتسللون الأبواب لبقية رفاقهم بما فيهم جوسلين وبلدوين (٣١٦)

---

٣١٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

٣١٣) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois. p. 200, من (Michel), p. 884 عن (L'Anonyme)

٣١٤) Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٢٨ عن p.884 (L'Anonyme)
وهنــا أخطــأ كل من الكــاهن جريجوار وابن العبرى فى القول بــأن تلك الحركة كانت ١١٤٧م
(Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus Op. Cit . V. 1, p. 273.)

٣١٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160.

٣١٦) Michel :Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. . Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 200, 884.

وبمجرد دخولهم المدينة اعمل جوسلين ومن معه السيف فى المدينة بتهور (٣١٧) . فقتل كثيرا من المسلمين وهرب الباقون (٣١٨) ، الى القلعة واحتموا بها (٣١٩) .

عندئذ ارسل الاتراك الموجودون بالرها رسلا الى حلب والموصل (٣٢٠) كما ارسل جوسلين رسلا تخبر المسيحيين فى كل مكان بعودته الى الرها ونطلب فى نفس الوقت التعزيزات . فكان لتلك الأخبار اثرها الكبير السار بين المسيحيين . وكان سرورهم فى تلك المرة لايقل عن حزنهم العميق الذى احسوا به عند فقد الرها ١١٤٤م (٣٢١) .

لكن شاء حسن حظ المسلمين ان اهالى الرها كانوا لا يملكون الا بعض القوات المحرومة من التموين منذ سنتين (٣٢٢) . هذا بالأضافة الى أن جوسلين ورفاقه القليلين لم يحضروا معهم اى مهندسين ولا آلات للحصار (٣٢٣) ، ثم انهم انصرفوا بتهور الى السلب والنهب فى أرجاء المدينة ولم يركزوا جهدهم منذ البداية فى الاستيلاء على القلعة (٣٢٤) ، التى كانت محصنة بعناية ومجهزة تجهيزا جيدا بالمؤن والأسلحة والجند (٣٢٥) .

وكان يمكن ان ترجع كفة المسيحيين ولو لفترة قصيرة ، لو أن بقية الامارات الصليبية سارعت ودعمت فرحتها وقتذاك بتقديم المساعدة الجدية للرها . لكن شيئا من هذا لم يحدث ولم يصل للرها أية

---

(٣١٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣١٨) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ؛ العينى : عقد الجمان ، جـ ١٦م ١ ص ١٦٠ .

(٣١٩) Michel : Op. Cit., p. 270; William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(٣٢٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(٣٢١) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

(٣٢٢) Zoé Op. Cit., p. 339.

(٣٢٣) William : Op Cit., V. 2, p .158, Michaud : Op .Cit., V. 2, p. 111.

(٣٢٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme)

(٣٢٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 158.

تعزيزات (٣٢٦) . وعلى ذلك فرغم سيطرة جوسلين على المدينة الا أن « القلعة امتنعت عليه بمن فيها من المسلمين (٣٢٧) » .

وبمجرد معرفة نور الدين محمود بن زنكى أمير حلب بتلك الاخبار ، تقدم مسرعا الى الرها لاستعادتها (٣٢٨) . على رأس قوة مكونة من عشرة آلاف فارس (٣٢٩) . جدوا فى السير حتى « وقعت الدواب فى الطرقات من شدة السير (٣٣٠) » . وعندما وصلت القوات النورية الى الرها شددت الحصار عليها ، وعندئذ أصبح جوسلين والحفنة القليلة من رجاله الفرنج الى جانب أهالى الرها محصورين بين نارين (٣٣١) . نور الدين ورجاله من الخارج والاتراك الذين كانوا بالقلعة من الداخل ، سيف فى الخارج ورعب فى الداخل (٣٣٢) . فماذا فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

الحقيقة ان غالبية المصادر العربية تشير الى أنه عند اقتراب نور الدين بقواته من الرها « هرب جوسلين عائدا الى بلاده (٣٣٣) » . اى انه لم يحدث صدام بين الجانبين . اما ابن القلانسى وهو المصدر

---

(٣٢٦) Michel : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 210, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ١ ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٩٠ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابو شامة : الروضتين ، فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسى ؟

(٣٢٨) Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p. 201, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٢٩) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273

(٣٣٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٨٨ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ١٢٥ ، العينى : عقد الجمان، جـ ١٦ م ١ ص ١٦٠ .

(٣٣١) William : Op. Cit., V. 2, p. 159, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 201, 202, 884, Zoé : Op. Cit., p.339, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 111.

(٣٣٢) William : Op. Cit. V. 2, p. 159.

(٣٣٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ، ص ٨٦ ،

العربى المعاصر فيذكر انه عندما قدم نور الدين وشـدد حصـاره على الرها اضطر جوسلين الى اللجوء الى احد ابراج المدينة « ومعه عشرين الف فارس » ، فنقب المسلمون عليهم البرج حتى اسقطوه وافلت جوسـلين مـع أصحابه (٣٣٤) . هـذا فى حين ذكر وليم الصورى ان المسيحيين قرروا بالاجماع ترك المدينـة مـع المخاطرة بالموت اذ كان من الافضـل أن يواجهوا العـدو ويشقوا لانفسهم بالقوة طريقا للنجـاة بدلا من ان يصروا على حصـار يفنى فيه الجميع اما بالسيف او بالمجاعة ، او يصبحوا عبيدا للأتراك (٣٣٥) . وبالفعل نفذ ذلك القرار فى الثـانى او الثالث من نوفمبر ١١٤٦م (٣٣٦) ، مما جعل اقامة الفرنج فى الرهـا فى تلك المرة حوالى خمسـة ايام او ستة (٣٣٧) .

والواقـع أن جوسـلين كان لايزال موجودا بالرهـا عنـد قـدوم نور الدين اليها فلما اشتد تضييق نور الدين وقواتـه على الفرنج قرروا الرحيل عن المدينـة خلسـة . كذلك قرر اهـالى الرهـا مغادرة المدينة سواء عن رضى أو عن غير رضى لانهم كانوا متاكدين مما سيحل بهم من تنكيل اذا هم ظلوا مقيمين بالمدينـة (٣٣٨) ، بعـد ان تنكروا لعهودهم . ولن نتناول هنـا بالتفصيل وضـع اهل الرهـا عندئذ لأننا سنفصـل الحديث عن الأهالى فى الباب القـادم .

ابن واصـل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبـدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، سـبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقـة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، حـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٣٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العينى : عقـد الجمان ، حـ ١٦م ١ ص ١٦٠ يبدو أن العدد المذكور فيه شىء من المبالغة .

(٣٣٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 159.

(٣٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 من (L'Anonyme) يذكر ان ذلك كان يوم السبت ٢ نوفمبر ويذكر نفس المؤلف فى كتاب آخر أن ذلك كان فى ٣ نوفمبر . (Grousset · L'Empire, p. 224).

(٣٣٧) يـذكر الكـاهن جريجوار أن أقامـة الفرنـج بالرهـا كان خمسـة ايام . (Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160).
اما ابن العبرى فيقول ان ذلك كان ستة ايام .
(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273).

(٣٣٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grégoire Le Prêtre : p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884, عن (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 339.

وما أن بدأ جوسلين وفرسانه فضلا عن أهالى الرها يغادرون المدينة أثناء الليل حتى تتبعتهم قوات نور الدين فسقط معظم الفرسان الفرنج وفر الباقون (٣٣٩) . وقتل بلدوين أمير مرعش فى ذلك الوقت (٣٤٠) . فى حين فر جوسلين الى سميساط (٣٤١) . بعد أن جرح فى رقبته (٣٤٢) .

وهكذا دخل نور الدين الرها فنهبها وسبى أهلها ففر منها الكثير ولم يبق بها الا القليل (٣٤٣) . وبالرغم من أن الرها كانت ضمن ممتلكات سيف الدين غازى أخو نور الدين الا أنه عندما سبقه نور الدين اليها

---

(٣٣٩) Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus: Op. Cit., V. 1, p. 273.

كانت مغادرة جوسلين للرها فى الساعة الثالثة صباح ٣ نوفمبر وسط الظلام بعد ان كون طابور من الهاربين ووضع بلدوين حاكم مرعش على مقدمته وكان هو يحمى المؤخرة

Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 884-885. عن (L'Anonyme)

(٣٤٠) Grégoire : Op. Cit., p. 160.

Michel : Op. Cit., p. 271.

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist .des Crois., V. 2, p. 885

عن (L'Anonyme)

ويذكر جريجوار انه قتل رغم اقدامه البطولى ويفضل حزن الأرمن عليه بصورة مسهبة

(٣٤١) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٣٤٢) Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.

(٣٤٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ؛ الباهر ص ٨٦ ــ ٨٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١١١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ؛ الغزى : نهر الذهب ، حـ ٣ ص ٩١ . وهنا يصور ميخائيل السريانى خراب الرها فى هذه المرة قائلا : أصبحت الرها خالية مسربلة بالسواد غارقة بالدماء ، عفنة من جثث ابنائها وبناتها دخلتها الهوام والحيوانات المفترسة الأخرى ، لتقتات أثناء الليل باجساد الرجال الأعزاء الذين قتلوا . ولم يدخل المدينة احد من الناس الا من كانوا ينبشون لاكتشاف ثرواتها . (Michel : Op. Cit., p. 272).

ونكل بمن قاموا بالحركة الأخيرة فيها واستبدادهــا للمرة الثــانيه تركها سيف الدين له ولم يعارضـــه فيها (٣٤٤) .

والحقيقة انه مهما تكن تفسيرات اسباب هزيمة الفرنج فى الرهــا فى تلك المرة (٣٤٥) - فان ذلك لا يقلل من شـــان ذلك الفتح الثــانى للمدينة ، وهو الفتح الذى يعتبر نهائيا فضـــلا عن انـــه يشير الى حركة استرداد اسلامية كبرى (٣٤٦) .

ردود الفعل لسقوط الرهـــا ١١٤٦م ــ ٥٤١هـ :

كان استيلاء المســـلمين على الرهـــا للمرة الثانيـــة ١١٤٦م اكثر ايلاما بالنسبة للمســـيحيين من فتحها الأول ١١٤٤م (٣٤٧) . فقد تأكد بهـــذا الفتح استيلاء المسلمين عليها فضـــلا عما حل باهلها جميعا تلك المرة من تنكيل شـــديد بعكس المرة الســـابقة التى كانت اخف وطأة .

ومع ذلك فان بقيـــة الامارات الصـــليبية لم تحاول تقديم اية نجـــدة سريعة للرهـــا ، حتى انطاكية الشـــديدة القرب جـــدا من امارة الرهـــا رفض اميرهـــا تقديم اية مســـاعدة ، وسلك مسلكا انانيا مـــع ما فى ذلك من خطر عليه . وبالفعل لم تمر سنة على ذلك حتى جرد نور الدين امارة انطاكية من ارتاح وبذلك كشف الجـــانب الشمالى الشرقى لتلك الامارة وهو الجـــانب الذى اصبح معرضـــا للخطر من جانب المسلمين (٣٤٨) .

---

(٣٤٤) ابن الأثيـــر : الكـــامل : جـ ٩ ص ١٤ ، البـــاهر ، ص ٨٧ ، ابن واصـــل : مفـــرج الكروب ، جـ ١ ص ١١١ ، ســـبط بن الجـــوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٤٥) يذكر أولدنبرج أن سبب كارثة الرهـــا فى هـــذه المرة هو تهور جوســـلين ونفاذ صبر رعاياه الأرمن الى جـــانب تهاون واهمال رؤســـاء الامارات الصـــليبية الأخرى (Zoé : p.p. 339 - 340) أما ميخائيل فيـــذكر عن ديونيســـيوس الآمـــدى أن ذلك بسبب آثام اهـــالى الرهـــا (Michel : p. 273)

ويشـــارك ميخائيل فى رأيه هـــذا وليم الصورى (William : Op. Cit., V. 2, p. 212)

(٣٤٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 208.

(٣٤٧) William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 208.

(٣٤٨) Grousset : L'Empire, p. 225.

وبرز حزن المعسكر المسيحى على فقدان الرهـا تلك المرة من خلال بعض قصائد الرثاء التى من أهمها تلك المرثية التى كتبها ديونيسيوس الآمدى والتى يرجع فيها هزيمة المسيحيين فى ذلك الوقت الى انهم عصوا ارشادات السيد المسيح ولم يطيعوه ، وانهم هم سبب ما يصيبهم من خير أو شر ، وان الرب يساعدهم اذا اتبعوا طريقة ، ويكون الشيطان الى جانبهم اذا انحرفوا للشر (٣٤٩) .

كذلك رثى ميخائيل السريانى الرهـا واهلها الذين نكل بهم نور الدين واخذ عنه ذلك الرثاء ابن العبرى فى تاريخه (٣٥٠) . لكن اذا كان مسيحيو الشرق قد اكتفوا برثاء الرهـا ، فان اخبار سقوطها فى تلك المرة كان له أعمق الأثر فى الغرب ، وخاصة فى المانيا وفرنسا حيث ارتفع صوت ينادى بحملة صليبية (٣٥١) ، بطريقة اكثر جدية واكثر سرعة .

وقد رأينا انه منذ ١١٤٥م كان قد بدأ الاعداد بالفعل لحملة صليبية ثانية تتوجه للشرق لاسترداد الأماكن المقدسة ، فلما وصلت اخبار ضياع الرها للمرة الثانية وما صحب ذلك من قتل وطرد المسيحيين ، بدأ الملك لويس السابع يتبادل بعض الرسائل مع الأمراء الذين تقع بلادهم على الطريق الذى ستمر به تلك الحملة الجديدة . هذا بالاضافة الى جهود القديس برنارد فى الهاب حماس بقية الغرب للدفاع عن تلك القضية المقدسة (٣٥٢) .

---

(٣٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 272-274. (Paroles d'extortation qu'écrivit Dionysius d'Amide).

سيأتى مع الملاحق .

(٣٥٠) Michel : Ibid., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

ستأتى مع الملاحق فهو يقول مثلا :

يالحسرة على سحابة الغيظ ، يوم بغير شفقة !

ياليل الموت ونهار الجحيم ، يوم التخريب ! الذى

اندفع على الأهالى البؤساء ! » .

(٣٥١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 808-809, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

(٣٥٢) Charles-Hefele : Op. Cit., p. 809. (Vacandard : Vie de Saint Bernard).

اما عن موقف الامبراطورية البيزنطية من سقوط الرها فى المرتين فيمكننا ان نستشفه من خلال الخطابين اللذين ارسلهما الامبراطور مانويل كومنين الى البابا ايوجين الثالث اغسطس ١١٤٦م ، مارس ١١٤٧م (٣٥٣) .

ويفهم من الخطاب الأول ان البابا كان قد ارسل الى الامبراطور البيزنطى مع رسل ملك فرنسا لويس السابع خطابا يحثه فيه على المشاركة فى تقديم المساعدة لحملة صليبية تثأر لسقوط الرها ، عقب سقوطها اول مرة . ثم ارسل اليه معاتبا على عدم رده عليه . والراجح ان خطاب البابا الاول لم يصل للامبراطور ووصله الثانى فقط لذا ففى الخطاب الأول للامبراطور مانويل (اغسطس ١١٤٦م) نجده يشكو للبابا من انه لم تصله منه ايه رسائل وانه كان مستعدا لتقديم المساعدة الممكنة . بشرط ان يقدم الصليبيون له ولاءهم كما حدث فى عهد جده الكسيوس كومنين (٣٥٤) .

لكن البابا لم يرد على الامبراطور بسفارة جديدة ولا برسالة ، لذا أسرع مانويل بالكتابة اليه مرة اخرى فى مارس ١١٤٧م اى بعد سقوط الرها للمرة الثانية ، وكان هذا هو خطابه الثانى الذى ابدى فيه مانويل تعجبه من عدم رد البابا عليه بل انه عرض عليه اى اقتراح يروق له حتى ولو كان الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية (٣٥٥) .

(٣٥٣) لم نظهر اية اشارة عن هذين الخطابين فى المصادر التى ارخت للحروب الصليبية حتى الحديث منها مثل كتاب جروسية وشالندون . كانت النسخة الأولى للخطابين مكتوبة بماء الذهب ثم ترجمتا الى اللاتينية ثم ضاعت الترجمه اللاتينيه . نشرت نسخة للخطابين بواسطة Amaduzzi الى جانب عدة نسخ مخطوطة منه ما نقله Brial فى جامع التواريخ الغالية الى جانب نسخ كل من Theiner, Miklosich, Pitra (V. Grumel . Deux Lettres de Manuel Comène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 143)

(٣٥٤) اما عن محتويات الخطاب الأول فقد ذكرها المصدر السابق (p. 144).

(٣٥٥) V. Grumel : Ibid : p. 157 - 159.
هنا يعلق (جروميل) على اقتراح الامبراطور بقوله « كان الامبراطور ظن هنا أن سبب عدم رد البابا عليه هو الانفصال الدينى بين كنيستى روما وبيزنطة . لكن الحقيقة أن سبب تأخر الرد هو أن البابا شعر أن الامبراطور

والواقــع أن امبراطور بيزنطة كان يعرض فى ذلك الوقت معونتـه مشروطــة بالشرط التقليدى وهو خضوع الحملــة الصــليبية المزعومــة للامبراطور ؛ لانــه لم ينس ما حــدث من قبل من تنكر الصــليبيين لمــا كانوا قــد اتفقوا عليه مع جــده . وفى نفس الوقت رغب الامبراطور أن تظل الممتلكات اللاتينية فى الشرق بيد الصــليبيين لا المسلمين وبذلك تسهل سيطرته عليها .

والحقيقة أن مسيحيى الشرق ظلوا يضعون آمالهم الكبار فى نجــدة تاتيهم من جهة الغرب . وحتى بعد قــدوم الحملة الصــليبية الثانية بقيادة الامبراطور الالمــانى كونراد Conrad والملك الفرنسى لويس السابع Louis VII ، كان جوســلين الثانى يامل فى استعادة الرهــا كما كان ريموند امير طرابلس يرغب فى استرجاع بارين لذلك أرســل هــذان الأميران الى الملك الفرنسى أثناء وجوده فى انطاكية بعض الخطابات محملة بالتوســلات هذا الى جانب بعض الهدايا الغالية الثمن (٣٥٦) .

جيران الرهــا وبقايا الامارة حتى اسر جوســلين الثانى :

بالرغم من استرداد نور الدين محمود لمدينة الرها فى ١١٤٦م — ٥٤١هـ وبعض منعلقاتها ، فانه لم يهدأ بل كان يسعى دائبــا الى استخلاص بقايا تلك الامــارة من يد اميرها الذى اضعفته تلك الضربة الثانيــة لامارته . ففى ٥٤٣هـ — ١١٤٨م توجه نور الدين من حلب الى أحــد حصون جوسلين للاستيلاء عليــه ، وعندئذ لم يجــد جوســلين بدا من مسالة نور الدين والمثول بين يديه « واستعطى من هفواته فرضى عنه وخلع عليه (٣٥٧) » . وربما استخدم نور الدين اسلوب المســالمة عندئذ ليعــد لضربة أقوى فيما بعــد . لكن امــارة الرهــا لم تســلم فى ذلك الوقت من تهديد فرع اســلامى آخر ، ممثلا فى ســلاطين قونية أو ســلاطين الروم فقد تقدم الســلطان مسعود الأول بن قلج ارســلان (٥١٠ — ٥٥١هـ / ١١١٦ — ١١٥٦م) جنوبا الى شمال سوريا منتهزا فرصــة وفــاة أمير انطاكيــة

=

كــان يرغب فى الاعتمــاد على مســاعدة الصــليبيين فى حمايــة اراضى الامبراطوريه اكثر من استعادة الأراضى التى اخــذت بواسطة الاتراك . وانه كان يامل فى الحصول — عن طريق ضربة واحدة — على ما حصل عليه جــده بعد ان بذل الكثير من التعب وبعد مرور وقت طويل » .

(٣٥٦) Zoé : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٤ مخطوط ص ٩١ (ب) .

ريموند ٥٤٤ - ١١٤٩م (٣٥٨) واستولى على مرعش التى كانت بلا قوات تدافع عنها فى ذلك الوقت (٣٥٩) . بعد وفاة أميرها بلدوين فى ١١٤٦م . ثم تقدم السلطان بعد ذلك الى تل باشر وحاصرها رغم أن جوسلين الثانى وزوجته واطفاله كانوا بداخلها (٣٦٠) .

هنا نجد رايين مختلفين عن موقف جوسلين عندئذ . احدهما يذكر ان الملك بلدوين الثالث ارسل نجدة الى جوسلين من انطاكية استطاعت أن تحمى عزاز التى كانت مهددة ايضا وقتئذ . ثم ساد السلام بين السلطان وجوسلين ورحل الأول عائدا الى بلاده بينما توجه الثانى الى انطاكية ليشكر الملك على اهتمامه بمصالحه (٣٦١) .

والراى الثانى يذكر ان جوسلين لم يبد اى أهتمام بجمع فرسانه؛ واكتفى بارسال القوات التى بقيت لديه مع الأمير باسيل اخو (جريجوار الثالث) حاكم كركر ، وامرهم بحمل المؤن والامدادات للمكان المحاصر ، لكن قوات قرا ارسلان الارتقى باغتتهم واسرتهم جميعا ومن جملتهم الأمير باسيل ، وقادهم امام قلعة كركر التى كانت بها زوجة باسيل واطفاله ، عندئذ تخلى لهم عن المكان فى مقابل اطلاقهم للاسرى فى امان وتم اتفاق ودى بين الجانبين . وعندئذ تقدم جوسلين الى انطاكية لطلب نجدة لكنه اسر فى الطريق (٣٦٢) .

ومهما تختلف الآراء فان امارة الرها خسرت جزءا آخر من أراضيها هو مرعش انتقل الى سلاطين الروم فضلا من ان تل باشر تعرضت للتهديد ولكنها ظلت بايدى الفرنج لفترة قصيرة بعد ذلك كما سنرى .

---

(٣٥٨) William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
ويذكر ابن الأثير : الباهر ص ٩٩ ان امير انطاكية توفى ٥٤٤هـ اثناء حصار نور الدين لحصن انب (وهو حصن من اعمال عزاز من نواحى حلب) .

(٣٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit , p. 163.
ولكنه يذكر ان ذلك كان ٥٤٣هـ - ١١٤٩م والراجح انها ٥٤٤هـ لانه قام بحملته هذه بعد وفاة امير انطاكية

William : Op. Cit., V. 2, p. 200.
والراجح ان حصار مسعود لتل باشر كان فى ٥٤٥هـ استنادا الى راى بن العماد الاصفهانى : تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٠٦ .

(٣٦١) William : Ibid., V. 2, p. 200.

(٣٦٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p.p. 163 - 164.

أسر جوسلين الثانى :

اختلفت المصادر العربية فى السنة التى أسر فيهما جوسلين كما اختلفت أيضا فى الطريقة التى أسر بها فمن ناحية تاريخ أسره ، نجد فريقا يذكر أن ذلك حدث ٥٤٥هـ (٣٦٣) . (١١٥٠م) والبعض يذكر أنه كان ٥٤٦هـ (٣٦٤) . (١١٥١م) وفريق ثالث يقول ٥٤٤هـ (٣٦٥) (١١٤٩م) . والراجح أن ذلك كان ٥٤٥هـ (١١٥٠م) استنادا لرأى ابن القلانسى (٣٦٦) . ذلك أن نور الدين دس لجوسلين بعض التركمان فأسروه لأنه كان « شديد العداوة للملة الاسلامية ، كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفى بعهد (٣٦٧) » . هذا بالاضافة الى أن نور الدين كان قد جمع قواته وقصد محاربة جوسلين فهزم المسلمين وأسر عددا كبيرا منهم من جملتهم « سلاح دار » نور الدين ، فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين وأرسله الى والد زوجة نور الدين ، السلطان مسعود بن قلج أرسلان قائلا « هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما أعظم منه (٣٦٨) » . وهو يقصد بالطبع انه سيأتيه

---

(٣٦٣) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك حـ ٥ ، ص ٣٢ (أ) ابن قاضى شهبة : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ .

(٣٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ النويرى : نهاية الأرب ، ٢٥ حـ ورقة ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٤٦هـ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ .

(٣٦٥) الذهبى : العبر ، حـ ٤ ص ١٢١ ، ابن ايبك : كنز الدرر ، حـ ٦ ، ص ٥٥٤ .

(٣٦٦) (William : Op. Cit., V. 2, p. 201).

يوافق هذا التاريخ ٥ مايو ١١٥٠م

(٣٦٧) ابن الأثير : الباهر ص ١٠٢ .

(٣٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠١ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦هـ ، أبو الفدا : المختصر حـ ٣ ص ٢٣ .

بعد ذلك بنور الدين نفسه . فلما علم نور الدين بذلك صمم على الانتقام من جوسلين فاحضر جماعة من التركمان « وبذل لهم الرغائب » ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلا أو أسيرا (٣٦٩) .

وفى احد الايام خرج جوسلين فى بعض رفاقه أما للصيد (٣٧٠) أو لطلب النجدة من انطاكية ضد السلطان مسعود (٣٧١) . وقيل أيضا انه قصد انطاكية « مقويا » لاهلها من الفرنج (٣٧٢) وكان التركمان الذين اتفق معهم نور الدين يراقبون تحركاته فأسروه .

هنا تختلف الروايات عن أسره (٣٧٣) لكنها تتفق فى أنه بعد أسره سيق فى أغلاله الى حلب فقضى فى السجن سنواته الأخيرة حتى مات (٣٧٤) . وقد فرح المسلمون كثيرا بأسره وحزن المسيحيون حزنا شديدا لذلك (٣٧٥) .

---

(٣٦٩) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ .

(٣٧٠) ابن الاثير : المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، احداث ٥٤٦هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ ، أبو الفدا ، حـ ٣ ص ٢٣ .

(٣٧١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164.

(٣٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (أ) .

(٣٧٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى : نهاية الارب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٣٢ (ب) ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ ، ابن ايبك : كنز الدرر حـ ٦ ص ٥٥٥ ،

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

(٣٧٤) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164, William : Ibid., V. 2, p. 201, Bar Hebraeus · V. 1, pp. 276-277.

(٣٧٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣

William : Ibid., V. 2, p. 201, Gibb : Op. Cit, p. 300.

اندثار امارة الرها بعد أسر جوسلين :

وبعد أسر جوسلين وضع الفرنج الموجدون فى تل باشر ابنه الذى كان لايزال صغيرا مكانه ، وكان يدعى جوسلين أيضا (٣٧٦) . وبذلك فقدت تل باشر أميرها القوى وأصبحت هدفا للمسلمين أكثر من ذى قبل .

ذلك أنه حدث بعد أسر جوسلين مباشرة أن تقدم نور الدين بقواته الى عزاز فحاصرها واستولى عليها فى ربيع الأول ٥٤٥هـ ١١٥٠م بالأمان ، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة فائقة . وبعد أن رتب بها من ينظم أمورها رحل عنها الى حلب (٣٧٧) .

ولما رأت زوجة جوسلين أن المسلمين سينتزعون بقية الامارة قطعة بعد أخرى اختارت ادخالها تحت نفوذ المسيحيين . لذلك تنازلت فى نفس ١١٥٠م عن قلعة الروم الى جريجوار الثالث الكاثوليكوس ١١١٣م — ١١٦٦م ، فأصبحت تلك القلعة مقرا لأتباعه حتى ١٢٩٣م عندما انتزعها منهم سلاطين المماليك فى مصر (٣٧٨) .

---

(٣٧٦) — Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 277.
لذلك أصبحت أمة بياتريس وصية عليه وأصبحت المتصرفة الحقيقية فى شئون بقية الامارة .

(٣٧٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٢ ، ص ٢٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ أ ق ١ ص ١٨١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ١٨ (أ) تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط ، حـ ١ حوادث ٥٤٥هـ ، العينى : عقد الجمان حـ ١٦م ١ ص ٢٠٥ ، Gibb : Op. Cit., p.p. 300 - 301. (وقد انفرد ابن الفرات بالقول بأن ذلك كان ٥٤٤هـ ولكن الراجح أن التاريخ غير صحيح) .

(٣٧٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.
هنا يشير مصدر آخر الى أن التنازل عن قلعة الروم كان ١١٤٧م ولكن هذا التاريخ خطأ لأنه قبل أسر جوسلين نفسه .
A .Vacant E. Mangenot, E. Amann : Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Part 2, p. 1902 (Paris 1923).

كذلك عندما علم الامبراطور البيزنطى مانويل الأول بأن حالة الرهـا تبدت على اليأس أرسـل ١١٥٠م ـ ٥٤٥هـ الى زوجـة جوسلين بعض الرسـل يحملون لها معونة ضخمة ويعرضون عليها تسليم بقية ممتلكاتها للبيزنطيين فى مقابل دخـل سنوى لهـا ولاولادهـا عندئذ وافقت الأميرة على تلك الشروط (٣٧٩) ، بعـد استشارة الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقـدس الذى فضـل هو ورجال مملكته ان تنتقل تلك المناطق الى حوزة البيزنطيين عن ان تسقط فى قبضـة المسـلمين (٣٨٠) ٠ وهكذا تسـلم البيزنطيون بقايا امارة الرهـا . أما غالبية سكانها ومعهم زوجة جوسلين واولاده فقـد صحبهم الملك بلدوين الثالث معه الى بيت المقـدس بعـد مصـاعب جمة لحقت بهم فى الطريق (٣٨١) ٠

على أن انتقال بقايا امارة الرهـا الى ايدى البيزنطيين شجع نور الدين بصورة اكبر على المضى فى طريقه لاستخلاص كافـة ارجـاء تلك الامـارة المحطمـة ووضعها تحت سـلطة المسـلمين . هـذا الى ان البيزنطيين الذين عهـد اليهم مهمة حمايـة ذلك الحطـام الرهوى كانوا غير راغبين فى الحرب ، مما جعل نور الدين يشـدد هجماته عليهم حتى اضطرهم الى

---

(٣٧٩) William : Op. Cit , V. 2, p. 208, Zoé : Op. Cit., p. 355, Archer : Op. Cit., p.p. 205 - 206, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 373. (1936).

(٣٨٠) Zoé : Op. Cit., p. 355.

هنا يذكر شالندون أن امارة الرهـا اختفت تماما فى ١١٥٢م بعـد أن تخلى عنها لامبراطور بيزنطـة ٠ ولكن الراجـح أن ذلك كان ١١٥٠م كما ذكر وليم الصورى وانه فى ١١٥٢م كانت الغالبية العظمى من اراضى الامارة قد استعادها نور الدين كما سنرى ٠

(F. Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 295).

(٣٨١) William : Op. Cit., V. 2, p.p. 210 - 212, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Zoé : Op. Cit., p. 355.

أما آرشية فيذكر ان زوجـة جوسلين لجـأت الى انطاكيـة فى حين يشير (ايورجا) الى انها توجهت الى مرعش ٠ لكن الرأيين خاطئين ٠

Archer : Op. Cit., p. 206,

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 88.

الانســحاب عن تلك الأراضى التى ضحوا من اجلهــا منــذ قليل بالأموال الكثيرة (٣٨٢) .

ففى ٥٤٦هـ — ١١٥١م استولى نور الدين بالأمان على تل باشر وعهد بشــئونها الى الأميــر حســان المنبجى (٣٨٣) . وفى ٥٤٧هـ — ١١٥٢م حــاول الفرنج الوقوف فى وجهــه نور الدين فجمعوا قواتهم وتوجهوا اليه وهو فى دلوك — احــدى المدن التى كانت تابعة لجوســلين الثــانى — فدار بين الجانبين قتال شــديد قتل واسر فيه كثير من الجــانبين ولكن الغلبة فى النهاية كانت لقوات نور الدين فاستولى عليها (٣٨٤) .

واخيراً استكمل نور الدين بعــد ذلك الاستيلاء على بقيــة حطــام امارة الرهــا (٣٨٥) . فاســتولى على عين تاب وتل خــالد وقورس والراوندان وبرج الرصــاص وحصن البارة وحصن بسرفوت بجبل بنى عليم وكفر لاثا وكفر سود ونهر الجوز (٣٨٦) . وكان نور الدين اذا فتح

---

(٣٨٢) William : Op. Cit, V. 2, p. 212, Zoé : Op. Cit., p. 355.

(٣٨٣) ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن الفرات : مخطوط حـ ٥ ص ٣٧ (ب) ، ابن العــديم : بغيــة الطلب ، مخطوط ، ص ٣٦٨ ، تاريخ ابو الهيجاء ، حـ ١ حوادث ٥٤٦هـ . لكن هنــاك بعض المصادر ذكرت تواريخ خاطئة لفتح تل باشر مثل التاريخ المظفرى ، مخطوط. رقم ٩٦٦ تاريـخ حوادث ٥٤٤هـ (ذكر ان ذلك كان ٥٤٤هـ) فى حين ذكر الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، حـ ٢ ص ٢٥ ان ذلك كان (٥٤٩ — ٥٥٠هـ) .

(٣٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، حـ ٥ ص ٥٠ (أ) ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقــة ٥٦ أما ابن شــداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ميكروفيلم حوادث ٥٥٥هـ فقد اخطأ فى القول بأن ذلك كان ٥٥٥هـ .

(٣٨٥) Bréhier : Vie et Mort, Op. Cit., p. 329,
ابن كثير : البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٢٢٩ .

(٣٨٦) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ — ١٠٣ ، ابن واصــل : مفرج الكروب ، حـ ١ ص ١٢٤ ، النويرى ، نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو شامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ص ٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، روض المناظر ، مخطوط احــداث ٥٤٦هـ .

حصنا لا يرحل عنه حتى يضـــع فيـــه حاميات وذخائر تكفيه لمـــدة عشر سنوات « خوفا من نصرة تتجـــدد للفرنج على المسلمين فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجـــة الى شيء (٣٨٧) » .

هكذا قضى نور الدين محمود بن زنكى على امارة الرهـــا الصـــليبية واثبت للفرنج انه اشـــد اصرارا من ابيه على الجهاد . وبقضـــائه على تلك الامارة سقط الدرع الواقى الشرقى لبقية الامارات الصـــليبية فى الشرق وبـــدات حركة افاقة اســـلامية كبرى .

---

(٣٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٣ ، ابو شـــامة : الروضتين ، حـ ١ ق ١ ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر ، حـ ٣ ، ص ٢٣ .

الباب الرابع

اوضاع امارة الرها الداخلية والحضارية

يتناول هذا الباب :

(أ) طبقات المجتمع فى الامارة .

(ب) الحياة الاقتصادية .

(ج) كنيسة الرها والحياة الدينية .

طبقات المجتمع :

كان غالبية سكان امارة الرها عند قدوم الصليبيين ممثلين فى المسيحيين الشرقيين ، الأرمن والسريان ، الى جانب قلة من المسلمين كانوا مركزين فى مدينة سروج بالذات (١) .

اما الأرمن فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الرها (٢) . والراجح أن زيادة عددهم بها يرجع الى الغزو السلجوقى لأرمينيا فى القرن الحادى عشر الميلادى اذ لجأ اليها الكثير منهم فى ذلك الوقت ومعهم ثرواتهم (٣) .

---

(١) William : Op. Cit., V. 1,, p. 194,

سعيد عاشور : الحركة ، حـ ١ ص ٤٣٧

هنا يذكر وليم الصورى أن سروج كانت ممتلأه بالمسلمين الى درجة الفيضان .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٠٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٦ ورقة ٧٧ ،

Lammens : La Syrie, V. 1, p. 255, Grousset : L'Empire, p. 295.

(٣) Michaud : Op. Cit., V. 1, p 241, Encyclopaedia Britannica V. 7, p 954.

كان مسيحيو الرهـا يتكلمون باللهجة السريانية الرهوية وهى أصح اللهجـات الآرامية السـامية (٤) .

وبقيام امارة الرهـا الصليبية انضم الى العناصر السكانية السـابقة عنصر جديد هم الصليبيون الغربيون الذين سبق ان بينا كيف بدأوا باعداد قليلة كانت قـد صحبت بلدوين دى بوايون عند دخولـه الرهـا (٥) ؛ ثم ازدادت اعـدادهم فيما بعد بمن انضم اليهم من الصليبيين الذين كانوا قـد سئموا من حصـارهم لانطاكية آنذاك ففضلوا الاتجـاه الى الرهـا والاستقرار فيها (٦) . وهناك « أصبح من كان فقيرا منهم يعيش فى رخاء وسعة ومن كان لايملك قرية اصبح سيدا لاحدى المدن (٧) » .

وعلى الرغم من أن عـدد الفرنج فى امارة الرها كان اصغر من عددهم

---

(٤) اغناطيوس افرام الثـانى : مقالة فى سـورية ، ص ٢٠ — ٢٣ . وهو يذكر أن من فروع اللغة السامية اللغة الآرامية وهى تشمل لهجـات شتى الفينيقية والتدمرية والرهاوية والفلسطينية والمندية والنبطية . وقد كشفت كتابات شتى بالسريانية الرهاويـة بعد أن نشرهـا المستشرق بونيون فى جامع الكتابات السامية (Inscriptions Sémitiques)
ويؤكد اختلاف اللهجة الرهاوية عن اللهجة الفلسطينية ماذكره (بوركيت) من أن سـكان الرهـا كانوا يتكلمون لغة آرامية قريبة ولكنها ليست مماثلة لتلك المتكلم بها فى فلسطين . (Burkitt : Op. Cit., p. 7).

(٥) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 352, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242, Jean Richard : Op. Cit., p. 25, Archer : Op. Cit., p. 62.

(٦) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., T. 4, p. 435, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234, Michaud: Op. Cit., V. 1, p. 248, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208, Jean Richard · Op. Cit., p. 27, Zoé : Op. Cit., p. 141.
وكان من بين النبلاء الذين قدموا الى الرهـا مع عـدد كبير من الفرسان والمشاة الأقل مرتبة
"Drogo de Nahella, Reinardus de Tul, Gastus de Bederz" (Alberti : Op. Cit., Liber V. 1, T. 4, p. 441).

(٧) Zoé : Op. Cit., p. 226. عن (Foulcher).

فى اية امارة صليبية اخرى (٨) ، الا أن ذلك لم يحل دون قيام أرستقراطية عسكرية فرنجية فى الرها حكمت شعبها المنصرف الى الاشتغال بالتجارة والزراعة (٩) . وكانت السمة البارزة لامارة الرها الصليبية خلال فترة قيامها التى امتدت حوالى نصف قرن تقريبا : انها كانت امارة فرنجية ارمينية (١٠) ، وانها عانت كثيرا من عدم تجانس سكانها (١١) .

التزاوج بين سكان الرها الوطنيين والصليبيين الغربيين :

وقد دعمت الصبغة الارمينية الفرنجية فى امارة الرها عن طريق الزيجات المختلفة بين الجانبين ، وهى الظاهرة التى بداها بلدوين البولونى ثم سار على نفس المنوال كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى (١٢) .

والواقع ان غالبية الأمراء الصليبيين القادمين الى الشرق كانوا قد اصطحبوا معهم عائلاتهم الى الارض المقدسة . واذا مات الأزواج المحاربون فى الحرب فان الشبان العزاب الأصغر سنا ، كانوا يتخذون من ارامل اولئك المحاربين زوجات لهم وانتشرت هذه الظاهرة فى الامارات الصليبية فى الشرق فيما عدا الرها التى تزوج امراؤها الصليبيون من بنات الأمراء الأرمن روبان وثوروس وليون (١٣). وقيل ان انطاكية شاركت الرها فى تلك الظاهرة الى حد ما فانتشرت الزيجات بين الأمراء الفرنج من ناحية وبين بنات الأمراء الأرمن الاقطاعيين ذوى المكانة العالية والشديدى الاحتكاك بالفرنج فى الحياة السياسية والعسكرية من ناحية أخرى (١٤) .

---

(٨) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 369, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288.

(٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٧ ، هنا يذكر اولد نبرج ان أرستقراطية الرها الفرنجية كانت تتكون من الفالون والفلامند Wallonne, Flamande (Zoé : Op. Cit., p. 227).

(١٠) Grousset : L'Empire, p. 316.

(١١) سعيد عاشور :الحركه الصليبية ، جـ ١ ص ٤٣٧ .

(١٢) Grousset : L'Empire, p. 316, Charles Rous : France et Chrétiens d'Orient, p.p. 20 — 21.

(١٣) Zoé : Op. Cit., p. 300.

(١٤) Lammens : La Syrie, V. 1, p. 241.

لكن ذلك لايعنى ان الصليبيين اقتصروا فى زواجهم على الأرمينيات فقط بل اتخذوا زوجات سريانيات أو مسلمات بعد ان تنصروا (١٥) ، والواقع أننا نستبعد فكرة تنصر المسلمات . ونتيجة لزواج الصليبيين من الوطنيات نشـأ جيل جديد عرف باسم (الأفراخ Poullains (١٦)) . ومن أبرز أمثلة هـذا الجيل بالنسبة لامارة الرها الأمير جوسلين الثانى .

واذا كانت أواصر المودة قـد ازدادت فى الرهـا بين السكان الوطنيين الأرمن وبين الصـليبيين عن طريق الزواج ، فان العلاقات بين الحكـام والمحكومين لم تكن ودية على طول الخط . ولم يكن الأرمن دائما مخلصين لحكامهم الغربيين وربما كان هـذا هو سبب التقدم البطىء لتلك الامارة بالنسبة لبقية الامارات الأخرى (١٧) .

هذه هى لمحة عامة عن اهالى الرها ككل وعلاقتهم بالصليبيين داخل الامارة . ولكي يسهل علينا التعرف على موقف الأهـالى فى مراحل تطور الامارة المختلفة سنحاول دراسـة ذلك وفقا لفترات حكم أمراء الرهـا المختلفين ، حتى نصـل فى النهاية الى مصير الأهالى الوطنيين بعد انتهاء تلك الامـارة .

والحقيقة ان الأرمن فازوا بنصيب الأسـد فى تلك الدراسـة بوصفهم كانوا الغالبية العظمى من السـكان ، ولكن ذلك لا يمنـع من التعرض للعناصر السكانية الأخرى فى الامارة بقدر ما أسعفتنا به المصادر والمراجع المختلفة .

اهالى الرهـا وبلدوين البولونى (١٠٩٨ ــ ١١٠٠م) :

رأينا انه منذ اللحظة الأولى لدخول بلدوين البولونى الرها تلقاه الأهالى بفرحة زائدة واستقبلوه استقبالا حـارا اشترك فيـه كل افراد الشعب وعلى رأسهم ثوروس . وقـد افاضت المصـادر المعاصرة والمراجع التى

---

(١٥) هنا يذكر الأب لامانس ان فولشر دي شارتر قال « اننا اصبحنا شرقيين لاننا لم نتخذ زوجات من بلادنا بل تزوجنا اما سريانية او ارمينية أو مسلمة بعـد أن تنصرت »
(Lammens : Ibid., V. 1, p. 242).

(١٦) فيليب حتي : العرب ، ص ٢٢٣ Lammens : Ibid., p. 241.

(١٧) Prawer : Op.Cit., T. 1, p. 288.

اخذت عنها فى وصف ذلك الاستقبال الرائــع (١٨) ؛ اذ استقبل كمنقذ ومحرر للأهالى ولاميرهم (١٩) . وربما اختلفت نظرة كلا الطرفين عندئذ فبينما نظر اليه ثوروس كمنقذ له من اعدائه الأتراك المحيطين به ، يبدو أن الأهالى نظروا اليه تلك النظرة ايضــا الى جانب رغبتهم فى التحرر من اميرهم الأرمنى الذى اتبع مذهب كنيســة القسطنطينية (٢٠) . ولذا لم يبد اهالى الرهــا اى اعتراض على دخول الصليبيين الى بلادهم ، ويتضح ذلك اكثر عندمــا ظهرت نوايــا ثوروس فى استخدام بلدوين كجنــدى مرتزق (٢١) . اذ رفض بلــدوين ذلك الوضــع وهدد بالانسحاب من الرهــا (٢٢) . وعندئذ تدخل الأهالى والحوا على حاكمهم بالا يسمح لبلــدوين بالرحيــل (٢٣) . بــل قيــل انهم هم الذين اجبروا ثوروس على تبنيه (٢٤) . وبالفعل تم ذلك سواء عن رضى من حاكمهم أو عن غير

---

(١٨) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historia Liber III... T. 4, p. 352, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242 Harold Lamb : Op. Cit., p. 148.

(١٩) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208, Michaud : Op. Cit., V. 1,p. 242.

(٢٠) Zoé : Op. Cit., p. 139, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206

(٢١) Alberti Aquensis : Hsitoriae, Liber III., T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٢) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Grousset : l'Empire, p. 204, L'Epopée, p.p. 56 — 57, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٣) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit , V. 1, p. 191 Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.

(٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Cahen : Op Cit., p. 210 Duval : Op. Cit., p. 278, Archer : Op Cit., p. 61.

وهنا يذكر (ستون) أنه كان هناك بعض الأرمن الذين كانوا قليلى الارتياح لتبنى ثوروس لبلدوين (Seton : Op. Cit., V. 1, p. 303).

رضى (٢٥) ، فابتهج الأهالى واحسوا بالطمأنينة فى حماية بلدوين (٢٦) .

وكان ان اتجه أهل الرهـا بعد ذلك الى ماهو ابعد ، فتعجلوا التخلص من اميرهم الأرمنى (٢٧) . للاسباب التى اشرنا اليها من قبل ووضعوا مكانه بلدوين (٢٨) الذى اصبح وفقا لرغبتهم اول امير صليبى لأول امارة صليبية فى المشرق .

فى بداية حكم بلدوين لامارة الرهـا خضـع له اهلها واخلصوا له واقسموا له يمين الوفاء (٢٩) . بل لقـد كانوا مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سعادته ومجده (٣٠) . لذلك صحبته فرقـة عسـكرية أرمينية ١٠٩٨م الى انطاكية لمساعدة الصليبيين الحاصرين للمدينة (٣١) كما سـاعده الأرمن ايضـا فى حملته التى توجه بها الى سميساط فى بداية حكمه للرهـا فى ١٠٩٨م والتى استطاع عن طريقها ان يرد الى الرهـا عددا كبيرا من الرهائن الذين كان بلك الدانشمندى قـد احتجزهم فى قلعة سميساط ، مما زاد من شعبية بلدوين (٣٢) .

وازدادت اواصر المودة بين بلدوين البولونى وبين الأرمن فى الرهـا قوة بعد زواجه من الأميرة الأرمينية اردا (٣٣) . لكن تلك العلاقات الودية

---

(٢٥) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191

(٢٦) William : Ibid., V. 1, p. 191 .

(٢٧) Alberti : Op. Cit., p. 353, William, Op. Cit., V. 1, pp. 193 — 194, Mattieu : Op. Cit., p. 38, Bréhier: L'Eglise, p. 77, Duval : Op. Cit., p. 278, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٢٨) Alberti : Op. Cit., p. 355, Fulcherii : Op. Cit.,... T. 4, p. 339, Cahen : Op Cit., p. 211, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 59.

(٢٩) Alberti : Op. Cit., Liber III. ... T. 4, p. 355.

(٣٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

(٣١) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201.

(٣٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208 عن (Albert).

(٣٣) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 433 ,Alberti : Op. Cit. T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372, Grousset : L'Epopée : p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1. p. 64

سرعان ما انقلبت الى كره وعداء من جانب الأهالى الوطنيين لبلدوين عندما فتح ابواب الأمارة على مصــاريعها لرفاقه الصليبيين واغدق عليهم ثروات البلاد (٣٤) . فى الوقت الذى نحى الأهالى الأصــليين وزعماءهم جانبا واســتغنى عن مشــورتهم مفضــلا عليهم الفرســان الفرنــج الــذين احتقروهم (٣٥) .

لذا دبر الأهالى فى الرها مؤامرة فى ١٠٩٨م للتخلص من بلدوين او لطرده من البلاد (٣٦) . لكن المؤامرة انكشفت لبلدوين عن طريق احــد الارمن الذين ظلوا مخلصين للصليبيين (٣٧) . وعندئذ امر بلدوين بانزال اشــد العقوبات بالمتآمرين (٣٨) . وهكذا أخــذ أهالى الرهــا الأرمن والسريان ينظرون الى بلدوين على أنه « طاغية فظ عنيف وجشع (٣٩) » . وندموا لتــأييده فى حكمه عليهم (٤٠) ؛ بل أن الأرمن الذين قاســوا كثيرا من الاحتقار والاضطهاد الدينى من جانب البيزنطيين ، وجــدوا فى فرســان

---

(٣٤) يذكر آرتشية بالاضــافة الى ذلك ان الكثير من مؤن البلاد وثرواتها نقلت الى الصليبيين المحاصرين لانطاكية مما سبب ضغطا شــديدا على اهــالى الرهــا . (Archer : Op. Cit., p. 63).

(٣٥) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber V. T. 4, p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 66, L'Empire, p. 205 Runciman · Op. Cit., V. 1, p. 211, Zoé : Op. Cit., p. 142.

(٣٦) Albert : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit,. V. 1, p.p. 305 — 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Epopée, p. 58.

(٣٧) ويسميه البرت هنا انزو (Enzhu او Enxhu) .
Alberti : Op. Cit., p. 442, Grousset : Hist. des Crois., V 1, p. 67.

(٣٨) Alberti : Op. Cit., p. 442, William : Op Cit., V. 1, p 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, L'Empire, p p 205, 297, L'Epopée, p. 581, Zoé : Op. Cit., p. 141.

(٣٩) Zoé . Op. Cit., p. 230.

(٤٠) Alberti . Op. Cit., Liber V, T. 4, p 442, William : Op. Cit , V 1, p. 305.

الفرنج خصماً لا يقل خشونة عن البيزنطيين (٤١) .

وبهذا اتضحت حقيقة مشاعر بلدوين البولونى لأهالى الرها ، ولم يستطيعوا معارضته بصورة جهرية لشدة بطشه بمن قاموا بالمؤامرة السابقة ، ولذا كظم الأهالى غيظهم فى سكون ، حتى انتهت فترة امارة بلدوين على الرها وتوجه ١١٠٠م الى بيت المقدس ليعتلى عرشها . ولكن قبل رحيله اثقل كاهل اهالى الامارة بالضرائب المختلفة وابتز كثيرا من أموالهم ليدبر بها نفقات سفره الى القدس (٤٢) .

اهالى الرها وبلدوين دى بورج ١١٠٠ - ١١١٨م :

وعندما تولى بلدوين دى بورج حكم الرها عمل على استرضاء الأرمن والتقرب اليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الصليبيين الغربيين، كى يعيد الثقة فى الحكم الصليبى الى نفوسهم ويمحوا الأثر السىء الذى تركه بلدوين البولونى فى نفوسهم (٤٣) . وكان أن نجح فى سياسته هذه واستحوذ على مشاعر الأهالى الصادقة (٤٤) . وذلك بوسيلتين : الأولى زواجه من الأميرة مورفيا الأرمينية (٤٥) ؛ والثانية تقوية الروابط الودية بينه وبين الكنيسة الأرمينية (٤٦) .

وقد برزت أولى المساعدات الحقيقية التى قدمها اهالى الرها لبلدوين فى معركة حران ، اذ شاركه فيها مجموعة كبيرة من القوات الأرمينية (٤٧) . التى قتل معظمها فى المعركة (٤٨) ، ورثاهم متى

---

(٤١) Grousset : L'Épopée, p.p. 58 — 59.

(٤٢) Mattieu : Op. Cit., p. 52, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381.

(٤٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٤٣٨ .

(٤٤) Zoé : Op. Cit., p. 230.

(٤٥) Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Ciliciénne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset :Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٤٦) Grousset : L'Empire, p. 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 292 — 293.

(٤٧) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 404, V. 2, p. 871, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

(٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407. عن (Albert)

الرهاوى فى حزن شـديد (٤٩) . على أن اهالى الرهـا لم يستسلموا للحزن بعد هزيمـة حران التى اسر فيهـا بلدوين دى بورج وجوسـلين دى كورتناى كما مر بنا ، وحاول الأهالى انقاذ الوضـع الداخلى للرهـا بسرعة فقرروا اختيار تنكريد اميرا لهم ووافق هو على طلبهم (٥٠) .

ولكن سرعان ما هددت الجيوش التركية بقيادة جكرمش الرها وعندئذ بذل الاهـالى كل ما فى وسعهم لمسـاعدة تنكريد لردهم عن الامارة ، فكان لجهود اهالى الرها فى تلك الفترة اثره الفعـال فى رد الأتراك وفى احراز النصر (٥١) .

وبانقضـاء ذلك الدور من ادوار الخطر التركى دخلت الامارة فى فترة من احلك فترات تاريخها ، وهى فترة حكم رينشـارد دى سـالرنو نائب تنكريد من ١١٠٤م — ١١٠٨م التى قاسى فيها اهالى الرهـا كثيرا من جراء حكم ذلك الأمير بسبب جشعه ومصـادراته لهم (٥٢) . هذا الى جانب اخفاقه العسـكرى الذى اودى بحياة الكثير من اهالى الرهـا خاصـة فى مواجهة حملة جكرمش على الرها (١١٠٥م — ٤٩٩هـ) (٥٣) .

وباطلاق سراح بلدوين دى بورج ١١٠٨م — ٥٠٢هـ فرح اهالى الرها

---

(٤٩) Mattieu : Op. Cit., p. 73.

(٥٠) Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta Tancredi : T. 3, p. 712, William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Bréhier : Vie et Mort, p. 315, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407, Setton : Op. Cit., p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

(٥١) Alberti : Op. Cit., Liber IX .. T. 4, pp. 616 — 617, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408, L'Epopée, p. 79, Zoé : Op. Cit., p. 214.

(٥٢) Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872, عن (Anonyme), Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé : Op. Cit., p. 214.

(٥٣) Mattieu : Op Cit, p. 79, Grousset . Op. Cit., V. 1, p.p 437 — 438.

هنا يذكر متى الرهاوى انه فقد فى تلك المعركه من اهالى الرهـا حوالى ٤٥٠ شخصـا . وان تلك الكارثة حملت اليأس الى الرهـا ، فكل عائلة كانت فى حزن وكل بيت دوى بالنواح والتأوهات ، وكل الريف المحيط بالمدينة سـال بالدم .

بعودة أميرهم القديم ويتخلصهم من حكم ريتشارد النورماندى وجمعوا الأموال لدفع فدية بلدوين (٥٤) . ثم تطورت الأحداث كما مر بنا وقامت الحرب بين الأمير بلدوين دى بورج وحليفه جولين من ناحية وبين الأمير تنكريد وحليفه رضوان من ناحية أخرى ، وهى الحرب التى انتهت بهزيمة الجانب الرهوى (٥٥) .

وكان لتلك الهزيمة اثر كبير فى تغير سياسة بلدوين دى بورج الودية تجاه الأرمن بالذات . فما ان علم اهالى الرهــا بأخبار الهزيمة حتى شملهم حزن عميق وتأسفوا على بلدوين الذى ظنوا انه قــد مات . وفى نفس الوقتخافوا من عودة الحكم النورماندى اليهم ممثلا فى شخص ريتشارد ، الذى حملوا لعهده أسوأ الذكريات . لذلك عقدوا اجتماعا فى كنيسة القديس حنا بالرهــا Saint- Jean حضره رئيس الأســاقفة اللاتين بالمدينة وطالب الأهالى بأن يتولى أمر الدفاع عن قلعة المدينة بقية رجال الأسقف اللاتين الى جانب أهالى الرهــا حتى يختاروا حاكما جديدا لهم (٥٦) . وتردد عندئذ انهم فكروا فى تولية كوغ باسيل الأرمنى عليهم (٥٧) .

ولكن حــدث فى اليوم التالى للاجتماع ان فوجىء الأهالى بدخول كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى الرهــا . وعندما استقصى الأميران أحوال البلاد ، علموا بتلك النوايا الخطيرة التى كان الأهــالى قــد صمموا على تنفيذها فاعتبروها نوعا من المحــاولات الاجرامية فى حقهم (٥٨) .

وهكذا تحولت سياسة بلدوين دى بورج كلية من الطابع الودى الى اقسى درجات الشــدة والقسوة فى معاملة أهالى الرهــا ، الأمر الذى جعل متى الرهاوى يظهر حزنه الشديد على من راحوا ضحية تلك الحركة ، التى يعتقد انهــا قامت أصــلا بسبب اصغاء الفرنج لبعض الوشــايات الكاذبة (٥٩) .

---

(٥٤) Zoé : Op. Cit., p. 240.

(٥٥) Mattieu : Op. Cit., p. 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,
العينى : عقــد الجمان ، حـ ١٥م ٣ ص ٦٤٠ — ٦٤١ .

(٥٦) Mattieu : Op. Cit. p.p. 87 — 88.

(٥٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442.

(٥٨) Mattieu : Op. Cit., p. 88.

(٥٩) Mattieu : Ibid., p. 88. ومما ذكره متى الرهــاوى :
« نهبت منازل الرهويين وسملت اعين كثيرين منهم لم يكن لهم اى ذنب على

والحقيقة أنه ينبغى أن نشير هنا الى ان العقاب السريع الذى انزله بلدوين باهالى الرهـا فى ذلك الوقت لم يكن هو الحل الملائم . فماذا كان يفعل الأهالى عندما وجدوا ان اميرهم قـد حلت به الهزيمة ولم يعد مما اثار الظن بأنه فقد ؟ اليس معنى ذلك انهم سيعودون مرة اخرى لحكم ريتشارد القاسى الظالم ؟ مما جعلهم يفكرون فى التخلص من الحكم الفرنجى كلية ! لكن ربما كانت الامور قـد سـارت الى عكس ما تطورت اليه اذا كان بلدوين دى بورج قـد عالج الأمور بنوع من التروى والتعقل .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعاون بين الفرنج وبين الأرمن بالذات ضيقا جـدا حيث بدأ الصـليبيون فى الرهـا ينظرون اليهم بنوع من الشـك والريبة (٦٠) . وبعد أن كانت سياسة بلدوين فى حكم الرها تقوم على أساس الربط بين الصليبيين والارمن ، اذا به يغير سياسته تغييرا تاما فاستبعد الأرمن من حسـابه كلية واعتمد فى حكومته اعتمادا واضحا على رجاله من الصليبيين الغربيين وحدهم (٦١) .
واذا كانت سياسة بلدوين تجاه الأرمن ١١٠٨م — ٥٠٢هـ قد اتسمت بالعنف فى معاملتهم ، فان سياسته مع المسلمين فى نفس السنة اتسمت بالتسـامح تنفيذا للاتفاق الودى الذى كان قـد تم بينه وبين جاولى عند اطلاق سراحه (٦٢) . والمعروف ان المسلمين فى الرهـا كانوا متركزين تقريبا فى سروج فى ذلك الوقت اذ كان بها حوالى ثلثمائـة مسـلم فسمح بلدوين لأصحاب جاولى بتعمير مسـاجد المدينة (٦٣) ، وخير دليل على تسـامح بلدوين مع المسلمين فى ذلك الوقت ان رئيس سروج كان مسلما ثم ارتد فسمعه أصحاب جاولى « يقول فى الاسـلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع » فلما علم بلدوين دى بورج بذلك قال « هـذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين نقتله (٦٤) » .

=

الاطلاق ، وعاقب الفرنج مسيحيى الرهـا عقوبات قاسية ، وابتهجوا لرؤية الدم الطـاهر الذى سفك » .

(٦٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443

(٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ص ٤٥٤ .

(٦٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء، حـ ١ ص ٤٠٠ ،
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, pp. 438 — 439.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل ، حـ ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء، حـ ١ ص ٤٠٠ ،
Grousset : Ibid., p. 439.

وظل أهالي الرهـا على ذلك الوضـع حتى ١١١٠م (٥٠٤هـ). عندما بدأ مودود كما رأينا حركة الجهاد الاسلامى ضـد الفرنـج فكان لحملته الأولى فى سـنة الستة ضـد الفرنج أثرها الكبير على الوضع السكانى فى الرهـا ، وقد مرت بنا دراسة تفصيلية لتلك الحملة فى الأجزاء السـابقة من بحثنا . لكن مانود أن نبرزه هنا هو أنه عندما فشلت محاولة مودود فى استدراج الفرنج الى حران ليوقع بهم كما حـدث فى ١١٠٤م (٤٩٧هـ) ؛ وبعـد أن ادرك الفرنج نواياه عندئذ رجعوا بسرعة الى الرها وزودوها بالمؤن والحاميات اللازمة (٦٥) ثم عبر الفرنج الى الضفة الغربية للفرات. عندئذ ترى اهالي الجزء الشرقي من الرهـا ـ الأرمن والسريان ـ الجلاء عن اراضيهم والالتجاء الى مناطق كيسوم ورعبان (٦٦) ، خوفا من بطش الأتراك بهم . وعندما بدأ تنفيذ خطة الجلاء هـذه علم مودود وقواته بها وذلك عن طريق اثنين من الفرنج كما يقول متى الرهاوى (٦٧) . وكان أن اسرع مودود الى الضفة الشرقية للفرات حيث أحـدث مذبحة كبيرة فى الأهالى واسر الكثيرين منهم خاصـة من النسـاء والأطفال كمـا غرق البعض الأخر في اعداد هائلة فى نهر الفرات ، وهو ما فصـلته المصـادر الإرمينية واللاتينية (٦٨) . الى جانب المراجع الافرنجية المختلفة (٦٩) والتى ارجع بعضها تلك الابادة السكانية الى أن هجرة السـكان فى ذلك الوقت تمت فى تهور وباعداد ضخمة بينما كان جيش كبير من الأتراك يقوم ببعض المنـاورات العسـكرية فى الضواحى القريبـة (٧٠) . أما الفرنج الذين كانوا قد سـبقوا الأهالى فى عبور نهر الفرات ، فقد وقفوا على الضفة

---

(٦٥) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 454, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(٦٦) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 454, L'Epopée, p.p. 88 — 89.

(٦٧) Mattieu : Op. Cit., p. 93.

(٦٨) (سنورد وصفا لـ الحق بالأهالي مع الملاحق)
Mattieu : Ibid., p.p. 93 — 94.
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421 — 422.

(٦٩) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Empire, p 299, L'Epopée, p. 89, Cahen : Op. Cit., p. 258, Zoé : Op. Cit., p. 243, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٠) Zoé : Op. Cit., p. 243.

الغربيــة للنهر دون أن يستطيعوا منع تلك المذبحة أو تزويد الأهالى بأى نوع من المعونة . وتنفيسا عن غضبهم سكبوا الدموع الحزينة من أجل تلك المناظر التى شــاهدوها عن قرب (٧١) . فى حين رجع مودود الى المشرق وصحبته اعــداد ضخمة من الأسرى وغنائم لاتحصى (٧٢) .

وهكــذا كــان من أهم الآثار المترتبة على حملة مودود على الرهـا ١١١٠م (٥٠٤هـ) انها ادت الى احــداث خلخلة كبيرة فى ســكان امارة الرهــا وعلى وجــه الخصوص فى جزئها الشرقى (٧٣) . كذلك ترتب على تلك الحملة ضعف فرنج الرهــا واتجاههم نحو العنف والابتزاز والقسوة وبذلك استثاروا كراهية الأهالى الذين رحبوا بهم أصلا للدفاع عنهم (٧٤) .

والواقع ان شعور الكراهية الشديدة من جانب الأرمن للصـــليبيين منذ التنكيل الذى لحقهم على يد بلدوين دى بورج ١١٠٨م (٧٥) (٥٠٢هـ) الى جانب المجاعة المتسببة عن حملة مودود ١١١٠م (٧٦) (٥٠٤هـ) والتى قاسى منها أهالى الرهــا ــ وبخاصـــة قسمها الشرقى ــ أدى كل هـــذا الى تفكير بعض الأرمن فى الخلاص من النفوذ الفرنجى وفكروا فى تسليم الرهـا للمسلمين وذلك اثناء حملة مودود على الرها ١١١٢م (٥٠٦هـ) .

وكان أن توجه بعض الأرمن الى مودود وتوسلوا اليه ان يؤمنهم على أرواحهم فى مقابل تسليمهم المدينة له فوافق مسرورا على تلك الفكرة وتسلم برجا يطل على الناحية الشرقية للمدينـــة (٧٧) .

---

(٧١) Mattieu : Op. Cit., p. 94, Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 422, Grousset : L'Epopée, p. 89, Hist. des Crois., V. 1, p. 455, Archer : Op. Cit., p. 148.

(٧٢) Mattieu ; Op. Cit., p. 94.

(٧٣) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455.

(٧٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 399, 400.

(٧٥) سعيد عاشور : الحركة ، جـ ١ ص ٤٥٥

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443,

(٧٦) Mattieu : Op. Cit., p. 101.

(٧٧) Mattieu : Ibid., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 473.

ويقال أن بعض السريان اشتركوا فى تلك المؤامرة

Grousset : L'Empire, p. 299 عن (L'Anonyme)

ولكن اخبار تلك المؤامرة وصلت الى آذان جوسلين الأول فأسرع الى الرها ليلحق بالأمير بلدوين . وعندئذ انزل جوسلين بالمتآمرين اشد الوان العقوبة والقى بالأتراك من اعلى الجدران فهلكوا فى الحال . وبهذا لم يتم استيلاء المسلمين على الرها فى ذلك الوقت بفضل جهود جوسلين بالذات (٧٨) .

ورغم التنكيل الشديد الذى تعرض له الأرمن ١١٢٢م ، فان ذلك لم يثبط عزائمهم ، بل زاد من كرههم للنفوذ الصليبى . لذا انتهزوا فرصة وجود بلدوين فى تل باشر بعد أن انتزعها من جوسلين دى كورتناى ١١١٣م (٥٠٧هـ) وحاولوا من جديد تسليم الرها للأتراك اثناء حملة مودود على الرها فى تلك السنة (٧٩) .

ويؤكد متى الرهاوى انه لم تكن هناك مؤامرة حقيقية بل أن الأمر لم يتعد مجرد بعض الاشاعات الكاذبة ابتكرها بعض الفرنج الميالين للشر ونقلوها للأمير بلدوين فصدقها بسرعة (٨٠) . ولكننا نرجح أنه كان هناك اتصال حقيقى بين اهالى الرها الأرمن وبين الأتراك بسبب ضجرهم فى ذلك الوقت من الفرنج ومن حكمهم التعسفى .

وما كاد بلدوين دى بورج يسمع تلك الأخبار ، حتى أمر حاكم سروج بطرد كل اهالى الرها دون أى استثناء (٨١) ، وتم ذلك فى ١١ مايو ١١١٣م (٨٢) وقد أورد لنا متى الرهاوى صورة مفصلة لطرد اولئك الأهالى ظهرت فيها مدى قسوة الفرنج فى القيام بذلك ، كما عبر عن حسرته الشديدة لاخلاء تلك المدينة التى كانت بمثابة الأم لبقية المدن المحيطة بها (٨٣) .

---

(٧٨) Mattieu : Op. Cit., p. 102.

(٧٩) Mattieu : Ibid., p. 104, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٠) Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 — 105.

(٨١) Mattieu : Ibid., p. 105.

(٨٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490.

(٨٣) Mattieu : Op. Cit.. p. 105.

فقد ذكر متى الرهاوى : « ... انه حلت كارثة مريعة بالرها ، لم يعرف الاب ابنه وانكر الأبن ابيه ، دوى النواح والتأوهات فى كل مكان ، وغمر كل منزل فى الحزن والحداد .. طرد الفرنج الأهالى من منازلهم ، وأمروا باحراق هؤلاء الذين اختبأوا فى المنازل ، فلم يبق فيها احد الا القليل » ..

=

وتلتمس بعض المراجع الحديثة العذر لقسوة بلدوين آنذاك بدعوى ان مرجع ذلك كان تكرار تآمر الأرمن بالذات مع الأتراك ضد الفرنج في الرها (٨٤) .

ويلاحظ انه كان يوجد بالرها عندئذ عدد قليل من السريان (٨٥) ، الى جانب بعض الأرمن الذين التجأوا الى كنيسة القديس تيودور واحتموا بها ثم انتقلوا الى القلعة تحت حراسة قوية (٨٦) . وعندما رأى بلدوين دى بورج تعذر القيام بشئون الامارة بمساعدة هذه المجموعة القليلة من اهالى الرها فضلا عن رفاقه الفرنج اضطر الى استدعاء الأهالى المنفيين من سميساط وتم ذلك فى فبراير ١١١٤م (٨٧) (٥٠٧هـ) . ولكن عودة الاهالى مرة اخرى الى بلادهم لايعنى فى نفس الوقت عودة العلاقات الطبيعية بينهم وبين أميرهم الصليبى الذى أشارت اليه بعض المراجع الفرنجية بأنه « مضطهد الأرمن (٨٨) » . هذا فضلا عن سوء العلاقة بين الأهالى والصليبيين الغربيين الذين اعتبروا « طالبى منافع وأنهم فى سبيل الحصول عليها ارهقوا البلد كثيرا بمعاملاتهم الفظة (٨٩) » .

اهالى الرها فى عهد جوسلين دى كورتناى ١١١٩م — ١١٣١م :

وعندما تولى جوسلين الأول حكم امارة الرها حاول جاهدا أن يتقرب من اهلها وخاصة العنصر الأرمنى الاكثر عددا ، وذلك ليزيل ذلك الحاجز الذى كان قد فصل بينهم وبين الصليبيين الغربيين فى الرها فى عهد بلدوين دى بورج ، ولكى يمحو من نفوسهم الأثر السوء الذى تركته قسوته وشدة بطشه بالأرمن عقب مؤامرتهم ١١١٢م . لذا نجد المؤرخ الأرمنى

=

فيا للشقاء على شعب ابجر ... » .

وقد تم اجلاء غالبية الأهالى الى سميساط

(Mattieu : Op. Cit., p. 105,
Grousset : Hist. des Crois. ,V. 1. p. 491, L'Empire. p. 299).

(٨٤) Setton : Op. Cit.. V. 1, p.p. 401 — 402, Grousset : Hist. des Crois., p. 491.

(٨٥) Grousset : Ibid., V. 1, p .491.

(٨٦) Mattieu : Op. Cit., p. 105.

(٨٧) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 491, L'Empire, p. 299.

(٨٨) Zoé : Op. Cit., p. 262.

(٨٩) Mattieu : Op. Cit.. p. 106.

المعاصر متى الرهاوى يؤكد أن ذلك الأمير حرص عند تولية شئونهم على أن يظهر العطف على أهالى الرهـــا (٩٠) .

وتدعيما لتلك السياسة نجده يحذو حذو الأميرين الســـابقين للرهـــا فاتخذ لنفسه زوجـــة أرمينية هى أخت الأمير ليون (٩١) . والحقيقة أن جوســـلين أخلص فى حبه لرعاياه الأرمن فبادلوه حبا بحب (٩٢) . وفى نفس الوقت لم يهمل جوســـلين العنصر السريانى ، فحرص على أن يقوى رابطته به أيضـــا (٩٣) .

من أهم المناسبات التى أبرزت مــدى حب رعايا جوســـلين الأول له ما حــدث عندما علم أهالى الرهـــا بأسره ١١٢٢م (٥١٦هـ) ـــ كما بينا من قبل ـــ اذ أنهم لم يفكروا عندئذ فى انتهاز فرصـــة غيابه عن الامارة ليثوروا ، وانما أظهروا الحزن الشـــديد وخضعوا الملك بلدوين الثانى منتظرين عودته (٩٤) . ولكن عندما أسر الملك فى العام التالى أيضـــا بدأ أهالى الرهـــا ـــ وخاصة العنصر الأرمنى ـــ يفكرون فى أنجح الوســـائل وأسرعها لانقاذ أميرهم .

وما كاد جوسلين يرسل رسالة الى رعاياه طالبا منهم النجدة (٩٥) حتى ســـارع عـــدد منهم الى خرتبرت ـــ كما مر بنا ـــ واطلقوا سراح الموجودين فيها ، ولكن بمجرد خروج جوســـلين وصـــل بلك الأرتقى الى القلعة وأنزل عقوبته الشديدة بمن فيها (٩٦) . وكان جزاء المجموعـــة

---

(٩٠) Mattieu : Ibid., p. 126.

(٩١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8. عن (L'Anonyme), Jacques de Morgan : Op. Cit.. p. 172, Tournebize : Op. Cit., p. 173.

(٩٢) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 1, p. 590, Archer : p. 162.

(٩٣) Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois. V 2, p. 877 عن (L'Anonyme).

(٩٤) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٩٥) Zoé : Ibid., p. 297, Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419.

(٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 543 — 544, Cahen : Op.

=

الأرمينية الفدائية « أن بعضهم قطع اربا والبعض دفنوا أحياء ، وتحول آخرون الى عبيد لرجال بلك الى جانب قله هربوا أحياء (٩٧) » . وهكذا لم تضن بعض العناصر الأرمينية فى الرهـا بتقديم أرواحهـا فداء للأمير جوسـلين ، واثبتوا ببطولتهم وبذلهم لذاتهم مـدى صلتهم وحبهم لذلك الأمير (٩٨) .

أهالى الرها فى عهد جوسلين الثانى ١١٣١م — ١١٤٤م وموقف زنكى منهم عند فتح الرهـا :

وعندما ورث جوسلين الثانى امارة الرهـا عن أبيه ورث معها حب أهلها الشـديد لوالده (٩٩) . كذلك كان جوسـلين اكثر أمراء الرهـا قربا للأرمن لأنه كان ابنا لأرمينية ـ كما أشرنا ـ فلا غرو اذا أسمته بعض المصـادر العربية (جوسـلين الأرمنى) (١٠٠) .

وقـد ظل أهالى الرهـا ينعمون بالهدوء وبحب أميرهم لهم حتى كانت ١١٤٤م — (٥٣٩هـ) عندما تقدم زنكى للاستيلاء على الرهـا . وكـان جوسلين الثانى قد عهد الى أهالى الرها الأرمن والسريان بحماية المدينة فى أثناء تواجده فى تل باشر ، فدافعوا جميعا عنها بشجاعة رجالا ونسـاء ، عظماء وفقراء وبذلوا كل ما فى وسعهم لحماية أسـوار المدينة (١٠١) . وعندما طلب منهم زنكى تسليم المدينة فى مقابل المحافظـة على أرواحهم رفضوا بشـدة (١٠٢) ، مما جعل زنكى يقرر الاستيلاء على المدينـة

=

Cit., p. 297, Zoé : Op. Cit., p.298, Archer : Op. Cit., p. 163,

ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢١٣ .

(٩٧) William : Op. Cit., V. 1. p. 544.

(٩٨) Grousset : L'Empire, p. 300.

(٩٩) Zoé : Op. Cit., p. 299.

(١٠٠) ابن العديم : بغيـة الطلب ، مخطوط ص ٣٦٨ ، ابن الفـرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ٤ مخطوط ، ص ٥٦ (ب) ، ٦٠ (أ) ، ٩١ (ب) .

(١٠١) Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268. Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois.. V. 2, p.p. 179, 180, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(١٠٢) Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Nersès : Op. Cit.. p.p. 248 — 249.

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ — ٦٩ وسيأتى وصف مفصل لاستماته الأهالى فى الدفاع فى الملاحق ضمن قصيدة رثاء الرهـا .

بالقوة . وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأهالى جهدهم لسد تلك الثغرة التى فتحت والدفاع عنها (١٠٣) . ولكن استبسالهم لم يمنع عنهم مصيرهم المحتوم آنذاك .

هنا نجد المصادر العربية تكتفى بالقول بأن المسلمين اعملوا فى اهل الرها القتل والأسر والنهب والسلب (١٠٤) . أما المصادر الأرمينية والسريانية الى جانب المصادر والمراجع الأفرنجية ، فقد اشارت الى أنه عندما تحول الأهالى جميعا للدفاع عن الجزء الذى سقط من السور ، اعتلت القوات الزنكية السور ونزلت الى المدينة وعملت مذبحه هائلة فى اهالى الرها ، فصلتها لنا غالبية تلك المصادر بصورة مسهبة (١٠٥) .

وكان أن اسرع بقية الأهالى الذين نجوا من تلك الذبحة الى قلعة المدينة للاحتماء بها ، فمات أكثرهم خنقا من شدة الزحام (١٠٦) . والواقع انه مهما بالغت المصادر غير العربية فى تصوير التنكيل الذى لحق بالأهالى فى ذلك الوقت ، فان هذا لم يكن بالشىء الجديد بالنسبة لأهل

---

(١٠٣) Nersès : Ibid., p. 253, (التفصيل فى اللاحق) Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 ,p. 269.

(١٠٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٨ ، الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٢٧٩ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ٢١٩ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين ، الباب السابع ٥٣٩هـ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٥ ورقة ٥١ .

(١٠٥) Nersès : Op. Cit., p.p. 255 — 6 (مع قصيدة الرثاء فى اللاحق) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p.p. 261 — 262, Bar Hebraeus : V. 1, p. 269, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Michaud : Op. Cit. V. 2,p. 105.

(١٠٦) Nersès : Op. Cit., p.p. 257 — 258, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 105.

وقد ذكر الكاهن جريجوار أن عدد من هلكوا أمام القلعة قدر بحوالى الفى شخص .

الرهـــا ، الذين ذاقوا الكثير على يد بلدرين دى بورج ورفاقه من الصليبيين الغربيين فى السنوات ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م .

وعندما دخل زنكى المدينة أمن اهلها وبنى ما انهدم منهـــا (١٠٧) ، واصـــدر اوامره لرفاقه باغماد السيف (١٠٨) . والواقع أن هـــذا الأمان لم يشمل كل اهالى الرهـــا بل اقتصر فقط على اهلها الأصليين من الأرمن والسريان (١٠٩) . أما الفرنج فقد امر زنكى بقتلهم اينما وجـــدوا ويسبى زوجاتهم واسر اطفالهم (١١٠) .

والحقيقـــة أن زنكى تســـامح بالذات مع العنصر السريانى وشـــجع الموجودين منهم بالمدينة بكل جوارحه ولجا الى الشفقة فى معاملتهم (١١١) . واعطاهم مزيدا من الامتيازات ، بعكس الأرمن الـــذين تأسفوا على الحكم الفرنجى الذى تضامنوا معه بشـــدة (١١٢) . وبهذا استطاع زنكى عن طريق عطفه الكبير على السريان الوطنيين ، أن يقيم جبهة مؤيدة له من ذلك العنصر فى مواجهة الغزاة الغربيين ، وهى نفس سياســـة صـــلاح الدين فيما بعد (١١٣) .

وهكذا عادت الرهـــا الى ماكانت عليه فى أواخر القرن الحـــادى عشر مدينـــة يسكنها الأرمن والسريان تحت حماية الأتراك (١١٤) . وعهد زنكى

---

(١٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، حـ ٥ ص ٢٧٥ .

(١٠٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Zoé: Op. Cit., p. 337.

(١٠٩) Michel : Op. Cit., p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Grousset : L'Epopée, p.p. 163 — 164.

(١١٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Michel : Op. Cit , p. 263 ,Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Archer : Op. Cit., p. 202, Grousset : L'Epopée : p. 163,. Cahen : Op. Cit., p. 370.

(١١١) Michel : Op. Cit., p.p. 267 — 268. Grousset : Hist. des Crois ,.V. 2, p. 189, L'Empire, p. 300.

(١١٢) Grousset : L'Epopée : p. 164, Hist. des Crois , V. 2, p 198

(١١٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189

(١١٤) Grousset : Ibid., p. 190.

بالاشراف على شئونها الى زين الدين على كوجك ، الذى عامل الأهـالى معاملة طيبة جـدا (١١٥) .

دخول العنصر اليهودى الى الرهـا ١١٤٦م :

عندما لمس الأرمن فى الرهـا شـدة اهتمام زنكى بالعنصر السريانى ومعاملته الطيبة له لم يرتاحوا لذلك ، فاستغلوا صغر حجم الحامية الزنكية فى المدينـة وبدأوا يتآمرون مع الفرنج للتخلص من تلك الحامية ومن النفوذ الاسـلامى ، وليعيدوا النفوذ الفرنجى مرة اخرى . كان ذلك بعد مرور حوالى سنة ونصـف تقريبـا على اسـتيلاء زنكى على الرهـا (مايو ١١٤٦م) (١١٦) .

ولكن زنكى اشتد فى التنكيل بهم ، وكانت عقوبته اما القتل او الصلب او التشريد (١١٧) . ثم احل محلهم حوالى ثلثمائة اسرة يهودية (١١٨) . واصبح لهؤلاء اليهود نفس الحقوق أمام القضـاء مثل المسيحيين (١١٩) . وبذلك دخل الى الرها عنصر جديد ، ولكن دخوله كان موازيا لزوال النفوذ الصليبى عنها . وربما كان من الممكن أن نسير الأحوال الداخلية فى الامارة على منوال آخر اذا كان العنصر اليهودى موجودا بها منذ فترة مبكره اكثر ، فقد كان اليهود الد اعداء المسيحية عموما (١٢٠) .

نور الدين واهالى الرهـا ١١٤٦م (٥٤١هـ) :

وبينما كان السريان وعلى رأسهم البطريرك باسيليوس لا يطلبون شيئا سوى بقاء النفوذ الاسـلامى ، الذى اتاح لهم نوعا من النفوذ المعنوى على

---

(١١٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69, Cahen : Op. Cit., p. 370

(١١٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 238.

(١١٧) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٨١ ،

Gibb : Op. Cit., p. 270, Grousset ; Hist. des Crois., V. 2, p. 195.

(١١٨) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Cahen : Op. Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

(١١٩) Lammens : Op. Cit.. V. 1, p. 267.

كانت شهادة اليهودى أمام للقضـاء مساوية لشهادة المسيحى .

(١٢٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ٢ ص ٦١٠ .

العقائد الأخرى تآمر الأرمن فى الرها لاعادة النفوذ الفرنجى اليها (١٢١) .
وهنا اضاف احد المراجع المترجمة عن اصل عبرى ان من اسباب تآمر الأرمن ايضا،دخول عدد ضخم من اليهود الى البلاد بواسطة زنكى (١٢٢) .

وقد نتج عن تآمر الأرمن استعادة جوسلين الثانى الرها لفترة قصيرة ، لم تستمر اسبوعا واحدا ، اعقبها تنكيل نور الدين محمود بن زنكى بأهالى الرها جميعا . وهنا تكتفى المصادر العربية بالاشارة الى مصير هؤلاء الأهالى ومدينتهم فى عبارة موجزة « نهبت المدينة وسبى اهلها فخلت منهم ولم يبق الا القليل (١٢٣) » . أما ابن القلانسى المعاصر فيعطينا نفس المعنى بصورة اخرى بقوله « محق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان اسر من المسلمين ونهب منها الشىء الكثير (١٢٤) » .

اما المصادر السريانية والأرمينية والفرنجية وما نقل عنها من مراجع اجنبية حديثة فتفصل الحديث باسهاب شديد عما اصاب الأهالى من تنكيل فى ذلك الوقت عندما كانوا فى طريقهم للهرب من الرها .

وقد صادفنا رايان عن سبب خروج الأهالى . فميخائيل السريانى ومن نقل عنه يذكر ان الأهالى اجبروا على الجلاء عن مدينتهم بعد ان اشعل الفرنج النار فى منازلهم ومنافعهم (١٢٥) . اما وليم الصورى ومن اخذ عنه فيذكر ان هؤلاء الأهالى عندما تيقنوا من فشل محاولة جوسلين التى شجعوه املا فى القيام بها ، وعلموا ان كل امل فى المقاومة قد انتهى وان كل طريق للنجاة قد اغلق . ثم تأكدوا انهم سيعاقبون بالموت فى افظع اشكاله ، عندئذ فضلوا ان يرحلوا مع زوجاتهم واطفالهم وان يقتسموا حظا غير اكيد مع اخوانهم فى الجيش المسيحى عن أن يموتوا او يتحولوا الى العبودية بواسطة المسلمين (١٢٦) .

---

(١٢١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 199.

(١٢٢) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339. (Traduit de l'hébreu par G. Nahon).

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل ، حـ ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، حـ ٢ ص ٢٩٠ النويرى : نهاية الأرب ، حـ ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ ١ ، ص ١١١ ، سبط بن الجوزى : مرآه الزمان ، حـ ٨ ق ١ ص ١٩٢ .

(١٢٤) ابن القلانسى : الذيل : ص ٢٨٨ .

(١٢٥) Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٢٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2. p. 202.

وهنا نجد فى المصــدر السريانى وصفا مفصـــلا لكيفية رحيل الأهالى بطريقة مفاجئة غير منظمة قبل أن يشعر بهم المسلمون (١٢٧) . لكن لم تمض لحظات حتى نتبه المسلمون الى حركتهم بسبب الضوضـــاء العالية التى أحــدثها الهاربون . وعندئذ أحـــاط المسلمون بهم وبدأوا يرمونهم بالسهام فسقط الكثير منهم قتلى (١٢٨) . الى جـــانب عــدد آخر من الاهالى ماتوا مخنوقين من شــدة الزحام او داستهم الخيول (١٢٩) .

وكان للاتراك الموجودين فى قلعة المدينة دورهم فى التنكيل بالأهــالى اذ نتبعوا الــذين التجــأوا الى الكنــائس والى أمــاكن أخرى فقتلوهم أو عذبوهم (١٣٠) . وأسر عدد كبير أرسلوا الى أسواق حلب (١٣١) .

أما هؤلاء الذين استطاعوا الخروج من المدينة مع جوســـلين الثـــانى وبلدوين أمير مرعش فقــد لحق بهم الاتراك من جــديد واعملوا السيف فيهم فقتل عدد كبير منهم من بينهم بلدوين نفسه (١٣٢) ، عندئذ فر بعض الفرســـان الفرنج بخيولهم فى حين لجــأ المشـــاه الباقون الى قلعة خربة كانت بالقرب منهم وتبعهم بعض الاهالى ، وهؤلاء فقط هم الذين استطاعوا الحفاظ على أرواحهم بالفرار الى سميســاط عندما عاد الأتراك لنهب الرها مرة أخرى (١٣٣) . وكان جوســـلين الثانى نفســـه من بين الذين فروا

---

(١٢٧) Grousset : Ibid., p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٢٨) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885.

(١٢٩) Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset Op. Cit., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme).

(١٣٠) Michel : Op. Cit., p. 270.

(١٣١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 204, L'Epopée p. 165

(١٣٢) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885.

ويقال انه فى ذلك الوقت عندما تعب المسلمون من القتل « جردوا من بقى من ملابســهم واحــذيتهم وربطوا أيديهم خلف ظهورهم ثم أمروهم رجـــالا ونســـاء بالجرى مع الخيول فمات عددا كبيرا منهم تحت أقدام تلك الخيول التى داستهم عندما وقعوا » .

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

(١٣٣) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161. Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 113.

الى سميساط ولو أنه كان جريحا (١٣٤) . وهكذا دفع الأرمن — ومعهم اهالى الرها جميعا — ثمن اخلاصهم الفرنج غاليا (١٣٥) . ولم ينفعهم عندئذ جوسلين ولا رفاقه الذين اسرع من بقى منهم بالفرار طلبا للنجاة .

وهكذا محيت الرها المسيحية فى ذلك الوقت (١٣٦) . بعد ان فقدت غالبية أهلها المسيحيين — الأرمن والسريان — الذين قدر ميخائيل السريانى من فقد منهم فى فتح الرها الأول ١١٤٤م ، الثانى ١١٤٦م بحوالى سبعة واربعين الف نسمة « قتل منهم حوالى ثلاثون الفا وأسر وتحول للعبودية ستة عشر الفا ونجا حوالى الفا (١٣٧) » .

وبذلك اصبحت الرها مكانا خربا (١٣٨) ، بعد تاريخ مزدهر طويل ، لذا استحقت الرثاء (١٣٩) .

لكن اذا كانت الرها قد اصبحت اثرا بعد عين وقضى على غالبية سكان الجزء الشرقى من الامارة ، فان سكان تل باشر وما يحيط بها ظلت غالبيتهم موجودين فى ذلك الجزء الغربى حتى أسر جوسلين الثانى . وعندما اشترى امبراطور الدولة البيزنطية غالبية ذلك الجزء المتبقى من الامارة ، قررت زوجة جوسلين واطفاله الى جانب عدد كبير من الأهالى التوجه الى القدس مع الملك بلدوين الثالث (١٤٠) . وكان أن فضل عدد كبير من الارمن والسريان النفى من بلادهم عن الخضوع للنفوذ البيزنطى (١٤١) .

وبالفعل خرج مع الملك كل من أرادوا الرحيل ومعهم قطعان حيواناتهم وضروريات معيشتهم . وفى ذلك الحشد كان يرى رجال من أصول

---

(١٣٤) Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme).

(١٣٥) Grousset : L'Empire, p.p. 224, 301.

(١٣٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 92 — 93.

(١٣٧) Michel : Op Cit., p. 272.

(١٣٨) Michel : Ibid, p. 272, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273.

(١٣٩) ستورد رثاء ميخائيل السريانى وكذلك رثاء ديونيسيوس الأمدى فى اللاحق .

(١٤٠) William : Op. Cit., V. 2, p. 209.

(١٤١) Zoé : Op. Cit, p. 355.

عالية ونســــاء نبيلات مع فتيات من اصول عريقة واطفـــال صـغار وقـــد شردوا من وطنهم وتركوا أرض اجدادهم وآبائهم ، في الم عميق (١٤٢) .

وهكذا تشتتت ســـكان امارة الرهـــا ؛ كما تمزقت ارضهم . بعـــد حياة مليئة بويلات الحروب المتتابعة التي تعرضت لها الامارة ، الى جانب الكوارث التي لحقت بهم بعد كل مؤامرة شهدتها تلك الامارة الصليبية .

الحيـــاة الاقتصـــادية :

رغم عثورنا على بعض الاشـــارات البسيطة عن الحياة الاقتصادية للامارة ، اثناء دراستنا للحيـــاة السياسية بها ، الا ان ذلك القليل يعطينا صورة لا بأس بها توضـــح ذلك الجانب من بحثنا هـــذا .

والواقع أن غالبية اهل الرهـــا كانوا زراعـــا وتجارا الى جـــانب بعض الرعاه (١٤٣) ،حيث كان يوجد بالامارة بعض المراعي والغابات(١٤٤). ومن اهم ثروات المراعي الخيول الممتازة (١٤٥) ، ومن اهم اشجار الغابات شجر البلوط (١٤٦) .

اما الصناعـــة : فلم نعثر الا على اشـــارة واحـــدة وسط كتابـــه وليم الصوري تدل على أنه وجـــدت بالرهـــا صناعة الزيوت والخمور . فقـــد ذكر أن من بين الاشياء التي ارسلها بلدوين البولوني للصليبيين المحاصرين لأنطاكية (الزيت والخمر) من اقليم تل باشر (١٤٧) .

ولمـــا كانت الزراعة والتجارة هما ابرز معالم الحيـــاة الاقتصـــادية للامارة لذا سنحاول تركيز كلامنا عليهما .

الزراعـــة :

كانت امـــارة الرهـــا من اهم المنـــاطق الزراعيـــة الغنيـــة في اقليم

---

(١٤٢) William : Op. Cit., V. 2, p. 211.

(١٤٣) Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis : Op. Cit., p.p. 270 - 271, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

(١٤٤) William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٤٥) William : Ibid., V. 1, p. 238.

فقد ذكر وليم الصوري ان من بين ما ارسله بلدوين البولوني من الرهـــا للصليبيين المحاصرين لانطاكية الخيول الممتازة .

(١٤٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 497, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 487.

(١٤٧) William : Op. Cit., V. 1, p. 238

الجزيرة (١٤٨)، الذى اشتهر دائما بخصوبة ارضه ووفرة حاصلاته(١٤٩)
ويرجع ذلك الى توافر مياه الري سواء عن طريق الأنهار او الينابيع الجوفية
والامطار (١٥٠) . ومن اهم الحاصلات الزراعية لامارة الرهـا الشعير
والقمح (١٥١) وقـد اشتهرت تل باشر بقمحها بالذات (١٥٢) .

كذلك اشتهرت الامارة بحدائقها الغنية (١٥٣) . وكانت الرها بالذات
مشهورة بكرومها الوفيرة (١٥٤) ، وورودها الجميلة العطرة (١٥٥) . اما

---

(١٤٨) Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 456, Michaud : Op .Cit., V. 1, p. 75.

(١٤٩) Nersès : Op. Cit., p. 241 - 242, Fulcherii : Op. Cit., p. 337, Alberti : Op. Cit., Liber IV. p. 393, William : Op. Cit., V. 2, p. 212.

(١٥٠) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Nersès : Op. Cit., p. 241.

يقول نيرسيس على لسـان الرهـا :

انبثقت من احشائى مياه حيـة
وكانت مياه البحر تمتد بين اسوارى

ويعلق دولوربيـه على ذلك بقولـه ان الشـاعر يرمز بلفظ البحـر الى نهر سيرتوس او ديسـان الذى كان يمر بالمدينة . وفى الربيع تتكاثر مياهه لذوبان الثلوج على جبال طوروس فتكون بحيرة بين الهضبتين المحيطتين بالمدينـة .

(١٥١) Mattieu : Op. Cit, p. 49, William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

(١٥٢) William : Ibid., V. 1, p. 238, Zoé : Op. Cit., p. 295.

(١٥٣) Nersès : Op. Cit., p. 241, William : Op. Cit., V. 1, p. 193, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 219, Cahen : Op. Cit., p. 113.

ويضيف المرجع الأخير أن كثرة الحدائق المحيطـة بالرهـا جعلتها تظهر ضاحكة باسمة جـدا

(١٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 48, Alberti : Op. Cit., Liber III . T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

وهنا يظهر البرت وفرة تلك الكروم بقوله « ان اهالى الرهـا كانوا يقدمون لبلك حاكم سميساط ضرائب بيزنطية من محاصيل واعناب » ويظهر وليم الصورى نفس المعنى بقوله . « أن ثوروس الأرمنى ظلم الأهالى وكان اذا قاومه احـد اثار الاتراك ضـده فيصبح ذلك الشخص التعيس خائفا ليس فقط ان كرومه وحدائقه ومحاصيله النامية تقطع وقطعانه تسلب بل كان يخشى على حياته أيضـا » .

(١٥٥) Nersès : Op. Cit., p. 241.

يذكر نيرسس ان حدائقها كانت مليئة بالنرجس والزعفران والورد والبنفسـج .

تل باشر فكانت اشهر فواكهها الخوخ والبرقوق (١٥٦) .

على انه كانت للنواحي الطبيعية الخاصة بالفيضانات المدمرة او قلة الامطار او البرودة القارسة اثرها على الزراعة في الرها الى جانب الاثر الواضح الذي تركته الحملات العسكرية المتتالية وما ترتب عليها من آثار مدمرة حلت بالأرض الزراعية وما عليها من محاصيل شتى . ومن امثلة ذلك انه حدث في بداية قيام الامارة تقريبا او على وجه التحديد ١٠٩٩م (٤٩٣هـ) ان الأمطار لم تسقط في اي جزء من اجزاء الامارة مما تسبب عنه جفاف الأرض وتدمير الأشجار والكروم وبالتالي ، سبب الجدب فناء كبيرا بين أهالي الرها (١٥٧) . ويرجع متى الرهاوي تلك المجاعة الى الغضب الالهي الذي انتقم لموت الأمير ثوروس بطريقة غير عادلة ، بعد ان نقض الاهالي اليمين الذي اقسموه على الصليب والانجيل للمحافظة على حياته ، ثم قتلوه (١٥٨) .

وفي العام التالي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عاد الرخاء مرة أخرى فتضاعف انتاج القمح والشعير وحملت الأشجار الفواكه وفاضت ينابيع المياه بمياهها ووصل الناس والحيوانات الى درجة الشبع من كل شيء (١٥٩) . واستمرت الاحوال على هذا المنوال حتى ١١٠٣م (٤٩٧هـ) عندما اصيبت البلاد بفيضان مدمر مصحوبا بأمطار شديدة على شكل سيول ممزوجة بالبرد ، فدمر جزءا كبيرا من الاراضي وسقط عدد من المنازل ونفقت حيوانات كثيرة (١٦٠) .

وفي ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما قام مودود بحملته على الرها كان القرار ، الذي اتخذه أولي الأمر من الصليبيين انذاك . تأثيره البالغ الخطورة على الناحية الزراعية . فقد قرروا اخلاء الجزء الشرقي من الامارة الأكثر

---

(١٥٦) Cahen Op. Cit., p. 116.

(١٥٧) Mattieu : Op. Cit., p. 48.

(١٥٨) Mattieu : Ibid., p.p. 48 - 49.

(١٥٩) Mattieu : Ibid., p. 49.

(١٦٠) Mattieu : Ibid., p.p. 68 - 69.

تعرضـــا للخطر من ســكانه الفلاحين (١٦١) . وظنوا ان فى تلك الخطوة سلامـة أولئك السكان الأرمن والسريان . لكن حدث عكس ما كانوا يظنون . فقـد دمـر الاتراك الـريف بأكملـه (١٦٢) . واتلفوا كـل الحـدائق المحيطة بـبرهـا (١٦٣) حتى انه ليس من المبالغة القول بأن هـذا الاقليم الغنى الخصيب تحول فى يوم واحـد الى أرض مجدبـة خاليـة من كل شىء (١٦٤) وبالأضـافة الى ذلك فقـد قتلت غالبية أولئك السـكان الفلاحين فى ذلك الجزء بسهولة اثناء محاولتهم عبور نهر الفرات الى الضفة الغربية (١٦٥) ـ كما اشرنا ـ وبذلك كان لحملـه مودود هـذه اثرهـا المدمر على الناحية الاقتصـادية كما كان لها ايضـا اثرها البالغ الخطورة على الناحية السـكانية .

وفى ١١١٣م (٥٠٧هـ) اصيبت أراضى الرهـا بمجاعة قاسية نتيجـة الطقس البارد الذى دمر المحاصيل الزراعية (١٦٦) . هـذا الى جـانب قلة المشتغلين بالزراعة فى ذلك الجـانب الشرقى من الامارة بعد مذابح ١١١٠م ، فضلا عن تخوف بقيـة الزراع فى ذلك الجزء من مزاولة اعمالهم حتى لا يتعرضـوا لاعتداءات الاتراك المتكررة على هـذا الجزء المكشوف المعرض للخطر (١٦٧) .

---

(١٦١) Mattieu : Ibid., p. 99, Grousset : L'Empire, p.p. 298-299, Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Zoé : Op. Cit., p. 243, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(١٦٢) J. Prawer : Op. Cit., p. 289, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399.

(١٦٣) Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(١٦٤) Zoé : Op. Cit., p. 243.

(١٦٥) Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94, Fulcherii : Op. Cit.. T. 3 p.p. 421 - 422, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Epopée, p. 89, L'Empire, p. 299, Cahen : Op. Cit., p. 258, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Zoé : Op. Cit .p,. 243.

(١٦٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 407.

حتى اضطر الناس الى اكل الخبز المصنوع من الشعير والـذى كان يخلط احيانا بثمار البلوط .

(١٦٧) William : Ibid., V. 1, p. 407.

وبينما كان الجزء الشرقى من الامارة تحت سيطرة بلدوين دى بورج يعانى من الجـدب والمجاعة كان الجـزء الغربى المحمى بنهر الفرات ينعم برخـاء وازدهـار فى كافـة النواحى ، والمثل فى تل باشر وضواحيها تحت نفوذ جوسـلين دى كورتنـاى (١٦٨) . وقـد ترتب على هـذا الوضـع الشـائك ــ كما بينا من قبل ــ قيام الجفوة الكبيرة بين بلدوين وجوسـلين وطرد الأول للأخير من الامارة واستيلائه على ممتلكاته الغنية التى ازالت الخطر الاقتصـادى الجاثم فى ذلك الوقت .

والراجح أن الاوضـاع الزراعية فى شطرى الامارة ظلت على هـذا النهج فى غالبية الاحيان لأن الجزء الشرقى ظل أكثر تعرضـا باستمرار للغزوات التركيـة الاسلامية . فمثلا حـدث ١١١٩م (٥١٣هـ) عنـدما غزا ايلغـازى بن ارتق الرهـا أن احرق محاصيلها (١٦٩) . أما حملته ١١٢٠م (٥١٤هـ) فقـد نتج عنها تخريب الريف حول الرهـا (١٧٠) .

التجـارة :

اشتغل جزء كبير من سـكان الرهـا بالتجارة (١٧١) . ذلك أن امارة الرهـا تمتعت بموقع جغرافى جعلها تسيطر على اهم الطرق التى تصـل ما بين النهرين بالسـاحل (١٧٢) . هـذا الى أن مدينة الرهـا تقع على احـد الطرق التجارية العظيمة التى تصـل جبال ارمينيا شمالا ببادية الشام جنوبا (١٧٣) . أما سروج فكانت تقع على طريق القوافل من حران والرهـا الى جسر منبج (١٧٤) .

---

(١٦٨) William : Ibid., V. 1, p.p. 497-498, Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois., V. 1, p. 487, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402.

(١٦٩) Michel : Op. Cit., p. 205, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 249.

(١٧٠) Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(١٧١) William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 446, Archer : Op. Cit., p. 202.

(١٧٢) Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478.

(١٧٣) Burkitt : Op. Cit., p. 7.

(١٧٤) Le Strange : Op. Cit., p. 108.

وهنا يعطينا (دوسو) بعض الأمثلة للطرق التجارية فى تلك الامارة منها الطريق من مرعش الى الرها ، والطريق من دلوك عبر صحراء الشام والذى يمر بحلب ، والطريق من سميساط الى الرقة على طول الفرات ، فضلا عن الطرق من قورس الى حلب (١٧٥) .

والواقع أن الاهمية التجارية للرها هى التى جعلت تنكريد يتمسك بها حتى ١١٠٨م (٥٠٢هـ) دون المساهمة فى اطلاق سراح أميرها بلدوين دى بورج لأنه فضل أن يحتفظ لنفسه بايرادات الاقليم (١٧٦) . ذلك ان وقوع الرها على مفترق الطرق بين الشام وانطاكية من ناحية والعراق وفارس من ناحية أخرى جعلها مركز نشاط تجارى واسع . وكانت عائدات الرها وحدها من الرسوم الخاصة بمرور التجارة تصل الى اربعين الف بيزانت ، هذا خلاف المتحصلات الأخرى التى تحصل من اماكن أخرى مثل سميساط وتل باشر وعينتاب (١٧٧) .

كذلك يقال أن من بين العوامل التى دفعت زنكى الى ايقاف المذابح والنهب فى الرها بعد فتحه لها ١١٤٤م هو رغبته فى المحافظة على الازدهار التجارى فيها (١٧٨) .

كنيسة الرها والحياة الدينية فيها :

قبل أن نتناول بالبحث الحياة الدينية لامارة الرها ومدى تأثرها بالحياة السياسية فى الامارة ، يجدر بنا أن نأخذ فكرة عن الطوائف المسيحية فى الرها واهم الكنائس التى تتبعها كل طائفة . هذا مع الاشارة الى اهم الكنائس التى شيدت فى الرها وما بقى منها حتى الفترة الصليبية للامارة .

والواقع ان الرها تعتبر من المراكز الأولى للمسيحية (١٧٩) منذ ان تلقى اهلها تعاليمها على يد (آديا) رسول المسيح الى ملكهم

---

(١٧٥) Dussaud : Topographie de la Syrie, p.p. 477-479

(١٧٦) Zoé : Op. Cit., p. 215.

(١٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 409.

(١٧٨) Grousset : L'Epopée, p. 163.

(١٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤

William : Op. Cit., V. 2, p. 158,

أبجر (١٨٠) . ومنذ أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادى ٥٤٢م أسس الراهب يعقوب البرادعى المذهب اليعقوبى بالرها (١٨١) . والكنيسة اليعقوبية هى أحدى فروع الكنيسة السريانية الشرقية (١٨٢) . ويؤمن اليماقبة بالطبيعة الواحدة للمسيح ويتكلمون العربية (١٨٣) .

وقد ظلت الكنيسة اليعقوبية هى السائدة فى الرها الى ان انضمت اليها الكنيسة الجريجورية الأرمينية (١٨٤) ، التى كان يراسها الكاثوليكوس Catholicos (١٨٥) .

---

(١٨٠) Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium . T. 3, p. 543, Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, Dictionnaire D'Archeologie... T. 4, Part 2, p. 2082.

(١٨١) R. Aubert : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique .. T. 14, p.p. 1424-1425.

وهو يضيف هنا ان يعقوب رسم أسقفا سرا بواسطة تيودور بطريرك الاسكندرية بمساعدة اثنين آخرين من الاساقفة المونوفيزتيين . وعندئذ اصبح له السلطة على سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى لكن يعقوب لم يستقر فى الرها بل قضى حياته فى الوعظ فى سوريا وما بين النهرين وقيلية وكباد وكيا وأسس فى كل مكان جاليات مونوفيزيتية .

(١٨٢) R. Aubert : Ibid., p. 1425, Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٣) Grousset : L'Empire, p. 311.

(١٨٤) Grousset : Ibid., p. 311.

(١٨٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151.

تولى القديس جريجوار كرسى البطركية الارمينية فى القرن الرابع الميلادى اى فى بداية عهد الكنيسة الارمينية ، ثم تولاه بعده أولاده واعقابه من بعده وكلهم من فرع الأسرة الارسكيدية Arsacides

وهنا يذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، حـ ١٦ ص ٣٩٠ « ان قلعة الروم كانتمقر بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمينية كتاغيكوس » .

كانت اهم الأعياد الأرمينية :

عيد الفصح	Pâques.
عيد الغطاس	Epiphanie.
عيد التجلى	Transfiguration.
عيد صعود العذراء	Assomption.
عيد ارتفاع الصليب المقدس	Exaltation de la Saint Croix.
عيد الخمسين او الحصاد	Pentecote.

(Mattieu : Op. Cit., p. 100-101, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152).

لكن يبدو أنه رغمَ أن الرهـا كان يتولى فيها مطارنة يعاقبـة حتى ١١٩٦م الا انهـم لـم يلعبـوا دورا مهمـا فى سـلم الكهنوت اليعقوبى Hierarchie Jacobite (١٨٦) .

كنـائس الرهـا :

ثم ان الرهـا اشتهرت بكنائسها التى يزيـد عـددها على ثلثمائـة كنيسـة (١٨٧) . وكانت اشهر تلك الكنائس واقدمها : الكنيسة القديمة أو الكندرائية التى بناها (آديا) من الـمال الذى وضعه الملك أبجر تحت تصرفه (١٨٨) . وقـد ظلت تلك الكنيسـة وحيدة بالرهـا حوالى ثلاثة قرون تقريبـا (١٨٩) ، واصيبت بعـدة تخريبـات بسبب الفيضانات والزلازل مابين بدايـة القرن الثالث وبداية القرن الثامن الميلادى . ولكن فى كل مرة كان يعاد تجديدها (١٩٠) . وقـد وصفت تلك الكنيسـة بانها

---

(١٨٦) R. Aubert : Op. Cit., T. 14, p. 1428.
وهـذا المرجـع يعطينا حصرا لأسـاقفة الرهـا اليعاقبة فى فترة امارة الرهـا الصـليبية وهم :

Basile (Bar Sabhûni). عزل ١١٠١م
Ignace (Bar Gadhînâ). ١١٠١ — ١١٣٠م
Athanase. ١١٣٠ — ١١٣٧م
Basile. ١١٣٧ — ١١٦٦م

(١٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ ، القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ص ٤٥١

Le Strange : Op. Cit., p. 108, Encyclopaedia Britannica : V. 7, p. 954, Encyclopaedia of Islam : V. 3, Part. 2, p. 997.

(١٨٨) Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 38 .

(١٨٩) ففى ٣٤٦م شيدت كنيسـة المقربين
L'Eglise des Confesseurs
(Duval : Op. Cit., p. 17, 180, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p.p. 2064 - 2090).

(١٩٠) Duval : Op. Cit., p. 15-16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, Part 2, p. 2068.
نقـد ذكرا انه حتى الفيضـان العظيم ٢٠١م لم يكن مسـيحيو الرهـا يملكون سـوى كنيسـة واحدة تعرف بالكنيسـة القديمة خربها ذلك الفيضان
=

« احـدى عجائب الدنيا (١٩١) » . وقيل ان الروم اشـاروا اليها بقولهم « ما من بناء بالحجـارة ابهى من كنيسة الرها (١٩٢) » . اما ابن حوقل فيصفها بأنها « ليس للنصرانيـة اعظم ولا أبدع صنعة منها (١٩٣) » .

والى جـانب الكنيسـة العظمى بنى بالرهـا عدد كبير من الكنائس الأخرى كان أهمها فى داخل الرهـا : كنيسـة القديس دانيال (١٩٤) . كنيسة القديس بارلاها (١٩٥) ، كنيسـة القديس اتيان (١٩٦) ، كنيسة الرسـل (١٩٧) ، كنيسـة حنـا المعمـدان (١٩٨) ، كنيسة القديس

= ثم أصابها نفس الكارثة فى نيضـان ٣٠٣م ثم أعيد بناؤها ٣١٣م بواسطة كوانا اسقف الرهـا وخليفة سعد . وبعد نيضان ٥٢٥م الذى قلب الكنيسة اعيد بناؤها بواسطة جستنيان ببذخ كبير .-وقلبت الكنيسـة مرة اخرى نتيجة لهزة ارضية ٦٧٩م ومرة اخرى ٧١٨م .

(١٩١) Duval : Op. Cit., p .16, Dictionnaire D'Archéologie... p. 2063,

المقـدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٤١ (يذكر انها كانت بأزاج ملبسـة بالفسيفساء) .

(١٩٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦١ .

(١٩٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ .

(١٩٤) Saint Daniel شيدت بواسطة الأسقف Vologèse او Eulogius ٣٧٩م.

(Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٥) كنيسـة القديس Barlâhâ شيدت بواسطة ديوجين اسقف الرهـا ٤٠٩م

(Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091).

(١٩٦) Saint Etienne التى كانت من قبل معبدا يهوديا ثم أصبحت كنيسـة بواسطة رابولا اسقف الرهـا ٤٢١م

(Duval : p. 16, 170, Diction. D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٧) L'Eglise des Apôtres شيدت بواسطة Hibha اسقف الرها ٤٣٥م .

(Duval : p. 17, 175. Diction. D'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

(١٩٨) Saint-Jean Baptiste شيدت بواسطة نونوس اسقف الرهـا ٤٥٧ — ٤٧١م

(Duval : p.17, 176, Diction. d'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

آديا (١٩٩) ، كنيســة القــديس كوانا (٢٠٠) ، كنيســة مــارى أم المسيح (٢٠١) . هذا الى جــانب كنائس أخرى خارج المدينة (٢٠٢) .

وكــان من أشهر الكنــائس التى بنيت فى الرهــا فى العصر البيزنطى ثلاث كنائس أبرزها كنيســة سانت صوفيا أو القديسة صوفيا (٢٠٣) . ولم تقتصر الكنائس فى امارة الرهــا على مدينــة الرهــا فقط بل تعددت فى بقية مدنها وكــان من اهمها كنيســة قورس التى اعتبرت أيضــا من عجائب الدنيــا (٢٠٤) .

واذا كانت كنائس الرهــا قد لاقت رعاية فى العصر الأموى (٢٠٥) ،

---

(١٩٩) Saint Addée (Duval : p. 17, Diction.: Ibid., p. 2064).

(٢٠٠) Mar Cônâ (Duval : p. 17, Dict. Ibid., p. 2064)

(٢٠١) La Mère de Dieu بنيت مكان المدرســة الفارسية ٤٨٩م .
(Duval : p. 17, Dict. : Ibid., p. 2064, 2093).

(٢٠٢) خــارج المدينــة :

كنيسة القديس كوسماس	Saint - Cosmas.
كنيســة القديس داميان	„ Damien.
كنيسة القديس سيرج	„ Serge.
كنيسة القديس سيمون	„ Siméon.

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

وفى غرب الرهــا وجنوبها الغربى على الجبل كانت توجد كنيسة المقربين وكنيســة الرهبان القديســة
(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

(٢٠٣) يذكر نيرسيس ان البيزنطيين لمــا حكموا الرهــا بنوا بها هيكلا على اسم هيكلهم أيا صوفيا (Nerses : Op. Cit., p. 229) أما متى الرهــاوى فيسميها Saint Sophie
(Mattieu : Op. Cit., p. 81)
أما الكنيستين الأخرتين فهما كنيســة Mar Theodoros, Mère de Dieu
وقــد بناهما الأسقف مارد يونيسيوس (Michel : Op. Cit., p. 280).

(٢٠٤) ابن شــداد : الأعلاق الخطيرة ، حـ ١ ق ١ ص ٣١ .

(٢٠٥) لمــا هدم جزء من كنيســة الرهــا بعد زلزال ٦٧٩م أعاد معاوية الأول بنــاءه .
(Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954).

أما عبد الملك بن مروان فقد بنى بالرهــا كنيســة للتعميد
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 105)

فان أول الخلفاء العباسين لم يحترم قدسيتها بل أصيبت المدينة نفسها بالتخريب فى عهده (٢٠٦) . وعندما استولى البيزنطيون على الرها ١٠٣١م هرب منها العرب والمسيحيون الموجودون بها بعد ان اشعلوا النار فى المنازل والكنائس - لأن مسيحي الرها كانوا يفضلون الحكم العربى على الحكم البيزنطى . وظلت المدينة مهجورة حتى حكمها بيزنطى، تقى عين عليها المطران ديتسيوس فاعاد ازدهارها وبنى بها كنيستين (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، انشأوا كرسيين بطريكيين لاتينيين بها هما بطريركيـة أنطاكية وبطريركيـة القدس . وكان يتبع أنطاكيـة عـدة كراسى مطرانية أهمها الرها وعدة اسقفيات منهـا قورس ومرعش(٢٠٨) . وهكذا أصبحت الرها فى الفترة الصليبية تضم ثلاثة كنائس هى : الكنيسـة اليعقوبية والكنيسـة الارمينية وهما شرقيتان والكنيسـة اللاتينية الغربيـة .

ووجـدت فى الرها فى الفترة الصليبية حوالى ثمان كنـائس رمم بعضها بواسطة الفرنج وخصصت ثلاثة منها للشعائر اللاتينية (٢٠٩) .

---

(٢٠٦) Michel : Op. Cit., p. 279.

(٢٠٧) Bar Hebraeus :Op. Cit., V. 1, p. 280.

(٢٠٨) Michel : Op. Cit. p. 191.

كانت أهم الكراسى المطرانية التابعة لأنطاكية طرسوس والمصيصة والرها ودلوك وافامية . اما أهم الأسقفيات فكانت طرابلس ، اللاذقية ، جبلة قورس ، مرعش ، وحارم .

(٢٠٩) Cahen : Op. Cit., p.p. 112 — 113.

أهم الكنائس فى الرها فى الفترة الصليبية هى :

١ — كنيسة القديس حنا Saint-Jean وهى كتدرائية لاتينية رممت بواسطة الفرنج

٢ — كنيسة القديسة صوفيا Saint-Sophie وهى كتدرائية بيزنطية .

٣ — كنيسة المقربين Confesseurs

٤ — كنيسة القديس توما ، ذات شعائر لاتينية

٥ — كنيسة القديس ايثان ، ذات شعائر لاتينية

٦ — كنيسة القديس تيودور (وهى التى اختبأ فيها حوالى ثمانين من الارمن امام تنكيل امير سروج ١١١٣م .

(Mattieu : Op. Cit., p. 105

٧ — كنيسة الرسل (بطرس وبولس) .

٨ — كنيسة الأربعين شهيد .

ولتسهيل دراسة الأحوال الكنسية والدينية فى امارة الرها سنتناولها وفقا لفترة حكم الأمراء الصليبيين المختلفين لتلك الامارة لنتبين من خلالها مدى تأثر الحياة الدينية بالحياة السياسية .

ذلك انه عند وصول بلدوين البولونى الى الرها خرج رجال الدين لاستقباله مع حاكم المدينة وبقية الاهالى فى صورة مشرفة جدا وترحيب زائد (٢١٠) . والواقع ان الترحيب البالغ الذى لاقاه اللاتين من الارمن بالذات يشير الى انه لم يكن هناك فاصل كبير بين الارمن واللاتين كما كان الحال بين الارمن والبيزنطيين (٢١١) . وعلى ذلك فبعد ان استقر بلدوين فى حكم الرها لم يكن هناك اى نوع من الاضطهاد الدينى الذى قاسى منه الارمن بالذات على يد البيزنطيين ، بل ساد عهده التسامح الدينى (٢١٢) . وهكذا بدأت امارة الرها الصليبية عهدها فى سلام مع الارمن الجريجوريين والسريان اليعاقبة واليونان الارثوذكس (٢١٣) .

اما فى عهد بلدوين دى بورج ، فكان لرجال الدين اللاتين دورهم البارز فى حركة التوسع الصليبى الرهوى ، كذلك ظهر فى ذلك العهد التحالف الواضح بين الأمير بلدوين والكنيسة الارمينية ، وعلى عكس ذلك قام الخلاف فى الكنيسة اليعقوبية .

ففى بداية ١١٠١م (٤٩٤هـ) وعند استيلاء بلدوين دى بورج على سروج قام الاسقف اللاتينى بندكت أو بابيوس بدور بارز فى قيادة الدفاع الفرنجى فى قلعة المدينة (٢١٤) ، حتى استطاع بلدوين احضار النجدة واستولى على القلعة (٢١٥) .

وفى نفس السنة ١١٠١م بدأ الخلاف بين المطران بارصابونى Bar caboni وبين البطريرك الذى عينه مار اثناسيوس السابع ، فقد طلب البطريرك من المطران رد جميع الكتب المقدسة التى كانت مرصعة بالذهب والفضة الى الخزانة البطريركية ، والتى كان احد الثوار قد استولى عليها . وبالفعل وعد المطران بردها ، ولكن يبدو

(٢١٠) William : Op. Cit., V. 1, p. 191.
(٢١١) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55.
(٢١٢) Grousset : Ibid , V., 1, p. 67.
(٢١٣) Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870 - (L'Ahonyme)
(٢١٥) Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset - Op. Cit., V. 2, p. 870.

انه بعد حصوله عليها رفض ارجاعها الى البطريرك ، وذكر ان اعيان الرها يعارضون فى ردها . وعندئذ احتج البطريرك واشترط عليه اما ارجاعها او اصدار قرار الحرمان ضده (٢١٦) فانقسم اهالى الرها الى قسمين ، الأول أيد البطريرك والثانى عاضد المطران (٢١٧) . وكان ان حاول بلدوين دى بورج عقد الصلح بينهما ولكن دون جدوى (٢١٨) . بل ان محاولة مطران ملطية فى هذا المجال أدت الى عزل البطريرك له من منصبه (٢١٩) .

ثم فكر مطران الرها فى الاستعانة بالبطريرك اللاتينى لأنطاكية برنادى دى فالنس (١١٠١ — ١١٣٥م) فدعا الأخير البطريرك أثناسيوس امام محكمة فى قلعة القديس بطرس فى انطاكية . ويقال أن فرنج انطاكية توسلوا اليه أن يعفو عن سابونى ولكنه رفض رفضا باتا وفضل الاستشهاد على تنفيذ ذلك الطلب . وعندما حاول بعض الفرنج الأعتداء على البطريرك بالضرب تصدى لهم بعض الأساقفة ومنعوهم ووبخوهم . ثم صمم برنارد دى فالنس على حبس البطريرك حتى يجمع مجمعا دينيا يعقوبيا لبحث دعوى بارساپونى (٢٢٠) . ولكن عندما علم أمير انطاكية روجر بذلك احتج على سلوك البطريرك اللاتينى وقال له « أنه ليس لديك اى سلطان عليهم » ثم سمح الأمير للبطريرك اليعقوبى بمغادرة انطاكية محملا بالهدايا (٢٢١) .

واذا كان البطريرك اليعقوبى قد توجه بعد ذلك الى آمد واستقر فى احد اديرتها ، الا ان ذلك لم يضع نهاية لذلك الموضوع ، لأنه أصدر من هناك قرار الحرمان ضد كنيسة الرها اليعقوبية « حتى انه أمر بايقاف اجراسها (٢٢٢) » . وعندئذ انتشر الاضطراب الدينى فى الرها فثار بعض رجال الدين بعضهم ضد البعض الآخر ووصل الاضطراب

---

(٢١٦) Michel : Op. Cit., p.p. 193-194.
(٢١٧) Michel : Ibid., p. 194.
(٢١٨) Michel : Ibid., p. 197, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 514, Zoé : Op. Cit., p. 231.
(٢١٩) Michel : Op. Cit., p. 197.
(٢٢٠) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 515.
(٢٢١) Grousset : Ibid, p. 515.
(٢٢٢) Michel : Op. Cit., p. 212.

الى حد ان بعض أهالى الرهـا تصروا أطفالهم فى كنائس اللاتين (٢٢٣) .

وفى ١١٠٢م حـدث اضطراب دينى كبير فى بلاد الشـام وقيليقيـة وامتـد الى الرهـا ، وهو ما صوره متى الرهاوى بصورة مسهبة ، عندما ذكر ان ذلك الاضطراب قام فى البداية بسبب عدم دقة البيزنطيين والفرنـج فى تحديد عيد القيامة فى تلك السنة (٢٢٤) . وكان ان قامت فى ذلك الوقت مجادلات عديدة بين البيزنطيين والأرمن بسبب ذلك الخلاف . أما الفرنج فلم يكن لديهم أى اهتمام بمناوأة الأرمن فى تلك النقطـة . وكان ان دخل اهـالى انطاكية وقيليقية والرهـا فى مناقشـات لا تنتهى حول ذلك الوضوع لأن البيزنطيين حاولوا فرض ذلك التقويم على الأرمن . واضطر السريان فى الرهـا الى الانضمام عن خوف الى جـانب البيزنطيين وتخـلوا عن التحالف الذى كانوا قـد عقدوه مع الأرمن (٢٢٥) .

وكان البيزنطيون قـد وقعوا فى نفس الخطأ عندما لم تشعل انوار كنيسـة القبر المقـدس ، فى تلك المناسبة وتعرض حجاج بيت المقـدس للمذابح من جـانب المسلمين ، وهو ما حـدث فى عهد الامبراطور باسيل حـوالى ١٠٠٦م (٣٩٧هـ) . وعندما تكرر نفس الخطـأ فى تلك السنة ١١٠٢م ، حـذر رجـال الـدين فى الرهـا الـرئيس الأعلـى للأرمن Le Catholicos Grégoire ، ولكنه رد عليهم بخطاب طويل كتبه بخط يده وحثهم فيه على الثبات على العقيدة الأرثوذكسية (٢٢٦) .

---

(٢٢٣) Michel : Ibid, p.p. 212-213, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 515-516.

(٢٢٤) Mattieu : Op. Cit., p. 62.

لقـد حـدد الفرنـج والبيزنطيون عيـد الفصح بيوم السبت الموافق ٥ ابريل ، بينما حـدده الأرمن والسريان والعبريون بيوم الأحـد الموافق ٦ ابريل وهو يوم أحـد السعف .

(٢٢٥) Mattieu : Op. Cit., p. 63.

(٢٢٦) Mattieu : Ibid., p.p. 63 — 67.

صورة مصغرة للخطـاب :

« الى الأصـدقاء الحقيقيين للمسـيح .. الى القسس ، الى كل العظماء والى كل المخلصين السـلام .

لقـد قرات خطابكم الذى يتفجر بالحب الالهى . ولقـد فهمت تماما كل ما يحويه من ملاحظـات . واننى احثكم واشجعكم واعلمكم الصبر . وسـاصحبكم حتى الموت فى كل المناسبات ، فى كل انواع التعذيب ، لن

=

وعندمـــا تلقوا الخطـــاب أصبحوا أكثر تمســـكا عن ذى قبل بالمـذهب الارثوذكس . ويذكر متى الرهاوى انه حـدث فى عيد الفصـــح أن أضـــاء أهالى القـــدس أنوار كنيســــة القبر المقدس عن طريق التحايل واستخدموا لاضـــاءة تلك الانوار الالهية نارا سرية . لكن تلك الأضـواء أنيرت بالضبط فى عيد الفصـــح الأرمنى ، كما شـــاهد كل المسيحيين الموجودين بالقـــدس . عندئذ اعترى البيزنطيون الخجل للاحتفال بذلك العيد يوم أحد السعف (٢٢٧)

وفى ١١٠٣م قويت الروابط الودية بين بلدوين دى بورج من ناحية وبين الكنيســـة الارمينية عندما استقبل الأمير ، الرئيس الدينى الأعلى للارمن الجريجوريين ، باسيل الذى قـــدم الى الرهـــا مصحوبا باتباعه من النبلاء والأساقفة والقســـاوسة ، فتلقاه بلدوين بحفاوة بالغـــة وقـــدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا وأظهر له ودا كبيرا (٢٢٨) :

وفى العـــام التالى عندما قامت معركة حران الســـابقة الذكر كـــان لرجال الدين اللاتين دورهم فيها أيضـــا ســـواء من الرهـــا أو من بقيـــة الامارات اللاتينية الأخرى ، اذ شـــارك فى تلك المعركة . برنارد بطريرك انطاكية وديامبرت بطريرك القـــدس الذى كان لاجئا فى انطاكيـــة حينئذ ، وبندكت رئيس أســـاقفة الرهـــا اللاتين (٢٢٩) . وقـــد أسر بندكت فى تلك الموقعـــة (٢٣٠) . ورغـــم استنجـــاده فى أسره بتنكريـــد فانـــه

= ابتعد عن وظيفتى ولن انكر واجباتى . واننى مستعد ان اعطى حلا لكل نقطة فى كل ما ســـأستفسر عنه . أما أنتم فلا تهنوا ولا تيأسوا ، لأن الله يؤيدنا اذا صبرنا . وسنحارب نحن بقـــدر استطاعتنا كجنود المســـيح الشجعان من أجل الحقيقة . نحن شـــاهدون على أننا لم نرتكب اى خطأ ولم نفســـد اى عقيدة اذا تضـــامنتم مـــع مواعظى وعقيدتى فســـأكون الضـــامن لكم أمام السيد المسيح . أما من يرغب فى المجـــد الدنيوى بدلا من المجـــد الالهى ، فسيوضـــع فى صفوف هؤلاء الذين لا يعترفون بالسيد المسيح كاله . وسيطرد من جماعتنا ويحرم من بركتنا . بعكس من يؤمن معنا بالله فسيحصل على الســـعادة الأبدية ... آمين » .

(٢٢٧) Mattieu : Ibid., p. 67.

(٢٢٨) Mattieu : Ibid., p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298, F. Charles-Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 21.

(٢٢٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 456.

(٢٣٠) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX... T.4,p.615, Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459.

لم ينجده (٢٣١) . ووضع الاسقف فى رعاية احد المسيحيين المرتدين فلما اكتشف شخصيته تحركت فى نفسه شفقة الحب وسمح له بالهرب دون أن يلحقه اى اذى . وعاد بندكت الى الرها حيث قوبل بالعديد من مظاهر الفرح والسرور (٢٣٢) .

وحتى نهاية عهد بلدوين دى بورج فى الرها لم نعثر على اى شىء يتصل بالناحية الدينية بعد ذلك سوى ماذكره متى الرهاوى عن التخريب الذى أصاب كنيسة سانت صوفيا ١١٠٥م نتيجة انهيار جدارها الغربى (٢٣٣) .

والواقع ان المصادر المعاصرة لامارة الرها فى تلك الفترة ركزت غالبية كتاباتها على العلاقات الرهوية التركية فضلا عن حركات التوسع الخارجية من جانب الامارة على حساب الأرمن خارجها .

أما عهد جوسلين الاول فكان يمثل فترة صراع شديد مع جيران الامارة المحيطين بها كما بينا فى باب العلاقات الخارجية ، لذا لم تبرز الناحية الدينية فى الامارة فى ذلك الوقت الا من خلال سطور قليلة .

ففى بداية عهد جوسلين يشير ميخائيل السريانى ان بطريرك الرها توجه الى تل باشر لمقابلته . « فصالحه جوسلين هو وكل الاساقفة واعاد كل الزخارف واوانى الزيت المقدس التى كان قد استولى عليها اثناء غضبه من الخزانة البطريركية فى دير مار برسوما (٢٣٤) » . والراجح انه ربما قام جوسلين باعتدائه هذا على الدير عندما طرد من الرها بواسطة بلدوين دى بورج ١١١٣م .

وحوالى ١١٢٩م استنجد البطريرك اليعقوبى مار اثناسيوس — السابق الذكر الذى كان قد رحل الى آمد — بجوسلين لانه اصبح شيئا سجين هناك فى ذلك الوقت . فما كان من جوسلين الا ان ارسل الى امير

---

(٢٣١) Gesta Tancredi : Op. Cit.,... T. 3, p. 710.

لقد كان بندكت يصيح على تنكريد قائلا : « تنكريد ، تنكريد تقدم المعونة »

(٢٣٢) Alberti Aquensis' Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616.

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. p. 710, William: Op. Cit., V. 1, p. 459, Grousset: Hist. des Crois., V. 1, p. 406 عن (Foucher).

(٢٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 81.

(٢٣٤) Michel : Op. Cit., p.p. 259 — 260.

آمــد مهددا بتخريب بــلاده اذا لم يطلق سراح البطريرك . فتم اطــلاق سراحـــه بالفعل وعاد الى الرهـــا ثم توجه الى دير مار برسوما حيث قضى بقية حياته (٢٣٥) .

وكان البطريرك بعــد عودته الى الرهـــا قــد ظل محتفظا بموقفه من بار ســـابونى ومصمما على ابقـــاء قرار الحرمان ضــد كنيسة الرهـــا اليعقوبية . لذا تجددت محاولات التوفيق بين الجانبين واشترك فى تلك الوســـاطات جوســـلين الأول عن طريق بعضـــ فرســـانه ، لكن دون جــدوى (٢٣٦) . والراجح ان البطريرك توق وهو متمسك بموقفـــه من الكنيســـة اليعقوبية ، فى حين لم يحاول جوسلين اقحام نفسه بشـــدة فى النواحى الدينيـــة .

أما جوســـلين الثانى فقــد اقحم نفســـه فى الأمور الدينية وتدخل فى شئون الكنيســـة اليعقوبية فرفض الأعتراف بتعيين اثناسيوس الثـــامن وعين هـــو اســـقفا يعقوبيـــا صـــديقا لـــه هو باســـيل بارشومانـــا Basile Bar Shumana (٢٣٧) . بــل أكثر من هـــذا نهب جوسلين دير ســـانت بارسوما الذى يقدســـه اليعاقبة (٢٣٨) . والذى ذاعت معجزاته (٢٣٩) . وقــد أعترف جوســـلين الثانى فى آخر حياته

---

(٢٣٥) Michel : Ibid., p. 228.

(٢٣٦) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 516.

(٢٣٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176.

(٢٣٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 176, L'Empire, p. 300.

(٢٣٩) Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 257 — 258.

يذكر ابن العبرى : هنا احـــدى معجزات ذلك القـــديس بقوله « انـــه فى ١١٣٤م وصـــلت اسراب عظيمة من الجراد الى الرهـــا ، عندئذ احضر أهـــالى الرهـــا التابوت الذى وضعت فيه اليد اليمنى للقديس وبوصولها حدثت المعجزة وتحرك الجراد دون أحـــداث اى ضرر بالاقليم . ثم استفذ البيزنطيون المطران الفرنجى هيو ليفتح التابوت حتى يمكن لليد ان تظهر ولمـــا رفض الرهبان القيام بذلك سخروا منهم قائلين أن التابوت ليس بـــه شىء . فاضطر الرهبـــان لفتحـــه . وعندئذ قصف رعـــد مفزع وملأت السماء بالسحب المظلمة وضربت الأرض بأحجـــار ثقيلة فصـــاح الناس جميعا (كيرياليســـون Kūryâlaison) أى أنزل علينا الرحمـــة أيها المختـــار عند الله ، وهرب البيزنطيون وأخفوا انفسهم . وعندما توقف ذلك القصف اجتمع الناس جميعا وصلوا لمـــدة ثلاثة ايام » .

فى سجنه أن ماحل به من مصائب مرجعه الى آثامه بسبب موقفه من ذلك الدير المقدس (٢٤٠) .

رجال الدين والدفاع عن امارة الرها ١١٤٤م :

وكان لرجال الدين دورهم البارز فى الدفاع عن الرها ضد زنكى والقوات الاسلامية ١١٤٤م (٥٣٩هـ) . فقد تزعم الدفاع فى ذلك الوقت رؤساء الطوائف الدينية المختلفة فى الرها وعلى رأسهم هيو الثانى الأسقف اللاتينى وباسيل الأسقف اليعقوبى وحنا الأسقف الأرمنى (٢٤١) .

واثناء الحصار حاول الأسقف السريانى التوسط لدى الأسقف اللاتينى — باعتباره الممثل الأول لرجال الدين بينهم — لعقد هدنة لعدة أيام مع زنكى على أمل وصول نجدة اليهم . ولكن يبدو ان الأسقف اللاتينى رفض . ومع ذلك فقد أرسل باسيل خطابا بهذا المعنى الى زنكى الا أن أمره انكشف (٢٤٢) .

من هذا نرى ان السريان كانت لديهم نية المسالمة تجاه الأتراك ولاغرو فى ذلك فقد كان السريان فى ذلك الوقت أكثر عداءا للأرمن منهم للأتراك (٢٤٣) .

ثم يستمر سير الأحداث — كما سبق الذكر — وتسقط الرها ، وهنا تشير المصادر العربية الى رجال الدين اشارة موجزة فى قولها ان زنكى

---

(٢٤٠) Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 276.

(٢٤١) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)
Cahen : Op. Cit., p. 369, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338,
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.
هنا نجد كل من المصدر السريانى (L'Anonyme) ، بروييه يسمى الأسقف الأرمنى Ananias كذلك يذكر (L'Anonyme) هيو الثانى باسم Papias أما ميخائيل السريانى فيسميه Bafias
(Michel : Op. Cit. p. 262)
أما نيرسيس فيضيف أسقف رابع هو الأسقف الأرمنى اى البيزنطى للأساقفة الثلاثة السابقين .
(Nersès : Op. Cit., p. 259)

(٢٤٢) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme)

(٢٤٣) Zoé : Op. Cit., p. 210.

بعد ان امتلك البلد عنوة ، اباد قسوسها ورهبانها (٢٤٤) » .

اما المصادر السريانية والارمينيه والمراجع الافرنجية فتشير الى مصير رجال الدين بشيء من التفصيل .

فبالنسبة للأسقف هيو اللاتي فانه مات في تلك المعركة امام قلعه المدينة التى قيل انه امر باغلاق ابوابها حتى لا يلجأ اليها احد ويشترك الجميع فى الدفاع عن المدينة . لكن تكدس الاهالى بشدة امام تلك القلعة جعل الكثيرين منهم يموتون خنقا ومن بينهم ذلك الأسقف الذى يقال ايضا ان احد الأتراك قتله فى ذلك الوقت (٢٤٥) . والراجح انه سقط من شدة الزحام فأجهز عليه احد الاتراك . وهنا يعلق وليم الصورى على وفاة الاسقف اللاتيني بقوله ، ان بعض رجال الدين اعتبروا ان هيو لقى جزاءه لشحه وتكديسه الثروة الهائلة ، دون ان يقدم بعضها من اجل الدفاع عن المدينة فجنى بذلك ثمار بخله وهلكت نقوده معه (٢٤٦) .

اما الاسقف الأرمني حنا فقد ذكر نيرسيس انه « نجا من المذبحة كما نجا يونس من جوف الحوت (٢٤٧) » .

واما الأسقف السريانى باسيل فقد فصلت المصادر السريانية الكلام عنه وعن موقف زنكى منه . فقد قيل انه بعد المعركة وجده زنكى عارى الجسم فأمر بتدثيره واحضاره الى خيمته وهناك وبخه على عدم تسليم المدينة ، والحفاظ على ارواح من قتلوا فرد عليه الأسقف بأن هذه هى ارادة الله وان ذلك النصر جعل اسم زنكى مشهورا بين الملوك العالمين ، اما هو فبرىء امام السيد المسيح لانه لم يخن عهده . وعندئذ ابتهج زنكى من كلام الأسقف ورد عليه « انت تتكلم الصدق ايها الطران

---

(٢٤٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٦٥ . تاريخ ابو الهيجاء ، جـ ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضى شهبة : الدر الثمين . ميكروفيلم الباب السابع ٥٣٩هـ .

(٢٤٥) Nersès : Op. Cit., p. 259, Michel : Op. Cit., p. 262, William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Schlumberger : Op. Cit., p. 99, Iorga : Breve : Hist. des Crois., p. 92, Grousset: Hist. des Crois., V. 2, p. 881, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٤٦) William : Op. Cit., V. 2, p. 143.

(٢٤٧) Nerses : Op. Cit., p. 260.

لان هؤلاء الذين يحفظون يمينهم يقدرون من الله ومن الرجال ، وخاصة هؤلاء الذين يثبتون حتى الموت (٢٤٨) » .

وزاد من اعجاب زنكي بالأسقف باسيل انه كان يجيد العربية فاحترمه وعهد اليه باعادة اسكان المدينة مرة اخرى واوصاه بحسن معاملتهم وظل هذا الأسقف حتى وفاة زنكي يتمتع بمكانة عالية جدا (٢٤٩) . وتمتع ذلك الأسقف ليس فقط بتقدير زنكي والمسلمين وانما ايضا بتقدير وحب الأهالي الذين أحسن اليهم كثيرا بعد فتح الرها ١١٤٤م (٢٥٠) .

والواقع ان معارك الرها في اواخر ١١٤٤م لم يشارك فيها الرؤساء الدينيين المدينة فحسب بل كان لجميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم دورهم الابارز فيها ايضا ، حتى مات الكثير منهم في تلك المعارك (٢٥١) . وفي احدى المقالات التي كتبها احدهم — وهو القديس حنا — وضع البراهين والادلة لاثبات مسئولية الكارثة على الفرنج لعدم وضعهم حاميات كافية في المدينة التي عهد اهالي البلاد اليهم بالدفاع عنها (٢٥٢) .

كنائس الرها ١١٤٤م :

وعندما بدا هجوم المسلمين على المدينة ساد التخريب والتدمير كل شيء فيها بما فيه الكنائس التي خرب الكثير منها ونكست صلبانها (٢٥٣) ، ثم أمر زنكي بقصر ذلك التدمير على الكنائس اللاتينية

---

(٢٤٨) Michel : Op. Cit., p. 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 188-189. من (Michel) من (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 337.

(٢٤٩) Michel : Op. Cit., p.p. 262-263, Iorga : Brève Hist, des Crois, p. 92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189, 195.

(٢٥٠) Michel : Op. Cit., p.p. 263-264.

فقد ساهم بماله الخاص في شراء حرية الكثير من الاهالي الذين كانوا قد تحولوا للأسر والعبودية .

(٢٥١) Nersès : Op. Cit., p.p. 251-263, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 269.

(٢٥٢) Michel : Op. Cit., p.p. 266 — 267.

(٢٥٣) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٩ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق ١ ص ٩٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، جـ ١ مخطوط ، حوادث ٥٣٩هـ ، ابن قاضي

=

او تحويلها الى ايدى المســيحيين الوطنيين (٢٥٤) . اما كنائس الارمن والســريان فقــد ابقى على الكثيــر منهــا وحــول البعض الآخــر الى مســاجد (٢٥٥) . ويضيف المصــدر السريانى ان زنكى عندما شــاهد روعــه الكنائس السريانية امر بتزويدها بجرسين كبيرين بل انه « حاول اشفاء قدميه من النقرس الذى كان يعانى منه عن طريق وضعهما فى مياه من بئر ابجر (٢٥٦) » .

رجــال الدين فى الرهــا ١١٤٦م :

وبعــد ثورة الرهــا عقب وفــاة زنكى اعــاد ابنه نور الدين فتحها، نقضى على كل اهــالى الرهــا ــ كما بينا ــ اما عن رجــال الدين فقــد قتل غالبية الأســاقفة والرهبــان الذيننجوا من مذابح الفتح الاول للمدينة على يد زنكى سنة ١١٤٤م (٢٥٧) . ولم ينجح منهم سوى بعض رجــال الدين اليعاقبة الذين فروا فوجــدوا ملجأ لدى شركائهم فى الدين فى ماردين وشبختان . حيث عوملوا بكــرم (٢٥٨) . أما مصير الأسقف اليعقوبى باسيل والاسقف الأرمنى حنا ، فقــد فر الاول الى سميساط ، اما الثانى فقــد اسر وسير الى حلب (٢٥٩) .

وعن الكنائس فى ذلك الدور فقــد تعرض غالبيتها للتدمير مثلما حدث لبقية منشــآت المدينــة ، وحتى ماتبقى منها ، فقــد هجر وتعرض للسلب بواسطة جيران الرهــا وخاصــة اهــالى حران (٢٦٠) .

شيبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب الســابع ٥٣٩هـ .
Nersès : Op. Cit., p.p. 262-263, 265-266,
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 108.
(٢٥٤) Cahen : Op. Cit., p. 370, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338.
(٢٥٥) Runciman : Op. Cit., V.2, p. 237, Dictionnaire d'Hist. et de Géographie ecclés. T. 14, p. 1422.
(٢٥٦) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 883. عن (L'Anonyme)
(٢٥٧) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme)
(٢٥٨) Grousset : Ibid., V. 2, p. 885.
(٢٥٩) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit.. p. 160, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Ibid, V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.
(٢٦٠) Michel : Op. Cit., p. 272.

الخاتمـــة

وبعـد فانه يتضـح من العرض السـابق كيف كانت امارة الرهـا من ناحيـة تأسيسها أولى الامارات اللاتينية التى قامت فى الشرق . وكيف كانت الظروف ملائمة لقيـام تلك الامارة الصليبية دون أن يتحمل مؤسسها الصليبي بلـدوين البولونى مشقة كبيرة ، على عكس الوضـع بالنسبة للامارات الثلاث الأخرى .

وقـد اوضحنا فى بحثنا كيف بدأت امارة الرهـا ارمينيـة لاتينية ، ولكنها صـارت بعـد فترة وجيزة امارة لاتينية صرفة ، بعـد ان تخلص أهلها من حاكمها ثوروس الذى كان مكروها منهم لأمور عدة أهمها أنه من اتباع كنيسـة القسطنطينية .

كذلك اوضحنا فى هـذا البحث العوامل التى سـاعدت هـذه الامارة على البقاء حوالى نصف قرن رغم ما تجشمته من مصـاعب جمة ومشقات عدة . ونلخص هـذه العوامل فيما يلى :-

أولا : كان لأهل الرهـا الفضـل الأول والأخير فى الحفاظ على تلك الامارة . ولعب العنصر الأرمنى بالذات دورا بارزا فى هـذا المجال لما لقيه فى غالبية الأحيان من معاملة ودية من امرائها الصليبيين ، بسبب زواج غالبية أمراء تلك الامارة من ارمينيات ، اذا استثنينا بعض الظروف التى تعرض فيها العنصر الأرمنى للتنكيل من جانب الفرنج خاصة عام ١٠٩٨م ، ١١٠٨م ، ١١١٢م ، ١١١٣م . واذا كان هـذا التنكيل الذى لحق بالأرمن قـد تركز بالذات فى عهد كل من بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، فان عهدى جوسـلين الأول والثانى لم يشهدا سوى الاخلاص والحب والتفانى من جـانب العنصر الأرمنى للأمراء الصليبيين . وخير مثال على ذلك تلك الحركة البطولية التى قام بها الأرمن لاطلاق سراح جوسـلين الأول من سجنه فى خرتبرت ١١٢٣م .

كذلك سـاهم العنصر الأرمنى بمجهود كبير فى الحركة التوسعية لتلك الامارة على حسـاب جيرانها المختلفين . بل ان اهـالى الرهـا جميعا ضحوا بالكثير من ابنائهم اثناء الصراع بين صليبى الرهـا وبين المسلمين ، خاصـة فى معركة حران ١١٠٤م ثم فى ١١١٠م اثناء حملة مودود على الرها

واخيرا فى الدفاع عن الامارة ضــد كل من زنكى وابنه نور الدين ١١٤٤م ، ١١٤٦م .

ثانيا : سياسة التســامح الدينى التى اتبعها الأمراء الصليبيون للامارة تجــاه رعاياهم جميعا بطوائفهم المختلفة من ارمن وسريان كى يجعلوا منهم سندا كبيرا لهم فى مواجهة المسلمين .

ثالثا : الغنى الاقتصــادى الكبير للامارة والذى حماها اكثر من مرة من اى حصـــار اسلامى اقتصــادى يقام عليها . حتى عندما خرب الجزء الشرقى من الامارة فى ١١١٠م بعــد أن رحل ســكانه الزراعيون ، ظل الجزء الغربى كفيلا بأن يســد حاجات الاهــالى جميعا ، وأن كان ذلك قــد تم وسط بعض الصعوبات .

رابعا : الرابطة القوية التى كانت قائمة بين الامارة وبين مملكة بيت المقــدس الصــليبية اذ ظلت الامــارة حتى سقوطهــا تــدين بالتبعية الاقطــاعية للمملكة (١) . والواقـــع ان الرابطـــة بين امارة الرهــا وبين مملكة بيت المقــدس كان يدعمها عامل آخر هو ان أول ملكين صليبيين لبيت المقــدس ــ بلدوين الاول وبلدوين الثانى ــ كانــا قبل ذلك اميرين للرهـــا تحت اسم بلدوين البولونى وبلدوين دى بورج ، ولذا كانا يشعران دائما بالحنين الى تلك الامارة التى شهدت بداية ظهورهما على المسرح السياسى والعسكرى فى الشرق ، ممـــا جعلهما يبذلان كل ما فى وسعهما لتحقيق الأمن والســـلام لتلك الامارة . وخير دليل على ذلك موقف الملك بلدوين الثانى من أسر جوســـلين دى كورتناى ١١٢٢م (٥١٦هـ) وتوجه الملك للأنتقام من آسرية ووقوعه هو الآخرفى أسر الأرالقة ١١٢٢م (٥١٧هـ).

خامسا : وجود بعض العناصر المنشقة المتنافسة فى الجبهة الاسلامية التى اتاحت بانشقاقها الفرصـــة لتلك الامـــارة كى تصمد حتى فى أحرج فترات نموها . مثـــال ذلك التأييد الذى وجــدته امارة الرهـــا ١١٠٨م (٥٠٢هـ) من جـــانب الأمير جاولى ، فى الوقت الـــذى أيد فيه رضوان صـــاحب حلب أمير انطاكية تنكريد . وكان من الممكن اذا تكتلت الجهود

---

(١) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 295.

هنا يذكر (بازدرمادجيان) أنه فى ١١٠٠م تكونت فى سوريا أوربا أخرى على غرار أوربا الكبرى . وقام بها النظام الأقطاعى بشــكل اقسى مما كان موجودا فى اى دولة قريبة .

(H. Pasdermadjian : Op. Cit., p. 208).

الاسلامية ضد الاميرين الصليبيين المتنافسين ، ان تقضى على احدهما ، مثل أمير الرها . كذلك كان من الممكن ان تسقط امارة الرها ١١٢٢ — ١١٢٣م . عندما كان أميرها أسيرا هو وملك بيت المقدس نفسه فى قبضة بلك الارتقى ، لكن الانقسام فى صفوف المسلمين والأحقاد الشخصية لعبت دورها فى تضييع تلك الفرصة أيضا ، حتى ان بلك نفسه قتل بيد مسلم ١١٢٤م .

فاذا اضيفت الى ذلك العقبات التى اصطدمت بها حركة الجهاد الاسلامى التى بدأها مودود ١١١٠م ، لأكتمل تأثير هذا العامل فى امتداد حكم تلك الامارة فترة من الزمن . ففى الوقت الذى كان مودود قد احرز قدرا كبيرا من التقدم فى صراعه ضد الفرنج عامة وضد الرها خاصة نراه يقتل بيد احد الباطنية ١١١٣م (٥٠٧هـ) . ثم اعقبه فى نفس المصير أيضا البرسقى وذلك ٥٢٠هـ — ١١٢٦م .

لكن اذا كانت تلك العوامل مجتمعة قد اخرت بعض الوقت سقوط تلك الامارة ، بعد ان تجشمت الكثير من المشقات فى حماية الجانب الشرقى للصرح اللاتينى فى الشرق ، فاننا اوضحنا فى بحثنا العوامل الأخرى التى تضافرت فى النهاية للقضاء على تلك الامارة واهمها :

١ — تفكك الحلف الفرنجى البيزنطى الذى ظل لفترة من الزمن عائقا مهما أمام جهود زنكى .

٢ — العداء بين امارتى الرها وانطاكية الذى ترتب عليه انعدام وجود سند صليبى قريب جدا للرها .

٣ — انصراف امير الرها جوسلين الثانى الى اللهو والعبث عن الاهتمام بشئون الدفاع اليقظ عن امارته .

٤ — ظهور الشخصية الاسلامية القوية ، الممثلة فى عماد الدين زنكى . التى كبدت الصليبيين خسائر جمة فى بلاد الشام ، حتى سقطت امارة الرها على يديه . وكان يمكن ان يمتد الحكم الصليبى لتلك الامارة فترة أخرى بعد وفاة زنكى غيلة ، لولا ان الظروف خدمت القضية الاسلامية فى ذلك الوقت فقام ابنه نور الدين بحمل راية الجهاد الاسلامى ، واكمل الجهد الكبير الذى بدأه ابوه وحقق هو الاخر قدرا كبيرا من النجاح فى ذلك المجال . وبذلك محا نور الدين امارة الرها تماما من الخريطة المسيحية ، وهو الأمر الذى حرك الحملة الصليبية الثانية .

٥ ـ وعند سقوط الرها كان صليبيو الشام غاية فى الضعف لا يرجى من ورائهم اى عمل ايجابى سريع ، اذ كانت القدس تحت حكم ملك شاب قليل النشاط فى حين سيطرت النساء على حكم امارتى انطاكية وطرابلس (٢) .

والواقع أن اهم ما عنيت بابرازه فى هذا البحث هو الحقيقة الخاصة بأن امارة الرها كانت امارة حرب .. حرب بينها وبين المسلمين من اجل البقاء .. حرب بينها وبين المملكات الأرمينية خارجها من اجل التوسع .. وحرب حركتها الأحقاد والأطماع الشخصية بينها وبين شقيقتها الصليبية امارة انطاكية . هذا الى جانب مشاركتها لبيت القدس فى حروبها المختلفة ضد المسلمين ، بحكم تبعيتها الاقطاعية لها .

لهذا كانت حياة الاستقرار والهدوء وما يتبعهما من ترف وتقدم حضارى من اهم المظاهر التى افتقدتها تلك الامارة . واذا كانت الامارة قد سيطرت على مجموعة من الطرق التجارية الهامة فى ذلك الوقت فلا شك فى ان تلك الطرق تعرضت للكثير من الأخطار التى عاصرتها الامارة.

وهكذا يبدو الجديد فى هذا البحث فى انه يعطى صورة متكاملة لامارة الرها من كافة جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية، الاجتماعية والاقتصادية والدينية . بعكس الدراسات العامة التى تركزت فقط على الناحيتين السياسية والحربية ضمن اطار الحروب الصليبية بوجه عام .

هذا فضلا عن اننا استكملنا بعض الحقائق الخاصة بامارة الرها الصليبية ، وصححنا بعض الحقائق التى عالجتها بعض المراجع بطريقة ناقصة او خاطئة ، والقينا اضواء على العلاقات الخارجية لامارة الرها ، سواء العلاقات بين امارة الرها وجيرانها المسلمين أو بينها وبين الصليبيين والبيزنطيين والأرمن .

واستعنا فى كل ذلك بالمصادر الأصلية التى يتركز جزء كبير منها فى الموسوعة الضخمة التى تجمع ما كتبه مؤرخو الحروب الصليبية Recueil des Historiens des Croisades

هذا بالاضافة الى ما كتبه وليم الصورى William of Tyre

---

(٢) Zoé : Op. Cit., p. 350.

الـذى اعتمدنا على النسخة الانجليزية له المترجمة من اللاتينية .

هـذا فضـلا عن المصـادر البيزنطية واهمها كتاب الالكسياد الذى كتبته الاميرة (انا كومنين) Anna Comnena : The Alexiad

والمصـادر السريانيـة وعلى راسها كتـاب ميخـائيل السريـانى Michel Le Syrien والمصادر الارمينية وعلى راسها ما كتبه متى الرهـاوى والكاهن جريجوار والقـديس نيرسـيس شـنور هـالى Mattieu d'Edesse, Grégoire Le Prêtre, Saint Nersès Schnorhali. صـاحب قصيدة رثاء الرهـا التى اوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق مع بضـع ملاحق اخرى جديدة .

ولم نغفل فى بحثنا أهمية المصـادر العربية المخطوطه والمطبوعـة ، وهى التى افادتنا كثيرا ببعض النقاط الجـديدة مثل مؤلفات ابن القلانسى وابن الاثير وابن العـديم وابن الفرات .

كذلك لا نغفل اهمية الكثير من المراجع الحديثـة التى امدتنا ببعض الاراء الهامة ومنها كتاب براوير المترجم عن العبرية الى الفرنسية والمطبوع بباريس ١٩٦٩م .

J. Prawer : Hist. du Royaume Latin de Jérusalem.

وكتاب أولدنبرج Zoé Oldenbourg : Les Croisades, 1965.

وكتاب الحركة الصليبية للأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . الذى استفدت منه كثيرا فى الوصول الى بعض الحقائق التاريخية التى لم استطع الوصول اليها احيانا فضلا عن نقل بعض الاراء الهامة عنه احيانا أخرى .

تـم بحمـد الله

الملاحــــق

ملحــق رقم (١)

نص الرسالة الشفوية التى حملها رســل اتباع جود فرى الى اخيه بلدوين ، ليخبروه بوفاة اخيه وليدعوه الى حكم القــدس بدلا منه ١١٠٠م .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. (R.H.C.) Hist. Occid., T. 4, p. 526.

« جنود حاكم مملكة القــدس — جود فرى — يتمنون لك الصحه . باسم المسيح جئنا اليك بناء على قرارهم ونصيحتهم ، كى نخبرك ان اخاك جود فرى حاكم بيت المقــدس قــد توفى . وبناء على ذلك فهم يدعونك بصورة جماعية أن تحضر بسرعة وتتقبل مكان اخيك وتجلس على عرشه ، لأنهم اتفقوا على الا يعترفوا بسيد آخر عليهم الا أن يكون اخا او قريبا له ، لحسن معاملته الطيبة لهم . ولذا اقسموا الا يحكم بيت المقــدس أو يجلس على عرشها أجنبى » .

ملحــق رقم (٢)

نص خطــاب تنكريد الى بوهيموند ، الــذى طلب فيه النجدة ضــد الأتراك المهاجمين للرهـــا ١١٠٤م بعــد وصــايته عليها .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 617.

« يتمنى تنكريد التوفيق لخــاله السيد بوهيموند — حــاكم انطاكيــة العظيم . لقــد تراجعت — بأمر الاله — عن الرهــا وتركتها بين ايدينا ، وعينتنى مدبرا وحــاميا للرهــا ، فى مكان اخينــا المخلص بلدوين ، ولكن جكرمش وسقمان اتحــدا من جديد مع قواتهما وحاصروا مدينة الرهــا مجاة ، ليدمروا قلاعها واســوارها ويقتلوا مواطنيها ويخربوا المدينــة ، ويأخذونى اسيرا مثل بلدوين ويقودونى الى ارض (البرابرة) . لذا فلاننا

معتمدون على ثقة تقديرك ، الذى تكنه دائما للمخلصين للمسيح ، قررنا أن نحيطك علمـــا بما يحـــقق بنـــا من أخطار ورغم علمنا بالصعاب التى تواجهك ، الا أنه يجب استدعاء الحلفاء والأصـــدقاء من انطاكية والأماكن الأخرى بسرعة ، لتقديم المعونة لنا ، بعـــد ان غلبنا على أمرنا وحوصرنا ، حتى نقلل من تهديدات الأتراك ونحـــد من غرورهم ونطردهم ـــ باســـم السيد المسيح ـــ ونفك الحصـــار الذى نتعرض له حاليا . لأنه يجب أن تعلم أننا قلة فى هـــذه الأرض .. فاذا تفرقنا وأصـــابنا الاجهاد سنفشل ولا نستطيع الوقوف أمام شجاعة الأعداء » .

ملحـــق رقم (٣)

نص رســـالة بوهيموند وتنكريد الى الملك بلدوين الأول ردا على طلب جكرمش رد اسيرة سلجوقيـــة كانت فى انطاكيـــة فى مقابل اطلاق سراح بلدوين دى بورج (سنة ١١٠٤م) .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 610.

« نقـــدم الطاعة الى السيد بلـــدوين ملك بيت المقـــدس المتعصب للمسيحية دون تردد ، وقـــد قررنا نحن بوهيموند وتنكريد أن نكون عنـــد حسن ظنك من اجل اطلاق سراح بلدوين الصـــديق والحليف . لقـــد كان اسره ومازال مصـــدر قلق لنا ، لكننا يجب أن نحصل بقـــدر الأمكان على اى مبلغ من المـــال بالقوة مع الاخ بلدوين من اجل رد الأسيرة السلجوقية ، لأننا فى حاجة الى المـــال بشـــدة لدفع مرتبات الجنـــد ، نحن المخلصين لكم باستمرار » .

ملحـــق رقم (٤)

ما قاله الملك بلدوين الأول لأهالى القـــدس كى يحثهم على مساعدة الرهـــا ضـــد الأتراك ١١١٠م ، بعـــد انتصـــاره فى بيروت .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist., Occid., T. 4, p. 671.

« بفضل الله وسيدنا المسيح تحققت ارادتنا ونحقق انتصـــارنا ..

لكن الآن ، ابحث عن ارادتكم الطيبة ، انتم جميعا ، كى نقــدم المســاعدة لامارة الرهــا ولبلدوين المحاصر فيها ، حتى لا يضطر للانسحاب ، طالمــا انهم حلفاء لنا ، وهم مستعدون لمســاعدتنا فى كل وقت ، دعونا نساعدهم ولا نتردد فى التعاطف مع اخوتنا واصــدقائنا » .

ملحــق رقم (٥)

العلاقات البيزنطية اللاتينية من خلال مذكرته (أنا كومنينا) عن بعثة الامبراطــور الكسيوس كومنين الى ملــك بيت المقــدس بلــدوين الأول بخصوص تنكريد امير انطاكيــة .

عن : Anna Comnena : The Alexiad., p. 367.

« عندما وصــل بوطوميتس (Butumites) رسول الامبراطور الكسيوس الى المدينــة المقدســة كى يتفــاوض مع الملك بلدوين ضــد تنكريد ، طلب بلدوين من بوطوميتس المــال الذى ارسله الامبراطور معه فقال بوطوميتس : « اذا وعــدت بانك سوف تســاعد الامبراطور ضــد تنكريد ، وحافظت بذلك على اليمين الذى حلفته معه عندما مررت ببلاده ، عندئذ سوف اعطيك المــال الذى ارسل اليك بدون تأخير » . مع ذلك كان الملك بلدوين شغوفا للحصول على النقود بالرغم من رغبته فى مســاعدة تنكريد وليس الامبراطور . وعندما لم يحصل على النقود تضــايق ، وكل الســلالة البربرية مثله ، فهى دائما فاغرة فاها من أجل الحصول على الهدايا والمــال ، لكنها لا تميل الا قليلا لتنفيذ الغرض الــذى من أجلــه دفــع المــال » .

قابل الرسول ايضا الأمير جوسلين دى كورتناى فى يوم عيد القيامة — حيث كان قــد حضر للعبادة فى كنيســة القيامة — وجادلــه فيما يلائمه (بخصوص موضــوع تنكريد) ولكن عندما اكتشــف ان الجواب هو نفس انفعال بلدوين غادر بيت المقــدس دون أن ينجز شيئا .

ملحــق رقم (٦)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى أمير انطاكية والامراء الصليبيين بعــد انسحابهم من شيزر ١١٣٨م .

عن William of Tyre : A History of Deeds... V. 2, p. 98

« انت تعلم يابنى العزيز ريموند أننا مكثنا فى جوارك وقتا طويلا لحبنا لك ، انه يجب أن نوسع امارتك ونمد ممتلكاتك لضرب أعدائنا . ولقد فعلنا ذلك وفقا للاتفاق الذى اتممناه سابقا من خلال وساطة الرجال الحكماء فى امبراطوريتنا . محبوب الله ، وأنت ياتابعنا المخلص ، لقد سنحت الان فرصة مناسبة وهذا وقت لانجاز وعدنا بوضع كل الاقليم المجاور تحت حكمك كما تنص بوضوح شروط المعاهدة . ولكنك تعرف جيدا وكل هؤلاء النبلاء الذين يقفون معك فى حضرتنا يعرفون أيضا انه لكى ننفذ الالتزامات التى نرتبط بها ليس بالأمر الذى يأخذ وقتا قصيرا . على العكس انه لمن الواضح أن شئونك تتطلب اقامة أطول من جانبى وعلاوة على ذلك انفاقا أكثر . لذلك يجب أن تسلم لعنايتنا قلعة هذه المدينة وفقا لمغزى الاتفاق ، ان ثروتنا توضع هنا فى أمان . قواتنا أيضا يجب أن يؤذن لها بحرية الدخول الى المدينة . الات الحرب التى نحتاج اليها لحصار حلب لا يمكن الحصول عليها بسرعة من طرسوس أو عين زربة او المدن القيليقية الأخرى ولهذه الأغراض فهذه المدينة تقدم تسهيلات حسن من اى مكان آخر — انجز وعدك وكن مطيعا للولاء الذى اظهرته ، اعمل واجبك وسيكون عمل سموّنا الامبراطورى أن تنفذ الالتزامات الباقية علينا » .

ملحق رقم (٧)

وصف متى الرهاوى لتنكيل الأمير مودود وقواته بأهالى الرها ١١١٠م.

عن Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 93-94

خرج كافة أهالى الرها وأهالى الاقليم المحيط بها ، من مخابئهم ومعهم النساء والأطفال فى اثر الجيوش الفرنجية المنسحبة .

وحدث عندئذ أن قام اثنان من الفرنج بعمل مخل بالأصول ، اذ توجهوا الى معسكر مودود وارتدوا عن العقيدة المسيحية ، واخبروه بهروب ذويهم وانسحابهم . وكان أن اسرع مودود لمطاردة المسيحيين ، مأراق الدم فى كل مكان . من الرها حتى الفرات ، وأباد أهالى المدينة وأهالى الريف سواء . وعندما وصل مودود الى شاطىء الفرات قتل كل رجال البلاد الذين قابلهم وأسر العديد من النساء والأطفال . وكان الفرنج قد توجهوا قبل ذلك الى الشاطىء المقابل للنهر ، فصاروا

كقطعان من النعـاج تمر تحت حـد السيف ، وأنزل بهم مودود عقوبـة الانتقـام الالهي بمثل تلك القسوة حتى سـال الفرات بفيضـانات من الـدم . هناك كثيرون غرقوا في ميـاه النهر ، لان اولئك الـذين القوا بانفسـهم في المـاء واجتهدوا للوصول الى الشـاطيء الآخر من النهر لم يستطيعوا الوصول اليه . أما الذين ركبوا المراكب فقـد اكتظت بهم حتى غرق منها خمسة أو ستة بسبب امتلائها بهم . وفي ذلك اليوم أيضـا تعرض كل اقليم الرهـا للنهب بعـد ان اخلى من السكان . كانت تلك هي الكارثة التي أشـار اليها الرسـل القدامى في كتبهم عندما كتبوا « يا للشقاء على امـة ابجر » .

أما الفرنج الذين وقفوا على الضفة الغربية للنهر ، فقـد شـاهدوا في حزن تلك المنـاظر المروعة ، دون ان يستطيعوا أن يحولوا دون حدوثها واكتفوا بسكب الدموع الحزينـة .

ملحـق رقم (٨)

رثاء ميخائيل السرياني للرهـا ١١٤٦م .

عن Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 270-272

« يا سحابة الغضب ، ويوم بدون شفقة ! حلت فيـه كارثة الغضب الشـديد على الرهويين البؤسـاء يا ليل الموت وصباح الجحيم ، ويوم الهلاك ! حل باهـالي المدينـة العظيمـة . يا للحسرة أيها الأخوة ! من يستطيع ان يروى أو يسمع دون دموع ، كيف ان الأم والطفل الذى تحمله بين ذراعيها يخترقهما سهم واحـد دون ان يجدا من ينقذهما أو ينتزع السهم من جسـدهما ! وكيف سـحقت حوافر الخيل بعـد ذلك كل من لحقت بهم في قسـوة ! وطوال الليل رشقت اجسـامهم بالسهام ، وعند انبلاج الصباح ـ الـذى كـان اكثر ظلاما من احلهم ـ ضربوا بالسيوف والرمـاح » .

لقـد اهتزت الأرض رعبا بسبب المذبحة التى وقعت ، والتى كانت كالمنجل على السنابل وكالنار في الخشب . فاستولى السيف على العديد من المسيحيين . واختلطت جثث الأسـاقفة والشمامسـة والرهبان ، والنبلاء والفقراء بعضها ببعض .

وهكذا تحولت الرهـا الى صحراء مليئة بالرعب ، مغطاه بالسواد ،

تفوح فيها رائحة العفن من جثث ابنائها وبناتها ! فأسرعت اليها الهوام والوحوش ، ودخلت المدينة لتقتات اثناء الليل من جثث القتلى .

نعم ، غدت الرها مقرا لابناء آوى . ولم يعد يدخلها احد سوى اولئك الذين كانوا ينبشون ليكتشفوا ثرواتها . اما اهالى حران وبقية الاعداء فقد نهبوا الكنائس ومنازل الاعيان قائلين مرحى ! مرحى !

ملحق رقم (٩)

العظة التى كتبها ديونيسيوس الاسدى بصدد خراب الرها ١١٤٦م ونقلها لنا ميخائيل السريانى .

عن : Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 272-273

« كيف يمكن ان نصدق أن السيد المسيح الذى لم يتمن فقدان خلقه ، قاد بعض الأعداء ليقوموا بعمليات القتل والاسر ... الخ ؟ فاذا قيل ان هؤلاء تغلبوا دون اذن من السيد المسيح ودون مساعدته ، وهو المطلع على كل شىء ، يكون هذا نوع من السباب ، لأن المسيح لا يتخلى ولا تتكاسل يديه منا ، لكن عندما تخلينا نحن أولا عن ارشاداته ، عندئذ سمح بأن نوزم بأيدى الأعداء ، حتى نتأدب . فنحن السبب فيما يصيبنا من نفع أو ضرر . فاذا اعترفنا بوجوده ، فان الله يساعدنا ، وعلى العكس اذا انحرفنا نحو الشرور بحريتنا وباختيارنا وقادنا الشيطان الى انجازها . ان السيد المسيح ترك المصائب تحل بنا بسبب ضلالنا ، كما حدث لأهل الرها الذين كانت نهايتهم اسوء من البداية ، فحلت بهم كارثة مريعة للمرة الثانية لا يستطيع اللسان تحديد فظاعتها . لكن يجب الا ننسى أيها الرجال أن تلك الأمور وغيرها من الامور المشابهة قد حلت ليس فقط بسبب معصية هذا الشعب وحده بل ايضا بسبب المعاصى الكثيرة التى ارتكبت فى كل الأماكن وفى كل البلاد ففى تلك الفترة السيئة ابتعد كل شخص عن العدالة وانغمس فى الظلم ، ابتعد عن القداسة واستسلم للكفر . وتضاعفت المعاصى وأصبحت أكثر من شعر الرأس . ومع ذلك نال عددا محدودا هم الذين حلت بهم العقوبة .

ايها الاخوة يجب أن نتوب ونرتعد ونخشى عاقبة فجورنا ... وهذا يكفى الآن » .

ملحق رقم (١٠)

مرثية نيرسيس شنورهالى الأرمنى عن سقوط مدينة الرها ١١٤٤م (١) .

Saint Nersès Schnorhalı : Eligie sur la prise d'Edesse,
(R.H.C.), Doc. Arm., T. 1, p. 227 — 268.

نداء لعموم النصارى :

ايه نوحى أيتها الكنائس — ياعرائس الخدن السماوى (٢)
أيها الأخوة والأخوات الأحباء — المقيمون فى أرجاء المعمورة كلها
يا أيتها المدن والقرى — يا أمم الأرض وقبائلها
يا ابها المؤمنون بالمسيح — اليكم اوجه رثائى
فاستمعوا لعويلى وبكائى

نداء لمدينة القدس :

يا قدس ، يا مدينة الله — يا مهد الشريعة والأنبياء
يا موطن الله الأوحد — الذى اشرق على نوره الساطع
لانى أول من اعترف بمساواة الابن للأب
اصغى الى أيتها الحبيبة — والى بكائى ونحيبى
شاركينى فى اوجاعى وعزينى — وواسى فؤادى الجريح الكئيب

نداء لمدينة روما :

وانت يا روما ، يا ام المدائن — يا موطن العظمه والجلال
يا كرسى بطرس الأعظم — اليك خطابى وحديثى
اصغى لوقف مداوسى وكرسيه — اصغى لصوتى من بعيد.
الا ابكى معى ونوحى — وانضمى الى بالنحيب
اسرعى ومدى الى يد المعونة — فانى فى الأغلال فى غياهب السجون
هلمى للثار والأنتقام — ممن عادانى واستعبدنى

---

(١) هذه بعض مقتطفات من القصيدة التى اقتصرنا فيها على الفقرات الهامة البعيدة عن التطرف والتى ترتبط بموضوع (البحث) . افتتحها المؤلف بقوله (مقالة للانبا نيرسيس بطريرك الأرمن - وضعها باسلوب الملحمة على طريقة هوميروس ونظمها ليرثى بها الرها الكبرى وسقوطها عام خمس مئة وتسعه وثلاثون هجرية فى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ، الساعة الثالثه ، يوم السبت) ويعلق الناشر دولوربيه على هذا التاريخ بأنه يقابل يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م الساعة التاسعه صباحا .

(٢) الخدن السماوى هو المسيح .

نداء لمدينة القسطنطينية :

اليك دعائى الملهوف يا مدينه العظمة والابهه
يا من شادها الملك قسطنطين على ابواب آسيا الصغرى
لقد اصبحت قدسا أخرى وروما جديدة مجله
لقد كنت ملكا لك وجزءا منك يا ام المدائن
وبسبب على ارضى هيكلا وسميته باسم هيكلك (٢)
اليك اتوسل . عبثى قواتك العاليه
واطعنى الاعداء فى صميمهم ثارا وانتقاما

نداء لمدينه الاسكندرية :

ها انى اصرخ تحت ابوابك يا ام المدائن المصرية
لقد اسسك الاسكندر الأعظم وشيدك على اسمه
انت كرسى مرقس كم اقام فيك من آباء عظام
وتربعوا على عرشك لكنهم مضوا الآن
وكانى بك فى حال يدعو الى الرثاء مثلى .
كنا يوما مدعاة للحسد والغيرة وامسينا
الآن مدعاة للاشفاق والحسرة ولذلك فانى اتوسل اليك ايتها
الشقيقة الجليلة ان ارثى معى الآن وابكي.

نداء لمدينة انطاكية :

اليك حديثى وعتابى يا شقيقتى الحبيبة انطاكية
يا موطن الرسل وموئلهم اية ايتها القرينة الحبيبة
لم لم تهرعى الى وانت فى اليسر والسعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة بل شمت بى وتركتينى
هلمى واصغى الى نحيبى وشاطرينى حسرة اضرمت فؤادى
وولولى معى وانتحبى وواسى قلبى الجريح

نداء لمدينة آنى :

اليك ايضا ندائى يا مدينة آنى عاصمة المشرق
ضمى نحيبك الى صوت نحيبى وعزينى فى محنتى
انظري الى ذلى وشقائى والى محنتى وعا الى

---

(٢)كنيسة اياصوفيا اوسانت صوق.

هلمى وافرجى الغم عنى هيا واجمعى بناتك
وبــادرى ألى البكــاء على والبسى الحــداد
وادعـــى مم الأرض الى الرثـــاء والنحيب
واقلقيها بانينك المفجــع فليس للقلوب المكلومة من دواء
غير التعزية والســـلوان

الرهـــا تسرد تاريخها المجيد وتشيد بغناهـــا :

ســاذكرها هنا ما أسبغه على الله تعالى من نعم
ثم الويلات التي حلت بى نقمة من اجل ذنوبى وآثامى
كنت اما لرهط من البنين وولدت منهم عــددا لا يحصى
وأرضعتهم من لبن ثــدى وربيتهم خير تربية
ونشــأتهم خير تنشئة اذ كنت أرضـــا خصبة معطاء
وينبوع لبن سخى لقــد تراكمت فى الخيرات
وغلات الأرض بأصنافها وانبثقت من أحشـــائى ميـــاه حية
انعشت الأغراس الخضراء وروت البســـاتين الفيحـــاء
وجلبت على الأهالى الفرح والبهجة وكانت مياه البحر تمتد بين أسوارى
فينبعث منها نسيم عليل وتغسلنى وتطهرنى
وتزين الميـــادين وتنعش الأعشـــاب والأزهار البهية
وتجعلنى كاحــدى جنــات عــدن ثم تنســـاب بين الأشجار الكثيفـــة
متشمر موفرة وسخاء وتتمايـــد باغصـــانها الهيفـــاء
وتفوح منها عطور سماوية لتضمرنى بالنرجس والزعفران
مع أطواق الورود والبنفسج كم كانت تربتى خصبة غنية
بما تدره على من ثمار وارزاق لو شـــاء أحــد حصرها وتعدادها
لما وجد الى ذلك سبيلا مهما سعى فكانت تربتى اذا حرثها
الحـــارثون وزرعوها تجلب الأرزاق الوافرة
والغلات الكثيرة اقوت بها أبنائى
فيفرحون ويبتهجون بما لديهم من خيرات جمة .
ولو وجــد من استطاع ان يصف موقعى وصفا ملائما
لمـــا وجد لى مثيلا فى مدائن الأرض كلها
كنت متربعة على عرشى الفخم كملك اعلى مركبته
او ملكه رائعه الجمال تجليت برداء زركش بالفضـة والذهب
وهـــدب باهداب مراقـــه وازدانت بابهى الحلل
وكانت الأســوار تحيط بى وحصن منيـــع يحمينى

والقلاع الشـامخة الرهيبة المتقنة البنـاء والتحصين
كانت كالرؤوس الضخمة على ابدان متينة صـلدة
وكان لاسوارى اسس عميقة وفى أعاليها تسنن كأسنان التيجان.
وكان فى مبان فخمة وهيكل رائـع شيد فى المنطقة الوسطى الفنـاء
ثم الأسواق والشوارع تمتد بتنسيق وانتظام
والقصور الشـامخة التى يعجز لسـانى
ولسـان أى انسـان عن وصف بهائها وروعتها
فانها كانت تحاكى الديار السماوية وتضاهى المواطن العلوية
ساحرة لا مثيل لها

زوال العظمة والرخـاء :

ان هذا المجد وهذا الأزدهار الذى حـدثت عنـه
وسردت قصته بايجاز كان فى عصر غابر
لكنه اضمحل الآن بغتة . كنت فى خير وسعة
كنت فى هناء ورخـاء حتى أكبرنى من رآنى وعظمنى
ومن سمع عنى اعجب بى ولكن جاءت سـاعة المحنة
وكل ما اسبغ على من نعمة زال واندثر
وانقلب ما كان حلوا الى مر علقم وبدلا من التعظيم والتبجيل
لا الفى الآن سوى الأشفاق

حال الرهـا بعد فتح الفرنج لها :

لقد تدحرجت من السماء الى الأرض من الاعالى الى الحضيض
موطئت وذللت ونسيت وصـايا ربى
وهجرت شريعته وارتكبتُ الذنوب والأثام
وتدنست بالمنكرات منذ تلك الساعة التى بدأت فيها
اصاهر اهل روما واتقرب اليهم

الاتابك زنكى يحاصر الرهـا :

لـما تحقق زنكى من ذلى وهوانى زحف نحوى زحف الثعابين
ليلسعنى فى كعبى ويرشقنى بسهامه الخفية
اختبأ فى الحقول ثم أجهز على على حين غرة
فى ساعة لا انتظرها اذ أنه ما أن تحقق وتيقن
من غياب رجالى وحماتى حتى حاصرنى من كل ناحية

وهاجمنى بقواتـــه وسدوا فى وجهى كل سبيل
ولم ينفكوا يحاربوننى ويضايقوننى ليل نهار
ولم يزالوا يغيرون تحركاتهم ويقتحمون الميدان بقوات جديده
لقـــد مدججوا بالســلاح واشهروا الحراب
واستتروا وراء مجنات جلديه ورفعوا الاقواس والاسنة
وراحوا يرشقوننى بسهامهم الحاده
ثم ســادو امامى سورا ونصبوا عليه المنجنيق
وامطرونى بوابل من الحجارة وامعنوا ضربا وتحطيما
وجاهدوا واستماتوا لكنهم لم يستطيعوا
قهر رجالى وابطالى حتى لجأوا الى حيلة
فقـــد حفروا كما نحفر الخلود ثغرة فى قاعدة السور
ثم نصبوا فيها الاعمدة والاوتاد من تحت السور وابراجه
واعدوا العدة لحرقها على ما جرت عليه عادتهم
ثم هتفوا باهل المدينة قائلين : « هلا كففتم عن المقاومة
كيلا تموتوا شر ميتة واستسلموا راضين لا صاغرين
والا فبئس المصير »

استماته الرهويين فى الدفاع عن مدينتهم :

لكن أولئك الأبطـــال ما ان سمعوا هـــذا الوعيد
حتى ابوا ورفضـوا واقسموا وتعاهدوا
الا يخلو الميـدان ولا ينسحبوا من المعركة
ولا يصغوا لتهديد العدو ولا يفتحوا لهم أبواب المدينـــة
وراوا أنه من الأفضـــل ان يموتوا فى مواقعهم
من ان ينكثوا بعهدهم ثم راحوا ينـــادون بعضهم بعضـــا
ويهتفون قائلين : « لن نخاف ولن نهلع
ايها الأخوة من سيوف العدا ولن ندع ســالة الأبطـــال
تعتريها رعـــدة الانذال ولنخلفن من بعدنا اسما ابيا
يعلن على جميع أمم الأرض علينا بالشدة ورباطة الجاش
مازالت آمالنافى الديار السماوية ».
ولم يزالوا يرددون مثل هذه الاقوال بعضهم لبعض
ويتبادلون عبارات التوعد والتشجيع وراح الأب يحث أبناءه
والأبناء يستعدون للقتال وعلا نداء المعركة

واقتحم الميادين والمنازل فلم يعد بينهم خاصـــة موقرين
ولا سوقة مذلولين بل كلهم متساوين متحدين
وعلى راى واحـــد مجتمعين وكان المطارنة والكهنة
كل واحد يستحث جماعته على الصمود والنزال
وعلى الوقوف وقفة الشجعان فى وجه الاعداء
بلا خوف من سيوفهم التى لا تفتك الا بالاجسام

انقطاع امل الاهـــالى فى وصول المـــدد والمعونة :

ولم يزالوا يتبادلون عبارات التشجيع ويقولون :
ها هى ذى الحشود السماوية آتية لشـــد ازرنا ومساندتنا » .
وينتظرون من يعينهم ويبثون الأنظار فى الطرق والمسالك
ولا ينفكون ليل نهار ينتظرون النجـــدة
لكن لم يصـــل أحـــد ممن كانوا ينتظرون
بل ان عباد الصليب فى البلاد كلها
تخاذلوا وتقاعسوا عن مـــد يد المعونة الينا
عندئذ دب الجهد والنشـــاط فى صفوف العدو
لتنفيذ حيلة المنجنيق على جناح السرعـــة
وبسبب معاصى الكثيرة وآثامى الجسيمة
قطعوا على كل سبيل للمدد والمعونة

انهيار طرف من الســـور واحـــداث أول ثغرة فيه :

ان فؤادى الآن ليدمى وعقلى وروحى يضطربان
اذ اذكر ذلك اليوم الرهيب ذلك الصباح المظلم
ذلك النهار الاسود القاتم وطلعته السوداء المكفهرة
حين انبعثت نيران سدوم (٢) من اعماق الأرض
ولم تمطر من السماء بل من اجواف الخنادق
واذا بالسور الحصين ينهار ويتداعى
ويندك من أسســه .

---

(٢) سدوم وعمورة مدينتان على البحر الميت كثر فيهما الاثم فأمطرهما الله من السماء بالنـــار والكبريت وهنـــا يقول (نيرسيس) ان النـــار لم تمطر من السماء كما حـــدث لســـدوم وعمورة بل جـــاءت من الأرض من الثغرة التى احدثها المسلمون فى قاعدة الاسوار . (عن ســـدوم وعمورة راجع سفر التكوين ، الأصحاح التـــاسع عشر) .

صمدة الرهويين الأخيرة :

لكن ابطالنا لم يتراجعوا ولم يلذ احـــدهم بالفرار
مل تعالت صراخاتهم ونداءاتهم الأخ يشجع اخـــاه
ويشد ازره ببســالة
وصمدوا على خــرائب الأســـوار المدمرة
يحرصون بعضهم بعضا على الكفاح والكهنه بحللهم الكهنوتيه
أشهروا الرماح والسيوف والأحبار الاجلاء
رفعوا راية الصليب بأيديهم وهم يهتفون بأعلى اصواتهم :
« لا تخافوا أيها الأبناء الأحباء لا تخشــوا أن تموتوا ميتة الأبطـــال
فانها افضل من هـــذه الحياة » .

الرهويون يردون الهجمة الأولى :

عندئذ احتشدت قوى الأعداء بكامل عددها وعدتها
واندفعوا على ثغرة الســـور لكن الجنود البواســـل
ما لبثوا أن هرعوا اليهم ووقفوا في وجوههم
وردوهم على أعقابهم .

انهيار الرهويين وسقوط المدينة :

لكن هيهات . وليتنى يتم ها هنا حديثى
لكن لا طائل من الصمت لقد اصابتنا وحلت بنـــا
أرزاء وخطوب جسيمة اذ عندما عجز الأبطـــال
والمحاربون عن صـــد الهجوم هتف القـــائد الجهنمى (زنكى)
بقواته الجرارة وامرهم ان يأتوا على كل شيء
قتلا وسبيا وتدميرا فاحدقوا بالمدينـــة من كل صـــوب
وطوقوها ثم اقتحموهـــا ولاحقوا الأهلين واحـــدا واحـــدا
أما ضعاف القلوب فخاروا وارتعدوا واما الأقوياء فازدادوا همة وشـــدة
والبعض سموا الى الموت حثيثا وآخرون ماتوا ذعرا وهلعا
ونجمـــع نفـــر قليل من الرجـــال غيـــر كـــاف لحمايـــة الأســـوار
لكنهم سرعان ما غلبوا على أمرهم لـــا كان قـــد لحق بهم من ارهاق
ولمـــا تحمـــلوه في قتـــال طـــويل كـــان قـــد بدأ منـــذ شـــهر ونيف

اقتحـــام الأســـوار :

لقد لاحظ العدو ناحية من الأسوار خـــالية من الحـــرس

فتسلقوها صاعدين واقتحم بعضهم الأسوار
وما أن شاهد الأهالي ذلك حتى استولى عليم الذعر
فأطلقوا أصواتهم صارخين واسرعوا الى الهرب .

أهل المدينة يحاولون اللجوء الى القلعة :

ثم ان جمهور الشعب تراجعوا الواحد تلو الآخر
وهرعوا مسرعين نحو باب القلعة
لكن سيوف العدو فتكت بهم فتكا فجرت دماؤهم كالسيول :
الشبان والأطفال ذبحوا بلا رحمة
ولم يرحموا شيب الشيوخ ولا براءة الغلمان
ولا حرمة الكهنة ولا جلال الأحبار

هلاك من وصلوا للقلعة :

لكن حراس القلعة الغادرين الذين كانوا يحمونها
اقفلوا الأبواب في وجه الأهالي ولم يسمحوا لأحد بالدخول
فحاول الشعب أن يلوذ بالفرار هربا من حد السيف
وتهافتوا على الأبواب كملجئهم الأخير وراحوا يتسابقون اليها
ويتسارعون ويتصادقون لكن الأبواب اقفلت في وجوههم
وكانت سيوف الأعداء من خلفهم فتكومت جثثهم على الأبواب
اكواما عالية . رجالا ونساء ، شيوخا واطفالا
واحداثا من كل جنس وسن . كانت البنات يبكين في أحضان امهاتهن
والأمهات يتشبثن باطفالهن ويلاقين الموت معهم
والآباء يسألون عن بنيهم لعلهم يجدون وسيلة لنجاتهم
والأبناء يسعون مع آبائهم بحثا عن مكان أمين
لكنهم لم يجدوا من معين فالشقيق لا يبالي بشقيقه
ولا هو يشفق على شقيقته لأنه عاجز عن الحراك
سقط كل واحد في موضعه بعد ان كتمت أنفاسه وانقطعت
أما الذين نجوا فقد هربوا خشية من السيوف الصوارم
من فوق جثث القتلى وداسوا عليهم ولاذوا بالفرار
لكن جنود الأعداء لاحقوهم مشهرين السيوف عليهم
وراح كل منهم على سجيته وهواه يختار فريسته المفضلة
أما من كان وسيما جميلا فاتخذوه اسيرا
لا سيما من استحسنوهم من فتيات وغلمان

اما الطاعنون فى السن فقتلوهم شر قتل
وكدسوا جثثهم تكديسا ونكلوا بها تنكيلا
فما كفن احد بكفن ولا غطى برداء
ولا دفن فى قبر ولا ذرفت عليه دمعة
لم تسمع فى ذلك المأتم الرهيب ترانيم كاهن
ولا صلاة ولا دعاء

رؤساء الطوائف المسيحية يموتون مع رعاياهم :

ثم ان رؤساء الطوائف والآباء الروحانيين الاربعة :
الكلبى(٤) والارمنى والرومى والسريانى
ضحوا جميعا بانفسهم ولم يهابوا الموت
ولم يهملوا قطيعهم كى ينجوا بانفسهم
حتى أن امام الفرنج خرج بنفسه الى الميدان
واستشهد مع رعيته اما رئيس الطائفة الارمينية
فقد نجا بمشيئة الله وفضله . كما نجا يونس (٥) من جوف الحوت

اعمال السلب والنهب وتخريب الكنائس :

ولما فرغو من هذه الامور سلبوا الذين وقعوا فى اسرهم
والذين سفكوا دماءهم بسيوفهم سلبوهم اموالهم واملاكهم
واملاك آبائهم واجدادهم وذهب النساء وحليهن
والحلل الثمينة وآنية الفضة والذهب
واوعية البخور المعطرة وستائر الكنائس
وحلل المذابح وملابس الكهنة الثمينة
واردية الأحبار واشياء اخرى كثيرة
مما يدعوا الى الرثاء والحسرة

ابتهاج الغالبين بالفوز والنصر :

اما ائمتهم المدعوين « علماء »
فقد صعدوا الى الأبراج العالية من حيث تقرع الاجراس
وراحوا يصرخون بأصوات عالية هاتفين قائلين :

---

(٤) اى الفرنجى .

(٥) هو النبى يونس الذى عرف باسم يونان وجاءت أخباره فى نبوءة يونان .

« يا رسول الله محمد » لقد استرددنا ماكنا قد فقدناه :

ديارك ودارك من هـذه الأمة الضـالة

المتعبـدة لحجـارة صـماء لقـد روينا الأرض من دمائهم

وفقـا لتعاليم قرآنك اليك نزف البشرى

يا مكـه العظيمـة ، موطن محمد يا قبلة الأماني يكسبنها السـوداء

والقـدم المرسـومة على صفحتها انتـا سنرد اليك اليوم

جميـع هؤلاء المشـارقة عبـاد الصـليب الضـالين

وخـدام يسـوع المسـيح » .

رسـالة زنكي التي تحمل بشرى النصر الى الخليفة في بغـداد :

« السـلام عليك ، ابشر ها انذا قضيت على عباد الصـليب

وعلى مدينتهم المنيعـة وعرضت اسسها لأشعة الشـمس

وليست هذه سوى بداية المعـارك التي سـاخوضها من اجـل دينك

ومن اجـل الرسـول وليك رسـول الله ونبيـه

فـاذكرني اذن يـوم الجمعـة لـدى صـلاتك في المسـجد

كي استطيع ازالة يسـوع وجميع أتباعه من على وجه الأرض

وأنكل بكل من يـدعي ان لله ولـدا » .

سبب سقوط الرها في يد زنكي من وجهة نظر نيرسيس : (على لسان الرها) :

انه لا بحوله وطوله ولا ببأس قواته

تمكن من فتح الرهـا واعمل فيها السيف وسباهـا

بل من اجل خطاياي الجمة ولكثرة ما اقترفته من آثام

مصـادر البحث

(ا) المصـادر العربيـة المطبوعـة :

١ ــ ابن الأثير الجزرى : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعـز الـدين :

(أ) الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(ب) الباهر فى الدولة الأتابكية (بالموصل) تحقيق عبد القـادر احمد طليمات ، الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٢ ــ اسامة بن مرشـد : (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) مؤيد الدولة ابو المظفر اسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحـدة ، ١٩٣٠ .

٣ ــ ابن ايبك الدوادارى : (٧٣٢هـ) ابو بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجـامع الغرر ، جـ ٦ ، الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صـلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ــ ١٩٦١م .

٤ ــ ابن الجوزى : (ت ٥٩٧هـ) ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعـارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، جـ ٩ ، ١٣٥٩هـ ، جـ ١٠ ، ١٣٥٨هـ .

٥ ــ الحسينى : ابو الحسن على بن ابى الفوارس ناصر بن على : اخبار الدولة الـسلجوقية ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٦ ــ ابن حوقل : (عاش فى القرن العاشر) ابو القـاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى : صورة الأرض ، الطبعة الثانيـة ، منشورات مكتبة الحيـاة ببيروت .

٧ ــ ابن خرد اذبة : (ت ٣٠٠هـ) ابو القـاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغـداد ، طبعة أبريل ١٨٨٩ .

٨ ــ ابن خلدون : (ت ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتـدأ والخبر ، جـ ٥ طبعة ١٢٨٤هـ .

٩ ــ الذهبى : (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) شمس الدين ابى عبد الله محمد

بن احمد بن عثمان : العبر فى خبر من غبر ، حـ ٣ الكويت ١٩٦١ ، حـ ٤ ، ١٩٦٣ .

١٠ ـ سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤هـ) ابو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، حـ ١ ق ١ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م) .

١١ ـ ابو شامة : (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى : الروضتين فى اخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمى محمد احمد ، حـ ١ القسم الأول ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٢ ـ ابن الشحنة : (ت ٨٩٠هـ) ابو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى الحلبى الحنفى : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق ابو اليمن البترونى (ت ١٠٤٦م) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٩ .

١٣ ـ ابن شداد : (٦٨٤هـ) عز الدين ابى عبد الله محمد بن على بن ابراهيم : الأعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة ، حـ ١ ق ١ ، دمشق ١٩٥٣ .

١٤ ـ الأصفهانى : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى . مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م .

١٥ ـ ابن العبرى : (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) جريجوريوس ابى الفرج ابن هرون الطبيب الملطى : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨م .

١٦ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) كمال الدين ابى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، حـ ٢ ، نشر وتحقيق سامى الدهان ، (من ٤٥٧هـ الى ٥٦٩هـ) .

١٧ ـ الفارقى : (عاش فى القرن السادس الهجرى) أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق : تاريخ الفارقى ، القسم الأول ، حققه د . بدوى عبد اللطيف ، القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .

١٨ ـ ابو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ابى الفدا صاحب حماه : المختصر فى اخبار البشر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية حـ ٢ ، ٣ .

١٩ ــ ابو الفضايل محمد بن علي الحموي : التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، نشره ووضع فهارسه بطرس فزيا زنيويج ، موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ ــ ابن القلانسي : (ت ٥٥٥هـ) حمزة بن يعلى : ذيل تاريخ دمشق، طبعة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

٢١ ــ القرماني : ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي : اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ .

٢٢ ــ القلقشندي : (ت ٨٢١هـ) أبو العباس احمد : نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ ــ ابن كثير : (ت ٧٧٤هـ) عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية في التاريخ ، جـ ١٢ ، مطبعة السعادة.

٢٤ ــ ابو المحاسن : (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٥م .

٢٥ ــ المقدسي المعروف بالبشاري : (ت ٣٧٥هـ) شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ .

٢٦ ــ مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ .

٢٧ ــ ابن واصل : (ت ٦٩٧هـ) جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ ١ (ينتهي بموت نور الدين محمود بن زنكي ٥٦٩هـ) نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم ١٩٥٣ .

٢٨ ــ ابن الوردي : (٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس الوردي : المختصر في أخبار البشر ، جـ ٢ المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٥هـ .

٢٩ ــ ياقوت الحموي : (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٣٠ ــ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، (من رجال القرن الخامس الهجري): تاريخ الذيل ، باريس ١٩٢٤ .

(ب) المخطوطات والميكروفيلم :

١ ـ ابن ابى الدم الحموى : (ت ٦٤٢هـ) ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين : التاريخ المظفرى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦٦٦ تاريخ .

٢ ـ ابن دقماق المصرى : (ت ٨٠٩هـ) صارم الدين ابراهيم بن محمد : نزهة الانام فى تاريخ الاسلام ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعه العربيه رقم ٨٥١ تاريخ .

٣ ـ الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .

٤ ـ ابن الساعى : (ت ٦٧٤هـ) على بن انجب المعروف بابن الساعى البغدادى : اختصار الخلفاء ، مخطوط رقم ٩٠٢ تاريخ تيمور .

٥ ـ سبط بن العجمى الحلبى : (ت ٨٨٤هـ) موفق الدين ابى ذر أحمد ابن ابراهيم : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، جـ ١ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور .

٦ ـ ابن شاكر الكتبى : (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن : عيون التواريخ ، جـ ١٣ ميكروفيلم بدار الكتب المصريه رقم ١٦٧٢ تاريخ .

٧ ـ ابن الشحنة : (ت ٨١٥هـ) ابو الوليد محب الدين محمد بن محمد : روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥م تاريخ .

٨ ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .

٩ ـ العينى : (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين محمد محمود بن أحمد بن موسى : عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، جـ ١٥م ٣ ، ٤ ، جـ ١٦م ١ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

١٠ ـ الفارقى : ملخص تاريخ ميافارقين ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ١٢٤٩ تاريخ .

١١ ـ ابن الفرات : (ت ٨٠٧هـ) محمد عبد الرحيم بن على بن احمد بن محمد ابن عبد العزيز بن محمد : تاريخ الدول والملوك ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ؛ ٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ تاريخ .

١٢ ــ ابن قاضي شهبة : (ت ٨٧٤) بدر الدين ابى الفضل محمد بن ابى بكر بن احمد بن قاضى شهبة الاسدى الدمشقى الشافعى : الدر الثمين فى سيرة نور الدين محمود بن زنكى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٢٣٧ (١) تاريخ .

١٣ ــ النويرى : (ت ٧٣٢هـ) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب وفنون الادب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة جـ ٢٥ د ٢٦ .

١٤ ــ ابو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الايوبى ــ ت ٥٨٩هـ) : تاريخه ــ القسم الأول ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٩٤٥ تاريخ .

(جـ) المراجع العربية

١ ــ اسحاق تاوضروس عبيد : (الدكتور) : روما وبيزنطة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

٢ ــ اسد رستم : الدكتور : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب ، جـ ٢ دار المكشوف ، بيروت لبنان ، ١٩٥٦ .

٣ ــ اغناطيوس افرام الثانى : بطريرك السريان الانطاكى : مقاله فى سورية ، طبعت بيروت المطبعة السريانية ١٩٢٦ .

٤ ــ حسن حبشى : (الدكتور) :
نور الدين والصليبيين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥ ــ زامبور : المستشرق . معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، اخراج د . زكى محمد حسن ، د . حسن احمد محمود ، د . سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول جـ ١ (١٩٥١) ، جـ ٢ (١٩٥٢) .

٦ ــ الطباخ الحلبى : محمد راغب بن محمود بن هاشم : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الطبعة الأولى ، جـ ١ ، ٢ (١٣٤٣ ــ ١٩٢٣) .

٧ ــ عاشور : (الدكتور) سعيد عبد الفتاح :

١ ــ الحركة الصليبية : ، جـ ١ ، ٢ الطبعة الأولى ١٩٦٣ . الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٧ — سلطنة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى ، محاضرة القيت بدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٨ — عمر كمال توفيق : (الدكتور) : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ١٩٦٦ .

٩ — الغزى : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابى الحلبى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حـ ٣ ، الطبعة المارونية بحلب ١٣٤٥هـ — ١٩٢٦م .

١٠ — محمد كرد على : خطط الشام — حـ ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م .

١١ — يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية الدنيوى والدينى حـ ٢م ٣ — (١٨٩٨م) حـ ٦ (١٩٠٢م) ، المطبعة العمومية المارونية فى بيروت .

١٢ — الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة : بقلم احد رهبان دير السية برموس فى برية انبا مقاريوس ، الجزء الأول الطبعة الأولى ، المطبعة الاميرية ببولاق القاهرة ١٨٨٣م .

د — المصادر والمراجع الأجنبية :

1. — Adams, (G.B.) :
Medieval and Modern history, New York 1905.

2. — Anna Comnena : .
The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas, London, 1967.

3. — Archer (T.A.), Kingsford (C.L.) :
The Crusades, London, 1919.

4. — Aubert (R.) :
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques, T. 14, Paris 1960.

5. — Bar Hebraeus :
The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1, Englsih translation, London, 1932.

6. — Bréhier (L.) :

1. L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisades, Paris, 1921.
2. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1948.

7. — Burkitt (F.C.) :
Early Eastern Christianity, London : 1904.

8. — Cahen (C.) :

La Syrie du Nord à L'époque des Croisades et la principauté Franque D'Antioche, Paris, 1940.

9. — Cambridge Anc. Hist., V. XI - XII, Cambridge 1939

10. — Cambridge Med. Hist., V. IV, Cambridge 1936, V. IV Part 1, Cambridge 1966.

11. — Chalandon (F.) :

1. Histoire de la première Croisade, Paris 1925.
2. Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène. (1081 — 1118), Paris, 1900.

12. — Chronique de Michel le Syriens : éditée et traduite en Français par J.B. Chabot, T. III, Fascicule II, Paris 1906.

13. — Defrémery (M.) :
Histoire des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848.

14. — Der Nersessian (S,) :
Armenia and the Byzantine Empire, Cambridge, 1947.

15. — Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, T. 4, Part 2, Paris, 1921.

16. — Dussaud (R.) :

Topographie Historique de la Syrie Antique et Médievale, Paris, 1927.

17. — Duval (R.) :
Histoire Politique, Religieuse et Litteraire d'Edesse jusqu'à la première Croisade, Paris.

18. — Fliche (A.) :
Histoire du Moyen Age, T. II, L'Europe Occidentale de 888 à 1125, Paris 1930.

19. — Gibb (H.A.R.) :
The Damascus Chroncile of the Crusades, London, 1932.

20. — Grousset (R.) :
1. Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, V. 1, Paris, 1934, V. 2, Paris, 1935.
2. L'Epopée des Croisades, Paris, 1939.
3. Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.
4. L'Empire du Levant, Paris, 1949.

21. — Grumel (V.) :
Au Seuil de la IIème Croisade, Deux Lettres de Manuel Comnène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T.III, 1945, Institut Français d'Etudes Byzantines, Bucarest, 1946.

22. — Hayes (E.R.) :
L'École d'Edesse, Les Presses Modernes, Paris, 1930.

23. —Hefele (C.J.) :
Histoire des Conciles, T. II, Partie 2. (Paris 1908)
T.V. 1er Partie (Paris, 1912).

24. — Hulme (E.M.) :
The Middle Ages, New York, 1938.

25. — Iorga (N.) :
1. Brève Histoire des Croisades, Paris, 1924.
2. Brève Histoire de la Petite Arménie, Paris, 1930.

26. — Issaverdens (R.P.J.) :
Histoire de l'Arménie, T. II, Venise, 1888.

27. — Janin (R.P.) :
Les Eglises separées d'Orient Paris, 1930.

28. — Jedn (H.) :
Brève Histoire des Conciles, tradult par A. Vidick ; Belgium, 1960.

29 — Lamb (H.) : The Crusades, London, 1934.

30. — Lammens (H.): La Syrie, V. 1, Beyrouth, 1921.

31. — Le Strange (G.) :
The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930.

32. — Michaud (M.) :
Histoire des Croisades, V. 1, 2.

33. — Morgan (J.) :
Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1918.

34. — Nansen (F.) :
L'Arménie et le Proche Orient, Paris, 1928.

35. — Oldenboug (Z.) :
Les Croisades, Editions Gallimard, 1965.

36. — Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine State, Oxford, 1956.

37. — Pasdermadjian (H.) :
Histoire de l'Arménie, Paris, 1964.

38. — Prawer (J.) :
Histoire du Royaume Latin de Jérusalem, Traduit de l'hébreu par G. Nahon, T. 1, Paris, 1969.

39. — Recueille des Historiens des Croisades :
1. Documents Arméniens, T. 1, 2.
2. Historiens Occidentaux, T. 1, 3, 4, 5.

40. — Richard (J.) : Le Royaume Latin de Jérusalem, Paris 1953.

41. — Roux (F.C.) :
France et Chrétiens d'Orient, Paris; 1939.

42. — Runciman (S.) :
A History of the Crusades, Cambridge, V. 1, 1954, V. 2, 1952.

43. — Schulmberger (G.) :
1. Recits de Byzance et des Croisades, Paris, 1922.
2. Sigillographie de l'Orient Latin, Librairie Orientaliste, Paul Geuthner, 1943.

44. — Setton (K.M.) :
A History of the Crusades, University of Pensylvania Press, V. 1, Edited by Marshall W. Baldwin, 1955.

45. — Tixeront (L.J.) :
Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende d'Abgar, Journal Asiatique, T. XII, Paris, 1888. Novembre — Décembre.

46. — Tournebize :
Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris, 1900.

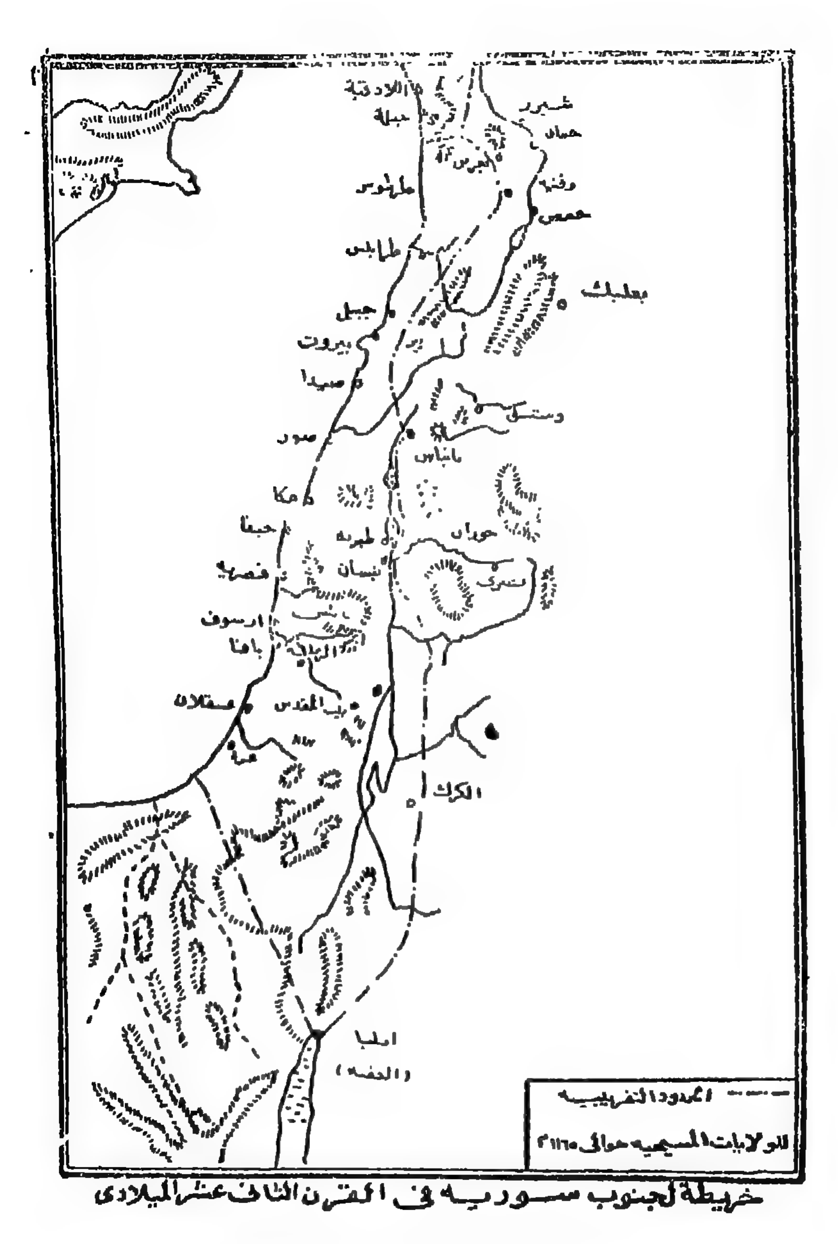
47. — Vacant (A.), Mangenot (E.), Amann (E.) :
Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Partie 2, Paris, 1923.

48. — Vasiliev (A.A.) :
History of the Byzantine Empire, V. 2, Madison, 1929.

49 — William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, V. 1, 2 Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

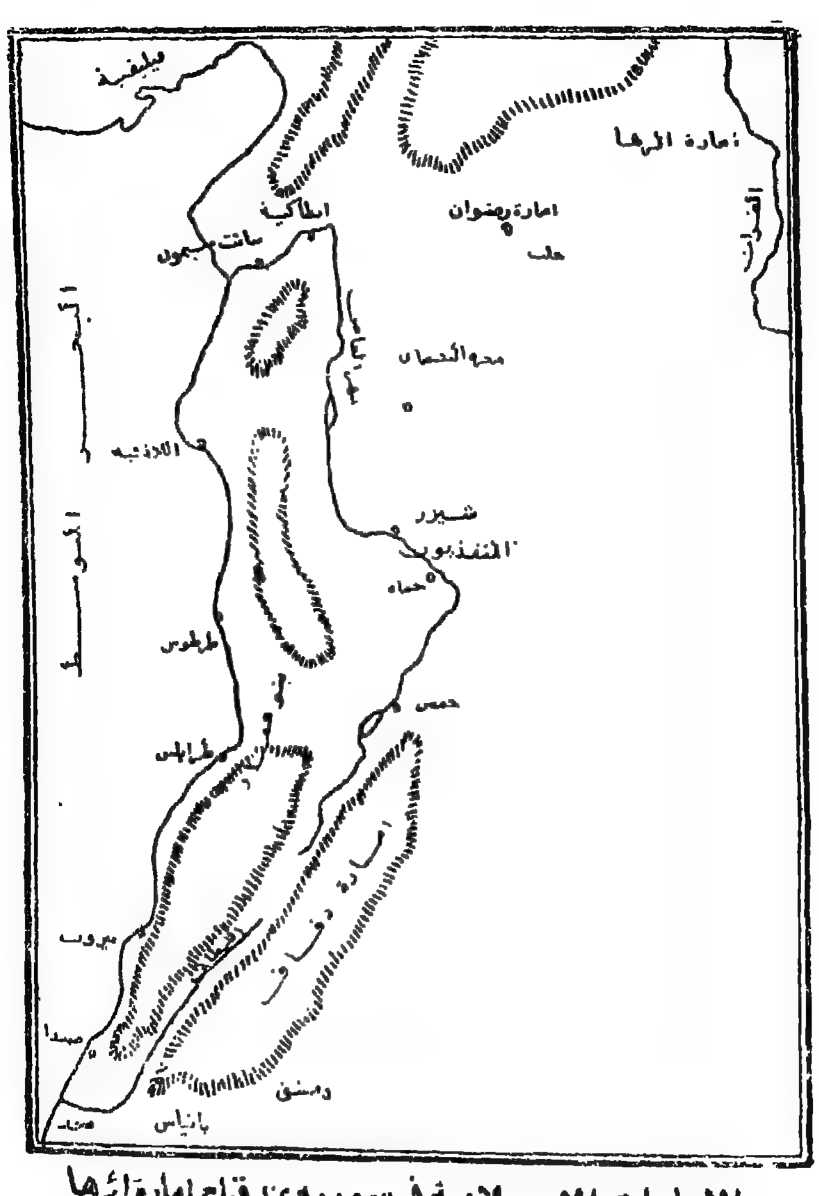
مســير الحملة الصليبية الأولى في آســيا الصغرى

عن: J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JERUSALEM, T.1. P 206



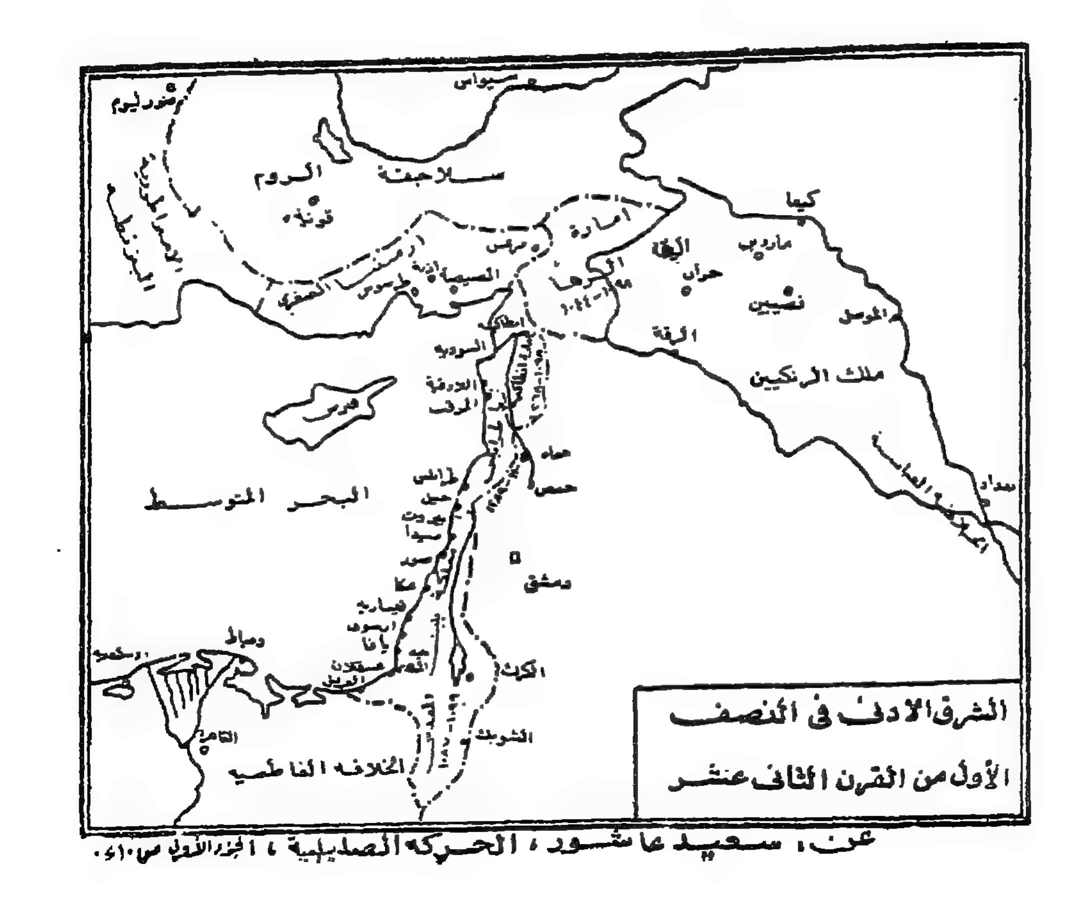
خريطة لجنوب سوريه في القرن الثاني عشر الميلادى

عن : S.RUNCIMAN : A HISTORY OF THE CRUSADES, V.2, P. 145

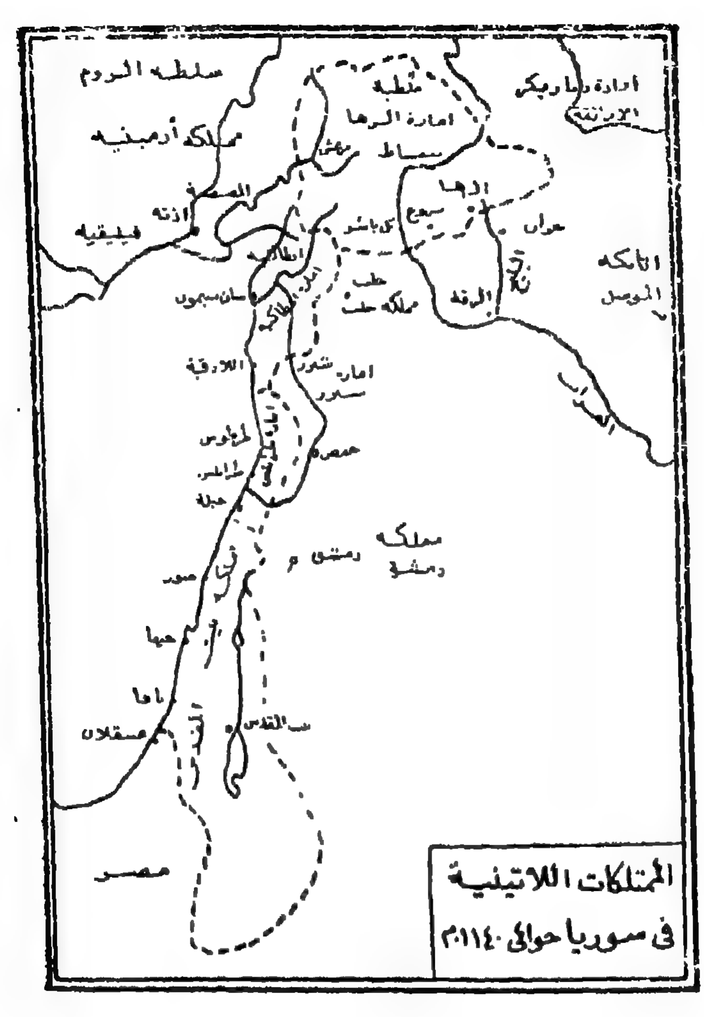


الإمارات الإسلامية فى سوريه عند قيام إمارة الرها

عن: J.PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JÉRUSALEM, T.1. P. 211

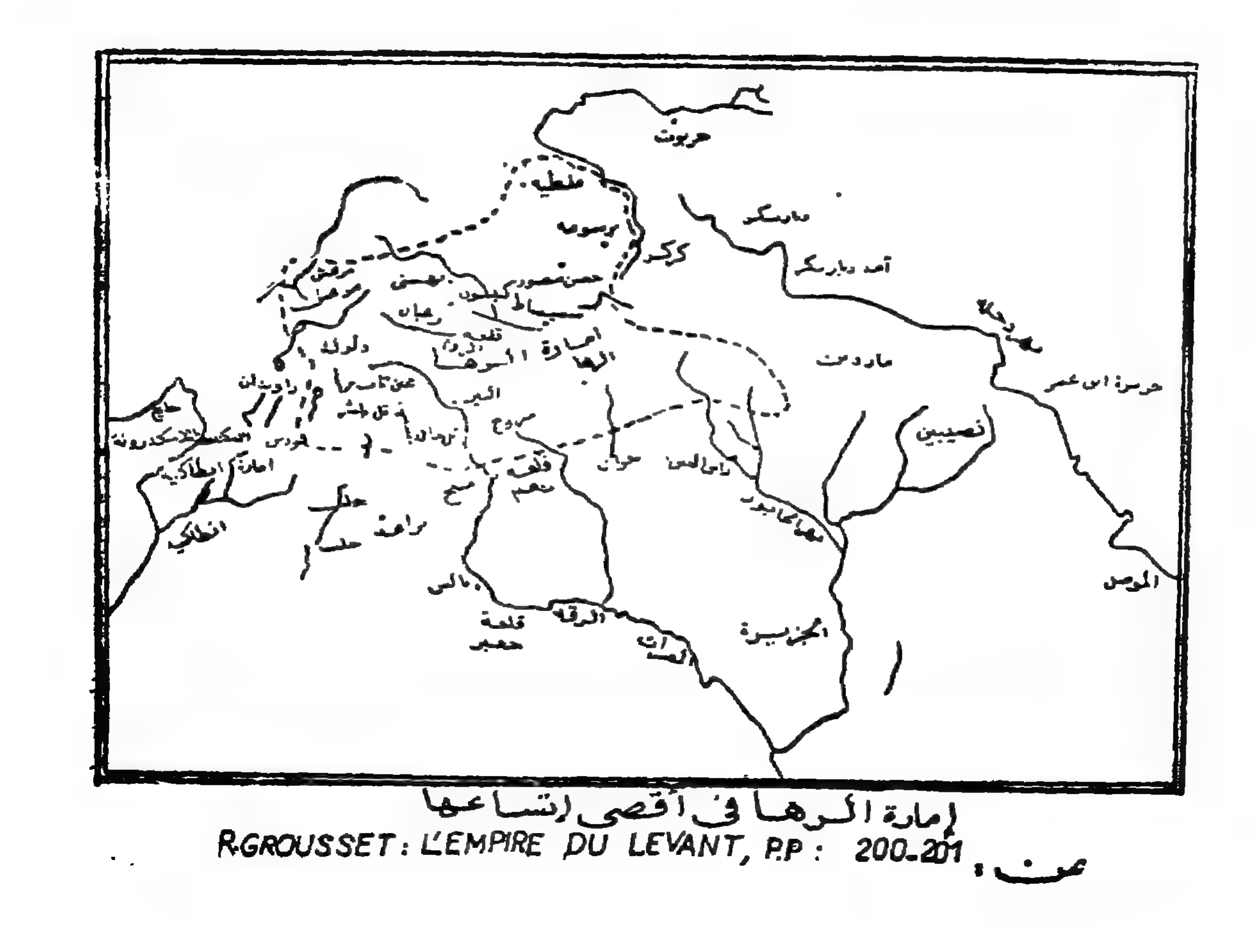


عن: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، الجزء الأول ص ٥١٠.



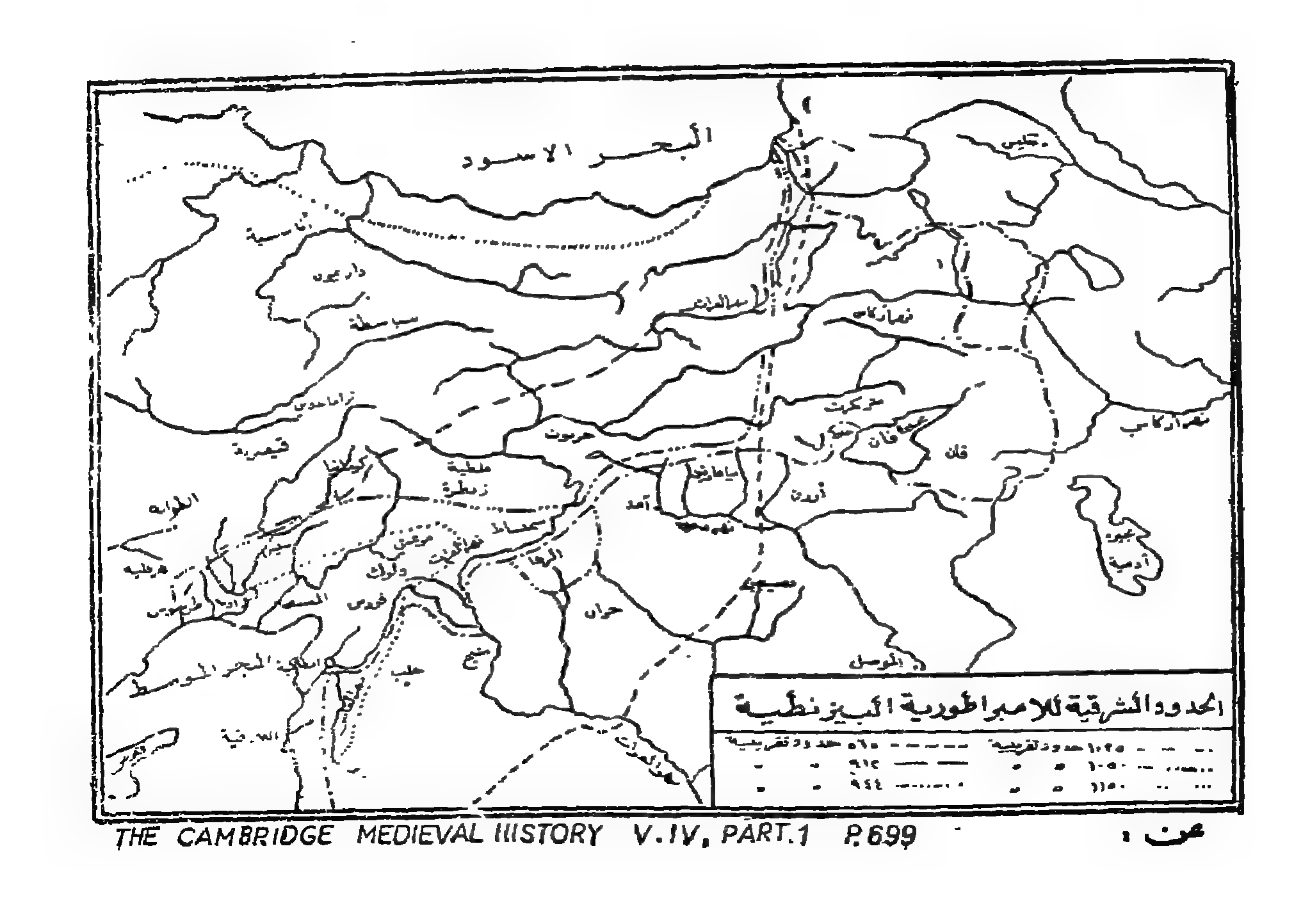
عن :

ZOÉ OLDENBOURG : LES CROISADES
P. 247



إمارة الرها في أقصى إتساعها

عن: R.GROUSSET: L'EMPIRE DU LEVANT, P.P: 200-201


البحر الاسود
الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية
ملاطية
زبطرة
آمد
أرزن
قلاط
حران
الرها
الموصل
حلب
منبج
تفليس
سميساط
THE CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY V.IV, PART.1 P.699

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
مقدمة	٩
دراسة تحليلية لمصادر البحث	١٣
تمهيد	٢٣
تفسير اسم الرها	٢٣
تاريخ المدينة القديم	٢٨
مكانة الرها فى ظل المسيحية	٢٩
دخول الرها فى حوزة المسلمين	٣٥
دخولها تحت نفوذ البيزنطيين	٣٦
أهمية موقع الرها	٣٩
علاقة الرها بالأرمن	٤٠
وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن	٥١
انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبى واتجاهه الى الرها	٥٢

الباب الأول

قيام أمارة الرها الصليبية وأحوالها الداخلية

حكم بلدوين البولونى منفردا للرها	٧١
بلدوين وحكم بيت المقدس	٨٨
امارة بلدوين دى بورج على الرها	٩٧

الموضوع	الصفحة
وضاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعه حران	٩٩
الرها تحت حكم تنكريد	١٠٩
العلاقة بين بلدوين دى بورج وجوسلين	١١٦
أمارة جوسلين دى كورتناى على الرها	٢٢١
أسر جوسلين	١٢٥
جوسلين الثانى	١٢٣
الباب الثانى	
علاقة امارة الرها الصليبية بجيرانها	١٣٥
أولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها	١٣٥
علاقة الرها بسلاجقة فارس	١٣٦
بسلاجقة قونية	١٦٥
بحلب وضواحيها	١٦٨
بأراتقة ماردين	١٩٠
بأراتقة ديار بكر	١٩١
بأمد	١٩٢
ببنى دانشمند	١٩٤
ببنى مزيد فى الحلة	١٩٥
ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشام	١٠٣
علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول	١٠٣

الموضوع	الصفحة
علاقة الرها ببيت المقدس	١٩٩
بأنطاكية	٢١١
بطرابلس	٢٣٤
ثالثا : علاقة الرها بالأرمن خارجها	٢٤٤
رابعا : علاقة الرها بالدولة البيزنطية	٢٥٤
الباب الثالث	
نهاية امارة الرها	٢٦٦
جهود زنكى فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية	٢٦٦
تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية	٢٧٩
سقوط الرها فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م	٣٠١
ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرهام ١١٤٤م	٣١٤
مقتل عماد الدين زنكى	٣١٨
ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م	٣٢٠
جيران الرها وبقايا الامارة حتى أسر جوسلين الثانى	٣٢٩
سر جوسلين الثانى	٣٣١
اندثار امارة الرها بعد أسر جوسلين	٣٣٣
الباب الرابع	
أوضاع أمارة الرها الداخلية والحضارية	٣٣٧

الموضوع	الصفحة
(أ) طبقات المجتمع	٣٣٧
(ب) الحياة الاقتصادية..	٣٣٧
(جـ) كنيسة الرها والحياة الدينية فيها	٣٦٥
الخاتمة	٣٨١
الملاحق	٣٨٦
مصادر البحث	٤٠٢
خرائط	٤١٢

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.

٢ ـ على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ـ١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، جـ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٢ـ نظرات فى تاريخ مصر،
جمال بدوى، ١٩٨٨
٢٣ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.
٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ـ١٩٣٦)،
د. نجوى كامل، ١٩٨٩.
٢٥ ـ المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بروين،
ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.
٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة،
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩.
٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ١،
تأليف: ألفريد ج. بتلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ٢،
تأليف: ألفريد ج. بتلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
٢٩ ـ مصر فى عهد الإخشيديين،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.
٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.
٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.
٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
ـ. خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.
٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢،
د. يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.
٣٥ ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة.
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠
٣٦ ـ المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢،
تأليف: هاملتون بروين، ترجمة. د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف: د. سليمان صالح، ١٩٩٠
٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠.
٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ـ١٨٢٧)،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.
٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨،
د. عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠
٤١ ـ محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د. رفعت السعيد، ١٩٩١.
٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠.
٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠
٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،
د. محمد عفيفى، ١٩٩١.
٤٥ ـ الحروب الصليبية جـ ١،
تأليف: وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د. حسن حبشى، ١٩٩١.
٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،
ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١.

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .
٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .
٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ـ١٩٥٤)،
د . سهير اسكندر، ١٩٩٣ .
٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)، أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على دهنى، ١٩٩٢ .
٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .
٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .
٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢،
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .
٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .
٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .
٥٨ ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .
٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١)،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .
٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .
٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .
٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .
٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .
٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .
٦٧ ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .
٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف : أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤ .
٧١ ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤ .
٧٢ ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د . أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤ .
٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .
٧٤ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د . سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤ .
٧٥ ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د . سلام شافعى محمود، ١٩٩٥ .
٧٦ ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .
٧٧ ـ الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د . حسن حبشى، ١٩٩٤ .
٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .
٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥ .
٨٠ ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د . السيد حسين جلال، ١٩٩٥ .
٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د . رمزى ميخائيل، ١٩٩٥ .
٨٢ ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤
٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤ .
٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥ .
٨٥ ـ تاريخ الإذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥ .
٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥ .
٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦)،
إعداد : تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق. د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥ .
٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥ .
٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥
٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦ .
٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦ .
٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦ .

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى، اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧.
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.
د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ـ

أحمد شفيق باشا.

١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)

علاء الدين وحيد

١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨)

عبد الرزاق إبراهيم عيسى

١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام

د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية

حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث

لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)

د. محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦

سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن

د. محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧

سليم خليل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨

سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،

ابراهيم محمد محمد ابراهيم .

١٢٨ ـ معارك صحفية،

بقلم/ جمال بدوى.

١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣)

د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧)

سمير فريد.

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م

ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١

د. ماجدة محمد حمود.

١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢

د. ماجدة محمد حمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى

بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى

ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية (فى ضوء وثائق الجنيزة)

(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق

تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر

السيد يوسف

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين

بقلم محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ ـ ١٨١١ ـ ١٨٤٨م

طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك

لطفى أحمد نصار

١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣

أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق م

د. منيرة محمد الهمشرى

١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل

د. عبدالعليم خلاف

١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)

د. منيرة محمد الهمشرى

١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية

د. أحمد عبدالرازق

١٤٧ ـ حسن البنا متى كيف ولماذا؟

د. رفعت السعيد

١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية

تأليف / د. سمير فوزى

ترجمة / نسيم مجلى

١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر

حسام محمد عبد المعطى

١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)

د. سمير يحيى الجمال

١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة

السيد يوسف

١٥٢ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)

د. مجاسن محمد الوقاد

١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)

د. علية عبد السميع الجنزورى

١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى

د. علية عبد السميع الجنزورى

١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر (١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)

د. عبد الحميد البطريق

١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الثالث فى العصر الإسلامى

د. سمير يحيى الجمال

١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الرابع فى العصر الإسلامى والحديث

د. سمير يحيى الجمال

١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الأول

د. محمد فريد حشيش

١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الثانى

د. محمد فريد حشيش

١٦١ـ السيف والنار فى السودان

تأليف / سلاطين باشا

١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)

د. تمام همام تمام

١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية

المستشار/ محمد سعيد العشماوى

١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ . ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.

إعداد / د. عبدالعظيم رمضان

١٦٥ـ التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر (فى القرن التاسع عشر)

سامى سليمان محمد السهم

١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

مصر)

السيد يوسف

١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية

د. صفى على محمد عبدالله

١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات

يسرى عبد الغنى

١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)

د. صفى على محمد عبد الله

١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)

مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر القرن التاسع عشر

تأليف / محمد رفعت

١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)

الجزء الأول

تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)

الجزء الثانى

تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق م

د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره فى الحياة السياسية

عادل إبراهيم الطويل

١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م

د. عبدالحميد حامد سليمان

١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط

لواء دكتور/ صلاح سالم

١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر

د. سحر على حنفى

١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)

د. عفاف مسعد السيد العبد

١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس

بقلم / د. عبدالعظيم رمضان

١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)

ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)

ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٣ ـ شاهد على العصر

مذكرات محمد لطفى جمعة

١٨٤ ـ الموالية فى القرن الثامن عشر

ياسر عبد المنعم محاريق

١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى ١٨٢٠ ـ ١٨٨٥م

د. أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف

د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ١

د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) جـ٢

د. عادل عبدالحافظ حمزة.

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م

عرفة عبده على

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣م)

د. عبدالحميد عبدالجليل أحمد شلبى

١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ١

د. محسن على شومان

١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ٢

د. محسن على شومان.

١٩٣ ـ الامام محمد عبده بين المنهج الدينى الاجتماعى

د. عبدالله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية

د. فتحى الصنفاوى

١٩٥ ـ مجتمع أفريقيا فى عصر الولاة

د. نريمان عبدالكريم أحمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)

عبدالعظيم محمد سعودى

١٩٧ ـ القدس الخالدة

د. عبدالحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية

د. عادل عبدالحافظ حمزة

١٩٩ ـ المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية (تنظيمه الإدارى ودوره السياسى)

د. بهاء الدين ابراهيم محمود

٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور (أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ابريل ١٩٩٨م) .

اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

٢٠١ - إمارة الحج فى مصر العثمانية (٩٢٣ - ١٢١٣هـ / ١٥١٧ - ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر
٢٠٢ - المندوبون الساميون فى مصر
د. ماجدة محمد حمود
٢٠٣ - الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب
٢٠٤ - العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥ - ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى
٢٠٥ - تاريخ الغربية وأعمالها فى العصر الاسلامى (٢١ - ٥٦٧هـ / ٦٤٢ - ١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا
٢٠٦ - مصر للمصريين جـ٩
سليم خليل النقاش
٢٠٧ - الظاهر بيبرس
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢٠٨ - الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت جـ١
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢٠٩ - الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت جـ٢
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢١٠ - قبرص والحروب الصليبية
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢١١ - امارة الرها الصليبية
د. علية عبدالسميع الجنزورى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٧٨ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7632 - X

يتناول هذا الكتاب تاريخ إمارة الرها فى عصر الحروب الصليبية، وهى أولى الإمارات التى أسسها الصليبيون فى العالم العربى فى عام ١٠٩٨، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة فى تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة فى عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين فى شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً فى الحروب الصليبية



مطابع الهيئة المصرية

٦٢٥ قرشاً